

حیاتی مع
مارٹن لوتھر کینگ

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر

القاهرة — نيويورك

يونيه ١٩٧١

حیاتی مع مارٹن لوتھر کبج

تالیف
کورٹیا سکوتے کبج

ترجمہ
تھماضر توفیق

الناشر
المکتب المصری الحدیث
۷ شارع نوبار — الاسکندریة

هذه للترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of MY LIFE WITH
MARTIN LUTHER KING, JR. by Coretta Scott King. Copyright
© 1969 by Coretta Scott King. Published by Holt, Rinehart
and Winston, New York.

المشتركون في هذا الكتاب

المؤلفة : كوريتا سكوت كينج : ولدت في ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٧ ،
ونشأت في مزرعة يمتلكها جدها وتقع على مسيرة اثني عشر ميلا من مدينة
ماريون بولاية ألاباما . تلقت تعليمها الابتدائي بمدرسة الزوج الابتدائية
في هايبرجر ، ومدرسة لنكولن الثانوية في ماريون ، ثم تخصصت في دراسة
الموسيقى والتعليم الابتدائي بكلية أنتيوك في يلو سبرنجز بولاية أوهايو . وفي
سنة ١٩٥٤ تخرجت في معهد الكونسرفاتوار بنيوانجلند وحصلت على درجة
البكالوريوس في الموسيقى . التقت في أثناء دراستها بمارتن لوثر كينج الذي كان
يعد رسالة الدكتوراه في اللاهوت بجامعة بوسطن ، وتزوجا في ١٨ يونيو
سنة ١٩٥٣ . منحت درجات فخرية من جامعة بوسطن ، وجامعة براندايز
 وكلية ماريونيت مانهاتان ، كما منحت عدة أوسمة من هيئات مختلفة .

الترجمة : تماضر توفيق : المديرية العامة للمتابعة بوزارة الإعلام .

هذا الكتاب

مهدى

إلى ذكرى زوجى الراحل الذى منحتنى العناية نعمة مشاركة حياته النبيلة
التي كرسها بلا أنانية للحب والعدالة والحق ، وقد نلت من هذه المشاركة رضا
لا يعادله رضا ، ولا يمكن أن يقاس بمقاييس .

وإلى أطفالنا الأربعة :

يولاند ومارتن الثالث وديكستر وبرنيس
وآمل أن يعيشوا ليروا تحقيق الحلم .

لقد كان صيف عام ١٩٦٤ صيفاً قاسياً بالنسبة لزوجي ، مارتن لوثر كينج ، الأصغر ، فقد زادت أعباؤه بشكل أصبح يهدد حياته ، وترادفت الضغوط القاسية ، التي لا يمكن أن توصف ، إلى أبعد الحدود . وكان دائم التغيب عن منزلنا في أتلانتا ؛ إذ كان منهمكاً في عملية تسجيل أصوات الناخبين ، وفي الكفاح لفتح أبواب الخدمات العامة أمام الجميع ، كما سافر خلال هذا الصيف إلى ألمانيا ، في رحلة تتصل بالرحلة الانتخابية الرئاسية ، وبجمل القول كانت أعباؤه في هذا الصيف عديدة وثقيلة .

وكننت قلقة عليه جداً ، ولذا ، فلدى عودته من ألمانيا في أكتوبر الحثت أن يدخل مستشفى سانت جوزيف بأنلانتا لعمل بعض التحليلات والاختبارات الطبية المعتادة ، وكننت آمل من وراء ذلك أن تكون في ذلك فرصة للراحة والاستجمام . وفي صبيحة يوم دخوله المستشفى ، حوالى التاسعة ، دق جرس التليفون في منزلنا ، وهو أمر اعتدناه ، فجرس التليفون لا يتوقف إطلاقاً عن الرنين عندنا ، إذ أن معظم المشكلات تأتي من زملاء مارتن في العمل ، أو من مؤيديه في حركته ، أو من طالبي العون والمساعدة منه * ولكن كثيراً ما كان التليفون يحمل لنا تهديدات وسباباً وتجريحاً . . . دق الجرس ، وقال المتكلم هذه المرة :

« هنا وكالة الاسوشيتيد برس ، أريد أن أتحدث إلى الدكتور مارتن لوثر كينج . »

وشرحت للمتكلم أن الدكتور كينج ليس موجوداً بالمنزل ، وعندئذ عاد المتكلم يسأل :

« هل المشكلة هي المسز كينج ؟ » ، ولما رددت عليه بالإيجاب ، قال :
« لقد وصلتنا للتو ، أنباء من الغرويج ، مؤادها أن زوجك قد حصل على جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٦٤ » .

ووقع على النبا على نحو جماعى أفقد قدرى على الفهم لأول وهلة ، ولكنى
تمالكى نفسى ، وحاولت أن أبدو هادئة طبيعية . وطلب منى المراسل أن
أبلغه بمكان زوجى لأنه يريد منه حديثا صحفيا بالمناسبة . فأبلغته أنى سأحاول
الاتصال بزوجى ، وطلبت منه معاودة الاتصال بمنزلنا . . ولما سألنى المراسل
عن شعورى لدى سماعى هذا النبا ، أجبت بأنه من الصعب على أن أصف
شعورى على حقيقته .

والحقيقة أنى كنت قرأت فى الصحف أن مارتى كان من بين المرشحين لنيل
الجائزة ، ثم سمعنا فيما بعد أن اسمه قد قفز إلى مقدمة المرشحين ، ولكننا ،
مارتى وأنا ، ظننا أن هذا ليس سوى مجرد إشاعات ؛ إذ كنا نعتقد أن الجائزة
لا تمنح إلا لمن تعتبر اهتماماتهم فى سبيل السلام الدولى محددة ولا عمل لهم
سواها . ورغم أن مارتى كثيرا ما كتب وتحدث عن الابتعاد عن العنف
كوسيلة لإنقاذ العالم الذى يقف على شفا الخطر ، إلا أننا لم نكن نؤمن بأن
الآخرين يرون هذه الفلسفة بمفهومها العريض .

واستطرد المراسل يقول :

« إن جائزة هذا العام تقدر بـ ٤٠ ألف دولار ، ماذا — فى رأيك —
ستكون الأوجه التى سينفق فيها الدكتور كينج مثل هذا المبلغ ؟ » .

وأجبت قائلة : « إذا كنت أعرفه جيدا فإنى واثقة أنه سيتبرع بها كلها
لحركة التحرير . »

« وما شعورك أنت ؟ » .

« إنى أتفق معه فى أن هذا هو المكان الذى يستحق هذا المبلغ . . إنى
مقتنعة بذلك من كل قلبى . »

وبمجرد أن أقفل المراسل الخط ، اتصلت بمارتن في المستشفى ، ولما أجباني بصوت يغلبه النعاس ، رددت بمرح : وكيف حال الفائز بجائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ هذا الصباح ؟ .

وسأل مارتن : . . ما هذا الذي تقولينه ؟ .

- مارتن ، لقد اتصلت بي وكالة الاسوشيتد بريس لتبلغني أنه استقر الرأي على اختيارك وأنتك الفائز بها .

وبعد فترة صمت طالت ، قال مارتن : « ينبغي أن أتأكد من هذا النبأ ، .

ولكنه أبلغني فيما بعد أنه راح في سبات عميق بعد أن تناول طعام فطوره في المستشفى ، وعندما أعلن النبأ رسمياً ، واتصلت به لأخبره ، صعد من الخبر ، واعتقد أنه لا يزال يحلم .

أما أنا فلم أستطع أن أحل شعوري إزاء هذا الخبر إلا بعد وقت طويل . وليس من شك في أن جرس التليفون لم يتوقف لإطلاقا عن الرنين ، وكانت للفكرة المسيطرة على ذهني أن مارتن لم يدخل المستشفى إلا بالأمس فقط ، ولذا فلن تتاح له فرصة الراحة المطلوبة ، نظراً لأعداد الوفيرة من الناس التي ستحاول الاتصال به . وبدأ لي أنه مكتوب عليه كل مرة أنه بمجرد الوصول إلى النقطة التي ينبغي له فيها أن يبعد عن الميدان ، تحدث دائماً أشياء تمنحه من ذلك .

وفي نفس الوقت ، وعلى العكس من كل ذلك ، أيقنت أن هذه الجائزة تعتبر دفعة معنوية كان مارتن يمسس الحاجة إليها ، ولذا فقد غمرني الفرح وجلسات بجوار آلة التليفون أصلي وأبتهل قائلة : « أشكرك يا إلهي ، أشكرك لما يعنيه كل هذا لمارتن ولأولادولي . شكراً لك ، وساعدنا على أن نصبح أهلاً لهذه البركة ، .

وسرعان ما ذاعت أخبار الجائزة وانتشرت ، وكان من بين زوار مارتن الأسقف هالينان رئيس أساقفة كنيسة أتلانتا الكاثوليكية ، الذى قدم تهنئته ، ثم قال لمارتن : دهل لى أن أمنحك بركانى ؟ ، فأجابه مارتن : « بالطبع » . ولذا فقد بدأ رئيس الأساقفة يتلو بركانه التقليدية وهو يرسم الصليب . واستجاب مارتن لكل هذا ، واسكنه لدهشته رأى الأسقف هالينان يحشو على ركبتيه بجوار السرير ويقول لمارتن : دهل لى أن أحصل على بركانك ؟ . وقد روى لى مارتن فيما بعد كيف كان شعوره بالتواضع ؛ إذ رأى كبير أساقفة كاثوليكيا يريد أن يتلقى البركات من أسقف بسيط مشيخى يدعى مارتن لوثر كينج .

ووصلتنى بعد وقت قصير مكلمة من موظفى مكتب المؤتمر القىادى للمسيحيين الجنوبيين ، يباغونى فيها أن مارتن سيتحدث فى مؤتمر صحفى حددت له الساعة الحادية عشرة بالمستشفى ، وطلبوا منى أن أنضم إليهم لحضور هذا المؤتمر .

وبالطبع سارعت إلى الانخما ل إليهم ، وعندما بلغنا المستشفى وجدناه يعج بالمراسلين الصحفيين والمصورين بالآلئهم وأضوائهم ، تجمعوا جميعا فى كنيسة المستشفى . وكان مارتن قد أعد بيانا ، ألفاه عليهم ، ثم أخذ يجيب عن أسئلتهم بهدوء وبساطة وسهولة ، كما هى عادته دائما ، وصرح بأنه سيتبرع بالمبلغ كله لصالح القضية . وكنت أنا واثقة من أنه سيفعل ذلك . والذى حدث أن قيمة الجائزة وزعت فيما بعد على مؤتمر القادة المسيحيين الجنوبيين ، ومؤتمر المساواة العنصرية ، ولجنة الطلبة للتنسيق العلمى ، والجمعية الوطنية لتشجيع تقدم الملونين ، والمجلس الوطنى للنساء الزنجيات ، والمؤسسة الأمريكية لمحاربة العنف ، وهى مؤسسة ألئت بهدف تشجيع التعليم فى وسائل المقاومة السلمية .

وأخيرا ، عندما انصرف المراسلون ، وذهبت مع مارتن إلى غرفته ، أخذنا نستعيد آراءنا ونحلل عواطفنا .

وليس ثمة شك فى أنى كنت فى منتهى السرور ، واسكن هذا لم يمنعنى من

التأمل . لماذا اعتبرت مجهودات مارتن ذات أهمية دولية ؟ ما المغزى العميق الذى تنطوى عليه كل هذه الامور ؟ لا بد أنه مغزى لم يتبين بعد لاعتيننا ؟ لجائزة نوبل لم تكن جائزة مخصصة للحقوق المدنية فحسب ، بل إنها جائزة تمنح لمن يصمم فى إقرار السلم العالمى . وقد أدركنا ، مارتن وأنا ، رغم سعادتنا الغامرة المسئولية الجسيمة التى ألقيت على عاتقنا ، بالحصول على هذه الجائزة . وكنا نرى أن هذه الجائزة أكبر تقدير حصل عليه مارتن ، وكنا فى الوقت ذاته نفهم ، أنه حتى نتمكن من إتمام ما يلقيه علينا عبوها ، فإن الطريق أمامنا طويل جدا . وكانت الجائزة تقدير أعظيما ، ولكنها كانت أيضا حملا شديدا الوطأة . وشعرت بالغبطة والزهو ، والألم أيضا عندما فكرت فى المسئوليات والاعباء التى ستلقى على كاهل زوجى ، وكنت أرى أنه يجب أن أشارك فيها . وقد عبر مارتن عن شعورنا هذا أحسن تعبير عندما قال فى خطابه الذى ألقاه وهو يتسلم الجائزة :

« لى أشعر أى منحت هذه الجائزة ، لعمل لم أقم به بعد ، وأنها تكليف لى لأخرج إلى العالم وأزيد من عملى ونشاطى لفصل إلى الاهداف التى تؤمن بها . »

ورغم كل هذا فقد كنا سعداء جدا ، وأخذنا نستعد للرحلة إلى الزويج ، وكان أول سؤال يتبادر إلى ذهننا هو : من ستنصحب معنا فى الرحلة ؟ : وكنا نريد أن نصحب أكبر عدد ممكن ، فقد كان مارتن يعتقد أن الجائزة لا تخصه هو وحده ، ولكنها تخص كل من عملوا معه وبجانبه فى صراعنا الطويل الأليم . ولكنه قال : انه أستغل بنسأ واحدا من الجائزة لإلا لغضبة ، ولذا فلن أنفق منها على رحلات أو غيرها . »

وقد تبرع كثير من الاساقفة أصدقاء مارتن بمبالغ حتى تتمكن والدته البرقا ويليامز كينج والدة القس المحترم مارتن لوثر كينج الأكبر من مصاحبتنا

في الرحلة . وكان والد مارتن وقتئذ يعمل راعيا للكنيسة المشيخية في ايبنزر وهو منصب كان يحتله منذ ثلاثة وثلاثين عاما ويقيم بالكنيسة التي تقع في شارع أوبورن باتلانتا . وهو رجل فارح ، جسمانيا ، وروحيا ، يقف في هيكله بلا خوف أو وجل من أحد ، أبيض كان أو أسود ، يلقي بموعظته كما يرى أنها يجب أن تلقى ، ويمنح مواطنيه كل ما يملكه من حب فياض .

وكان مارتن في ذلك الوقت يعمل مساعداً له في ايبنزر ، وكان الاثنان يحبان بعضهما بعضاً حباً كبيراً ، وكان دادى كينج ، كما كنا نناديه ، خفواً جداً بابطه عندما نال جائزة نوبل للسلام ، ولسكنه في الوقت ذاته كان يشعر بتواضع جم لأنه هو الآخر كان هيا بابلما ستلقيه هذه الجائزة على كفتي مارتن من أعباء جديدة .

وجاء بعد ذلك المحترم رالف . د . ابرفاني وزوجته جوانيتا . وكان رالف يعمل راعيا للكنيسة المشيخية في شارع وست هنتر باتلانتا ، ويعتبر ألصق صديق بزوجه ، بل ومن أشد مؤيديه منذ الأيام الأولى التي وقعت فيها معركة سيارات « الاترييس » في مونتهجرى بالاباما عام ١٩٥٥ . وحضر أيضا شقيق مارتن الفريد دانييل كينج ، كما حضر شقيقته كريستين فارس ، والمسز نينا ميللر وهي صديقة لأسرة كينج . وسافر أيضا معنا كثير من أصدقائنا وزملائنا : أندرو يونج ، وويات قوكر ، وبرناردل ، ودوروثي كوتون ، وليلي هانتر ، وسبيتا كلارك ، وهاري ولوسى واتشيل ، وبايارد راستن ، ودورا ماكدونلد ، سكرتيرة مارتن ، وما يقرب من عشرة آخرين . وقد تحمل معظمهم نفقات سفرهم .

وكنت أود أن أصحب معي أكبر أولادى وهما يولندا ، التي نناديها باسم يوكي ، وكانت في التاسعة من سنها ، ومارتن لوثر كينج الثالث ، أو مارتى وكان في السابعة . وقد مر الاثنان معنا بكثير من الازمات والمصاعب

والتهديدات ومحاولة إلقاء القنابل ، وكانا يدركان تماما مدى الخطر الذى يحقق بوالدهما . وقد تعلم الاثنان أن يقابلا أخبار سجن أبيهما أو اتهامه بالكذب أو الشيوعية ، أو بأنه العم توم ، يقابلا كل هذا برؤوس مرفوعة ونفوس شاحخة ، وإيمان راسخ . وكنت أعتقد أن رؤيتهما لأبيهما وهو يقسم هذه الجائزة الإنسانية الرفيعة تفيدهما كثيرا ، ولكن أعضاء لجنة نوبل نصحبونا بالعدول عن ذلك ، لأنه ليس من المستحب جلب أطفال تقل أعمارهم عن الثانية عشرة للاحتفال . وقد جزع الأولاد لهذا الخبر جزوا شديدا ، وأحسوا بخيبة أمل كبيرة عندما أبلغتهما ولكنهما تفهما تماما الأسباب التى تدعو إلى عدم ذهابهما .

وفى أوائل ديسمبر غادرت جماعتنا ، وكانت تتألف من حوالى ثلاثين شخصا ، اثلاثنا متجهة إلى نيويورك ، فى طائرتين ، ذلك أننى - ضمنا لحماية أطفالنا - لم أكن أسافر مع مارتن فى طائرة واحدة إلا فى الظروف غير العادية . وعند وصولنا إلى نيويورك وجدنا أن رالف بالمش ، رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قد أعد لنا كثيرا من التيسيرات الخاصة ، كما أعدا لنا برنامجا خاصا ، جعلنا نقابل أشخاصا يمثلون السويد والنرويج وانجلترا ، وبعض البلاد الأفريقية . وحينئذ شعرنا أن رحلتنا خارج البلاد قد بدأت بالفعل . وغادرنا زوجى متجها إلى لندن ومعه معظم الرجال ، أما النساء فقد سافرن فى اليوم التالى ، وكان سرورنا عظيما عندما صحبنا فى الرحلة دادى كينج . وفى لندن كان على مارتن أن يلقى العديد من الخطب .

فى يوم الأحد ألقى موعظة فى كاتدرائية سانت بول ، وأعتقد أن هذه المناسبة فى نظرى تنلوا فى الأهمية الاحتفال بتسليم جائزة نوبل ، فقد امتلأت الكنيسة الإنجيلية على سعتها بأناس أتوا ليستمعوا إلى مارتن . وكانت موعظته رائعة ، ولكن الذى أثر فىنا أكثر منها كانت الطفوس

الإنجيلية التي لم تكن نالفا ، والقساوسة في أرويتهم الجميلة ، ونخامة القداس ،
وأصوات الكورال ، الرائعة النقية . وكان شعور مارتن يعادل شعورنا
بهذا الجمال وهذه الروعة .

ولما صعد إلى المذبح ، وبدأ صوته النقي يملأ الكاتدرائية ، لاحظنا أنه
خرج عن طريقته المألوفة في الوعظ ؛ التي أعددناها في مشيخات الجنوب ،
وأخذت كلماته ترن بموسيقى تعلوها هو من أبيه ومن كثير من أساتذته من
القساوسة ، ولكن كان الجميع يعلمون أن روعة مواعظ مارتن لا تعتمد على
قوته الخطابية التي منحها الله إياها بقدر ما تعتمد على المعنى والرسالة النابعة من
قلبه والصادرة منه مباشرة إلى قلوب سامعيه .

وكان موضوع الموعظة من أحب الموضوعات إلى قلبه ؛ فقد كان هذا :
أبعاد ثلاثة لحياة متكاملة ، وكان لهذه الموعظة معنى خاص عندي ؛ فقد كان موضوعها
هو نفس موضوع أول موعظة استمعت إليها منه في كنيسة صغيرة بروكسبوري
بولاية ماساشوسيتس ، كما كان نفس موضوع الموعظة التي أفتح بها أعماله بوصفه
راعياً لكنيسة شارع ديكستر المشيخية في مونتجمرى بولاية ألاباما .

وهذا لا يعني بالطبع أن الموعظة التي ألقاها في كاتدرائية سانت بول لم
تسكن سوى تكرار لما جاء في كل هذه المواعظ التي سردها ، بل لقد أخذ مارتن
الموضوع وطوعه لمستمعيه ، مضيفاً رؤية جديدة ، ومفيراً في كلماته بما يتفق
والزمن ، مضيفاً إليها من عنده ما يرتجله ويتقضيه الحال . وكان الموضوع من
رؤيا يوحنا ٢١ - ١٦ ؛ ووصف مارتن فيه كيف رأى القديس يوحنا القدس
الجديدة وهي تنزل من السماء من عند الله قائلاً : « إن طولها وعرضها وارتفاعها
كانت متساوية » إن هذه المدينة القدسية الجديدة لن تكون كياناً غير مستحق ،
به الفضائل تشمخ على جانب ، في حين أن أركانها تقف إلى الجانب
الأخر ، بل سيكون أنبل ما فيها هو اكتمالها في كل الأبعاد الثلاثة : الطول ،
والعرض ، والارتفاع .

واستطرد زوجي يقول : إن ما يعانيه العالم من مشكلات يرجع إلى النقص ، وقد أعطتنا اليونان فلسفة نبيلة ورؤية شعرية ، ولسكن مدنها العظيمة أقيمت على أساس من العبودية ، وكانت الحضارة الغربية عظيمة ، منحتنا فنون الرسم والثقافة ، كما أدت إلى الثورة الصناعية التي فتحت أبواب الرخاء الاقتصادي أمام البشر ، ولسكنها كانت جميعها تعتمد على الظلم والاستعمار ، وسمحت لآساليبها المادية أن تتغلب على غاياتها الروحانية .

وواصل كلامه قائلاً : إن أمريكا دولة كبيرة ، دولة خرجت منها وثيقة الاستقلال ، كما أعطت الكثير من التقدم التكنولوجي ، ولسكنها هي الأخرى ليست مكتملة بسبب حبها للبادة ، ولأنها حرمت ٢٢ مليوناً من الزواج ، نساء ورجالا من حقهم في الحياة والحرية والبحث عن السعادة .

وكما كانت كثير من المدن والدول والحضارات الكبيرة غير مكتملة ، كذلك نرى كثيراً من زعمائنا يعانون من مثل هذا النقص . إن الفرد ، كما قال مارتن يجب أن يكافح ليصل إلى الاكتمال داخل نفسه ، ولعل أول بوادر هذا الاكتمال ، وأول بعده هو تطوير طاقات الفرد الداخلية ، يحب عليه أن يعمل بلا كلل ليصل إلى الكمال في حقل تخصصه ، مهما يكن هذا الحقل بسيطاً ومتواضعاً .

حاول جاهداً أن تسكشف موهبتك ، ثم انخرط فيها بكل ماتملك من قوة ، وهذه الرغبة في تحقيق الذات هي بلا شك ما نفعه حياة الإنسان من حيث طولها .

والبعد الثاني للحياة المكتملة هو الاهتمام والتعرف إلى زملائك من البشر ، إن الاعتراف بوحدة البشرية ، وبضرورة الاهتمام الأخرى بسعادة البشر هو عرض حياة الإنسان .

ويبقى بعد ذلك البعد الثالث ، وهو : الارتفاع ، ارتفاع الإنسان إلى

أبعد ما يصل . إن بعضاً منا يجهرون بأنهم من الملاحدين من حيث الممارسة ، وإن كانوا يعترفون بوجود الله . وكان مارتن يؤمن بأن على الإنسان أن يبحث دائماً وبشاط عن ربه ، « أين ستجده ؟ في أنبوبة اختبار ؟ كلا ، لن تجده إلا في يسوع المسيح ، سيد حياتنا . إن المسيح هو السكينة المتجسدة ، هو لغة الأبدية ترجمت في شكل كلمات يتناقضها الزمن ، وإذا ما آمننا بكليتنا بالمسيح وبكلماته فإننا بذلك نكون قد اشتركنا في تجربة الإيمان المطلق وهو السبيل الوحيد لمعرفة الله . »

وختم مارتن موعظته بقوله « أحبب نفسك ، إذا كان هذا في نظرك يعني اهتماماً صحيحاً بمشكلاتك ، هذا هو طول الحياة . أحبب حارك كي تحب نفسك بل إن ربك يأمرك بذلك . هذا هو عرض الحياة ، ولكن لا تنس أبداً أن هناك أمراً أهم بكثير وهو : « أحبب ربك بكل قلبك وروحك وعقلك ، هذا هو ارتفاع الحياة . »

« وليساعدنا الله على أن نصل إلى رؤيا يوحنا وعلى أن نتقدم بلا وهم نحو مدينة الحياة المتكاملة ، حيث تتساوى أبعاد النفس الثلاثة : الطول والعرض والارتفاع ، ولن نكمل أنفسنا إلا بذلك ، ولن نكون أبناء حقيقيين للإله إلا إذا حصلنا على هذا الاكتمال . »

وكان الجميع يجلسون منصتين لإنصافنا عميقاً لكل ما يقوله مارتن ، وقد قال هو نفسه فيما بعد إنه كان يحس بتجاوبهم الكامل معه ؛ بما زاد في عمق شعوره هو وكان أبوه يجلس بينهم ، وقد غمرته السعادة وحملته إلى آفاق بعيدة . وكان أعضاء رحلتنا يحاولون إثارة دادي كيننج فيما بعد بقولهم : إنه كان يتمتم تحت أسنانه جملة المفضلة ، وهي الجملة التي كثيراً ما كان يصيح بها بأعلى صوته في كنيسة المشيخية وهي : « أفصح يا بني ، أفصح . »

وبعد انتهاء القداس ذهبنا إلى منزل الأسقف كوليس أسقف سانت بول ، ثم كان لدينا بعد ذلك من الوقت ما سمح لنا بزيارة بعض معالم لندن السياحية ،

فزرنا كنيسة ويستمنستر ، و برج لندن ، وتجولنا بالسيارة في وايت هول ، بمبانيا الحكومية الرائعة ، كما زرنا مقر البحرية البريطانية ووزارة الخارجية . كلها آثار تقف دليلا على الامبراطورية التي كانت ولم تعد ، وراينا مجلس العموم واللوردات بواجهتها الغوطية العالية ، كما شاهدنا ساعة بيج بن ببرجها وهي تدق كل ربع ساعة مع دقائق ويستمنستر . ولكن مارتن بدا وكأنه لا يلاحظ روعة مباني لندن التقليدية ، إذ كان يقول : « لقد شيد كل هذا على حساب استغلال الأفريقيين والهنود وغيرهم من الشعوب المظلومة » .

وفي اليوم الثامن من شهر ديسمبر توجهنا إلى أوصلو ، وقد ركبنا جميعا في طائرة واحدة نظراً لقصر المسافة ، ولأننا أبلغنا أنه سيكون هناك استقبال رسمي لنا ، وكانت لي فرصة السفر مع زوجي لأول مرة في طائرة واحدة ، وتقاسمنا آمالنا وسرورنا بما ينتظرنا في أوصلو . ولكنني شعرت ونحن نخلق فوق بحر الشمال بأمواجه العاتية وكأنني أبتعد عن مركز النشاط ، وأنقل إلى منطقة بعيدة عنا جميعا .

ووصلنا بعد الظهر ، وكانت الشمس على وشك الغيب ؛ إذ أن شهر ديسمبر تقصر فيه الأيام ويطول الظلام ، فأوصلو في شهر ديسمبر لا تشهد إلا أربع أو خمس ساعات نهار وكان علينا أن نعتاد هذا الوضع ، كما كان علينا أن نألف البرد اللاذع الذي قابلنا بمجرد نزولنا من الطائرة .

ولكن كان استقبالا حارا بحيث أسانا الكثير من البرد القاسي ، وكان ينتظرنا عند الطائرة أعضاء لجنة نوبل وعلى رأسهم الدكتور جوناريان ، وكنا نتوقع وجودهم ، ولكننا لم نكن نتوقع وجود الجماهير المحتشدة التي أتت للترحيب بنا ، وبخاصة الشباب منهم . وألقي مارتن بتصريح قصير عبر فيه عن شكره للجنة نوبل ولكل من أتى لاستقباله ، وقدم لنا جماعة من الأطفال باقات الأزهار . ثم تقدمنا عبر عمر أفصح لنا بين الجماهير ، التي كانت تبسم وتلوح

لنا ، واستطعنا أن نصافح بعضهم ونلوح بأيدينا لبعض الآخر ، وقد تأثرنا ،
مارتن وأنا ، للدفء الحقيقي الذي كان ينبعث من قلوب الناس ، وشعرنا
وكأننا بين أهلينا ، وتحررنا من الضيق الذي نعانيه دائما ، وقبلنا نحس بالراحة منه .

ولم تسكن لدينا في أثناء الليلة الأولى أية ارتباطات ، وكانت ليلة عيد
ميلاد ماريان لوجان واحدة من جماعتنا ، ولذا نظمناها حفل مفاجأة في الفندق ،
وسرعان ماتحول هذا الحفل إلى احتفال برحلتنا وبامالنا وتوقعاتنا ، فلم يحدث من
قبل أن اجتمع من بيننا مثل هذا العدد الكبير المترابط بالزمالة والحب ، فقد
كنا نجتمع في لجان أو جمعيات أو لواجهة الازمات والضغوط على أنوآها ،
وبخاصة عندما كان مارتن وزملاؤه يقضون مدة السجن ، أو عندما كان العديد
منهم يصاب نتيجة للضرب والاعتداء . أو عندما تاتي القنابل على كنائسنا
ومنازلنا . أما الآن فقد أحسنا بالتححرر من كل هذا وانطلقنا نستمتع بالسرور
والابتهاج ، وبعد العشاء كون مارتن ومعه آندى يونج ، ورفاقنا ،
وويات ووكر ، وبرناردلى ، بمجموعة خماسية ، وأخذوا ينشدون أغاني الحرية
بالسجام رائع . وكان هذا ما يفعلونه دائما ليخففوا من وطأة كل هذه
الاجتماعات والمؤتمرات ، وسرعان ما انضممتا جميعا إليهم ، وأخذنا نلشد
أغاني الحرية ، وكانت كلمات الاغانى ترن بشكل غير عادى هذه الليلة . ومن
بين الاغانى التى رددناها : « أيتها الحرية ، « إن أدع أحد يأمرنى ، « هل
كنت موجودا عندما صابوا سيدى ، « الباسم فى جيلياى ، وكانت هذه
الآخيرة الاغنية المفضلة لدى زوجى ، وكثيرا ما كان يردد كلماتها كلما أراد
رفع روحه المعنوية .

« أحيانا أحس باليأس وأشعر أن هملى يذهب أدراج الريح واسكن روح
الإله تبعث الأمل فى روحى ثانية . إن هناك بلسم فى جيلياى يشفى الجروح ،
إن هناك بلسم فى جيلياى يشفى الأرواح المريضة . »

واستمر الغناء إلى ساعة متأخرة من الليل ، وتجمع حولنا الكثير من

نزلاء الفندق ليروا ويسمعوا شيئاً لم يألوه من قبل ، وكانوا في منتهى المودة ،
بما جعلنا نشعر بالأخوة والحب ، والتكامل الواحد .

ثم انتقلنا فيما بعد إلى اليوم الخارجى للفندق ، وعندئذ أخذ دادى كينج
يتحدث عن مشاعره ، وبدأ بقوله : « لدى ما أريد أن أقوله لكم جميعاً ،
وأرجو أن تنصتوا . وهنأرفع إصبعه على عاهته دائماً ليجذب ويركز انتباهنا
في كنيسة ايبنز : أريد أن أبين لكم حقيقة مشاعرى ، رغم أن معظمكم لابد
أن يكون قد عرفها ، ولكن هذا ان يمنعنى من التعبير عنها . »

وجذب أنفاسه ، ثم أخذ يفرغ رثتيه — وهو ما يفعله دائماً ليستجمع
أفكاره : « لقد أتيت من لا مكان ، كان والدى عاملاً زراعياً ، ولذا فلم تسنح
له فرصة التعليم ، أو إتقان أية حرفة ، ولذا فقد ظلمت دون تعليم حتى ذهبت
إلى أتلانتا ، وهناك منحت لى فرصة التعليم ، وعندما انتهيت من المدرسة
كنت قد بلغت سن الرجولة ، وكنت متزوجاً لى ثلاثة أولاد . »

وقد أردت أن يحصل أولادى على كل ما حرمت أنا منه ، وابتلت إلى
الله أن يساعدهم ليقوموا بكل ما لم أتمكن أنا من القيام به ، وقد أصبح أحدهم
الذى يقف أمامكم الآن قساً ، وقد أردت له أن يحصل على التعليم بكل ما يوفره
من إمكانيات . وما هو ذا الآن يحمل شهادة الدكتوراه . »

وتسكلم دادى كينج بعد ذلك عن صراعه على مدى السنين ، وكيف كانت
الحال معه هو وماى كينج ، وهما يعلمان تمام العلم أن كل ما يقوم به مارتن سيعرضه
للخطر ، وتحدث عن التهديدات التى كانت تصله ، وكيف كان الناس يتصلون به
تليفونيا ويهددونه هو وزوجته بأنهما سيقتلان وبأن ابنهما سيقتل .

واغرورقت أهين الجميع بالبكاء ، ونحن نشهد دادى كينج يقف والشفقة
والحب يملأه بدلاً من المرارة والاسي ، وواصل كلامه : يجب أن أخبركم بكل

هذا ، لأنه — رغم اعتزالي بما يحدث هنا الليلة — يجب أن أشعر بالتواضع .
لا أريد أن تفعمني الكبرياء ، فليست بهذا النوع من الأشخاص ، بل يجب أن
أواصل الصلاة حتى يساعدني الرب على أن أظل متواضعا . والواقع أن الشيطان
نشيط جدا هناك ، وعائنا جميعا أن نهلى من أجل سلامة ابني .

وكنا جميعا نبتكي ؛ لأننا قطعنا الأميال في هذه الرحلة ، ولأن مارتن يحصل
أخيرا على الاعتراف الذي حرم منه طويلا .

وبعد ظهر اليوم التالي استقبلنا مارتن وأنا الملك أولاف الخامس ملك
النرويج ، وكان الملك متبسطا وودودا . والمعروف أنه تلقى دراساته في أمريكا ،
وكان يبدو تواقا للحديث مع مارتن . وقد ناقشه في الموقف العنصري ،
وبدا من تعليقاته أنه على دراية تامة بالأحوال السائدة في الولايات المتحدة
الأمريكية ، وأنه يشعر بقلبه مع الزوج الأمريكيين وأنه وجل حسن
النية والطوية .

وفي اليوم التالي ، اليوم العاشر من ديسمبر سنة ١٩٦٤ تسلم مارتن جائزة
نوبل للسلام واستغرق استعداداه لها طويلا ، وكان عليه أن يرتدى الملابس
الرسمية : البنتلون المقلّم ، والسترة الرمادية ذات الذيل الطويل . وساعدناه جميعا في
ارتداء ملابسه وكنا نلف وندور حوله ، على حين هو يلقى بالتعليقات المضحكة
عن اضطراره لارتداء مثل هذا الزي الغريب ، ثم قال : « أقسم إنني لن أضطر
ثانية إلى ارتداء مثل هذا الزي » .

والواقع أنه لم يفعل .

ولكن ينبغي أن أعترف أنه بمجرد الانتهاء من ارتداء ملابسه كان يبدو
وسيا للغاية ، وشابا متامها وقلقا ، مثل الصبي الذي يتزين لحفلة .

وأقيم الاحتفال في قاعة « آولا » ، بجامعة أوسلو ، وهي قاعة ضيقة مستطيلة

الشكل تزيينها المئات من الورود البيضاء ، أما المسرح فكان منخفضا ، وإن كان بعيد العمق وتوسطه المنصة . وكان بالقاعة ما يقرب من سبعمائة شخص ، وكانت مكتظة على سعتها . وجلسنا في الصفوف الامامية ومعنا أعضاء لجنة جائزة نوبل . وشردت بأفكارى إلى الجماهير من الناس المحتشدين خارج القاعة ، والذين كانوا يتلهفون على إلقاء نظرة واحدة على مارتن ؛ إذ أنه دخل إلى القاعة من باب خلفي .

ودخل الملك أولاف القاعة ومعه ولي عهده الأمير هارالد ، وأحد الامناء ووقف الجميع ، وبدأت الموسيقى تعزف السلام الوطنى النرويجى ، وجلس الملك ومن معه فى مقاعد خاصة بالقرب منا وبدأ الحفل .

واستمات الموسيقى الحفل بعزف بعض المختارات ، ثم أخذ الدكتوريان يقرأ أسماء للفائزين ، وعند الجزء الخاص بمارتن سمعناه يقول : « لقد أفلح الدكتور كيننج فى أن يجمع رأى أتباعه على سياسة عدم العنف ، وبدون مجهودات الدكتور كيننج ، وبدون إصراره المتين على هذا المبدأ ، كانت مظاهرات الاحتجاج والمسيرات ستصبح ميدانا للدماء . »

وعندما انتهت الخطبة قدم مستريان إلى مارتن الجائزة ، وهى ميدالية ذهبية ، ولقافة تطوى عند حملها . وصعد مارتن إلى المنصة ليلقى بكلمته . وبدأها بشكر اللجنة واستطرد يقول :

« إنى مازلت أتذكر أنه بالأمس فقط كان أطفالنا ينادون بالإخاء فى برمنجهام بالبااما ، وكانت تقابل هذا النداء خراطيم المياه والكلاب المتوحشة ، بل والموت نفسه ، وإنى أتذكر أنه بالأمس فقط تعرض كثير من الشبان للضرب بل والقتل لجرد أنهم يطالبون بحقوقهم فى الانتخاب . »

« ولذا فإنى أتساءل : لماذا تمنح هذه الجائزة لحركة لا تقابل إلا بالحصار والصراع الدائم ، تمنح لحركة لم تكسب حتى الآن السلام والإخاء اللذين

يعتبران لحة جائزة نوبل وسداها . وقد فكرت طويلا في هذا ووصلت إلى نتيجة ، هي أن هذه الجائزة التي أتشرف بتسلمها الآن ممثلا لهذه الحركة تعتبر بمثابة اعتراف كامل بأن سياسة عدم العنف هي الجواب الشافي على مشكلة العنصرية السياسية التي تتركيان عصرنا هذا ، وعلى حاجة البشر الملحة للقضاء على الاضطهاد دون اللجوء إلى العنف .

إنني أتقبل هذه الجائزة اليوم ، وكلّي إيمان عميق في أمريكا ، وفي البشرية بأكملها . وأنا أرفض الفكرة القائلة إن الإنسان ليس سوى قشة تسبح في نهر الحياة المحيطة به ، وأرفض الرأي القائل بأن البشرية لافكك لها من ظلام العنصرية والحرب ، وأرفض كل من يدعى أن نهار السلام والإخاء لن يطالع علينا أبدا ليسكون حقيقة ملبوسة دائمة .

وأحسست وأنا جالسة أستمع إلى مارتن بأنه ينبغي أن أتذكر كلمات دادى كينج عن التواضع . ولكن رغم هذا كنت أشعر بالزهو ، بالزهو بمارتن وبكل مايمثله ، كنت أشعر بالفخر لأن أعماله وأعمال زملائه قد هيأت فرص الحياة الكريمة لكثير من مواطنيهم ، كنت أشعر بالفخر لأن السود في جميع أنحاء العالم تراودهم روح شجاعة متجددة وأمل بسبب هذا الرجل . . . زوجي .

وصليت إلى الله : ه ساعني يارب ، ساعني إذا كانت السكبرياء تملؤني ، ولكن هذا في الحقيقة ماأشعر به ، فأنا أشعر بالفخر بمارتن ، وبكل ما يحاول عمله ، أشعر بالفخر يملؤني ويجعاني منتفخة الاوداج لدرجة قد أنفجر معها . . ارحمني يارب ، :

وامتيةظمت من أحلام يقظتي هذه على هدير التصفيق لمارتن .

ولما اختتم كلامه بدأت الموسيقى في عزف مختارات من جرشوين ، ثم أخذ

الناس يتزاحمون لثمنته بكلمات مضيقه ، نالتي الكثير منها ، وأخيراً عدنا إلى جناحنا في الفندق ولنا الصمت فيه .

وبدا كل واحد منا يدلي برأيه لمارتن ، وقال أحدها : لقد قلت إن هذه الجائزة تخص في الواقع كل من يعمل في حركة الحقول المدنية ، ونحن الآن بدورنا نريد أن نبذلك لمن تخص هذه الجائزة ، إنها في الحقيقة تخصك أنت ، لأننا ما كنا لنستطيع أن نصل إلى كل هذا بدون قيادتك . ونحن نريدك أن تعلم هذا .

وشملنا جميعا الشعور الجارف ، وكان كل واحد منا يريد أن يقول شيئا . وكان هذا الولاء من الزملاء لا يعني بالنسبة لمارتن بأقل ماتعنيه الحفلة التي سبقتها . ولما جاء دوري ، تحدثت عن كوني شريكه لحياته ، أمنحه التأييد على مدى السنين ، وأخذت أشرح أنه من حسن حظي أنني وفقت لأعيش بجوار رجل مثله ، ترك حياته هذه الأثر البليغ في العالم ، وأن هذا ما أبغيه من حياتي ، وما كنت أبغيه منها . وقلت : « لقد منحني هذه التجربة الجديدة إيمانا جديدا ، وسأظل أمنح كل ما أستجمعه من تأييد لزوجي ، ولصراعنا ، » .

وجلب بعضهم زجاجات الشبانيا واقترح شرب نخب مارتين ، وكان التعب قد بدأ يحل بمعظمنا ، وقال دادى كينج « أريد أن أقترح نخباً لمن إليه يرجع الفضل فعلاً في كل هذا . . . نخب السماء . » .

والواقع أن دادى كينج لا يشرب الخمر مطلقاً ، ولذا فقد رجحنا جميعاً أنه لا يفهم معنى كلمة نخب السماء . وكانت غبطته هذه مثاراً لكثير من الضحك والنكات ؛ وبدأ الشعور بالراحة يسود الجميع ثانية .

وفي اليوم التالي ألقى مارتين الخطبة التي يلقيها عادة الحائزون على الجائزة ، وكان ذلك في قاعة « أولا » . ثم ذهب إلى ستوكلم حيث يقام الاحتفال

الكبير يتوزع جوائز نوبل دلى الفائزين الآخرين الذين تسلموا جوائزهم
فى ستوكهولم .

وعصر نفس اليوم - وكان يوم الاحد - ألقى مارتن ؛ وعظة فى كاتدرائية
ستوكهولم التى يرجع تاريخها إلى مئات السنين . وجلست مع دادى ومامى كنج
فى نفس مقصورة الماسكة ، التى لم تحضر الاحتفال لودكة أمت بها فى هذا
اليوم . وألقى بعد ذلك دادى كينج وعظة فى كنيسة مشيخية صغيرة وكان
بجانبه مترجم يمكن من نفل المعانى التى قالها دادى كينج فى وعظته . وكان
استقبال الناس له حاراً ومفعماً بالود ، فأخذوا يطأطئون رؤوسهم وينشدون
بالسويدية مايقوله ، ، وفى نهاية القداس أنشد الجيسع : « سنفتصر » .

وذهبنا ، مارتن وأنا ومعنا بعض الاصدقاء ، إبان إقامتنا فى أوصلو إلى
أحد الاديرة حيث طلبوا منا أن نلشد لهم ، وفعلنا أنشدنا مرة ثانية : سنفتصر ،
ولم يكن بيننا فرد واحد من البيض ، ولكن عندما وصلنا فى إنشادنا إلى
المقطع الذى يقول : « البيض والسود ، وقف الجمهور وأنشد معنا ، وكان
هذا منظراً مؤثراً وتجربة مفيدة لنا .

والواقع أن اتباع الطائفة المشيخية فى النرويج أحبوا أناشيدنا لدرجة أنهم
ظلوا ينشدونها حتى بعد مغادرتنا الدير .

وخلال إقامتنا فى السويد حضرت ومارتن حفلاً ساهراً أقامه لنا الطلبة
الافريقيون الذين يدرسون فى السويد احتفالاً بيوم استقلال كينيا ، وكان
حفلاً منوعاً جميلاً حضره كثير من الطلبة ، وقد ارتدى الافريقيون منهم
الزى الوطنى .

وكنا قد استقبلنا جميعاً كضيوف رسميين ، ولذا فقد طلب منا البعض أن
أفتتح - أنا ومارتن - حلبة الرقص . والواقع أننا لم نكن قد رقصنا فى

مكان عام منذ أمد طويل ، بل منذ أيام الدراسة في بوسطون . وكان مارتن قد أبلغني أنه بمجرد أن يصبح قسيساً فلن يتمكن من الرقص في الأماكن العامة ، لأن المذهب المشيخي لا يقر هذا . وبالفعل لم نرقص أبداً في مكان عام ، ولذا فقد كان مارتن متردداً جداً في قبول دعوة الرقص هذه .

ولكن لجنة الطلبة واصات الإلحاح عليه ، ولذا فقد وافقنا أخيراً على أن نبدأ برقصة « الفالس » ، وشعرت بسرور بالغ للرقص ثمانية مع مارتن .

وظهرت صورتنا في اليوم التالي في الصفحات الأولى من « الصحف السويدية » ، كما نشرتها مجلة « جيت » الأسبوعية ، على أنها صورة الأسبوع . وتفنسنا الصعداء أنه لم تحدث أية احتجاجات في وطننا .

ولم يحضر دادى كينج هذا الاحتفال معنا ، ولكنني أظن أنه كان سيعترض على الرقص . والواقع أن المشيخين أتى عليهم وقت كانوا لا يوافقون إطلاقاً على الرقص ، ولكن دادى كينج تمكن من التطور مع الوقت ، وقال لجمهوره وهو يقف على المنبر : إن الشباب لابد أن يرقصوا وسيرقصون ، ودق بيده على المنبر وهو يقول : « إني أعلم شعورك إزاء ما أقول ، ولكن يجب عليكم أن تتقبلوه ، فمن الآن فصاعداً أن توفر لهم المكان ليرقصوا هنا أمامنا ، بدلاً من أن يذهبوا للرقص في مكان آخر » .

وكان الشباب من أفراد أسرتنا يرقصون أمامنا في حفلاتنا الخاصة ، وكثيراً ما كنت أنضم مع مارتن إليهم ، وقد ذهبنا مرة إلى حد دفع مائى كينج إلى الرقص ، وكانت الموسيقى صاخبة ، وانضمت إلينا برقصة سريعة خفيفة ، ونظر إليها دادى كينج والدهشة تشمله ، ولكنه لم يفه بكلمة واحدة . ولم أسمع يتحدث عن هذه الواقعة إلا أخيراً ، إذ قال : « لقد كانت زوجتي راقصة بارعة ، ولكنها هي ابنة أحد القساوسة المشيخين ، وزوجة مشيخي آخر ، فإن الفرصة لا تسنح لها كثيراً بالرقص » .

وتوجهنا من ستوكهولم إلى باريس ، وكان الإعياء قد أخذ مأخذه من مارتن ، وتسأل إليه النعب نتيجة للاحتفالات والمواظ والاسمقبالات التي مر أخيراً بها ، وكان هر عطف الأنظار فيها . وكان يود لو استطاع أن يخفي في مكان مأل للراحة ولكن كل جهوده في سبيل ذلك ذهبت سدى بالطبع . وبلغنا نبأ القبض في مسيسيبي على قتلة جيمس تشاني ، واندروجودمان ، وميكل شويزر وهم من أنصار الحقوق المدنية . ولذا فقد تجمع المراسلون الصحفيون في الفندق الذي نزلنا به وطلبوا تعليقاً من مارتن على هذا القبض . وكان مارتن في مسيس الحاجة إلى النوم ، ولذا فقد تناول حبة منومة وراح في سبات عميق ، ولكننا اضطررنا لإيقاظه ليتحدث مع المراسلين . وقد كانت هذه الحادثة بمثابة تذكرة لنا جميعاً بأن الطريق لا يزال أمامنا طويلاً رغم عظمة أحداث الأيام الأخيرة .

وفي الليلة التالية وعدنا مارتن بأن يصحبنا جميعاً لمشهد العرض في مسرح الليدو ، وكنت قد شهدت معه في مرة سابقة عند زيارتنا لباريس . ولما دخلنا المسرح ظننا أن أحداً لم يلاحظنا ، ولكن سرعان ما استقبلنا جون ويزلي دوبر والد مغنية الأوبرا الشهيرة مانيويلدا دوبر ، وأحد جيراننا في أتلانتا . وضحكنا جميعاً على غرابة مكان اللقاء .

وتبعنا في هذه المرة المراسلون الصحفيون ، وكنا متأكدين أننا سنفجدهم حينما ذهبنا ، ومارتن كان بطبيعته حساساً لرد فعل الجماهير ، لانهيجة لرهده منه ، بل خوفاً من أن تبدر منه حركة قد تضر القضية ، ولذا فقد قرر أن أذهب أنا مع الجماعة في حين يمكك هو في الفندق . وكان العرض بالليدو غاية في الروعة .

وكانت رحلتنا إلى الوطن رائعة ، فقد انتهى النعب ، وهدأت أعصابنا ، وألقينا بكل متاعبنا وراء ظهورنا ، واستمتعنا بالألعاب النارية . واستقبلات

نيويورك مارتن استقبال الفاتحين ، وأحاطتنا زوارق لإطفاء الحريق في نهر
 الهدسون ، وراحت تنفث المياه من حولنا ، واستقبل روبرت واجنر ، عمدة
 نيويورك ، استقبال مارتن في قاعة البلدية وأعطاه مفتاح المدينة ، وكانت
 هذه حركة بها الكثير من السخرية بالنسبة لنا ؛ إذ أين يوجد المفتاح الذي
 يمكن به أن نفتح قلب مدينة مثل نيويورك ، وهي المدينة التي تسجن الأفيال
 بها في أحياء منعزلة ، مدينة تغلق أبوابها أمام الأطفال للتعليم المحترم إذا كان
 هؤلاء من جنس أو قومية مختلفة ، مدينة تقيم السدود أمام فرص العمل ،
 وتقيسد بالسلاسل الروح البشرية يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .
 وحقة بعد حقة ؟

وفي اليوم التالي أقام الحاكم نيلسون روكفلر وزوجته — بوصفه ممثلا
 لحكومة الولاية ، حفل استقبال لمارتن ولكل أفراد أسرة كينج ، ودعانا إلى
 مأدبة غداء في شقته بنيويورك .

وكان مارتن قد ألقى في الليلة السابقة خطابا في تجمع بهارلم ، حي
 الزوج ، واستقبل فيه بحماسة بالغة ، وأهدى إليه أهل الحي تمثالا رائعا ،
 منحوتا على نمط « الأيدي المبتلة » للمثال المعروف دورير ، ومازلت أحتفظ
 به في مكان الشرف بغرفة الاستقبال في منزلنا .

وتحدث مارتن عن تجربة تسلم جائزة نوبل وقال : « لقد كنت خلال
 الأيام الأخيرة أقف في أعلى الجبل ، وبودي لوبقيت دائما على هذا الجبل ،
 ولكن على أن أنزل إلى الوادي ثانية ، على أن أعود ، لأن إخواني وأخواتي
 لا يزالون يشنون تحت وطأة نار الظلم في ألاباما وميسيسيبي ، وبالوادي أناس
 يتضورون جوعا ، وأناس لا يجدون عملا ، وأناس لا يسمح لهم بالإدلاء
 بأصواتهم في الانتخابات ، »

ودعيت مع مارتن إلى البيت الأبيض ، وهو تقليد يمنح لكل من يحصل على
 جائزة نوبل ، وقد انتهز مارتن هذه الفرصة ليعرض على الرئيس ونائبه حالة
 الحرمان من فرص العمل ، والحرمان من حقوق الانتخاب .

وعندما وصلنا إلى مطار أتلانتا استقبلنا حشد من الناس، ومعظمهم ينتمون إلى كنيسة إيبينز ، وتوجهنا على الفور إلى كنيستنا حيث أعد لنا استقبال في قاعة الزمالة ، وكان استقبالا متواضعا بسيطا لا يعادل ما أعد لما رتن من استقبالات بعد ذلك أو ما حضره بالفعل ، ولكنه كان استقبالا مفعما بالإخلاص والتواضع ، الدافع فيه الحب الحقيقي . فقد كان الناس هم مواطنينا الذين يتقاسمون معنا أفراسنا وأتراسنا، في الطفولة . . والصباء والشباب والشيخوخة . . كانوا أناسا راقبوا مارتن منذ طفولته وتعدوه منذ أيام شارع أوبرون حيث ولد ، إلى جامعة بوسطن حيث حصل على الدكتوراه وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، إلى مونتيجمري حيث بدأ حياته العامة في الكنيسة ، أناسا شاهدوا أكايل الفخر توضع على رأسه من كل جهات العالم ، وهم الآن أخيرا يشاركونه في قمة الاعتراف الدولي هذه بحصوله على جائزة نوبل للسلام . كان مارتن بالنسبة لهم خادما مخلصا لله ، وقد غمرني السرور عندما رأيت هذه النفوس النبيلة . وكانت هذه اللحظة بالنسبة لزوجي من أعمق لحظات العمر . وأقيمت له مأدبة في أتلانتا ، وكانت هذه المأدبة دليلا مذهلا لنا . وكلنا نعلم أنه لا كرامة لنبي في وطنه ، ولكن أتلانتا كانت تعانى الكثير من ويلات الانفارقة العنصرية ، وكان البيض فيها يعارضون من عواطف وإحساسات متضاربة ، رغم أن بعضهم يشمر بالفخر لأن واحداً من مواطنيهم قد فاز بهذا الشرف الكبير ، وكانوا يتخيلون أنفسهم فيه ، والبعض الآخر كان يخاف من تسكريمه لأنه في رأيهم شخص يشور حوله الجدل .

ولزيادة الطين بلة كان مارتن والعمال بالولاية على نزاع مع شركة سكرينتو التي تملك مصنعا من أكبر المصانع في أتلانتا ، وكان معظم العمال في الشركة من الزنوج ، وكانوا يريدون إنشاء اتحاد لهم والعمل على تحسين أحوالهم كما كان معظم أعضاء في كنيسة إيبينز . وكان مارتن يقف إلى جانب العمال ومعه معظم القساوسة وقد اشتركوا جميعا في مظاهرات الاحتجاج التي قامت أمام مقر الشركة .

ونتيجة لكل هذا انقسم الرأى بين السكان من البيض فيما إذا كان يجب على أتلانتا أن تلقى بأى بال من الناحية الرسمية لغوز زوجى بالجائزة ، وكان الاحرار منهم إلى جانبه ، كما كان معهم معظم أصدفائنا من البيض . والمعروف أن أتلانتا تزهى دائما من بين مدن الجنوب بأنها أكثر هذه المدن تحورا ، وقد صرح عمدتها السابق وليام هارتسفيلد بقوله : « إن أتلانتا مدينة تملؤها المشاغل بحيث لا يبقى لديها فسحة من الوقت لتسكره » . وكان كثير من أهالى أتلانتا يرون أن العالم بأسره يرقبهم ليرى كيف يستقبلون أشهر مواطن بينهم ، ولذا فقد أرادوا أن يهيئوا احتفالا تشترك فيه المدينة ، بيضا وسودا ، ولذا فقد كانوا يحاولون كسب تأييد زعماء المدن ورجال الأعمال بها .

وقيل يوما إن كثيرا من رجال الأعمال المعروفين يعارضون فى إقامة مثل هذا الاحتفال ، وإن من الصعب جعلهم يتخلون عن رأيهم هذا ، حتى إن مارتن قال إنه فى الواقع لا يهيمه إذا كان الاحتفال يقام أو لا يقام . ولكن سرعان ما أرسلت الدعوات لمأدبة تقام فى نهاية يناير عام ١٩٦٥ فى فندق دينكر بلازا .

ولما وصلنا إلى الفندق ليلة الاحتفال استقبلنا مشهد جميل للغاية . فقد امتلأت صالة الاحتفالات بما يقرب من ١٥٠٠ شخص واضطرت إدارة الفندق إلى منج بضع مئات أخرى من الدخول ، وكان هؤلاء المدعوون من السود والبيض على حد سواء ومن جميع المستويات . كان هناك القضاة ورجال الصناعة والمال يجلسون إلى نفس الموائد التى يجلس إليها الطهاة والبوابون ، وكان هذا الخلط بين المدعوين متعمدا . وكانت نسبة البيض من بين الموجودين تصل إلى ٦٥ ٪ والسود ٣٥ ٪ ، وبدأ لى كأن كل سكان أتلانتا كانوا يحضرون الحفل . وقد اختلطوا بعضهم ببعض ، دون تفرقة . وعدت أنذكر أنه منذ عام أو عامين أو ثلاثة أعوام أو عشرة لم يكن مثل هذا المنظر محتمل الحدوث فى مدينة من مدن الجنوب .

ورأس لجنة الاحتفال السيد جاكوب روتشيلد والدكتور مالك أيفوى
والدكتور بنيامين مايز .

ووقف الخطباء يتعاقبون في إلقاء الكلمات ، وكانت كلها تنوه عن إصرار
المدينة على أن تجعل من هذه الحفلة استقبالا رائعا لأهم مواطن من مواطني
أتلانتا .

وحضر الحفل أبنائى الكبار الثلاثة ، وبقيت بالمنزل الطفلة باقى ، وكانت
فرصة لانعوض الأولاد ليروا احتفالا كهذا لم يسبق حدوث مثله فى الجنوب ،
وليستمعوا إلى كل ما يقال من تقريظ عن أبيهم . وقد قدموا جميعا للحاضرين ،
يوكى ، وقد وقفت باعزاز ، ولوحت بيديها للحاضرين ، أما مارتى فقد حيا
بمضى رأسه فى حين ساعدنا ديكستر — وكان عمره لا يتعدى الرابعة —
على الوقوف على مقعده حتى يمكن رؤيته ، واسكنه خيب آمالنا ، وكأى طفل فى
عمره ، تسلل إلى ماتحت الكرسي .

وبعد انتهاء الاحتفال ، وبعد أن أقيمت كل الخطب ، وقفنا جميعا وأنشدنا
« سنتصر » . والواقع أننا كنا قد تخطينا أحد السدود المنيعه فى مدينة من
مدن الجنوب ، وشعرنا لأول مرة أن أتلانتا أصبحت بحق مدينة للسود
والبيض معا .

ولكن حدث أمر لم يكن متوقعا مطلقا ؛ فقد تقدم المستر جيمس كارمايكل ،
مدير الشركة التى سبق أن ذكرتها والتى كانت على خلاف مع العمال ، إلى دادى
كينج وقال له : « يا سيدى القس ، إنى أدرك تماما شعورك هذه الليلة ، فأنا أب ،
وأنا أشاركك فى شعورك بالفخر بابتك . والواقع أنى لم أستطع منع دموعى ؛
لأن مثل هذه المناسبة لا يمكن أن تنسى ، وقد طلبت تسجيلا كاملا للحفلة
والكلمات التى أقيمت فيها » .

وكان شعور مارتى بهذا التقدير غريبا جدا ، نظرا للخلاف القائم بينه
وبين الشركة .

(٢)

لقد تحدثنا في أثناء وجودنا بأوسلو عن الطريق الطويل أمامنا، وعن الشوط الذى قطعناه بالفعل فيه ؛ ولكن لا يمكن لغير من قطعه أن يتخيل مدى طوله . وكان مارتن وأنا نحس إحساساً عميقاً بانتمائنا إلى أرض الجنوب ، فقد شبت وترعرعت في ريف الجنوب ، وكنت ابنة الأرض ، على حين كان هو سليل المدينة في الجنوب . ولذا فقد كننا نختلف من حيث ماضى الأسرة . فقد ولدت أنا في منزل متضع في مزرعة جدى على بعد ١٢ ميلاً من ماربون بولاية ألاباما .

وقد قام والدى — واسمه أوبادياسكوت ، في حين يناديه الجميع «أوبى» — ببناء هذا المنزل عام ١٩٢٠ ، وهو العام الذى تزوج فيه أمى برئيس ما كورى سكوت . وكان المنزل بسيطاً ، لاطلاء لجدرانه . أما من الداخل فكان ورق الحائط دائماً ممزقاً . وكان بالمنزل غرفتان فسيحتان ، ومطبخ ، وغرفة للنوم وطنف ، بلكونه ، أمامية . وكان بغرفة النوم مدفأة حائط ، وبها سريران مزدوجان ، « وتسريحة ، وخوان . وكان من أعز ممتلكاتنا «فونوغراف ، يدوى ، وكانت عندنا مجموعة لا بأس بها من الاسطوانات ، تحوى الترانيل والانشيد وموسيقى الجاز .

وكان المطبخ بسيطاً ، وكانت أمى تطبخ على موقد حديدى كبير ، ملحق به خزان للماء الساخن ، كان يقوم بتدفئة المطبخ ذاته ، وكان أيضاً مائدة وعدة كراسى من الخبزان ، وفي مؤخرته كان يوجد خوان للصيني ، ورغم أن أثنائنا كان بسيطاً للغاية فإنه كان ضخمنا بالنسبة لمنزلنا الصغير ، وكنا دائماً نقول إن أبى يشتري أضخم قطع الأثاث التى يعثر عليها .

وكان من حسن حظنا أن نمتلك بئراً تقع في الغناء الحلقى المنزل ، إذ كانت هذه البئر توفر لنا الماء على مدار السنة في حين كان على كثير من جيراننا أن يحملوا الماء من أقرب نهر أو نبع، وكانت البئر تهف أحيانا في مواسم الجفاف، وكذلك كانت الحال مع الأنهار والينابيع . ومازالت أذكر أبناء أعمامى وأخوالى وهم يصعدون التلال العالية متجهين إلى منازلهم حاملين أدلاء جرادل، المياه لأسرهم ذوات الأفراد العديدة . وكنت كلما شاهدتهم أحمد الله على البئر . وكانت أمى تسخن المياه لنا عند الاستحمام أو الاغتسال في إناء ضخم بخارج المنزل ، وكنا نستحم على خضبة عريضة ، أو في إناءين كبيرين من الصفيح .

وقد ولد جدى جيف سكوت عام ١٨٧٣ ، وكان هو وجدى كوراسكوت يعملان الساعات الطوال في الحقول ويبيعان الأخشاب للتدفئة حتى يوفرا المبلغ الذى يساعدهما على بناء المزرعة التى كانا يتوقان إلى امتلاكها . وقد انتقلت كورا إلى رحمة الله في سن مبكرة ، من أثر التعب والإرهاق ، أما جدى فقد عرفته وهو يمتلك نحو ٣٠٠ فدان ، فكان رجلا ذا منزلة في المجتمع الريفي الأسود . وكان الناس ينصتونه دائما لكل كلمة يقولها ، وكان يقوم بدور كبير في كل ما يتصل بتحصين أحوال مواطنيه ، وكان نائب القس ، ورئيس لجنة الأمناء بكنيستنا ، وناظر مدرسة الأحد . وقد اقتضته كل هذه المناصب السفر كثيراً لحضور المؤتمرات الكنسية والاجتماعات الدينية ، وكان كل سكان ماريون ينادونه بمستر سكوت ، واسكن أفراد أسرته كانوا ينادونه بالعم جيف ، أو ابن العم جيف وكان كل فرد في ماريون على صلة قري بأى فرد آخر في ماريون .

أما أبى فكان واحدا من ١٣ ابنا . ولما توفيت جدتى في سن الأربعين تزوج جدى من فاني باروز وأنجب منها ١٢ طفلا آخرين . وقد مات جدى وهو في الثامنة والستين في حادث سيارة ، وقد ترك موته كرسى القيادة شاغرا في مجتمعنا الصغير .

وكم كنت أتمنى لو أنى عرفت جدتى كورا ، وبخاصة أنى أحمل جزءا من اسمها، وكان قد قيل إنها كانت الإلهام الحقيقى وراء نجاح جيف سكوت ، وكانت امرأة قوية ونشيطة ، وكثيرا ما كانت أوى تقول لى إنى أشبه جدتى كثيرا .

أما جدى لامى ، فلم يكن من السهل التعرف إليه ، وكان يدعى مارتى ما كورى ، وكان رجلا مسليا جدا ، وينحدر من سلالة الهنود الحمر ، وقد ولد قبل إعلان وثيقة التحرر بفترة قصيرة ، وكان قصير القامة ، قوى البنية ، ذا بشرة فاتحة نوعا ، وقد ازدادت ملاعقه شها بالهنود الحمر على مر السنين ، فكان شعره أسود ناعما ، وقسمات وجهه واضحة .

ويمكن اعتباره نصف أوى إذا قيس بمعايير اليوم ، رغم أنه كان يقول إنه التحق بالمدرسة لمدة يومين فقط طيلة حياته ، ولسكنه علم نفسه قراءة الإنجيل ، وكان لا يقرأ إلا منه ، ولم يحاول مرة واحدة قراءة الصحف ، وإن كان يمتلك مكتبة تضم كتباً للبحوث والتفسيرات الدينية . وأصبح حجة فى هذا الميدان ، حتى إن الناس كثيرا ما كانوا يقولون : « إذا أردت أن تفسر شيئا فى الإنجيل أو السكتب الدينية فاعليك إلا أن تسأل الأخ ما كورى ، وكانت حصيلته من الكلمات لأحد لها .

وأنا مازلت أذكره جيدا ، وكان يسير ، وهو فوق السبعين من عمره . من مكان إقامته إلى ماريون ، والمسافة بينهما ١٢ ميلا ، ويعود ، فى نفس اليوم سيرا على الأقدام ، وكان عنيدا وقاسيا ، ومن رأيه أن الأطفال يمكن مشاهدتهم والسكن لا ينبغى أن يسمع لهم صوت ١١ وكنا نلعب بصوت خفيض جدا ، كلما ذهبنا لزيارته . أما إذا ارتفعت أصواتنا فكثيرا ما كان يأتى إلينا ويهددنا بالجلد . والآن كلما أتذكره أتمنى لو أنى جلست إليه مددا أطول ، ولسكننا كنا جميعا نخاف منه . وكان محترما فى المجتمع الأسود والابيض على حد سواء ، رغم أن البيض كانوا يهقدون وقتئذ أننا لسنا بشرا .

ورغم أن جدى من الرجال كانا يعتبران من البارزين في مجتمعهما إلا أن جدى ما كورى كان يعيش لصيقا بالأرض ، ولم يمتلك سيارة ، ولم يسافر لأبعد من ١٥ ميلا خارج مجتمعهما وكنيستنا ، في الوقت الذى كان فيه جدى الآخر جيف سكوت يتغيب عن موطنه ، ويسافر بالسيارة ، ويحضر الاجتماعات والمؤتمرات ، كما كان أيضا يسافر في رحلات عمل ، إذ كان يعمل بالتأمينات . وكان اهتمامه بالغاً بالنواحي المدنية والإدارية والسياسية لحياة مجتمعه وخرج بعالمه إلى المجتمع الجنوبي بأسره ، بل وإلى البلاد كلها .

وكانت جدتى ما كورى امرأة رقيقة ، تمثل أصدق تمثيل الجدة العظوف المتسامحة ، وكانت متوسطة الطول ، ولها بشرة فاتحة بعض الشيء وشعر مجعد ، وكانت تحرك الملابس بمهارة ، وكانت تقوم بحياكة معظم ملابسنا بعد أن كبرنا ، وتحب الأزهار حبا جما ، وتقتضى الساعات الطويلة في رعايتها ، وكانت تحب أمى جدا ، فقد كانت أمى أصغر أفراد الأسرة ، تلجأ دائما إلى أمها في كل ما تريده .

أما أبى فكان هو الآخر شخصا غير عادى ، والواقع أن النجوى كان يتحتم عليه أن يكون شخصا غير عادى في هذه الأيام حتى يصل إلى أى منصب . وكان شخصية بارزة وقوية ، وكثيراً ما كنت أتعجب للصدافة التى تربطه بدادى كينج وكيف أنهما تمسكنا من السير في طريقهما رغم الصعاب التى كانت تواجههما .

وقد ولد الاثنان في مطلع هذا القرن ، وهو الوقت الذى يعتبر أسوأ وقت مر على الجنوب منذ أيام العبودية . والمعروف أنه بعد الحرب الأهلية وبعد تحرير الزوج بوثيقة التحرير المعروفة ، وبعد التعديلات اللذين أدخلتا على الدستور ، ومنح الزوج بمقتضاها حق التصويت والمساواة في الفرص ، تحسنت الأمور بعض الشيء ، وذهب الزوج فعلا إلى صناديق الانتخابات ، وتمتعوا ببعض الحريات ، ولكن بمجرد أن تم سحب القوات الفيدرالية بدأ البيض

في الجنوب يسلخون هذه الحقوق من الزوج وقد فعلوا هذا بيمض الحذر في بداية الأمر . وفيما بين عامي ١٨٨٠ - ١٨٩٠ كانت الحكومات الجمهورية تتعاقب على الحكم ، وهي حكومات محافظة ، ساعدت هؤلاء البيض على إحكام قبضتهم ، بما أدى بكثير من ولايات الجنوب إلى إنشاء ما يسمى بـ بنود الأجداد ، في دساتيرهم ، وهي بنود تقول إنه لا يسمح بالتصويت لمن لم يكن جده يتمتع بحق التصويت ، وبالطبع كان كل أجدادنا من العبيد ، فلم يتمكن فرد واحد من السكان الزوج من الإدلاء بصوته في الانتخابات .

وثمة حيلة أخرى لجأ إليها البيض ، وهي فرض ضريبة عالية على الصوت الانتخابي ، فقد كانت دولارين في ألاباما ، وإذا كان الناخب في الثلاثين من عمره فقد كان لزاما عليه أن يدفع متأخرات هذه الضريبة منذ سن الحادية والعشرين ، أي كان عليه أن يدفع عشرين دولاراً ، في الوقت الذي كان الدخل السنوي لمعظم الناس في ذلك الوقت لا يسمح لهم على الإطلاق بدفع مثل هذا المبلغ . وكانت هذه الحيلة ذات أثر فعال ، لأن قليلا جدا من الزوج كان يستطيع دفع مثل هذا المبلغ . ففي عام ١٩٤٠ مثلاً كان مجموع سكان ماريون حيث كنا نقيم والبلاد المجاورة لها يبلغ ٣٠٠٠ ألف من البيض ، وألفين من السود ، ومع ذلك فبحلول عام ١٩٥٥ لم يسجل سوى أسماء ١٥٠ زنجيا للتصويت .

ولم يكن هذا أسوأ ما في الأمر ، فقد صدر في عام ١٨٩٦ قرار من المحكمة العليا يقطن التفرقة العنصرية ، ويقول «تسميات منفصلة وإن كانت متساوية» . فلم يعد في وسع البيض والسود أن يشتركوا في نفس المطعم أو المسرح ، أو الأتوبيس ، أو القطار ، أو حتى لم يسمح لهم بدخول مبنى معين من نفس الباب . وكانت الحال كما لو أن هؤلاء السود يحملون عدوى خطيرة .

ورغم كل هذا فقد كنا نعمل في منازل البيض ونعد لهم طعامهم ، ونرعى

أطفالهم ، ونختلط بهم كل الاختلاط في منازلهم . وكان الهدف هو مجرد إفهام السود أنهم عنصر أقل ، كان الهدف الوصول بنا ، لا إلى العبودية ، ولكن إلى حالة تنافي البشرية . وكان الزنجى مهما بلغ من تعليم وثقافة لا ينادى بكلمة سيد ، أو د سيدة ، بل بياولد ويابنت ، حتى لو كان مسنا وخط الشيب شعره ، وكان المفروض أن يسارع الزوج بالإجابة : « نعم ياسيدى ، أو «نعم ياسيدتى» ، حتى لو كان هذا السيد أو السيدة أصغر سنا بكثير .

وكان الهدف المرسوم من كل هذا هو زرع العقلية المستعبدة فينا ، ولقد نجح البيض لسوء الحظ في أن يفعلوا كل هذا لعدة سنوات . وكنت أنا لم وأنا أرى بعض مواطني يعاملون هذه المعاملة السيئة ، وكيف كانت ظهورهم تكاد تنقسم وهم يخاطبون البيض ، كانوا يبدوون أمامي وكأنهم قد استحالوا إلى أقزام . وبعد أن اشتركنا - مارتن وأنا - في الحركة ، كثيرا ما كان مارتن يخاطب أخواته وإخوانه المضومى الحق يقوله ، في وسعنا أن نرفع ظهورنا وليسير رافعى الرؤوس الآن ، إننا لسير بكبرياء صوب الحرية .

وكان أى زنجى يقف في هذه الأيام ليطالب كرجل بحقه ، يطاق عليه اسم المفرور ، أما إذا استخفه هذا الفرور وحاول أن يأخذ هذا الحق فإنه عندئذ كان يعرض نفسه لخطر داهم ، وكثيراً ما كان الزنجى يخشى تماماً ، ولا تقوم السلطات بالبحث عنه أو بتحقيق سبب اختفائه ؛ فحياة الرجل الأسود لم تكن لتستحق ذلك - أما إذا اصطدم الزنجى بأى شخص أبيض أو اختلف معه ، أو إذا اتهمت امرأة ببيضاء زنجياً ، فإن العقوبة كانت الجلد ثم القتل شفا من أعلى شجرة . وقد شق أحد أعمامى ، نتيجة لمثل هذا الاتهام من امرأة ببيضاء رفيقة . ولم يكتف الببيض بشنقه ، بل لقد وجدته زوجته معلقاً في الشجرة وقد انتشرت طلقات الرصاص في جسده ؛ إذ يبدو أن البيض استخدموا الجثة كهدف للتدريب على التصويب .

والواقع أن نظام النفقة العنصرية السائد في الولايات المتحدة يعتبر أكبر خطيئة ترتكب ضد البشرية في أى مكان من العالم ؛ فقد أوجدت عند الرجل الأبيض شعورا بالسيادة لاحق له فيه . والعنصرية - كما نعرفها اليوم أو كما نحددتها - تنبع من مثل هذه التصرفات المنافية للبشرية .

وقد عجبت كثيرا أن والدى لم ينته إلى مثل هذا المصير ؛ فقد كان شخصا يعتز بكرامته ، وكانت جريمته الكبرى التي لا تغتفر أنه كان شخصا يحب العمل ويحب أن يحسن مركزه ، ولذا فقد بن بعض البيض من الفقراء . ولما تزوج أمى كان يعمل في أحد مصانع الخشب ويكسب ثلاثة دولارات يوميا ، ولما ولدت كان قد اقتصد من المال ما يكفي لشراء سيارة نقل يستخدمها في نقل الأخشاب ، وكان قد تعلم مهنة الحلاقة ، وكنا نستقبل العديد من الزبائن بعد الظهر أو في أيام العطلات ، وكانت أمى تساعد في مهنته هذه . وبدأ بعد ذلك في زراعة بعض القمح ، على قطعة الأرض التي كنا نمتلكها ، كما زرع أيضا البسلة والبطاطس والخضراوات ، وكانت لدينا حظيرة للخنازير والأبقار والدجاج . وكان أبى يتغيب عن المنزل نهاراً ، فكنت أنا وأمى وأختى إديث نرعى هذه الزراعة ، وكان عمرى عندئذ لا يتعدى السادسة أو السابعة . ثم استأجر أبى شخصا ليحرث الأرض فقط . أما بقية الأعمال من بذر حبوب إلى حصد القمح فكنا نقوم نحن بها . ولم نكن نبيع إنتاجنا ، بل كنا نحن وماشيقتنا نستغفده . والواقع أن الحياة في مزرعة لا يمكن أن تتأق دون الزراعة ، حتى لو كنا لسنا بحاجة إلى المحصول . ولا يزال أبى وأمى حتى يومنا هذا يعملان بالزراعة ؛ وينتجان القطن والقمح من مزرعتما .

ولما بلغت العاشرة من عمرى كنت أعمل في حقول القطن مع بقية العمال المأجورين ، فكنت أقوم بالحرث ، ثم بالجنى في الخريف . وكنا نعمل لقاء أجر يساعدنا على شراء احتياجاتنا المدرسية . وكان هذا الأجر لا يتعدى أربعة

أرخمسة دولارات في الموسم كله ، في هذه الايام العصيبة ، أيام الازمة الاقتصادية . وما زلت أذكر موسماً بالذات تمسكنت فيه من كسب سبعة دولارات ، فقد كنت طفلة قوية البنية ، وكنت ماهرة في جنى القطن . وكثيراً ما يعاكسني مارتن بسبب ذلك ، ويقول : إنه تزوجني لهذا السبب . ويقول : لولم تقابلني لظلمت دلي حالاً ، تعاملين في جنى القطن .

كنّا جميعاً نعمل ، ولكن دادي ، كان أكثرنا عملاً ، ورغم أي والدي ريبانا على حب العمل ، إلا أن والدي كان ولوعاً جداً بالعمل ، وكان دائماً مشغولاً بعمل ما . وكان يقول لنا كل صباح : لقد اعتدنا وأنا طفل أن نستيقظ والظلام سائد ، يجب أن تستيقظوا مبكرين ، حتى لو لم يكن لديكم ما تفعلونه ، فأنا لأحب السكسالى في منزلي .

وكنا — كمعظم الناس — دائماً مدينين ، وكان والدي لا يزال يدفع أقساط العربى ، وكان الذى يتسلم منه هذه الأقساط رجلاً أبيض سنمزله باسم جون توماس ، وكان هذا الرجل هو رجل حياقي الأولى ؛ فقد كان من أكبر المرابين الذين يستنزفون دماء السود ، ففي قرنا العشرين هذا كان يعيش بمزرعة هذا الرجل المئات من الناس الذين يعملون من أجله ، وكان يملك الخانوت الموجود بالقرية حيث يشترون حاجاتهم بالسلف ، ولذا فقد كانوا بمجرد أن يتسلموا أجرهم منه يصرعون إليه لدفع ديونهم . وكان يملك أيضاً بعض الأسهم في مصنع الأخشاب الذى كان أبى يعمل فيه .

وكان المستر توماس قد لمس في أبى حبه الشديد لعمله وحرصه على إتقانه ، ولذا فتد أسهم في دفع أقساط العربى ، ثم عمل أبى عنده ، لا كعامل أجير ، بل كأحد عمال الشحن ، ولم يكن يدفع له أجره كاملاً أبداً ، ولكن أبى رأى

أن الشكوى لن تجدى ، وكان المستر توماس يبيع البنزين والزيت اللازمين للعربة ، كما كان يبيع لنا المواد الغذائية ، وكل ما نحتاج إليه بأسعار خيالية . وكانت الارباح التى يدفعها أبى على دين العربة وعلى غيرها من الديون تترك أبى بالنزر اليسير .

فكان أبى يرسل مرتبه كله من الشركة إلى المستر توماس بحيث لا يبقى له منه شئ ، وبحيث إن الديون أغرقتنا خلال الايام العصيبة للأزمة الاقتصادية .

وكان أبى يعمل فى حمل الأخشاب خلال العطلة الأسبوعية ليكسب بعض المال ، وكان عمله هذا يحتجزه حق خلال ساعات الليل . ولكن حق كل هذه المتاعب لم تمنع عنه غضب البيض ؛ لأنه كان الزوجى الوحيد الذى يملك سيارة نقل ، ولذا فقد كان البيض يرون فيه منافسا لهم ، ولم يرضهم هذا ، فكانوا يستوفونه أحيانا فى الطرقات الموحشة ويهددونه بالقتل ، وكانت الفرصة سانحة جدا لهم ، فوالدى لم يكن رجلا قوى البنية ، وإن كان لا يفتقر إلى الشجاعة ؛ فلم يحدث مرة واحدة أن حاول الهرب منهم ، وأنا واثقة أن شجاعته هذه كانت سببا فى إفلاته منهم ، وكان دائما يقول : « إذا وقفت أمام الرجل الأبيض بشجاعة ، فإن يتمكن من إيذائك » .

ولكنه كان يعلم مدى الخطر الذى يتعرض له ، ولذا فقد ابتاع مسدسا كان يحمله دائما معه فى صندوق سيارته ، وإن كنت أشك كثيرا فى أنه كان مستطيعا أن يطلقه على أحد ؛ لأن مبادئنا كانت تحرم القتل ، رغم أنه كثيرا ما كان يقول لأمى ، وهو خارج إلى الغابات للعمل : « قد لأعود أبدا » .

كل هذا جماعى أعتاد الحياة مع الخوف على كل من أحبهم ، وكانت تجربة ومرانا مفيدتين لى ، لأنى عشت بهذه الطريقة طيلة حياتى ؛ فقد كان أبى فى شجاعته ورفضه للهزيمة يشبه إلى حد كبير زوجى .

ويبدو أن القدر أصر على أن يربط مصير أبي بمستر توماس ؛ ففي ذات يوم عام ١٩٣٧ ، وبينما كان أبي يسير بعربة إلى عمله ، اصطدمت العربة بعربة المستر توماس ، وحتى اليوم لا يعلم أحد على من تقع مسؤولية الاصطدام ، ولكن العربة تحطمت تماما وأصيب المستر توماس لإصابات بالغة ، رغم أن اثنين من مساعديه — وكانا معه بالعربة — لم يصابا إلا بجروح طفيفة ، أما أبي فلم يصب بشيء سوى القلق الشديد ؛ لأنه كان يعلم أن مصيره السجن لو توفي مستر توماس ، كان يعلم أن تهمة القتل ستوجه إليه وسيج به في السجن دون محاكمة عادلة .

ولكن توماس شفي ، وتأكد بعد شفائه من براءة أبي ، وكان يقول إن « أوبي » واحد من رجاله الموثوق بهم ، ولأنه « زنجي طيب » ، لأنه لا يشرب الخمر ولا يسرق . ولذا فقد رعى مشكلته بطريقة متعالية وكأنه وصي على أبي .

وظل أبي يرزح تحت وطأة الدين سنين عديدة رغم مواظبته على دفع الأقساط كما أضيفت إليها الخسائر الناجمة عن إصلاح عربة توماس . وأخيراً جاء اليوم الذي سيدفع فيه أبي آخر قسط من الدين . وعندما واجه المستر توماس نظر هذا في دفاتره وهنا « أوبي » على نشاطه ولكنه قال : « بقي عليك مائة دولار أخرى مازلت مدينا لي بها » .

وكان أبي يعلم تمام العلم أن هذا محض افتراء ؛ فقد كانت دفاتره هو دقيقة جدا ، ولكنه وافق على هذا الدين الجديد تجنباً للمتعاب . وكان هذا معناه العمل المرهق لمدة أسبوعين آخرين . وذات ليلة عاد أبي إلينا وهو يحمل في جيبه أربعين دولارا ، وكنت وأخى الأصغر نمتظره بلهفة ، فقد وعدنا بالذهاب إلى ماريون للتسوق ، وكانت الساعة أوشكت على مرعد غلق الحوانيت ، أما هي فكانت مستلقية للراحة ، على حين كانت أختي لإديث

متغيبه في المدرسة . ودخل « دادي » ، وقال : « استيقظي يا برنيس ، لاني سأخذك إلى المدينة لتبتاعى ماتريدين » .

وكان فرحتنا لا يماذله شيء ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي نستطيع فيها شراء حاجتنا من محل آخر غير محل توماس . وركبنا جميعا السيارة وتوجهنا إلى المدينة . ولابد أن شعور أبي بالتخلص من أغلال توماس كان شعور التحرر بأنه سيد نفسه ويستطيع التصرف في أموره .

ومنذ هذه اللحظة ، عام ١٩٣٩ ، ظل أبي يدير أموره بنفسه ، ويدفع « فواتيره » بانتظام . أما إذا احتاج إلى نقود فكان يقرضها من البنك بضمأن اسمه .

والواقع أن أيام طفولتي وشبابي لم أشعر فيها بوطأة التفرقة العنصرية بشدة ، أو بالأحرى حاولت أسرتي أن تحميني منها . وكنا نعيش في المزرعة ، وبالقرب منا كل أقبائي ، من أعمام وخالات ، وأبنائهم وبناتهم ، وكان معظمهم في مثل سني ، وكان مجتمعنا زنجيا ، به ثلاثة أجيال ، ويبدو أن هذا العامل كان من الأسباب التي غرست فينا الاعتزاز بعنصرنا ، واحترام أنفسنا ، مما أدى بنا في النهاية إلى نظرة صحيحة إلى أنفسنا .

وكنا نذهب للزهوة في سيارة أبي . أما إذا لم يتيسر لنا هذا ، فكنا نلم شملنا ونذهب جميعا إلى الكنيسة ، حيث نلتقي بمواطنينا ، وكنا جميعا يمت بعضنا إلى بعض بصلة القرى ، ولذا فقد كانت الأسرة ياتم شملها كل يوم أحد بالكنيسة . وكان كثير من أقبائنا يأتون سيرا على الأقدام ، أوفى عربات ، فلم يكن الكثيرون منهم يملكون سيارات . وكان اجتماعنا بالكنيسة يعتبر أهم حدث في الأسبوع ، وكان الجميع يرتدون أبهى حللهم ؛ فالرجال في زيهم والسيدات بقبعاتهن ، أما أنا فكنت أعقص ضفيري ، تساعدني في ذلك أمي وأختي ، وكانتا تهتمان بالغ الإهتمام بتزييني بالشرائط ، رغم أن تعاليم

كنيستنا تقول إنه لا يحتم عل الفتيات في مثل سنى لبس الشرائط ، ولسكن
كان هذا يستباح لنا فى أيام أعياد الطفولة أو فى أيام أعياد القيامة .

وبعض الأحيان كنا نذهب ، نحن الاطفال ، إلى المدرسة سيرأعلى
الأقدام ، وكانت مدرستنا وكنيستنا فى ماونت تابور التى تبعد نحو أربعة
أميال من مقر إقامتنا ، ولسكننا كنا معتادين السير . وكان بعض الاطفال ،
ولسنا منهم ، يحملون أحذيتهم فى أيديهم ، حتى لا تنسخ ، كما كانوا يأتون بخرقه
معهم لتنظيفها وتنظيف أقدامهم قبل ارتدائها ثانية فى الكنيسة ، وكان البعض
الآخر يرتدى أحذية قديمة بالية فى أثناء السير ثم يستبدلون بها — أخرى جديدة
إذا ما وصلوا للكنيسة .

وكان الجد سكوت يفتح قداس مدرسة الأحد بغناء ترتيل ، ونصحبه
نحن فى الترتيل ، ثم تتوجه إلى فصول الدراسة . وكنا ندرس الإنجيل والقصص
الدينية والوعظ: من الذى خلقك؟ الله . من هو الله؟ روح الله . أين الله؟ الله
موجود فى كل مكان . ماذا يستطيع أن يفعل؟ يستطيع كل شئ . هل يعلم
الله بكل شئ؟ نعم ، يعلم ما ن فكر فيه ، وما نقوله ، وما نفعله .

وبعد ذلك تأنى فترة الاستراحة ، وفيها يبدأ الكبار فى الوصول إلى
الكنيسة التى كانت هينأى الصغيران تزيانها كبيرة جدا ، رغم أنها كانت مبنية
من الخشب ، ورغم أن حوائطها كان الطلاء « البياض » قد زال عنها ، فلم
يكن فى ميسورنا أن نقوم بطلائها إلا كل عشر سنوات . وكان بها منبر مرتفع
وحوله « درابزين » يقف خلفه المصلون ويركعون ، أما الكرامى فكانت
خشبية صلبة ونظيفة . وكان بالكنيسة مدفأة بالجازولين كان الحاضرون
يتجمعون حواها طلبا للدفء . أما الإضاءة فكانت أيضا بلمبات الكيروسين
وكانت هناك أما كن مخصصة للنساء ؛ وأخرى للرجال ؛ أما الاطفال فكانوا
يجلسون فى الوسط . وكان من النادر جدا أن يجلس الزوج بجوار زوجته .
وحقى غرف الانتظار ، خصصت واحدة منها للنساء وأخرى للرجال .

وكان القديس يعقود مرتين في الشهر ، فلم تسكن ميزانية كنيسة ماونت تابور تسمح بإعطاء خاص لها ، وإذا فقد كننا نستأجر وأعطاء ليات مرتين في الشهر ؛ وهذا إجراء لا يزال متبعاً في كثير من مدن الجنوب ، وكان جدي سكوت يقوم مقام الواعظ في أيام الآحاد التي لا يقام فيها قداس . وكان الجدل ماكورى يساعده في التراتيل ؛ فقد كان صوته جميلاً وقوياً . وكان جدي سكوت يبدأ الصلاة ثم يطلب من واحد من الأسيرة ليقرا الدرس ؛ ثم ياتي هو بموعظة ، ثم تختتم بالتراتيل ، ثم تختتم الصلاة بجمع النذور .

وكان المبلغ المؤلف دفعه هو ٢٥ سنتاً ، ولكن بعض الأسر العديدة كانت ترى أن هذا المبلغ باهظ ؛ فكان الفرد منها لا يدفع أكثر من عشرة سنتات ، وكانت هذه المبالغ تذهب معظمها إلى الأسقف ؛ والبعثات الدينية الخارجية . كما كان بعضها يستخدم في دفع رواتب الوعاظ ، وكان هناك من يظن أنهم لا يستحقونها .

وكانت كنيسة واحدة من أهم ثلاث كنائس في المنطقة، التي كانت تضم ثلاث مقاطعات في الحزام النجفي ، وكانت ماونت تابور تعتبر من أقوى الكنائس ، ولذا فكان القساوسة الذين يأتون للوعظ بها من أحسن القساوسة . والواقع أنهم كانوا لا بأس بهم ، وكانت نواياهم حسنة للغاية ، ولكنهم كانوا غير متعلمين بشكل كاف ، وليسوا مؤهلين لخدمة الأغراض والاحتياجات السياسية والاقتصادية للسكان . ومع ذلك فقد استطاعوا وضع أساس متين ، من الناحيتين النفسية والاجتماعية لمن جاء بعدهم من أجيال . وكانت الكنائس التي أقاموها هي الوحيدة التي يملكها السود ، وبدونها لم تستطع حركتنا أن تسير خطوة واحدة دون صعوبات بالغة .

وكان هؤلاء القساوسة يبدأون بالوعظ ، فإذا كانت الموعظة جيدة استمع

الناس إليها وأصغروا ، أما إذا كانت عملة فقد كان الكثيرون يغلبهم النعاس .
وكان بعضهم يأتي بجديد ومثير ، وعندئذ يشارك الناس ويصبحون آمين ،
وكان هؤلاء التساوسة من «الميثوديين» والمعروف أنهم ليسوا من المشيخيين في
حرارة هواطفهم ، ولذا فقد كان الكثير من مواطنينا يسخرون منهم . والواقع
أن هذه الاحتفالات الدينية تعتبر بحق التواة المفهوم الحالى لكلمة دروج .
فالوسيقى الرومانية هي موسيقى السود منذ أكثر من قرن ، وهي خليط من
الموسيقى الشعبية الأفريقية والأمريكية .

وقلما كان هؤلاء الوعاظ يمسون من بعيد أو قريب مشكلة مواطنيهم ،
فكان ذكر الحوادث ، الضرب أو المعاملة السيئة التي يلقاها السود من البيض ،
يمر مروراً عابراً من فوق المنبر . وكان دور الواعظ ينحصر في إحياء الأمل
في نفوس الناس رغم ما يلاقونه من ذل واضطهاد ، فكان يقول : «إن الله
يحبنا ، والناس يهصدون ما يزرعون ، فلنستمر في الصلاة وخاصة من أجل
إخواننا المعبذين ، فهذه هي تعاليم الإنجيل ، فلا تقلقوا ، فسيأتي يوم يصلح
فيه الله من أمرنا » .

ولم يحدث أن نادوا بما نسميه نحن الآن الوعظ الاجتماعي ، كما لم يناقشوا
من على منابرهم حقوق الزوج أو مشكلة التفرة . كان هذا يعتبر خطراً بالغا .

وكانت هذه الحال تنطبق تماماً على الرجال الذين كانوا يأتون إلى منزلنا
لقص شعورهم ، أو الذين يتجمعون في المحل العام ليناقشوا ما حدث لواحد منهم
من ظلم واضطهاد . بل كانوا يسردون الحادث ويتذمرون ، ويقول كل واحد
منهم ماذا كان سيفعل لو أن ما حدث ، حدث له هو !! وكان الأمر يفتى عند
هذا . وكانوا يشعرون أنه لا فائدة من الاحتجاج العلقى . هكذا كانت الحال في
هذه الأيام ، تذكر وأمل في الإصلاح فقط .

أما أنا فكنت وأنا صغيرة أرى في الكنيسة شيئاً هاماً جداً في حياتي ،
وكان اجتماع أهلى يبعث الدفء في قلبى ، كنت أعتبرها أهم جزء في حياتي .

وكان والدى يفرسان في وفي أختي حب التعليم ، وحتى قبل أن نأخذنا
بالمدرسة كان بمنزلنا بعض الكتب التي كنا نقرأها ونعيد قراءتها ، وكنا نلشد
بعض المحفوظات مثل : « هبتي دامتني » ، و « ماري عندها خروف صغير » .

أما أمي فلم تكن قد تعدت التعليم الابتدائي ، أو الإلزامي ، فقد كانت
في طفولتها تعمل في الحقول ولا تذهب للمدرسة إلا ثلاثة أشهر في السنة ، وقد
تزوجت أبي وهو في سن السادسة عشرة ثم بدأت في الإنجاب ، وقد اعتادت
أن تقول : « لم أشهد طفولة بالمعنى الصحيح ، لقد كنت امرأة طيلة حياتي » .
وأنا أنذكر أول مرة رأيت فيها أمي كانت في العشرين من عمرها ، وكانت
تقعص شعرها في ضفائر وتبدو كالحدى الهنديات الحمر . وهي تختلف عن أبي
المنطلق الكريم في أنها كانت متحفظة وحذرة مع الغرباء ، وخاصة البيض
منهم ، وكانت دائما تقول : « لا يمكنك الثقة بأحدهم » . رغم أنها الآن تصادق
العديد منهم وتحبهم ، وكانت بمجرد أن تجد فيك صديقا ، تفتح لك قلبها .
وكانت أمي على كثير من الذكاء ، رغم أنها لم تلق أي تعليم ، وكانت آراؤها
صائبة وحكيمة فقد أبدت كثيرا من العذم لإزاء ما كانت تشهده من ظلم يقع
على الزوج ، بعكس أبي الذي كان يقول إن الناس أشرار لأن ظروفهم تجعلهم
أشرارا ، وهو في الواقع يفضل أن يكون حسن النية تجاه الآخرين . وكان
والداي يدركان مدى ما يفتقران إليه بسبب عدم التعليم ، ولذا فقد كانت
أمي مصممة على أن يتلقى أبنائوها التعليم .

وفي السنوات الأولى من التعليم تأثرت كثيرا بقوانين التفرقة ، فقد كانت
مدرستنا الابتدائية توجد في هايبرجر ، وهي قرية قريبة من ماريون ، وإن
كانت تبعد ثلاثة أميال عن منزلنا . وكما نقطع المسافة سيرا على الأقدام في
المطر والشمس على السواء ، وأذكر أنني كنت أشاهد أوتوبيسات المدارس
تحمل الأطفال من البيض وتمرق بجانبنا مشيرة زوبعة من التراب والطين ، كما
أذكر أنني كنت أغضب جدا لهذا المنظر .

وكانت المدرسة بناء غير مطلى به غرفة واحدة متسعة ينحشر فيها ما يقرب من مائة طفل ليتلقوا العلم ، ثم قسمت هذه الغرفة فيما بعد إلى غرفتين وطلبت حوائطهما من الداخل والخارج ، وبالفرفنتين قماطر وأدراج ، خشبية كنا نجلس إليها ، أما السبورة فكانت جزءا من الحائط طلى باللون الأسود ، وكانت المراحض بالخارج ، أما التدفئة فكانت تأتي من مدفأة تشتعل فيها الأخشاب .

وكانت هناك اثنتان من المدرسات الزوج ، وكانتا مخلصتين لعملهما ، والأرجح أنهما كانتا خريجتين في المدارس الثانوية ، رغم أن الإجراء المتبع قبل ذلك في اختيار المدرسات لم يكن أكثر من امتحان عادي ، كل من ينجح فيه يؤهله نجاحه ليصبح مدرسا في مدارس السود . ومازلت أذكر المسز ماتي بينيت ، فقد كانت تشجعني أنا وأختي لإديث لأنها لمست فينا رغبة في التحصيل والعلم ، وأعتقد أنها كانت تولينا عناية خاصة ، أكثر من غيرنا من التلاميذ ، وإن كان من الأرجح أننا أحببنا العلم بسببها .

وكانت مفتشة المقاطعة ، وهي زنجية أيضاً ، تأتي للتفتيش على المدرسة من الحين للحين ، وكنا نحاول أن تبدو أمامها بأحسن مظهر ، فقد كانت المدرسة تشجعنا على إظهار مواهبنا . وكنت دائما أقوم بالإنشاد ، وكثيرا ما كنت أغنى وحدي ، أو أقود الجماعة في الغناء ، أو ألقى بمقطوعة من الشعر .

ورغم ما كان الآباء والأمهات من الزوج يحاولونه لإبعاد شبح التفرقة عن أولادهم ، إلا أننا شبننا وقد فهمنا تماما معنى هذه التفرقة ، لأنه سرعان ما كانت تحدث واقعة تجعلنا نفهم مركزنا ، ونفهم أن البيض ينظرون إلينا على أننا أقل منهم مستوى ، فكان الأطفال البيض يرفضون اللعب معنا أو يرفضون أن يجلسوا على المقاعد الخشبية الموجودة في دار السينا بدلا من الجلوس في المقاعد الوثيرة . ومازالت أذكر محل البقالة الذي كنا لشترى منه الجيلاتى ، كان علينا أن نقف أمام بابه في صفوف طوابير ، حتى يفتى الأطفال البيض

من شراء حاجاتهم ، ومازلت أذكر أن البائع كان يعطينى نوعاً من الجيلاتى ،
لا أحبه ، مجرد أن لديه فائضاً منه ، رغم أننا كنا ندفع نفس الثمن الذى يدفعه
البيض .

والأطفال الزوج يدركون فى سن مبكرة أن ثمة أما كن لا يستطيعون
دخولها ، وكثيراً ما كانوا يسألون أمهاتهم عن السبب فى ذلك ، وكانت كل أم
بلا استثناء تجيب بقولها : د لارك أحسن من أى واحد منهم ، ولكن هكذا
تسير الأمور ، وينفض الطفل من عند أمه وهو يدرك تماماً أن أمه تحاول
جاهدة أن تشرح شيئاً ولكنها لا تفلح ، وأنها تحاول تطيب خاطره لسبب
ما وإلا لما قالت هذا . ومن الصعب على الطفل أن يصدق قصة ملفقة
تروى لإقناعه .

ولما ذهبت أنا إلى أى بهذا السؤال الخالد ، قالت لى هى الأخرى : د لارك
لا تلقين عن أحد ، ثم استطردت بصعوبة : د لارك تذهبين إلى المدرسة
لتفجلى من نفسك شخصاً ذا قيمة ، حق لا يركك أحد بالقدم ، وحق
لا تعتمدى على أحد فى كسب عيشك ، حق ولا على رجل . . .

وقد علمنا والدانا أن التعليم هو أول درجة فى سلم الحرية ، ولقد كان
هذا مفيداً لنا ، وبخاصة بعد أن كبرنا نوعاً ما ، وكانت ألى تقول لى : د لارك
بحاجة الآن إلى ملابس وغيرها ، ولكن إذا ما أنمت تعليمك ، فلن يقف
أحد فى سبيل حصولك عليها ، وأهم ما يجب أن يشغل بالك الآن هو التعليم .

ولكن سرعان ما بدأت أفهم وألمس مدى اختلاف مدرستنا عن مدارس
البيض . ولم يقتصر الأمر على أن المدرسة كانت خاصة بالزوج فقط ، بل
الحقيقة أن المعدات فيها كانت أقل بكثير من مدارس البيض ، فدرسة البيض
كانت مجهزة بكل شئ ، وكنت أراها من الخارج فأشعر بذلك ، رغم أن
قدمى لم تطل داخلها أبداً ، وأنا كد أن بها فصلاً مستقلة ، ومكتبة ، وكتبا ،

على حين لم يكن لدينا نحن شيء من كل هذا ، ركنا لشترى الكتب ، في حين أن الولاية تصرف الكتب للتلاميذ البيض ، وكانت الدراسة عندهم تستغرق تسعة أشهر كل عام ، أما عامنا الدراسي فكان سبعة أشهر فقط ، فكيف يتسنى ، والظروف هذه ، أن يحصل التلميذ الاسود على نفس مستوى التعليم الذى يحصل عليه الابيض .

ومع ذلك فإننا كنا أسعد حالاً من المدارس المختلطة في الشمال ، التى يسمح فيها للزواج بالجلوس جنباً إلى جنب مع البيض . فعلى أسوأ الظروف كانت المناهج الدراسية عندنا قد خططها أهائنا السود لصالحنا نحن ، وكانت هناك مادة لتاريخ الزواج تدرس في بعض مدارسنا . أما تلاميذ الشمال فكانت المناهج فيها موضوعية للبيض ، ولذا فكان التلميذ الزنجى يجد في كل ما يتعلمه أموراً لا يتعرفها أو يستوعبها ، ولم يكن هذا النقص ليهم أحداً . وهذا في الواقع هو السبب الاساسى لكثير من مظاهرات الطلبة الزواج في الجامعات اليوم .

وقبيل نهاية عام ١٩٢٧ تحسنت أحوال أسرة سكوت بعض الشيء ، فانتقلنا إلى منزل أكبر استأجره دادى لنا ، منزل به ست غرف . وكنا في أول الامر نفتسمه مع أسرة أخرى ، بعض أبناء عمومتنا كانوا يعيشون في جزء منه ، ولكننا كنا جميعاً نستخدم نفس المطبخ ، ولذا فلم نكن مرتاحين لهذا الوضع ، ولكنهم انتقلوا إلى منزل آخر بعد أن أمضوا عاماً ونصف عام في نفس المنزل . وكانت لإديك أختى قد شارفت مرحلة الصبا ، وكان أبى قد اشترى أثنائنا جديداً لغرفة جلوسنا ، وكنا جد فخورين ، فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يكون لنا فيها غرفة استقبال ، كما كانت المرة الأولى التى نخضع فيها — أنا وأختى — بغرفة مستقلة .

ولكن الغرفة العنصرية كانت من القسوة والشدة بحيث نغصت علينا حياتنا الجديدة . ومازات أذكر حادثاً معيناً عندما دعا أبى رجلاً أبيض ،

صديقاً له ، وزميلاً في العمل ، للغداء عندنا ، وبدأنا نختلف فيما إذا كان من اللائق أن يجلس أبي للأكل معه ، وكان هو ، أى أبى ، يرفض هذه الفكرة ، فى حين قالت أمى : « إن المنزل منزلك يا أدنى ، وهو يزوره ضيفاً عليك ، فيجب أن تجلس لإليه وتأكل معه » . وقد أيدناها — أدنى وأنا — فى رأيها هذا ، وبقوة ، ولكن أبى قال : « كلا ، لن أحس بالراحة إذا ما فعلت ذلك » .

وأكل الرجل الأبيض وحده .

ووصلت إلى الصف السادس فى المدرسة الابتدائية ، ثم نقلتنا أمى — لإدنى وأنا — إلى مدرسة أفضل ، تبعد عشرة أميال عن ماريون ، مدرسة تعادل مدارس البيض فى إعدادها ، مدرسة لينكولن الثانوية ، وهى مدرسة افتتحتها جمعية التبشير الأمريكية بعد الحرب الأهلية بقليل ، عندما كان الجنوب خلواً تماماً من أية مدرسة للزواج ، وكانت هذه الجمعية تبعث بالمبشرين البيض للتدريس فى هذه المدرسة ، للتدريس لابناء العميد سابقاً . وعندما دخلت هذه المدرسة كان الاختلاط فيها قد تم بين البيض والسود ، فى ميدان التدريس ، فكان نصف المدرسين من البيض ، والنصف الآخر من السود ، أما الطلبة فكان جميعهم بالطبع من السود ، وكان كل المدرسين البيض من أهل الشمال ، ماعداً مدرسة واحدة كانت من الجنوب ، وكانوا مخلصين فى عملهم ، ويهتمون بأمورنا ، ويتهاورون كبشر . وكان المدرسون من بيض وسود ، يعيشون فى مكان واحد أهدته لهم المدرسة .

وكان أهل ماريون من البيض ينظرون نظرة احتقاره للشعبيين ، فكانوا يلقبونها بأصحاب الزوج ، وكانوا فى شدة الغضب لإقامة المدرسين جميعاً فى مكان واحد ، ولذا فقد كان المدرسون البيض شبه معزولين عن المجتمع ، وإن كان هناك بعض من ارتضوا صداقتهم ، فإننا نجد الخير فى كل المواقف .

وكانت مدرسة لينكولن من المدارس المعروفة بتقليدها الراسخ فى خدمة

البشرية ، وهو تقليد نقلته المدرسة إلى طلبتها ، وأنا واثقة أن انخراطى فى سلك هذه المدرسة كان له أكبر الأثر فى حياتى . وأنا عندما أستعرض أحداث حياتى أنا كد أن من بينها الكثير جدا أعدنى الإعداد الكافى للحياة مع مارتى ، ومن بين هذه الأحداث انضمائى إلى مدرسة لينكولن .

والواقع أن ذهابنا — لإديث وأنا ، ثم أخى أوبى فيما بعد — إلى مثل هذه المدرسة أتى على حساب تضحيات كبيرة من والدينا ، فكانت المصروفات أربعة دولارات ونصف دولار فى السنة لكل واحد منا ، وكان هذا يفوق اقتصادياتنا بكثير ، كما كنا نقيم عند عائلة زنجية فى مدينة ماريون ، لأن المسافة بين المدرسة وبين منزلنا كبيرة . والواقع أن الفلاح فى الجنوب إذا ما أرسل ابنه إلى المدرسة فإن هذا لا يعنى أنه فقد يدا عاملة خصب ، إن عليه أن يوفر له المال ليقوم بعيداً عنه ، ولكن لم يكن أمامنا بديل لهذا .

وكانت أختى أول فتاة زنجية أعرفها تدخل المدرسة الثانوية ، رغم أن أبى كان طالبا فى مدرسة لينكولن لمدة عام واحد فى شبابه . ولما وصلت إلى السنة الثانية فى الدراسة ، وافقت المقاطعة على دفع مصروفات انتقال أبناء الزوج إلى المدرسة ، كما أسهم الآباء فى هذا المشروع ، فقد حول أبى لإحدى سيارات نقله إلى أتوبيس مدارس ، فى حين كانت أمى تقود السيارة من منطقةتنا وإليها كل يوم . وبعد ذلك استطعت أن أقيم مع أسرته .

وفتحت لينكولن العالم أمام عيني ، وخاصة عالم الموسيقى ، وكانت مدرسة الموسيقى وتدعى المس أوليف ويليامز ، وهى خريجة جامعة هوارد ، هى مثل الأعلى ، فكانت تعزف على البيانو وتغنى وتدرس الموسيقى للجميع الطلبة من الصف السابع حتى الصف العاشر الذى إذا ما وصلوا إليه ، بدأت تعطيمهم دروسا فى الصوت . وكانت تعطى دروسا خاصة فى البيانو لكل من يستطيع دفع الأجر الصغير الذى كانت تطلبه ، كما قامت بتنظيم مجموعات للغناء من بيننا . وقد كان نجاحنا فى هذا الميدان عظيما ، حتى أننا كنا نقوم

بأداء أعمال موسيقية كبيرة مثل « أنشودة أمريكا » ، « المسيح » ، كل عام .

وكنا جميعا ندرس « الزوتة » الموسيقية ، وكان الذين لهم موهبة خاصة ، يواصلون الدراسة ، وقد درست العزف على الفلوت وكنت أعزف في حفلات المدرسة ، كما كنت أغني ، وقد أعطت مس ولبامز أول درس رسمي لي في الغناء ، ثم أخذت أنا أعلم نفسى الأناشيد الدينية والروحانيات . ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرى طلبت من الكنيسة أن أشرف على الكورال البيانو . وأدرت أفراد الكورال . وكانوا جماعة من سفى كلهم من المهتمين بالأناشيد وقدقت بتدريسهم ، وكنا ننظم التراتيل والبرامج الدينية ، التى اخترت من بينها أحدا ليكون موضوع حفلة الحرية التى نظمناها بعد ذلك بأعوام عديدة . وكنت أختار نشيدا مثل : « هل يهتم يسوع ؟ » ، وأكتب له قصة ، قصة عن بعض المشكلات التى تواجهنا نحن المسيحيين ، وأنسال : هل هناك من يهتم بأمرنا ؟ « نعم » ، إن يسوع يهتم ، يهتم عندما لا يهتم بنا أحد غيره ، وعندما يفهم اليأس قلوبنا . ثم أقود الجماعة فى إنشاد اللحن .

وفى لينكولن علمتقى فرانسيس توماس كيف أعزف على النغير ، وكانت تعطينى دروسا خاصة على النغير الخاص بها .

وفرانسيس توماس كانت سكرتيرة ناظرة المدرسة وزوجة مدرس الألعاب الرياضية والاجتماعية وكان اسمه سيسيل توماس ، وقد أصبح من أهم العناصر المؤثرة فى حياتى . والواقع أنه هو وزوجته وقفنا معنا خلال جهادنا فى أثناء حركة التحرير للحصول على الحقوق المدنية ، وقد لحنت فرانسيس لحنين من الألحان التى استخدمتها فى حفلة الحرية .

وفى أثناء هذا الوقت استأنفت — أى التى كانت مولعة بالموسيقى — دراستها ، وكانت تتمرّن على بيانو الكنيسة ، كما قتت أنا بالتدريس للعبة ، زيمى « أخت أبى الصغرى » ، وكانت امرأة تعسة ، وإسكن الموسيقى أضاءت

الحياة أمامها . وعندما ذهبت إلى الكلية توليت أى وعق تناوب العزف على بيانو الكنيسة ، ولا يزالان يقومان بهذا حتى اليوم .

وأثناء إقامتي في ماريون أصطدمت كثيرا بالتفرقة العنصرية بشكل لم أكن أشعر به شخصيا ؛ فقد كان المراهقون من البيض يعترضون سبيلنا في أثناء ذهابنا إلى المدرسة ويحاولون الاعتداء علينا ، فإذا قارمناهم سبونا وقالوا لنا زنوج قذرون ، وكنا نرد عليهم بأنهم حثالة من البيض . وكانت الأمور في بعض الأحيان تنطور إلى معارك حامية ، وكنت أشعر بالخوف لولا أننا كنا نتألف لنمنع حدوث أى أنواع من الضرب .

والتحقت خلال هذه الفترة أيضا بالعمل لدى إحدى أسرة من البيض للقيام ببعض الأعمال المنزلية ، وكانت ربة البيت تتوقع مني أن أرد به « نعم ياسيدتي » في كل مرة تنطق فيها بكلمة أو أمر ، وأن أستخدم الباب الخلفي ، ولكني لم أكن من النوع الذليل الذي يعجبها ، ولذا فلم أمكث عندها طويلا .

وكان أبى أيضا يعاني من بعض المشكلات . ولقد تمكن من امتلاك ثلاث عربات للنقل ، فكان هذا سببا في زيادة شعور العداء تجاهه من جانب البيض الفقراء ، فراحوا يضايقونه ، ويتقدمون بشكاوى ضده لرجال الشرطة ، زاعمين أنه يقود قيادة متهورة ، كانوا يريدون إلحاق الأذى به بأى شكل .

وفي ليلة عيد الشكر في عام ١٩٤٢ تلقينا — إديث وأنا — مكالمة تليفونية تبلغنا أن منزلنا قد احترق ، ولم تحاول السلطات إجراء أى نوع من التحقيق ، زاعمة أننا نسكن خارج حدود سلطتها ، والواقع أنه ما كان هناك من يهتم بما يحدث للزواج على الإطلاق ، ولم تتمكن من معرفة السبب الذي من أجله اشتعلت النار في منزلنا ، ولكن كانت شكوكنا عديدة ، وأتى الحريق على كل أثاثنا الجميل ، واضطررنا للذهاب للإقامة مع جدى ما كورى . كانت أى في منتهى التعاسة ، وخاصة أن أمها كانت قد توفيت قبل هذا الحادث بوقت قصير ، وكانت تقول « بعد أى ، لم يعد لي مكان التجيء إليه » .

أما أبي فلم ينزّم ، بل ذهب إلى عمله في اليوم التالي للحريق ، وتمكن بحلول الربيع من اقتصاد مبلغ من المال اشترى به محلا للنجارة واستخدم فيه أحد البيض الذي جاء إليه بعد أسبوعين من عمله وعرض عليه شراء المحل ، ولكن أبي رفض أن يبيع ، وقال له الأبيض : « إنك مخطيء في هذا فإن يعود عليك المحل إلا بالخسارة » .

وبعد أيام قليلة توجه أبي إلى محله فوجده حطاما . وكان هناك بعض البيض من أصدقاء أبي وقد أسفوا لهذا الحادث ونصحوه بأن يطلب من السلطات لإجراء تحقيق ، واسكن أبي كان يعلم أنه لا فائدة من هذا ، ولذا فقد عاود العمل ثانية كأجير ، وأخذ يفكر في مشروعات جديدة .

والواقع أن أبي شخص عجيب جدا ، شخص لا يستطيع أن يحس بمرارة رغم كل ما يحدث له ، رغم كل الإهانات والمضايقات التي يتعرض لها من البيض الذين لمسوا فيه نشاطا وحباً للعمل سيعرضان أعمالهم للخطر . والبيض يغضبون لرؤية زنجي يرتفع عن « مكانه » ولا يعرف « قدره » .

وكان أبي يقول : « هناك أشخاص خيرون من بني البيض » . وبعد سنوات عديدة اضطر الجميع إلى تقبله كشخص له مكانة ، وكان دائما يقول : « لأ أحد يكرهني » . لقد دفعت كل ما على من ديون ، والطريقة التي اتبعتها في حياتي لم تجعل لي هدواً واحداً في العالم . . وكان هذا صحيحا ، والواقع أن أبي كان مثالي في ألا أهرق الكراهية ، هو وإيماني الراسخ بالمبادئ المسيحية ساعداني على ذلك .

وفي مدرسة لينكوان انضمت أخق لإديث إلى جماعة موسيقية اسمها «كورس لينكوان الصغير» ، وتمكن فرانسيس وسيسيل توماس من اتصالاتهما ببعض جامعات غرب الوسط من تنظيم رحلة لهذه الجماعة ، وكانت كلية انتيوك

في يلو سبرنجز بأوهايو إحدى السكيات التي قدمت فيها الجماعة عرضها ، ومن هنا حدث التغيير التام في حياة إديث .

فقد تخرجت إديث من مدرسة لينكولن بعد ذلك بعامين ، وكانت الأولى على فصلها . وفي هذا الوقت بالذات سمحت كلية أنتيوك بدخول الزوج إليها ، بل خصصت منحة دراسية لهم ، وقد تذكر القائمون على أمر الطالبة الفتاة الرقيقة التي أتت من ألاباما للغناء عندهم منذ عامين ، فأرسلوا إلى ناظرة المدرسة بخطاب يحمل منحة دراسية لإديث ، تقضى فيها عاما للدراسة بأنتيوك وكانت المنحة تشمل أيضا الإقامة والغذاء ، وذهبت إديث في صيف عام ١٩٤٣ ، إلى أنتيوك ، وكانت أول طالبة زنجية تمارس الاختلاط في الجامعة .

وفرحت إديث بهذا ، وكانت في غاية السرور لبعث السكيات عن موطننا بأميال ؛ فقد كانت — وأشاركها أنا — تتوق إلى مغادرة الجنوب ، إلى الذهاب إلى الشمال ، فقد كنا نظن أننا هناك سنمارس بعض الحرية ، ولم ندرك ، لسذاجتنا ، أن الشمال فيه أيضا بعض مشكلات كان علينا أن نواجهها .

وكانت خطابات إديث لنا تنم عن السعادة والابتهاج ، وكانت تتحدث فيها باستفاضة عن حرية العلم ، وكيف أن أنتيوك تؤيد منح الطلبة حرية الاختيار حتى يتعلموا تحمل المسؤولية ، فلم تكن بها مشرفات ولا قيود على رجوع الطلبة إلى منازلهم ، وكان بعض الاساتذة يستخدمون نظام « التقييم » في امتحاناتهم .

وكتبت أيضا عن تصرف الطالبة من البيض وكيف أنهم خلوا من الغطرسة ، بل وكيف أنهم يصادقون الجميع وقالت : « لو حضرت إلى هنا يا كورتنا فستسعدن جدا » ،

والمعتقد أنها لم ترض أن تشير إلى بعض النواحي السلبية ، لأنها كانت

تحاول تشجيعي على الانضمام إليها ، أو لعلها ظنت أن الخير في انتيوك ترجح كفته على الشر ، وقد لمست فيما بعد المصاعب التي واجهتها بوصفها أول طالبة زنجية تمثل عنصرها في هذه الكلية البيضاء . ويبدو أن الطلبة هناك حاولوا أن يشرحوا لها كل جوانب المشكلة ، فكانوا يكلمونها كثيرا عن التفرقة العنصرية ، وقد اضطرت أخيرا إلى الاعتراف بأنها كانت تضيق بالحديث في هذا الموضوع . وكانت أختي فتاة جميلة فارعة الطول ذات ملامح هندية ، ولذا فقد كان بعض شبان انتيوك يحاولون التقرب منها والتحدث معها ، لأنها كانت أيضا مثقفة وذكية . وكانت تقناول طعام الغداء مع بعضهم ، ولما لم يكونوا ليخرجوا علي أخذ ميعاد معها ، ولم تخرج لإديث مع شاب أبيض إبان إقامتها في انتيوك إلا مرتين .

ولم أكن أنا أعلم بالطبع شيئا عن كل هذه المشكلات ، بل كنت على أحر من الجمر الانضمام إليها ، ولما وصلت الصف الثاني عشر تقدمت بطلب منحة دراسية وحصلت على منحة جزئية لا تزيد تكاليفها على ٥٠ دولارا ، وكان على أن أدفع الباقي ويبلغ حوالي مائتي دولار ، كما كان على أن أدفع ثمن انتقالى ولكن لحسن الحظ كانت أحوال أسرتي المالية وقتئذ تسمح بذلك ، ووفرت لي المبلغ اللازم .

وذهبت إلى انتيوك ، وكان وجود أختي معي في العام الأول عاملا لتسهيل كل الأمور ، وكنت أعتبرها مثلي الأعلى وأحبها حبا جما ، وكان تأثيرها كبيرا في حياتي ، وبخاصة عندما كنا نحن الاثنين في الكلية معا ، وقد تركت كل الأمور لها ، فقد كنت خجولة وغير مجربة ، فإذا ما سألتني أحدهم سؤالاً كنت أتوقع أن تجاوب إديث عليه وظلت الحال هكذا حتى تخرجت أختي واضطرت للذهاب لتحصل على الليسانس من جامعة أوهايو .

ورغم الخطابات التي كانت تصافى من إديث لم أتمكن من رسم صورة حقيقية لما ستكون عليه انتيوك . وعندما وصلت إليها لفت نظري شعور الود

الذى أظهره الجميع من قابليتهم ، فكان الجميع يكلمون بعضهم بعضا ويحاولون خلق جو من الزمالة والصداقة بين أبناء السكينة جميعا . ولم أدرك إلا بعد وقت طويل أن الحاجز الآوى موجود أيضا هناك ، ورغم الأدب والصداقة والود ، كان هناك فى مؤخرة العقول الشعور بالسيادة ، وهو الشعور الذى انغمس فى الأذهان منذ قرون بسبب المعتقدات والخرافات التى كانت تروج حول الزوج ، وهنا أيقنت تماما أن طالبة انتيوك هم كذلك ليسوا إلا نتاجا لمجتمع نخرت فيه العنصرية . ولكنى أرى لزاما دلى أن أعترف أن طالبة انتيوك كانوا يحاولون جاهدين أن يتغلبوا على تعصبهم هذا .

وكثيرا ما كانت تقاتل منهم بعض العبارات الساذجة دون وعى إذ يقولون : « أما أنت يا كورى ، فبالطبع الأمر يختلف معك . ثم يبدأون فى توجيه أسئلة إلى كنت دائما أثور لها مثل : « لماذا يصيح الزوج ويحدثون ضجة دائما ؟ لماذا لا يتمتعون بخلق كريم ؟ لماذا ينحرفون ؟ لماذا لا ينضم إلى انتيوك عدد أكبر من الزوج ؟ »

الشيء الذى لم يستطيعوا أبدا أن يفهموه أن روح الرائد لا توجد فى كل شخص ، فقد كان هناك العديد من الطالبة الزوج الموهلين لدخول انتيوك ، والذين بوسعهم من الناحية الاقتصادية دفع نفقاتها ، ولكنهم يرفضون ذلك ، لأنهم يعلمون أن المقابلة لن تكون حسنة ، سيشعرون بالعزلة ، كذلك فإن معظم الآباء من الزوج يأملون أن يختار أبنائهم شركاء فى أثناء حياتهم الجامعية ، ولم يكن هذا محتمل الوقوع فى انتيوك فى منتصف الأربعينيات ، لأن الاختلاط فيها لم يكن أكثر من اختلاط رمزى .

وكان الطالبة يمثلون قطاعا كبيرا من أهل المقاطعة ، وكان معظمهم من البيض ، وكان بينهم الكثيرون من الطلبة اليهود الذين أتوا من نيويورك . وكان بالفصل الذى أدرس فيه ثلاثة من الطالبة الزوج — أنا وطالبة أخرى ،

وطالب — وإذا أضفنا الزوج في فصل إديث لأصبح عددنا جميعا ستة .
والامر الذي كان يفضي هو أن الجميع توقعوا مني أن أصادق الطالب الزنجي
وأخرج معه ، وكان هذا التوقع صامتا ولسكني أحسست به ، ولم تسكن هذه
رغبتى ، فلم أكن أرغب في أن أصبح منعزلة اجتماعيا أو أن أتحمل تفرقة
اجتماعية ، ولذا فقد تعمدت عدم الخروج معه ، وقد يرجع هذا إلى شعور
بالاعتداد بالنفس من جانبي ، ولسكني في الواقع رفضت الاعتراف بالمبدأ
الذي يعتنقه البيض .

وبعد فترة طويلة طلب مني أحد زملاء البيض أن أخرج معه ، وكان
يهوديا ، ويحب الموسيقى ، وله ذهن متوقد ، ووجدنا أنفسنا نحب
نفس الأشياء ، وظلت صداقتنا قرابة العام إلى أن تخرج وغادر الكلية .

وكننت أقيم في غرفة مع فتاتين أخريين ، وقد مر وقت طويل قبل أن نتأقلم
جميعا على هذا الوضع ، رغم أننا لم نكن نحمل لبعض أى عدا .

ووجدت صعوبة في بادئ الامر في مواصلة دروسى . ورغم أنى كنت
أول فصلى في ماريون إلا أن تعليمى لم يسكن بالمستوى المطلوب ، وهذه حال
تنطبق على كل تلاميذ الجنوب. ولذا فقد كان على أن أحت الخطى في الدراسة
حتى أبلغ مستوى أقرانى ، وهذا لم يترك لى وقتا كافيا للقراءة والبحث ، وهى
أمور يجب على طالب الجامعة أن يفعلها . ولسكن في النهاية تمكنت من تغيير
نظامى وأخذت أقرأ بنهم ، وانتظمت في دررة للقراءة ، وكننت متقدمة فيها
عن كثير من الطلبة الذين يتمتعون بمزايا لأحصل أنا عليها .

ثم حدث أمر محزن ، كننت أول فتاة زنجية تحصل على شهادة للتدريس
الابتدائى ، وكان هذا يقتضى أن أفوم بالتدريس لمدة عام في إحدى مدارس
انقبوك الابتدائية الخاصة. وفي العام التالى ، وكننت قد ازدادت حبا للموسيقى ،
ولذا فقد قررت أن أنولى تدريسها ، ولسكن لجنة يلو سبرنجز التعليمية رفضت

الصباح لى بذلك ، فقد كانت لجنة رجعية ، ولما حاركت الاحتجاج قالت لى
رئيسة اللجنة إنه لافائدة ، فقد كانت سيدة من اللانى يؤمن بأن الله لم يكن
يسمح باختلاط العناصر . وكانت مدارس يلو سبرنجز مختلطة ، أما الجامعة
فكانت كلها بيضاء ، وهددتى هذه السيدة بأنى لو واصلت الاحتجاج فسوف
أعرض كل النظام التعليمى فى انتيوك للخطر .

ولسكنى رفعت احتجاجى إلى عميد جامعة انتيوك ، وكان رجلا لم يمض
وقتا طويلا فى المدرسة ، كما لم يكن من المؤمنين بالقضاء على العنصرية ، بل
الواقع أنه قيل عنه إن لديه كلبا يطلق عليه اسم « زنجى » ، فقد كان كلبا أسود ،
ولذا فلم يجد ما يقوله لى عندما تقدمت إليه بشكواى سوى : « وماذا تريدین
منا أن نفعله يا كورى ، ١٩ .

واقترحت عليه أن يتقدم بشكواى إلى مجلس لإدارة المدرسة ، ولكنه
رفض ذلك ، بإيعاز من السيدة الرئيسة .

ولذا فقد عرضوا على أمرين لاختار من بينهما ، فإما أن أذهب إلى
« اكسينيا » بأوهايو وأقوم بالتدريس فى مدرسة زنجية ، وإما أن أقبل
التدريس عاما آخر فى مدرسة انتيوك ، ولسكنى رفضت العرضين قائلة : « لن
أذهب إلى اكسينيا ، لأنى من ألاباما وقد غادرتها لأتخلص من التفرقة
العنصرية .

وقبلت التدريس فى مدرسة انتيوك عاما آخر ، ولسكنى أن صدمت
ويئست ، رغم أن بعض أساتذتى فى السكلية كانوا يشجعونى ، ومن بينهم
والتر اندرسون وجيسى ترايكلر ، وهما صديقان حميان لى . وقد شجعتنى أيضا
صديقى سالى بلوتسكين وطلبت منى مواصلة الاحتجاج ، بل واحتجت معى ،
كما وقف إلى جانبى كثير من الطلبة والأساتذة ، وأراد بعضهم أن يقوم بعمل
أى شىء ولسكنى دون جدوى .

وقد رت أخيراً أن أواجه الأمر الواقع ، وقلت لنفسي : دساً كون زنجية طيلة حياتي وعلى أن أواجه المشكلات ، وإن أتركها تقضى على ، بل ينبغي لي أن أقبل حلاً وسطاً الآن وإن كنت لا أظن أنه الصواب . سأواصل العمل بكل تصميم وعزم ، حيال هذا الموقف ، لأنني لا أريد لمن يأتون بعدي ، أن يروا بهذه التجربة المريرة التي أمر بها .

وهذه الحادثة هي التي جعلتني أنضم إلى جمعية التقدم بالملونين ، وكان لها فرع في أنتيوك ، كما كان بها لجنة للحريات المدنية ولجنة العلاقات العنصرية ، وقد انضمت إليها جميعاً وكان نشاطي بها ملموساً . كنت عاقدة العزم على أن أفعل شيئاً ، لا من أجل نفسي فحسب ، بل من أجل الناس جميعاً .

واعتقدت كلمات « هوراس مان » ، الشخص الذي أقام أنتيوك ، والذي قال في أول خطاب له للخريجين « يحق لكم أن تشعروا بالحنين إذا كنتم ستموتون دون أن تحصلوا على نصر للبشرية » .

وكثيراً ما يسألني الناس عن رأيي فيما فعلته أنتيوك بي . الواقع أنها فعلت الكثير بجانب تعليمي ، لقد علمتني كيف أحييا في مجتمع أبيض ، علمتني التفاهة السائدة فيه أن أواجه الأمور بشجاعة ، وألا أتوقع الكثير ، وأن أفهم ، دون أن أفتنع الأمور التي انغرست في أذهان البيض ويجدون صعوبة في التخلص منها . كما أنها دعمت إيماني بأن الماديات ليست هي كل ما في الحياة ، وليست الملابس الجميلة هي كل ما ينبغي أن يريده المرء . فالواقع أن الزى في أنتيوك لم يكن بالأمر الهام ، ولو أنني ذهبت إلى كلية أخرى ، أو حتى إلى كلية للزواج لضقت بالنفقات ، بل ولما تحممت كل ما كانت تتطلبه ملابسها من نفقات .

وكان أنتيوك لإجراء يقضى بأن على الطالب أن يمضي فترة في الدراسة تتبعها فترة عمل ، فكان عليه أن يعمل في ميدان ما يكتب « تقييماً » عن تجاربه

في هذا العمل ، وكان هذا التقييم جزءاً من المنهج الدراسي . وقد عملت كجرسونة ، في إحدى قاعات الأكل ، كما عملت كمشرفة اجتماعية في أحد المعسكرات التي تتبع أحد التجمعات السكنية ، وكان هذا المعسكر يختص بالموسيقى والفنون ، كما عملت لمدة خمسة أشهر في منطقة من الأحياء الفقيرة بكليفلاند ، وعملت في أماكن عديدة أخرى ، منها المكتبة العلوية ، ومكتبة الموسيقى ، ودور الحضانة في كل من انتيوك ويلوسبرنجز ، وعملت أيضاً في أحد فروع مكتبة نيويورك العامة .

وكان واحد من الأعمال التي كان على القيام بها أن أعود إلى مواطني وأساعد أبي في إدارة محله الذي افتتحه عام ١٩٤٦ . وقد نظمت له إدارة الأعمال بالمحل ، وكنت أورد على طالبات الزبائن ، وقد نجحت في هذا العمل حتى إن انتيوك شهدت لي بذلك ، وخلال أعماله هذه درست طرق معاملة الناس ، والعمل معهم ، وتحت إشرافهم ، وقدمت تقريراً عن كل عمل منها . واليوم ، عندما أعود لقراءة هذه التقارير ، أرى نفس فتاة متحمسة حساسة أرى فتاة أكاد أكون أنا قد نسيها تماماً .

وخلال إقامتي في انتيوك بدأت أدرس الموسيقى بشكل جدي ، وكان من حسن حظي أن جاء إلى انتيوك إبان الحريف والتراندرسون ليعمل رئيساً لقسم الموسيقى ، وأصبح من أكثر المدرسين شعبية بين الطلبة ، وكان له الفضل في تشجيعي لأقيم أول حفلة لي وكانت في سبرنجفيلد بأوهايو عام ١٩٤٨ وقد استقبلت فيها استقبالاً حاراً ، كما تمت بتقديم حفلات عديدة أخرى أيام دراستي الجامعية .

ويمكن القول إن تجربتي بشكل عام في انتيوك ساعدتني على تأكيد القيم التي اكتسبتها خلال طفولتي وصفي شبابي ، والواقع أن والدي ، رغم أنها أتباً للحياة في ظروف غير مواتية ، كانا يتوقعان لي الكثير ، وكان أبي كثيراً ما يقول إنه كان الأول في فصله دائماً ، وكثيراً ما كان يشجعنا لنبذل أقصى جهد في أي

عَملَ نَقومُ بِهِ مَهما يَكن نَوعه ، وَكان يَشمَعنا خَاعة في دَراستنا وَنَحنا عَلى التَفرُوق فيَها .

وَكان بَرنامِج دَراستى في أنَتيوك يَعطى أَهمية خَاصة لِشَخصية الدارس وَكيف يَمكن أن تَبنى ، وَقد ساعَدنى هَذا في بَناؤ شَخصيتى ، وَأَصبَح كل مَدى أن أواصل الجَهد لِأَنتَوق وَلابى شَخصيتى ، وَزاد في هَذا الجَهد ما كان هَذا البَرنامِج يَهدف لِإِليه ، وَالتَجارِب الِتى كَنا نَمر بِها ، وَكانت بِمَناة الخَطوات الأولى في مَشكلاتنا التَعلِمية . وَقد أيقَنت تَبعاً لِذلك أن الفَرد ، بل وَالمَجمَع ، يَستَطيع أن يَصل إلَى ما يَبغيه من حَياة ديموقراطية مِثلى .

وَكانت الأَعمال الِتى نَقوم بِها لِخدمة البَشَريّة تَعرِز اقْتِناعاً بِالْمَبْدَأِ المَسيحى الِذى ينادى بِالْعَطاء وَالِاقتِسام ، وَهو المَبْدَأُ الِذى لَقَنه لى وَالدائى ، وَخاصة أبى ، وَقد تاكدا كَثر فأَكثر في خَاطِرى ما كَنت أَشَهدُه من تَفاؤى مَدرَسينا في عَملِهِم .

وَالوَاقِع أن الفَرص كانت كَثيراً ما تَتاح أَمامى في أنَتيوك لِلتَطور ، فَقد تَمكنَت وَأنا طالِبة أن أَشَركَ في بَرنامِج مَعَ المَفتى العالِمى بول رُوبسون ، الِذى اَمتدَح صَوتى وَشَجَعنى عَلى مواصلة التَدريب . وَعَندما غادَرت أنَتيوك كَنت عَلى ثَقة من أَنه يَستَحقُّ عَلى أن أَعْمَلَ عَلى تَطوير إمكانياتى الغَنايَةِ ، وَلِذا فَقد وَجَدت لِزاماً عَلى أن أَدخَلَ أَحَدَ كَرَنسَر فَاتَوارات المَوسيق لِمواصلة الدَراسة .

ماذَا فَعَلت أنَتيوك لى ؟ خَلاصة القَول أن أنَتيوك أَعطَتنى فَهما واسِماً لَقيمة نَفسى ، وَغَرَسَت في الثَقة بِالنَفس ، فلم أَعُد أَحس بِشَعرِ النَقص لِأَنى زَنجية بل أَصَبَحَت أَثق بِنَفسى ثَقة شَجَعَتنى عَلى أن أَقف مَنافِسة لِأَي شَخص ، مَهما يَكن عَصره أو أَصله أو ثَقاته ، وَمَهما يَكن نَوع هَذه المَنافِسة وَشَروطها ، كانت تَجرِبُنى في أنَتيوك عَصرها ما في سَبيل إَعدادى لِلدور الِذى قَدر لى أن أَقوم بِهِ كَزَوجة لِمارتِن لُوثَر كِينِج الأصغر ، وَكَمَعضو في الحَركة الِتى كان يَقومُ بِها .

(٣)

وتركت أنتيوك عام ١٩٥١ وأنا أشعر أن الوقت الذى أمضيته بها كان بمثابة إعداد قيم لما أنوى أن أقوم به بعد ذلك. وقد كانت المعرفة التى حصلت بها هناك ، والوسائل التى سلكتها للحصول على هذه المعرفة ، والتجارب التى مررت بها فى هذه الفترة من حياتى الذهنية بمثابة تعويض لى عن كل النقص الذى عانيت به فى حياتى التعليمية ، كما كانت كل هذه سبيلا إلى اتساع أفقى وإثراء حياتى. وكانت دراستى فى أنتيوك الدعامة التى أحسست أنى أستطيع أن أبني عليها حياتى وعملى فى ميدان الموسيقى . والحقيقة أنى كنت دائما تواقا إلى تطوير مواهبى وكل نواحي شخصيتى حتى أسهم بها جميعا فى خدمة المجتمع ، لأنى كنت ممن يؤمنون كل الإيمان أن كل فرد من البشر خلق لهدف ما ، وأن عليه دورا يجب أن يؤديه فى حياته ، وأنه يحمل مسؤولية تجاه نفسه ، وتجاه الآخرين ، وتجاه ربه ، وأن هذه المسؤولية تختم عليه أن يخدم مجتمعه ، حسب قدراته وإمكاناته .

وقد شجعنى على مواصلة دراساتى الموسيقية اثنان من مدرسى الكلية كنت أكن لهما كل إجلال واحترام ؛ وهما : والتر اندرسون ، وجيس ترايشر . وأصبح حلمى فى الحياة أن أدرس فى الكونسرفتوار .

وكان الدكتور أندرسون ، وهو فى ذلك الوقت الزنجرى الوحيد بين أعضاء هيئة التدريس فى أنتيوك ، شخصا متعدد المواهب ، ومنها موهبة فذة للموسيقى ، فكان يحب موسيقى باخ حبا جما ويعرفها كلها عن ظهر قلب ، ولذا فقد أصبح مثلى الأعلى هو مدرس الموسيقى فى مدرسة لينسكولان الثانوية . وقد تخرج اندرسون من كونسرفتوار أوبرلين ، ولذا فقد نصحتنى بأن أتقدم إلى خمسة من معاهد الموسيقى الكبيرة فى أمريكا .

وأنحصر الاختيار في نهاية الأمر بين معهد جوليارد ، في نيويورك ومعهد نيوانجلند ، بوسطن ، وكان شعوري الشخصي يحذرنى من المعيشة في نيويورك. وكانت لى بعض التحفظات على إمكان تكيف حياتى هناك ، فقد كانت آخر تجربة للعمل لى فى هذه المدينة ، وقد وجدت ظروف المعيشة بها صعبة وأنا طالبة . وما من شك أن مدينة نيويورك تعتبر قبلة الثقافة والفن فى أمريكا ، ولكننى كنت أشعر أن الأحوال بها بما تحمل من مشاق ومنافسة — مبتطعن طالبة مثلى . ولذا فقدت ارتضيت بوسطن ، وهى لا تقل ثقافة وتقدما عن نيويورك ، ولكن ظروف التأقلم عليها أسهل بكثير . وبمجرد أن استقر رأيى على هذا الاختيار وصاقتى رسالة تخبرنى أن معهد بوسطن قبل طلبى وقررت أن أذهب إليه .

وساعدتنى المسز جيس ترايشر على التقدم لبعض المؤسسات للحصول على منحة دراسية . وكتبت لى مايقرب من ١٢ خطاب توصية ، لهذه المؤسسات ، وللبعض العاملين فيها ، تطلب لى منحة مالية تعاوننى على الاستمرار فى الدراسة ، وكان من بين هذه الخطابات خطاب لمؤسسة جيمس سميث .

وقد ردت المؤسسة بأن مالدتها من المنح قد استنفدت للعام المقبل ، ولكن إذا تغيب واحد من الحاصلين على المنح فسيبحثون فى أمر منحها لى ، وشعرت ببعض خيبة الأمل ، وعدت لى ألاباما بهذا الشعور لزيارة أمتى . وأستعد للعام الدراسى ، ورغم أن أحوال أبى العائلية كانت تسمح له بالإففاق على فى المعهد ، إلا انى رفضت أن أطلب منه ذلك ، فقد أحسست أنى أعتمد عليه أكثر من اللازم ، ولذا فقد عقدت العزم على الذهاب لى بوسطن . منحة أو لا منحة .

وعند تأهبنى للرحيل سألتى أبى : « وماذا ستفعلين لو لم تحصلى على المنحة ؟ » ، وأجبت : « سأعمل ، سأعمل وأدرس فى نفس الوقت » .

وغادرت ألاباما وأنا لأحمل معى سوى أجرة التذكرة وبعض النقود لمهر وفات نثرية. وعند وقوفى فى نيويورك اتصلت بليفوتيا بأسرتى فأبلغونى أن مؤسسة جيمس سميث قد بعثت بخطاب يحمل منحة لى مقدارها ستمائة وخمسون دولارا للدراسة فى كونسرفاتوار نيوانجلند. لقد استجاب الله لدعائى .

وفى ذات الوقت كانت المسز جيس ترايشر قد بعثت معى بخطاب لى سيدة تدعى مسز بارتول ، وهى من أنتيوك وإن كانت تقيم فى بوسطون فى منزل كبير على أحد تلال المدينة .

ولما بلغت بوسطون توجهت لى منزلها فقابلتقى بعطف شديد وطلبت منى الإقامة معها نظير سبعة دولارات فى الأسبوع ، بما فى ذلك طعام الفطور ، وكان هذا أجرا معقولا للغاية ، ولكن ظروفى المالية كانت لا تسمح حقى به ، والمنحة لا تتضمن مهر وفات الإقامة ، ولذا فكان لزاما على أن أجد عملا أتكسب منه ما ينفق على معيشتى ، ورغم هذا فقد قررت أن أسجل اسمى فى المعهد كطالبة مستديمة طول الوقت .

وكانت أياى الأولى فى بوسطون عصبية ، فقد أنفقت مامعى من نقود ، وكان لا يتعدى ١٥ دولارا ، ورغم أنى لم أطلب أى مصروف من أسرتى ، إلا أن أسمى وعدت بإرسال بعض النقود بين القيمة الفينة ، ولكن هذه النقود لم تصل ، وكنت مفلسة تقريبا ، ومع ذلك كنت مصممة على أن أقتصد ٢٥ سنتا أجرة الانوبيس لى المعهد فى اليوم التالى ، كنت أحفظ هذا المبلغ بعيدا عن مصروفى ، ولا أتغذى إلا على زبدة الفول السودانى وبعض « القرايش » .

وذات يوم ، وبعد أن تناولت طعام الفطور كالعادة ، بدأ الذعر يساورنى فلم أكن أملك سنتا واحدا ، ولم أكن أدرى ماذا أنا فاعلة . . . ودق جرس التليفون وكانت المتكلمة سيدة تدعى المسز برثاورملى كنت قابلتها فى نيويورك خلال اجتماعات عرض الزواج القومية ، وكانت صديقة حميمة لإحدى صديقاتى .

وقالت المسزورملى إنها تسأل عن أحوالى ، وعما إذا كنت بحاجة إلى شيء ؟ وكان البريد قد وصل ولم أجد به خطابا من أسرتى ، وتأكدت أنى فى ورطة ، ولسكنى مع ذلك لم أجد الشجاعة لأطالب من المسزورملى نقودا ، فقد كنت معتزة بنفسى وأخجل من مثل هذا الطالب ، ولسكنى أيقنت أخيرا أنه لابد مما ليس منه بد .

ولم تتردد برثا ورملى لحظة واحدة ، وكانت تعمل فى مبنى الولاية القريب من مكان إقامتى ، وقالت لى : احضرى حالا وأنت فى طريقك إلى المعهد ، وساعدك ماتحتاجين إليه من نقود . وحاولت أن أوكد لها أنى سأرد دينها بمجرد أن أتمكن من ذلك ، ولكنها ردت قائلة : « فلنترك هذا الأمر لأحفادنا » .

وبعد أن تركتها وتوجهت إلى المعهد ، جلست فى المترو وفتحت الظرف الذى أعطته لى ، وكان به ١٥ دولارا ، وانهمرت الدموع من عيني وقلت لنفسى : « لا يزال هناك أناس طيبون فى هذا العالم . وإذا ماغرك اليأس فإن شخصا مثل المسزورملى يظهر ليعيد ثقتك إليك » .

وحق يومنا هذا لم تقبل أن أرد لها هذا المبلغ ، وحتى هذا اليوم لم أنس أنا صنيع هذه المرأة التى كانت تسكاد تعرفنى ، ولكنها لم تتردد فى مساعدة فتاة صغيرة تحاول أن تبني حياتها .

ولقد كانت المسزورملى شخصا فريدا يشارك الزوج كثيرا من شعورهم فى هذا العصر ، بل وفى عصرنا هذا أيضا ، شخصا نال بعض النجاح فى مجهوداته هذه ، وكانت واحدة من مجموعة من الناس كرسوا جهودهم لمساعدة الشباب من عنصرهم ، رغم ما كانوا يلاقونه من متاعب وتعبيدات .

وبعد هذه الحادثة طالبت مدرستى من المسزورملى أن تجد لى عملا عندها ، ووافقت على أن أقوم بأعمال النظافة فى منزلها الفسيح ، وكان به عدة غرف

للنوم ، وصالات ، وسلام ، وكان يقيم به اثنان من الطلبة البيض ، وكان يساعدني في العمل طباطخ واثنان من الخادومات الايرلنديات ، وقد علمتاني كيف أمسح الأرض وأمارا كعة على ركبتى بالاسفنج والصابون ، والواقع أنه كان عملا مرهقا .

وتولى أجرى من هذا العمل دفع نفقات إقامتي وإفطاري ، ولكنني كنت مازلت بحاجة إلى نقود للوجبات الأخرى وللنفقات الثرية ؟ ولذا فقد أقتنعت المسن بارتول أن تدفع لي مبلغا صغيرا لظير قيامي بغسل « الباضات » يوم السبت من كل أسبوع . ولحسن الحظ لم أضطر إلى الاستمرار طويلا في هذا العمل . ففي نوفمبر حصلت لي عصابة الزنوج القومية على عمل إضافي في إحدى شركات البريد . وقد تدهشون لسردي كل هذه التفاصيل عن مشكلاتي المالية ، ولكنها في الواقع تمثل الصراع المرير الذي يمر به شباب الزنوج حق يومنا هذا.

وتشاء الظروف أن أحصل في العام الدراسي التالي على منحة من ولاية ألاباما ، وقد يبدو هذا غريبا ! ولكن الحقيقة أن ولاية ألاباما كانت تريد أن تبقى مدارسها منفصلة عنصريا ، ولذا فقد كانت الولاية تمنح الطلبة الزنوج المساعدات التي تسمح لهم بمواصلة دراساتهم في جامعات خارج الولاية التي لا تسمح بالاختلاط .

وكنتم أهتم كل الاهتمام بالتدريبات على الغناء ، فقد كان هذا كل ما أريده ، حتى إلى يومنا هذا ، رغم كل مامرت به من أحداث ، وكنتم عاقدة العزم على أن أحصل على أعلى مراتب التدريب ، ولكن دروس الغناء كانت باهظة التكاليف ، ولكن لحسن الحظ كان عملي في الكونسرفاتوار مرضيا لدرجة أني منحت مبلغا إضافيا مقداره مائة دولار لإكمال دراستي .

ويبدو أنني وصلت إلى هدفى وكنت أخلق لي مستقبلا ، ويبدو أن القدر هو الذي صافني إلى بوسطن ، لأنني هناك قابلت مارتين لوثر كينج . ولم أكن

من المؤمنين بالقدر ، ولم يكن مارتن كذلك ، القدر بمعناه المطلق ، الذى يقف أمام كل محاولة للتغيير ، ولسكننا كنا نشعر أن الله سبحانه وتعالى قد وجه خطواتنا إلى هذا الاتجاه لانه كان يريدنا أن نخدم ، كان يريدنا أن ننفذ رغباته الإلهية .

وأنا من يؤمنون بأن حياة كل فرد لها خطة ولها هدف ، وبأن هناك قوة فى العالم ترمى إلى إقامة مجتمع سلام وحب وإخاء ، وإن الله يختار من بين البشر من يستطيعون مسابقة هذه القوة ، بقدرته سبحانه وتعالى ، لينفذوا ما أمر الله به .

ومنذ طفولتى كانت الآمال ترادونى بضرورة نجاحى ، وبأنى وجدت لخدم البشرية . والآن أقول إن القدرة الإلهية هى التى ساقتنى إلى مارتن لوثر كينج لأقف بجانبه كزوجة وأحقق آماله كلها . وتعارفنا كالأشباب عادييين ، واسكن كل شيء كان يوحى بالطريق الذى قدر علينا أن نسير فيه .

كل هذا لايعنى أنى كنت أرى الغيب أو أتنبأ بما سيحدث ، بالعكس ، فلم أكن أفكر فى الزواج قط . وكان كل اهتمامى ينصب على دراساتى الموسيقية ، وكنت قد وصلت إلى درجة تؤهلنى لبعض النجاح فى هذا الميدان ، ورأيت أن الفرصة قد واثقتى لاختبر هذا بنفسى ، حتى لو كان هذا الاختبار لن يؤدى بى إلى الاحتراف . كنت أشعر أنى بهذا الاختبار سأطمئن نفسى إلى أنى طورت أية موهبة لدى . لقد انتظرت أعواماً طويلاً ، والآن يجب أن أفعل شيئاً ، مادمت أوجد فى هذا المجال الموسيقى . وكنت سعيدة للغاية .

ولكننى قابلت مارتن لوثر كينج ، المسؤول عن تغيير كل هذا ، خلال عامى الدراسى الثانى .

تقابلنا عند صديق مشترك ، مارى باول ، وكانت تسكن بى قليلاً ، ومتزوجة أحد أقرباء الدكتور بنيامين ميز عميد كلية مورهاوس بأنلاتنا ، وقد أحبتها

جدا ، لذلكهما ومرارتهما ، وكنا نحن الاثنين من أبناء الجنوب ، وكان معظم الطلبة والطالبات بالمعهد أصغر منا بكثير .

وبالطبع لايجدر بى أن أنسى أن أقول إن من أسباب صداقتنا أيضا أن المعهد لم يكن به العديد من الطلبة الزنوج ، فلم يتجاوز عددهم ١٥ أو عشرين ، بما فى ذلك الطلبة المنتسبون .

وقد يدهش القارئ لذلك ، وخاصة إذا ما عرفنا أن معظم الموسيقيين فى أمريكا ، ولاسيما فى ميدان موسيقى الجاز والموسيقى الشعبية من الزنوج . ورغم هذا التصور فإنك كثيرا ما تسمع الأمريكى الأبيض يقول : «إن فلانا الفلانى من الزنوج له صوت وموهبة تؤهلانه للاشتراك فى أى فرقة سيمفونية ،

ما الذى صنعته أمريكا بسكانها البيض ؟ صنعت منهم جماعة من السذج غير العارفين بأمور البشر ، بل وجعلتهم — دون أن يشعروا — قساة القلوب ، لقد كان الموسيقيون البارعون من الزنوج لا يستطيعون ممارسة التدريبات العلنية فى معاهد متخصصة ، وحتى لو تيسر لهم هذا ، فقد كان من الصعب عليهم العثور على عمل . . . أتعرفون كم عدد الموسيقيين الزنوج فى الفرق السيمفونية خلال عام ١٩٥١ ؟ ولا واحد ؟ ؟

ولعل أسوأ مظاهر التفرقة هو ضياع مثل هذه المواهب أدراج الريح ، وتحطيم حياة الموهوبين من الزنوج ، رجالا كانوا أم نساء .

ولم تسكن هذه المشكلة مقصورة على المعهد ؛ فلم يكن ببوسطن كلها العديد من الطلبة الزنوج فى أى ميدان . ورغم أن الشمال لا توجد به التحذيرات والعلامات الموجودة فى الجنوب ، إلا أننا كنا نشعر أننا أشخاص غير مرغوب فى دخولنا الكثير من المطاعم أو الملاهى ببوسطن . وكنا نغضى معظم أوقات فراغنا فى مطعم يكاد يكون مقصوراً علينا أو فى حفلات خاصة نقيمها فى

منازلنا . ومن الطبيعي في مثل هذه الأحوال ان يتجمع الطلبة الزوج بعضهم مع بعض ، ويتعارفوا ، وتحدث صداقات ، وحب وزواج .

وكانت ماري باول نفسها من الاشخاص المولعين بالربط بين الناس بالزواج ، رغم أنني علمت فيما بعد أن مارتن هو الذي أوعز لـإليها بالفكرة . وفي ذات يوم من أواخر يناير عام ١٩٥٢ قالت لي ماري : هل سمعت عن مارتن لوثر كينج الأصغر ؟ وعندما أجبتها بالنفي ، بدأت تقص على قصته وتقول : إن الدكتور ميزري فيه شابا متوثبا ، وهو طالب في جامعة بوسطن ، يدرس للدكتوراه ، وهو في الواقع قسيس مشيخي يعمل مع والده في كنيسة ، كنيسة ايبزر المشيخية بأتلانتا ، وهو يلقى بغطائه في الكنائس المجاورة لبوسطن ، والكل يجمع هلى نبوغه ، ولذا فأنا أريد أن تقابلينه .

ولكنني في الواقع لم أهتم به ، وخاصة عندما ذكرت ماري أنه قسيس ؛ فقد ظننت أنه شخص على نفس نمط القساوسة الذين سبق أن قابلتهم ، متمسكين بأصول الدين ، ولهم نظرة ضيقة للأمور ، ويسرفون في تدبيرهم . وما من شك أن الإيمان الحقيقي أمر مهم ، ولكن للقساوسة الذين كنت أراهم يتنقلون بين الناس وهم يحملون على وجوههم نظرة قداسة وتقوى ، كما لو كانوا يرتدونها مثل ما يرتدون زيهم التقائدي ، ولذا فقد تحيزت جدا ضد كينج الشاب ، لأنه قسيس ، وكنا نحن الامة قديمين نعتقد أن التعميد يجب ألا يتعدى النثر بالقطرات ، لا أن يغمس الشخص بأكمله حتى يطهر . ولذا فكثيرا ما كنت أسمع أبي وأمي يتناقشان مع المشيخين في هذا الموضوع ، ولذا فلم أرد أبدا أن انضم إلى الكنيسة المشيخية .

والواقع أن موقفي هذا كان ينم عن تمييز تافه سطحي ، ففي قرارة نفسي كنت أعتقد أن كنيسة ، بل والكنائس الأخرى كلها تأخذ مثل هذه الأمور بعاطفية تفوق الحدود ، ورغم أني كنت متدينة للغاية ، إلا أنني كنت أحاول بتفكيرى أن أبعد بقدر الإمكان عن أصول الدين . وبعد مغادرتي انديوك

كنت أرغب أن أنضم إلى كنيسة أو هيئة دينية تكون أكثر تحورا من الكنيسة التي ترعرعت في تعاليمها ، ولذا فقد حاولت دراسة مذهبي الصحابة (السكويكرز) والوحدريين . كنت في الحقيقة غير راضية عن التنظيم الديني كما عرفته ، ولذا فقد أخذت أبحث عن عقيدة أقتنع بها .

لهذا السبب ، ولغيره من الأسباب ، لم أكن من المواظبين على الذهاب إلى الكنيسة عندما وصلت إلى بوسطون ، كنت الزنجية الوحيدة التي تعيش في الحي الذي أقت فيه ، ولذا فلم أكن أشعر بالارتياح للتردد على الكنائس الموجودة به ، وعزيت نفسي قائلة : « أستطيع الصلاة وأنا في غرفتي » .

أما ماري باول فالواقع أنها تعرفت إلى مارتن في اتلانتا عندما كان طالبا وكانت هي طالبة ، ثم تقابلا ثانية في بوسطون ، وكانا يتناولان طعامهما في نفس المطعم ، وكان المطعم يقع بجوار الكولسر فاتوار ، ويتجمع فيه دائما الطلبة الزنوج ، فقد كان يقدم أصناف الطعام التي اشتهر بها الجنوب ، ولكني أنا لم أكن دائبة التردد عليه ، فقد كنت أقيم بعيداً عنه في « بيكون هيل » .

و ذات يوم قال مارتن لماري : اسمي ياماري . . لقد بدأ الياأس يدب إلي ، فقد تعرفت هنا إلى فتيات عديدات ، ولكني لم أعجب بواحدة منهن ، فهل تعرفين فتيات ذكيات جذابات ؟ .

وذكرت ماري اسم اثنتين من الفتيات ، وكان مارتن قد تعرف إلى واحدة منها بالفعل ، ولذا فقد سألها : ومن تكون الفتاة الأخرى ؟ .

وقالت ماري : « كوريتا سكوت » . . وبدأت تعدد منافي كما ذكر لي مارتن فيما بعد ، ولمكنها حذره بأنى لست ممن يتمسكون بأهذاب الدين ، وبأنى قلبا أذهب إلى الكنيسة . وقد أخبرني هو بذلك أيضا فيما بعد ، وبأنه هو نفسه لم يتأثر كثيرا بهذه المعلومات ، فهو في الواقع لم يكن يبحث عن

زوجة متناهية التدن ، أو ضيقة الأفق في هذا المجال ، ولذا فقد طلب رقم تليفوني من ماري ، وبعد محاولات مقنعة من مارتن ، أعطته ماري الرقم .

ولما طلبني تليفونيا وقال إنه هو مارتن لوثر كينج ، لم أعرفه لأول وهلة ، ولذا فقد استطرده يقول : د لقد حدثتني عنك صديقة مشتركة ، وهي التي أعطتني رقم تليفونك ، كما أثنت عليك جدا ، ولذا فقد رغبت في التعرف إليك . .

وعندئذ بدأت ذا كرتي تسعفي وقلت : د لقد سمعت الكثير من الثناء عليك ، أنت أيضا ، وعندئذ تشجع مارتن وأخذ يتكلم . وتكلم بطلاقة وسهولة لم أعهدهما في أحد من قبل ؛ إذ قال : تعلين بالطبع أن لكل نابليون في هذه الدنيا معركة وارتلو ، وأنا أشبه نابليون ، فأنا الآن أمر بتجربة معركة وارتلو ، لقد سقطت على ركبتي ، .

وأعجبني التشبيه ، وتحدثنا طويلا عن دراساتي وعن أعماله هو ، ودراساته تحت إشراف البروفيسور ادجار برايتمان .

وأخيرا قال : د أريد أن أقابلك لنواصل الحديث ، ما رأيك ، في الغداء غدا أو في أي موعد آخر ؟ .

ولما كنت غير مرتبطة بأية مواعيد فيما بين الساعة الثانية عشرة والواحدة في اليوم التالي وافقت . وقال مارتن : د سأمر عليك ، فإنني أملك سيارة ، ولن أستغرق أكثر من دقائق للوصول إليك من جامعة بوسطن ، وإن كنت سأقطع المسافة غدا في سبع دقائق ، .

وانتظرت في اليوم التالي على سلم الكولسرفاتوار ، وكان يوما قارس البرد مطيرا ، ولذا فقد لففت د كوفية ، صوفية على رأسي ، وزررت معطفي لأنقي البرد . ووقفت السيارة الخضراء أمام السلم ولحمت وأنا أنزل درجاته

شابا يجلس إلى عجلة القيادة ، وكانت أول بادرة إلى ذهني ، أنه يبدو قصير القامة ، ، ثم ، إن منظره ليس فيه ما يشير أية فتاة ، .

وتوجهنا إلى مطعم في شارع مسا شوسيتس ، وتناولنا طعام الغداء ، وخلصت معطفي ، وكوفيق ، ، ومازات أذكر لونهما وشكلهما حق يومنا هذا وأخذ مارتن يتفحصني بنظراته ، وكنت أترك شعري طويلا ، وقد أعجبه ذلك كثيرا ، وعبر عن إعجابه ، واحسست بالخجل ، ولكفي حاولت ألا أبدو أمامه وأنا خجلة ، حاولت أن أحفظ بثباتي ، وأنا في العادة شخص ثابت.

وكان هذا أمرا مثيرا دلي في هذه الفترة ، فقد اسيت في هذه اللحظات القصيرة أن مارتن قصير القامة ، وأنه لا يبدو جذابا ، فبهجرد أن بدأ يتكلم أخذت قامته تطول ، حتى في أيام شبابه ، كان له أثر السحر في الناس ، وكانت طلاقته تفعل فعلا ، لما تحمله من إخلاص وخلق . وعرفت لتوي أنني أمام شخص غير عادي .

وأخذت ملاحظته تتحسن أمام عيني كلما تكلم ، كان قويا ومقنعا ، ووافقا من نفسه ثقة الرجولة ، يعرف تماما إلى أين يتجه ، والسبيل التي سيسلكها ليصل إلى هدفه . ويبدو أنني أبدت بعض الملاحظات الذكية في أثناء حديثنا ، فقد بادرني قائلا : ، إنك تعرفين الكثير عن أمور غير الموسيقى ، .

ثم اضطررنا للعودة إلى الكونصر فاتوار ، وفي السيارة نزل على مارتن صمت مفاجيء ثم قطعة أخيرا بقوله : ، هناك شيء أريد أن أخبرك به ، .

وسألته : ، ما هو ؟ ،

وبهدوء وثقة قال : ، إنك تمثلين كل ما أريده في زوجتي ، فأنا أشرط فيها أربعة أمور ، وأنت تملكينها جميعا ، .

وسألته ببعض الدهشة : ، إنك تسكاد تعرفني ، .

وأجاب : « نعم ، ولكن هذه الأشياء الأربعة هي : ، الخلق ، والذكاء ،
والشخصية ، والجمال وأنت تملكينها كلها ، متى أستطيع أن أقابلك مرة أخرى؟
وأجبت وأنا أحاول جاهدة الاحتفاظ بهدوني : « لا أعلم ، يجب أن أعيد
النظر في برنامجي ، فهل تطيني تليفونيا فيما بعد ؟ » .

وقد يبدو غريبا للقارئ أن مارتن عرض على الزواج بعد أول مقابلة ،
ولكن يبدو أنه فعلا كان صادقا في البحث عن الزوجة ليتم زواجه بأسرع ما يمكن ،
فقد كان قد رسم طريقه في الحياة ، ويريد أن يجد شريكه له في هذا الطريق .
وقد يعني هذا أنه كان شخصا بلا عواطف ، ولكن الواقع يخالف ذلك تماما .
والحقيقة أن مارتن كان متقدما كثيرا عن سنه ، وكان يفهم نفسه فهما تاما ،
ويعرف المرأة التي يحتاج إليها بجانبه . وكان الأمر يبدو وكأنه لا يريد أن
يرتكب خطأ ما ، وكأنه يريد أن يحزم أمره بسرعة ودون خطأ ، ليواصل
المسيرة . كان هذا شكل فترة خطبتنا ، بل كان هذا هو الشكل الذي سارت
عليه حياة مارتن حتى النهاية . ويكفي أن نعدد كل ما قام به من أعمال قبل سن
التاسعة والثلاثين .

ولما وصلت إلى غرفتي بعد هذه المقابلة كنت أتمنى لو أن مارتن ليس
جادا فيما قاله عن الزواج ؛ فقد كنت أخشى أن تعترض دراساتى مثل هذه
الأمور ، وكنت في قرارة نفسي أحس أن هناك أمرا سيءترضها ، ولم أكن
صغيرة في السن ، وكثيرا ما ظننت أنى وقعت في غرام ، ولكن العلاقة كانت
دائما تنتهى ، ولذا فقد قررت ألا أدخل في أية علاقة عاطفية إلى أن أؤكد
تماما من شعورى ، وقلت لنفسى : « ان أعطى صورتى بعد ذلك إلا للرجل
الذى سيصبح زوجى ، » .

أما فيما يختص بمارتن فقد كنت أحس أن الأمر لن يسير على هذا المنهج
رغم محاولاتي العديدة للوقوف مدافعة عن إحساساتى . كنت محيرة تجاهه ،

لأنه كان يبدو لي شخصا جادا ومخلصا في كل مايقول . وكنت أحاول تهدئة نفسي بأن أزعج لها أن كل الرجال يحاولون المدح ويقولون إنهم مدلهون بالحب . لكن بلا جدوى ؟؟ ورغم أني تأكدت أن مستقبل ، والعمل الذي أعددت له نفسي ، تتعرض كلها للخطر ، إلا أني كنت واثقة تماما أني سأراه مرة أخرى . وحاولت أن أجد تفسيراً منطقياً لهذا ، وقلت لنفسي إنه شاب ممتاز . ولذا فسأحاول أن أمنح نفسي مهلة من الوقت لأرغب مااستجى به الأيام .

وطلبني مارتن بالتليفون في اليوم التالي ، وحدد موعدا للاقائنا يوم السبت المقبل ، ولما قلت له إنني مدعوة عند بعض الأصدقاء ليلة السبت ، وأنه يستطيع أن يصحبني إلى هذا الحفل ، وافق على الفور .

وذهبنا إلى الحفل في سيارته ، وفي الطريق مررنا على ماري باول ، وقال لها مارتن : «إني مدين لك يا ماري بألف دولار ، لأنك عرفتني بهذه الفتاة ، وقد فرحت لما قاله رغم محاولاتي العنيفة لمقاومته .

ولما وصلنا إلى الحفل احتاطته الفتيات يسألونه عن نفسه ويقطن لمن سمعن الكثير عنه .

وبدا عليه السرور لمثل هذا الاهتمام ، ولكن يبدو أن سروره كان مرجعه في الحقيقة أنه سيستطيع بهذا أن يؤثر في ، فقد كان مارتن محبوبا جدا من الفتيات ولا يحس معهن بأى خجل أو ضيق ، وكان يقول لي : « إن النساء يعبدن البطولة ، وما من شك في أنه كان الأعزب المرموق في كل منطقة بوسطون آنذاك .

وفي الحفل طامني مثل مايعامل الشاب المذهب الفتاة التي تصاحبه ، باحترام وتقدير ورعاية ، ولكنه في الوقت ذاته كان سعيدا جدا بالتفاف الفتيات حوله . وكنت أنا في منتهى الهدوء ، أحاول أن أبدو وكأن مايجري لايهز في شعرة ، والواقع أني كنت مجرد صديقة ، ليست لي عليه أية حقوق ، ولكني بالفعل تأثرت .

وفي الطريق إلى المنزل عرفت أن الأمور تسير كما أشتتها .

وفي اليوم التالي جاء مارتن لمقابلتي ومعه زميله وصديقه فيليب لينور ، وهو شاب من برمنجهام بالآباما ، ويدرس مع مارتن في كليته . وكان هو كذلك ابن قسيس ، ويعمل قسيسا أيضا . وبدأ لي أنه يرضى عن صديقة مارتن الجديدة .

وطلب الاثنان مني أن أذهب معهما إلى أيفريت حيث سيلقى فيليب موعظة ، ولكنني رفضت واعتذرت وقلت إن إحدى الزيلات أشعر بصداق ويجب علي ألا أتركها .

وبدأ مارتن يتابعني . وهذا لا يعني أني كنت أحاول الهروب منه ، بالعكس فقد أمضينا معا أوقاتا سعيدة وخرجنا في نزهات مرحة ، وتبادلنا أحاديث ممتعة ، بعضها كان في منتهى الجدية . وكان مارتن يتمتع بذهن باحث مثقف ، وبدأ يحدثني عن الفلسفة ، وبدأت أنا أشعر بمدى عمق تفكيره . وقد درس مارتن الفلاسفة الألمان ، مثل : كانت وهيغيل ونيتشة . وكان متأثرا بهيغيل ويكره نيتشه ، ويقول إن كتابه إرادة القوة يدفعه إلى اليأس تماما عندما يحاول أن ينشر بين الناس تعاليمه التي تقول إن السلاطة لا تنأق إلا بالحب ، وإن كانت تعاليم نيتشه تبين مدى قوة تعاليم هيغيل المعارضة لها ، والقي تنادى بالمثالية السهلة .

وكان مارتن يعجب من بين المفكرين المعاصرين براينولد نيبور ، كما يعجب بكتاب والتر وشنبوش المسيحية والازمة الاجتماعية . وقد ترك هذا الكتاب أثرا لا يمحي في ذهن مارتن وإن كان رأيه في المؤلف أنه كان ضحية للفكر السائد في القرن التاسع عشر ، والذي ينادى بحتمية التقدم .

وكان مارتن قد قرأ بالطبع كارل ماركس ، وكان يقول إن قراءته له قد أفنعتة بأن الماركسية أو الرأسمالية التقليدية ؛ لا تحملان في تعاليمهما

الحقيقة كاملة ، بل مجرد جزء منها ، وقال : « لا يمكننى أن أصبح شيوعيا أبداً ، لقد كان أبى رأسماليا صريحا ، ولكنى لا أستطيع أن أصبح رأسماليا أبداً . وأنا أعتقد أن مجتمعا يجمع فيه الشخص ما يستطيع من ثروات بغض النظر عما يحدث لغيره ، وبغض النظر عن احتياجات الآخرين ، مجتمع فاسد وأما لاؤمن بامتلاك الكثير ، .

وأخبرنى مارتن أن نقطة التحول فى تفكيره عن كيفية التنسيق بين السلام المسيحى والقيام بما يجب القيام به أنت عندما استمع إلى الدكتور موردخاى جونسون فى جامعة هوارد ، وكان يتحدث عن غاندى فى قاعة الصداقة بفيلا دلفيا . لقد تأثر مارتن تأثرا بالغاً لدرجة أنه بمجرد انتهاء المحاضرة خرج ليشترى كل ما يجده من كتب عن غاندى وتعاليمه المضادة للعنف ، وقرأها كلها فى كنيسة كروزر ، كما قرأ مقالة ثورو عن العصيان المدنى . وكنت أعتقد أنه لم يبدأ فى تنفيذ مبادئ غاندى فى رفضه العنف فى حركة الزواج ، إلا أنى كنت أعلم تماما أن الفكرة أخذت تنبت فى ذهنه . وقد كتب فيما بعد يقول : « إن المسيح زود الروح ، أما غاندى فقد رسم لها طريقها ، .

وخلال فترة خطبتنا كان مارتن يهتم أيضا اهتماما بما يحدث للزواج فى الولايات المتحدة الأمريكية ويشعر بالثورة الداخلية لورطتهم ، وكثيرا ما كان يتحدث عن تحرير السود من الظلم ، رغم أنه لم يشر مرة واحدة إلى العنف ، كان يؤمن بالثورة المسالمة والحب القدائى المنادى بالتحرير ، كان يؤمن بلا حدود بكلمات المسيح القائلة بحب العدو ، ويقول ، حتى لو أدى بك الأمر إلى أن تضرب دون أن تستطيع الرد ، فإن أملك سيعمل على تحرير المعتدى ، وعلى تطهير قلبك من كراهيته ، ويقول إن السكراهية مثل السلسلة يجب أن تقسم عراها ، فبذلك يعود الإخاء إلى الدنيا ، .

وهذا الكتاب سيحتوى الكثير عن الحب ، ولذا يحق لى أن أبدأ بوصف

الحب الذى كان يعنيه مارتن ، كما حدده هو نفسه فيما بعد . ومن الغريب حقا أن اللغة الانجليزية الواسعة لا تحمل إلا كلمة واحدة للتعبير عن أنواع الحب ، وكان مارتن يقول إن اللغة اليونانية بها ثلاث كلمات تعنى بالحب ، فهناك كلمة « ايروس » ، وهى فى لغة أفلاطون تعنى التواق إلى الإلهى ، وإن كانت الآن تطورت وأصبح معناها حب الجمال أو الحب العاطفى . ثم هناك « فيليا » ، وهى تعنى الحب المتبادل بين الأصدقاء أو بين الرجل والمرأة ، وكان مارتن كثيرا ما يقول : « ليس هناك من يكون من البلاهة بحيث يعتقد أن مثل هذا الحب يمكن أن يقوم بين الشخص وظالمه » .

أما النوع الثالث من الحب فهو ما يطلق عليه كلمة « أجابى » ، وهى تعنى التفاهم وحسن النية تجاه البشر ، تعنى حبا لامصاحبة فيه ، يستهدف فيه المرء صالح جاره قبل صالحه هو ، وهو ليس شعورا ضعيفا أو سلبيا ؛ بل هو يحمل كل معنى الإيجابية ؛ وهو نوع الحب الذى كان مارتن يتمنى لو أنه استطاع أن يمنحه لأعدائه . أما إذا كانت لهجة مارتن ، لقصور فى اللغة الانجليزية ذاتها ، تبدو مسالمة بعض الشيء فيجب علينا أن نتذكر دائما أنه كان شخصا ثوريا يؤمن بالحياة المتطورة والحب المتطور .

كنت أبحث طويلا مع مارتن عن الدين ، وفى هذا المجال أيضا أعجبت جدا بسعة أفقه وعريض اطلاعه ، وكان عندما يناقش فكرة الحياة الأخرى يقول : « لى لست ممن يهتمون بدرجة حرارة جهنم أو بروعة الجنة ، بل الواقع أن اهتمامى ينصب على ما يفعله الناس هنا فوق الأرض » .

وذهبت ذات يوم أحد لاستمع إلى موعظة مارتن فى الكنيسة المشيخية بروتستانتية وكان أسقفهما يسمع لكثير من القساوسة الشبان أن يعظوا من فوق منبرها على سبيل المزمور ، وكان القس وزوجته صديقين حميمين لوالدى مارتن . وكان موضوع أول خطبة استمعت فيها إلى مارتن « ثلاثة أبعاد

الحياة كاملة ، ، وهو نفس موضوع موعظته في كنيسة سانت بول بلندن . وبالطبع كان العلاج يختلف عما قاله في لندن ، عندما كان أسلوبه قد استكمل روعته ، كما أنه صاغها بحيث تلائم أفهام البريطانيين ، ولكن النص الأصلي لم يكن يقل في جوهره روعة وإلهاما .

وكان مارتن يغير ويبدل في أسلوبه بما يتفق وسامعيه ؛ ففي جنويناوانجلند الهادىء المشفق أخذ صوته نغمة هادئة لانتشوبها العواطف كثيرا ، والواقع أن هذا كان أسلوبه دائما في شبابه . وفي الأيام التي تلت ذلك تغير أسلوبه ، وخاصة عندما كان يلقي بمواعظه في الجنوب المتأجج العواطف ، كان ينطلق دون تحفظ ويستجيب لكل ما يتوقعونه منه بالخطابة الرائعة ، وكانت أول صيحة لكلمة ، آمين ، تهدر من الناس كالرعد ، وإذا ما سمعها هو انطلق بكل جوارحه معهم ، وكنت كثيرا ما أتبسط معه بعد زواجنا وأقول له إنه كانت تصدر منه أصوات تشبه السعال الديكي .

وثمة دليل آخر على تحرره الذهني ، وهو نظراته إلى تفاصيل المراسم الدينية ، فعندما عبرت له عن عدم رغبتي في أن انضم إلى الكنيسة المشيخية ، لاني لا أعتقد أن التعميد فيها يأتي بطريقة تروق لي ، أجباني قائلا : : إن محتاجي إلى أن تغطس كللك في الماء ، فالما لا يحتوي على مادة لإنقاذ الروح ، .

وواصل مارتن الحديث عن الزواج منذ أول يوم تقابلنا ، ويبدو أنه كان إفعلا يبحث عن زوجة في بوسطون ، ولكن موقفه كان حرجا إلى حد ما ، فقد أبلغتني ماري بأول أنه كان قد خطب فتاة في اثلاثنا ، وقد اعترف لي مارتن بهذه القصة في الأيام الأولى لتعارفنا .

وقال إنها فتاة رائعة ، وإن أسرتها على صداقة متينة مع أسرته ، وإن الخطبة أتت نتيجة لذلك ، فقد شب الاثنان والأسرتان تعتمدان على أنهما سوف يتزوجان في يوم من الأيام وكان أبوه راغبا جدا في الزواج ، وقال لي مارتن :

« إن أبى يريدنى أن أنزوج ، وقد وعدنى بالمساعدة فى نفقات حياتى طوال أيام دراستى ، ولكنى قررت أن أتخذ قرارى بنفسى ، وأختار أنا زوجتى .

وقد فاتحنى فى أنه وقع اختياره على أنا ، رغم أنه يضع فى اعتباره رغبتى فى الدراسة والعمل . والواقع أن رأى مارتن فى دور المرأة فى الحياة كان غير واضح تماما ، فى الوقت الذى كان يؤمن فيه أن المرأة لا تنقل ذكاء وقدرة عن الرجل ، وأنه يحق لها أن تحتل مناصب القيادة والنفوذ ، إلا أن رأى تغير عندما كان سيمسه هو شخصيا ، فقد كان يرى فى زوجته ربة أسرة وأما لاولاده ، وكان يتوقع أن يجد زوجته فى البيت تنتظره عند عودته من عمله .

وكان حتى فى هذه الأيام يقول : « لا أريد زوجة لا أستطيع التحدث إليها ، . ومع ذلك فقد شجعتى مارتن منذ البداية على أن أمارس ألوانا من النشاط خارج المنزل ، وكان يسرجدا إذا ما اكتشف أن لى بعض الآراء الخاصة بى ، أو عندما كنت أساعده فى تكوين رأى ما . كل ذلك لم يمنعه من أن يختار لى الدور الانثوى باعتباره الدور الذى يفضل لى أن أقوم به .

وثمة اعتبارات أخرى كان يفكر فيها ، وكثيرا ما كان يقول : يجب أن تؤمن زوجتى بكل مجهوداتى وتسكرس وقتها لتعمل فيها ، فأنا سأكون أسقفا لكنيسة زنجية كبرى فى الجنوب ، حيث أنوى أن أعيش وأعمل . ولذا فيجب أن تكون زوجتى على استعداد لتقف جانبا فى كل هذه الظروف ، فهل أنت على استعداد لتحمل العمة جين ، .

وكان مارتن يعنى « بالعمة جين ، المواطنة الطيبة غير المتعلمة ، ومن أمثالها سيتكون معظم مجتمعنا . لقد كان حب مارتن للشعب شديدا ، كما كان حبه وعطفه على المظلوم لا يقاس ، كان عطوفا جدا على الجماهير . أما أنا فقد نشأت بين نساء مثل « العمة جين ، ولم أجد غضاضة فى الألفة معهن ، فقد كنت أوقن تماما أنه مهما بعدت الشقة بينى وبينهن فلن أنسى أبدا أصلى ، ولن أنظر من

عليين إلى أهل وعشيرتي ، ولذا فقد طمأنت مارتن بأنى أحتمل كل هذا .

وكان مارتن يرى فى فتاة تدرس الموسيقى والتذوق الموسيقى الثقافى بحمق ، فتاة لاتزال ترتدى فوق رأسها هالة انتيوك ، ولذا فقد كان يخشى أن يؤدى كل هذا إلى أخذى بعيداً عن الجماهير بما يحمل من الصعب على التأقلم بينهم ثمانية . والواقع أنه يحدث كثيراً لبعض الزوج الذين يمرون بمثل هذه التجربة أن يجدوا أنفسهم غير قادرين على العودة إلى مجتمع زنجى بحث ، وكثيرا ما تهتز قيمهم ، وخاصة بعد أن يتبينوا قيم الرجل الأبيض . مثل هؤلاء الزوج يجدون أنفسهم يعيشون حياة مزيفة وكأنهم يقومون بدور لا يعيشونه .

كان مارتن قلقا على ، لأنه لم يكن يعرف شيئا عن الصراع المرير الذى خضته فى أول حياتى ، فلم يكن يعلم أنى أنحدر من منطقة جدياء من الثقافة تماما ، أما أنا فقد كنت واثقة أنه لهذا السبب — لكونى أنحدر من مثل هذا الماضى — فلن أنسى أبدا قومى ولا تراثى ، وإن أجد صعوبة فى التعرف إلى الجماهير .

وهذا هو ما حدث بالضبط ، فلم يحدث أن قام بينى وبين مارتن أى خلاف جوهرى فى الرأى حول المسائل العنصرية أو الاقتصادية أو حتى ما انتظرنا فى حياتنا من أحداث مخيفة رهيبة ورائعة فى نفس الوقت .

ورغم هذا فقد استغرقت مدة طويلة للوصول إلى رأى نهائى ، فقد كانت خطئى للحياة مخالفة تماما لكل هذا ، كما أنى كنت لا أود الزواج من قس ، ولكنه كان يختلف كثيراً عن الأنماط المعروفة ، كان رجلا رائعا ، رائعا جدا ، كان ذا ضمير قاده دائما إلى الطريق السرى ، أو ما كان يظنه هو سويا . وإذا كانت تبدر منه أحيانا أمور بسيطة يعتقد هو أنها تنم عن أنانية أو خطأ ، فقد كان ضميره يكاد يلثمه ، كان يتالم جدا إذا ما راوده شك فى أنه أساء إلى أحد أو ارتكب عملا متسرعا دون تفكير . وإذا ما حدث مثل هذا ، وكان

نادر الحدوث ، كان دائما يسارع إلى تقديم الاعتذار والصفح . كان يرى أنه نشأ في أسرة زنجية متوسطة الحال ، ولذا فقد فضله الله على غيره لغير ما سبب يعرفه ، وكان يرى أن المكرمات التي انتهت دليته في سنواته الأخيرة لمصتخصه وحده . كان كثيرا ما يضع نفسه موضع الاختبار ليتأكد أن النجاح لم يفسده ، وكان شديد الحساسية تجاه كل من يريدون خدمته نظرا إلى مركزه . كان رجلا جهم التواضع يرى أنه لا يستحق كل ما وصل إليه . ولذا كان دائم القلق ، دائم العمل ، دائم الدراسة ، حتى بعد أن أصبح شخصية عالمية . كل هذه الميزات والصفات ساعدته على مواصلة النمو والتطور .

وكان مارتن في نفس الوقت محبا للحياة ، محبا للدرج ، وممتعا في الجلوس إليه ، وكان كثيرا ما يعا كسفى ويدعى أنه يتم بفتاة أخرى خلال فترة خطبتهما ، وكنت أأخذع بما كسفته هذه وأتوقد غيظا ، وكما كان يضحك لغيرتى هذه .

كان مولعا بالرقص ، وكان راقصا ممتازا ، وكان يحب الناس ، ويمضى أوقاتا سعيدة في الحفلات ، وبخاصة إذا كان بها نقاش ذكى . وكان شديد الولع بالموسيقى وما زالت أذكر أول حفلة موسيقية اصطحبني إليها في بوسطن وقد تأثرت جدا لدعوته هذه ، لأنه قام بها من أجل ومن أجل شديد اهتمامي بالموسيقى . وكان هازف البيانو فيها ارتور روبنشتين ، وكانت هذه أول مرة أشهد فيها هذا العازف العالمى . وكنت — رغم حبي الشديد للموسيقى — لم أحضر حفلة سيمفونية أبدا قبل ذهابى إلى انتيوك .

وكانت ملاحظات مارتن على المختارات الموسيقية دقيقة ، حتى إنى ظننت أنه يحاول إرضائى ، واسكنى سرعان ما أدركت أنى أظلمه بظنى هذا ، وأنه فعلا يتم بما يعزف ، وأنه فعلا أراد لى أن أحضر مثل هذه الحفلة وهو ما لم تكن اقتصادياتى تقدر عليه . لقد أمضينا معا وقتنا سعيدا جدا في هذه الحفلة .

وبدأ مارتن يحاول أن يهتق لدور زوجة القسيس ، وكان ميدانه الأول في ملابسى . ومارتن كان في هذه الأيام الأولى يهتم اهتماما بالغاً بأناقته ، في حين كنت أنا قد نشأت على الفكرة التي غرسها في د والدى ، وهى أن الملابس لاتهم ، فلم يكن عندى سوى معطف واحد أتيق وبعض الفساتين ، ، ولكنى لم أكن أعطى اهتماما بالغاً لمظهري ، فكنت مثلاً أقوم بتمشيط شعري في الصباح ، ثم لا أعود ألبسه بعد ذلك طيلة اليوم ، ولا أعيد طلاء شفتى .

وكان مارتن يبدى لى بعض الاقتراحات برقة شديدة ويقول : د هل تريدن الذهاب إلى غرفة السيدات لتشطى شعرك ؟ ، أو د إنك تبدين في غاية الجمال عندما تضعين أحمر الشفاه ، أو د لماذا لا تشتريين هذا المعطف الأحمر الذى شاهدناه في واجهة المحل التجارى : ، ، ومثل ذلك من الملاحظات . وأخيراً فهمت ما يرمى إليه وبدأت أهتم بملابسى ومظهري .

ولكن رغم كل هذا الحب ، ورغم الأوقات السعيدة التى أمضيناها معاً ، لم أكن قد تأكدت بعد من رأيى . وسألت نفسى كثيراً : د هل الزواج هو ما أريده ؟ ، وأخيراً قلت لنفسى : د إذا كنت حقيقة جادة في إخلاصى في العمل فلن أجد فرصة أحسن من أن أكون زوجة قسيس . . . ولكن لم أستطع حق بقولى هذا لإقناع نفسى .

وابتهلت إلى الله أن يلهمنى القرار الصحيح ، وكنت أعلم أنه سيكون أهم قرار في حياتى ، ولذا فهو لا يمحتمل الخطأ . واستمرت ابتهالاتى وضراعتى مدة شهرين أو ثلاثة أشهر .

وكان الأمر الذى يقاقتى هو أنى كنت أعلم تماماً أن مارتن عند اختياره زوجة سيتوخى دائماً رضا أبيه عنها . ورغم كل ما قاله عن حريته في اختيار شريكه حياته فقد كنت أعلم تمام العلم أن الذى سيقدر له ذلك هو أبوه ، نظراً للتأثير الشديد الذى كان للأب على الابن . وكانت مارى باول قد أخبرتني أن

المحتر مارتن الأكبر كان يريد أن يتزوج ابنة من فتاة اتلانتا ، وأنها تشك كثيرا في أن مارتن الأصغر سيستطيع أن يغير من رأيه هذا . وزادت هذه الحقيقة من قلقي ، وبخاصة أني كنت قد وقعت في غرام مارتن لأذني ، وقد يبدو غريبا أن أقول إن للعامل الحاسم الذي وصل بي إلى قرار نهائي كان حلما .

رأيت في الحلم والد مارتن ، ولم يكن قد سبقت لي رؤيته ، ومعه فتاة اتلانتا ، لكنه كان يبتسم لي ، ولذا فقد أيقنت أنه يوافق على زواجي من ابنة ، واستيقظت وأنا أشعر بالرضا ، وكان الأمر وكأنه معجزة ١١

كنت أصارع هذه المشكلة طوال شهرى إبريل ومايو ، أيقنت أني أريد الزواج ، أريد أن أكون أسرة ، أيقنت أن حياتي بدون كل هذه الأشياء ستكون ناقصة . وفي نهاية الخريف قررت أني سأتزوج مارتن ولن أفكر في مستقبلتي العمل ، رغم أني كنت مصممة على مواصلة الدراسة للحصول على الشهادة ، لأنها كانت ستعطيني شعورا بالإنجاز ، رغم أني لن أستخدمها في العمل الذي أردته .

وقد يبدو غريبا أن فتاة محبة تفكر مثل هذا التفكير المنطقي ، ولكن الواقع أن هذه كانت دائما طريقي في مواجهة المشكلات ، كنت أواجهها وأنصرف فيها ، كما أن قرارى في هذه المرة لم يكن ليؤثر في وحدى ، كان هناك مارتن ، الذى لو أحس بأنى مترددة ، سيتأثر مستقبله هو الآخر .

وثمة عامل آخر جعلنى أقرر ماقررت ، فقد حضرت أخفى لإديث خلال الصيف إلى بوسطن بعد أن تخرجت من جامعة أوهايو وحصلت على درجة الماجستير في تدريس اللغة الانجليزية . ورغم أني لم أبح لها بحقيقة شعورى تجاه مارتن إلا أن مجرد أني وجدت أنها تعجب به كثيرا جعلنى أقرر الزواج منه .

ولم أصرح بقرارى لمارتن على الفور ، وصحمت على البقاء في بوسطن

خلال الصيف بدلا من العودة إلى بلدي ، واستمرت مقلباتنا . وكان عليه أن يعود إلى أتلانتا خلال يوليو وقد دعاني لزيارته هناك ، ورغم أن أتلانتا تقع في نفس الطريق الذي يوصلني إلى ألاباما ، إلا أنني أردت أن أختبره فقلت له : « لا أظن أن ذلك في وسعي » .

وانزعج للغاية لرفض دعوته وقال : « إذا كنت حقيقة لا تريدن زيارتي في أتلانتا فما علينا إلا أن ننسى علاقتنا بأسرها » . وطالما ضحكنا نحن الاثنين فيما بعد على غضبته هذه ، وعلى إنذاره النهائي لي .

وفهمت أن علي ، إذا كنت فعلا أريد الزواج منه ، أن أقابل أباه وأسرته وأزور كنيسته . وكنت أنا من جانبي أعتقد أنه ينبغي لي أن أكشف هدي قابليتي للتأقلم في هذا المجتمع بسعادة ، وإذا كانت حياتي مع مارتين ستصبح موفقة .

وسافر مارتين إلى بلده بالسيارة ، أما أنا فقد دخلت المستشفى لإجراء عملية استئصال اللوز ، وبعد أن تمت العملية ركبنا القطار إلى أتلانتا . ولما بلغت كنت أشعر بمنتهى الخذر والخوف . فرغم أن عزمي كان قد استقر إلا أنني كنت مازلت أقاومه بلا شعور ، وحاولت أن أكون محايدة .

ولم تسكن زيارتي الأولى لأتلانتا ناجحة تماما ، وكنت قد نزلت ضيقاً على ماري باول وهي من أهل أتلانتا ، وكانت تقضي فيها إجازتها الصيفية . ولما نزلت من القطار شاهدت مارتين وماري في انتظارني . وسارت بنا السيارة في شوارع أتلانتا ثم توقفت وركبت معنا والدة مارتين ، ولم أكن أتوقع أن أقابلها بهذه السرعة ، ولذا فقد أحسست بتوازي يختل قليلا . والمسر كينج سيدة قصيرة القامة حسنة الهندام ، ومازلت حتى يومنا هذا أعترف أنني لم أفهمها جيدا ، فهي لا تشبه أُمي ، وبدأ على الخجل ، وقال مارتين : « هذه كوريتا سكوت يا أُمي » . وحيثي بأدب وبشكل عادي .

ووصلت بنا السيارة إلى منزل آل كينج ، وهو منزل فخيم كبير ، وبدأت
أتفهم المجتمع الذى نشأ فيه مارتن . لم تكن أسرة مارتن تعيش بكلية في
مجتمع الكنيسة ، وخاصة بعد أن شاهدت منزلهم . بدأت أقارن بين هذا المنزل
القسيح المريح وبين حياة الزوجى المغلفة فى أثلاثنا ، وكنت قد سمعت عن صفات
أسرة كينج ، ولذا فقد خشيت أن يعترفونى دخيلة على مجتمعهم .

ولكننى فهمت فيما بعد أن أسرة كينج أناس يكرسون حياتهم لخدمة
الآخرين ، وأن حكمهم على الناس ينبع من ظروف هؤلاء الناس . وقابلت
والد مارتن ، وهو رجل ضخم ، أضخم مما تصورت ، والمرء يشعر بقوة
شخصيته بجانب قوة جسمه ، وكان رقيقاً مذهباً ، ولكنه كان طبيعياً هو الآخر
فى معاملته لى . وقد قال هو بنفسه عن ذلك فيما بعد : لم ألق بالآلى كوريتا
عندما قابلتها أول مرة ، فقد كنت أريد مارتن أن يتزوج فتاة أخرى ،
وبسرعة ، فقد كان محبوباً جداً لدى فتيات كثيرات ، بل الواقع كن يطاردنه ،
وكنت أخشى أن يقع فى حبائل فتاة لا ترضى نحن عنها .

وفى اليوم التالى ، وكان يوم أحد ، ذهبنا جميعاً إلى كنيسة ايبينيزر ، وهى
كنيسة متوسطة الحجم مطلية باللون الأبيض وبها أثاث من الخشب اللامع
يزينه طلاء ذهبى ، وبها نوافذ رائعة من الزجاج الملون . وأخذ المصلون
ينشدون بصوت جميل الترانيل الدينية . وكانت الكنيسة تمتلئ على سعتها التى
تقدر بنحو ثمانمائة شخص . وقد علمت فيما بعد أن القس كينج الأكبر قد عمل
على أن يصل عددهم إلى أربعة آلاف .

وقد اعتاد مارتن أن يقوم بالوعظ هو خلال شهور الصيف ليتيح لأبيه
فرصة الراحة ، ولذا فقد ألقى هو موعظة اليوم . وكانت موعظته كالاعتاد
مؤثرة ورائعة . وبعد الكنيسة ذهبنا جميعاً إلى منزل آل كينج حيث قابلت
أخاه وزوجته وابنتهما «الفيداء» ، وهى طفلة ظريفة سرعان ما ألفتنى وأخذت
تنادىنى باسم «كوكو» .

وكان شقيق مارتن قد تخرج في جامعة مورهاوس ، وكان له نشاط ملحوظ خلال عمله قسيسا في برمنجهام . وقد حصل أخيراً على عمل في لوفيل بكننتيكي حيث قام بتنظيم مؤتمر القادة واحتل رياسته .

أما زوجته ، ناوى ، فكانت من ألاباما ، وكان الجميع يقولون آنذاك إننا متشابهان جدا . وقد وجدت فيها سيدة رقيقة عطوفا ، ثم علمت فيما بعد أنها زوجة حجة وأم عطوف روم .

وكنت قد سبق لى أن قابات كريستين أخت مارتن عندما أتت لزيارته في بوسطن ، وقد استقبلنى بحرارة وترحاب ، وكريستين تخرجت في جامعتى سيلمان وكولومبيا وتعمل الآن أستاذة للقراءة في جامعة سيلمان .

وطاودنا الذهاب إلى الكنيسة في مساء نفس اليوم ، وهناك سنحت لى فرصة مشاهدة مارتن وهو يتعامل مع مواطنيه ومدى حبهم له واعترافهم به كقائد رغم صغر سنه ، وكان من العسير على وأنا أرقبهم وأرقبه في كنيسة ايبينزور ألا أشعر بالزهو به والفخار بسببه : وكان على مارتن بعد ذلك أن يزور بعض أعضاء الكنيسة في منازلهم ، وعدت أنا مع مارى وبقيت في ضيافتها يومين بعد ذلك توجهت بعدها إلى ماريون لزيارة أسرتى .

ووعده مارتن بأن يرد زيارتى ويحضر لى ماريون ولكن يبدو أن مشاغله حالت دون ذلك ولم يستطع الحضور ، واسكنه طلب منى ومن مارى بابل أن نعود إلى بوسطن في سيارته ، ولكن أمى لم ترق لها هذه الفكرة وقالت لى : « لو كنت مكانك لما غيرت نظامى ولعدت إلى بوسطن حسب خطى ، وأنت معك نذكرك ، فاستقلى القطار بعد أن تتوقفى فى أتلانتا . »

ودارت بيننا مناقشة حول هذا الموضوع ، وأخيرا تغلب رأيى وقلت لها : « بل سأمر على أتلانتا وأعود إلى بوسطن معك . »

ولم تكن أمى سعيدة بقرأى هذا ، رغم أنها لم تكن حتى هذه اللحظة قد قابلت مارتن فكانت ترى في تغيير خطقى أمرا غير مفهوم .

وكان مارتن قد استأجر هو وصديقه فيليب اينود شقة صغيرة تقع في شارع ماساشوستس في حى يقطنه الزوج ، وكانت قريبة من الكولسرفانوار ، ولذا فكنت أمر عليهم كل يوم . وذات يوم خلال الصيف وكانت إديث معنا قال مارتن : « إنك طاهية ماهرة يا كوريتا ، »

وذهبت مع إديث إلى شقة مارتن أحد أيام الأحاد وطهوت له طبقا اشتهرت بالمهارة فيه وهو فطيرة الموز ، كما طهوت طبقه هو المفضل وهو السكراب ولحم الخنزير ، وأكل مارتن وفيليب بشمية زائدة . وبعد أن انتهينا من الطعام أخذ مارتن يعاكسنى ويقول لى نجحت فى الاختبار ، وكانت كلمة الاختبار لاتعجبنى ، ولكنى رغم هذا شعرت بالزهو .

وخلال شهر نوفمبر حضر كل من والد مارتن والدة له لزيارته فى بوسطن . وأصر مارتن على أن أستمري فى برنامج زيارتى له وعندها لاحظ دادى كينج أنى الفتاة الوحيدة التى تحضر للزيارة وبدأ يسأل مارتن عن صديقاته الأخريات ، واكتشف أنه لم يعد لهن وجود بعد أن تعرف على ، وأنه لم يعد يهتم بأية واحدة منهن .

وحدثنى دادى كينج عن كل هذا ذات يوم فى حضور مارتن ، وقال لى : « هل أنت جادة يا كوريتا بشأن ابنى ؟ » .

وأجبت « كلا » وظننت أنه يعنى أمرا مخالفا تماما لما أراد أن يقوله . وأجاب : « كم أنا سعيد بذلك ، والواقع أنى لأفهم هذا الشاب ، لقد كان يواعد فتيات جميلات وذكيات من أسر محترمة جدا ، فإننا كثيرى الاختلاط بالناس ، ولكننا لانعرف كيف نرضيهم ، فهو يصادق الفتاة ثم سرعان ما يتركها وينسى أمرها رغم أن كل فتاة تواعد معها كانت تصلح له جدا .

وبدأ الضيق يدب إلى عندما فهمت ما يعنيه وأجبت به بصراحة . « أنا أيضا
لست خلوا من كل ميزة » .

ولكن كينج الاب لم يظهر عليه أنه اهتم بما قلته ، ولكنه في الواقع ظل
يتذكره طويلا . وكان إذا ما وجد أني نجحت في أمر ما مثل العزف على
الموسيقى أو مساعدة مارتن في موقف عصيب معين فكثيرا ما كان دادى
كينج يقول له معا كسا : اسمى يا كوريتا أنا أيضا لست خلوا من كل ميزة .
وأصبحت هذه الكلمة من النكات التى نتبادلها فى الأسرة .

ولكن خلال وجوده فى شقة مارتن لم يبد عليه أنه يفهم ، فقد واصل
الكلام عن الفتاة التى ينوى تزويجها لمارتن ويقول إنها فتاة موهوبة ، وإن
أسرتها محترمة ولها شخصية فذة ويختم كلامه بقوله : « إننا جميعا نحجبها ولكننا
لا نعرف ماذا سيستقر عليه رأى مارتن ، ولكنى سعدت عندما علمت أنك
لأناخذين علاقتك معه مأخذ الجد ، لأنى فى الواقع أعرف ابنى تماما وأنصحك
بالابتعاد عنه ، هذا إذا لم تكن معرفتك أنت به أقوى من معرفتى به . »

وقلت لنفسى « فعلا ، أنا أعرفه أحسن منك » .

أما عن مارتن فلم يفهم بكلمة واحدة طوال هذه الفترة ، بل كان يحلم
يستمتع وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تنم عن الحجل ، فلم يكن يريد أن
يجرح إحساس أبيه بمعارضته له ، فقد كان يعامله باحترام وتبجيل ولكنه فى
الوقت ذاته كان رجلا مستقلا برأيه ، يتخذ ما يرى من قرارات وعلى أبيه أن
يقبلها .

وجلسنا أنا أفكر . لماذا لا يقول شيئا ما ؟ .

وأخيرا نهض مارتن وافقا وتوجه إلى الغرفة الأخرى حيث كانت تجلس
أمه ، وحدثها عنى وقال : سأزوج كوريتا . أما أبوه فلم يخبره بذلك .

وفي السيارة وأنا عائدة إلى منزلي أبدى مارتن استيائه لأنني لم أحاول أن أكسب أباه إلى صفى .

وقلت أنا له : « إن الأمر كان بالنسبة لى فى منتهى الصعوبة ، خاصة وأنا أسمعه يتحدث عن صديقاتك الفتيات ومراهبين وقدرائهن ، ولا يمكن أن أخدعك أو أخدع نفسى وأقول إن كلامه هذا قد أعجبنى » .

ولكن دادى كينج تغير بأسرع مما كنا نتوقع ، فبعد يومين من حديثنا هذا ، وقف ودق بيده على المائدة وقال : « إنكم تضيعون وقتكم فى الزهة والمصاحبات ، ما الذى ستفعلانه بدراساتكم » .

وأجابه مارتن : « سأحصل على درجة الدكتوراه ثم أنزوج كوريتا » .
والفتى إل الأب وقال : « وماذا عنك أنت يا كوريتا ، كيف تتقدمين فى دراساتك ؟ » .

— أتقدم بشكل مرض ولكن الدراسة صعبة .

— هذا ما توقعته ، ودق بيده مرة ثانية على المائدة وقال : « لم يعد أمامكما كليهما إلا أن تتزوجا » .

ولم يصرح لى دادى كينج برأيه فى إلا خلال الشهور الأخيرة ، عندما قال لى إنه كات فى منتهى القن ، إذ كان يعتقد أن مارتن أساء الاختيار ، ولكن كريستين طيبت خاطره بقولها « كوريتا فتاة عظيمة ، ويجب أن تقبلها لأنها ستصبح زوجة ابنك » .

وقال لى دادى كينج إن حب حفيدته لى كان له أكبر الأثر فى تقبلى زوجة لمارتن ، لأن حفيدته ألفيدا كانت دائماً السؤال عن « كوكو » ، ولذا فقد قال لنفسه : « إذا كانت هذه الفتاة الصغيرة تحب كوريتا إلى هذا الحد فلا بد أن كوريتا هذه فتاة رائعة » ، وأنه تعرف على جيداً فى بوسطن ورأى منى صفات حسنة .

وأخيرا منذ قليل قال دادى كينج لبعض أصدقائه وأنا حاضرة :
، لا أعتقد أن فتاة أخرى غير كوريتا كان باستطاعتها أن تكيف نفسها على حياة
مارتن ، أو كانت مستطبعة أن تقوم بما قامت به كوريتا ، لقد كانت مصدر
قوة لنا جميعا ، وإن أنسى ماحييت ماقالته لى يوما ما : ، دادى ، يجب أن
تنفهم معنى كل ما يحدث ، وستكون النهاية حسنة ، .

بعد أن غادر والدا مارتن بوسطون بدأت أنا وهو تناقش مسألة الزواج
بشكل جدى ، وحددنا تاريخا مؤقتا لإعلان خطبتنا ، وكان عيد القيامة ،
وكنا ننوى نشر الخبر فى صحيفة اتلاتا ديلى ، وهى صحيفة خاصة بالزواج ،
وحددنا ميعادا للزواج فى يونية بعد انتهاء العام الدراسى .

وأضى مارتن لإجازة عيد الميلاد بين أهله ، أما أنا فلم تسمح أحوالى
المالية بالسفر وقضائه مع أهلى . وكان على مارتن أن يقنع أباه بأن المرأة
التي تصلح له ، وأخيرا وافق أبوه وقال له : ، لقد أدركت الآن أنك لن
تتنازل عنها ، وأنا أوافق على هذه الزيجة لأنى أحترم رأيك واحترم اختيارك .

وفى ذات الوقت كنت أنا قد كتبت لاختى لإديث لأخبرها بأنى قد أنزج
مارتن ، وطلبت رأيها فى هذا . ولما جاء فى ردها ، كنت قد عرمت فعلا على
الزواج منه ، ولكن ما جاء فى خطابها زادنى ثقة فى قرارى هذا . ورغم أنى
لم أحفظ بخطابها إلا أنى مازلت أذكر بعض ما جاء فيه . كتبت لاختى تقول :
، لا ندعى الشكوك السخيفة تساورك يا كوريتا وأنت تعلين مدى صعوبة
العشور على شخص ذكى ، مستقر ، متفان . ومارتن له كل هذه الصفات ،
بل وأكثر منها . فإذا كنت تحبينه فلا ترددى فى الزواج منه ، وقد يعنى هذا
أنك لن تحصلى على العمل الذى طالما حلمت به ، ولكن سيكون لديك عمل ،
فإنك لا تزوجين قسيسا عاديا ، .

وبعد ذلك قررت أن أغير من منهاج دراستى ، فانتقلت من قسم العرف

إلى قسم الثقافة الموسيقية ، حتى يتسنى لي أن أعر على وظيفة مدرسة الموسيقى
حيثما أفنا ، بدلا من أن أجوب البلاد لأعزف في الحفلات الموسيقية
وتذكرت ما قاله مارتن : « عندما أعود إلى بيتي فإنني أريد أن أجد فيه
زوجتي .. » ولذا فعندما قررت أن أتزوج منه قلت لنفسى : « مهما يكن من
أمر قد تحدث بعد زواجى من مارتن فيجب أن أكيف نفسى لظروفه مهما
تكن ، فحيثما يقيم سأقيم أنا الأخرى ، ومهما يفعل يجب أن أكون بجانبه
أشاركه فى كل ما يفعل » .

وفى اعتقادى أن هذا القرار الذى اتخذته — وهو أهم قرار فى حياتى —
هو ما جعل كل شيء بعد ذلك ممكنا . وكل ما حدث لنا فى حياتنا بعد ذلك من
أفراح وأزراح لم تمثل بالنسبة لنا أية مشكلة ، فقد قررت أن أكون زوجة
مارتن لوثر كينج الأصغر ، بما تحمله حياته من قيادة لحركة الحقوق المدنية ،
وما يعنيه هذا من عرق وتعب ودموع ، رغم أنى لم أكن أنبأ على الإطلاق
بما يحمله المستقبل لنا من شهرة ومن مأس . لم تمر بنا لحظة واحدة لم نكن
فيها مكملين بعضنا بعضا بالحب والتفانى ، لم تمر بنا لحظة واحدة وددت فيها
أن أكون شخصا آخر غير زوجة مارتن لوثر كينج .

(٤)

وعقد دادى كينج زواجنا فى حديقة منزلنا يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ . ولم يكن المنزل الذى لثأت وترعرعت فيه ، بل كان منزلا حديثا بناه أبى فى ماريون بجانب محله التجارى . ورأيت أن من الأفضل ألا أتبع الإجراءات التقليدية فى الزواج ؛ فلم أرتد ثوب زفاف أبيض . بل قررت أن أستبدل . به فستانا بسيطا أزرق ، وإن كان يصل إلى قدمى .

وأثرت تعاليم أنتيوك فى تصرفاتى ، فلم أحاول أن أهتم بالأمور المادية وأصمم على اختيار الأواني الصينية والفضية ، رغم أنه بمرور السنين اكتشف أنى بحاجة ملحة إليها ويجب على أن أشتريها .

وعندما حاولنا أن نعدد أسماء المدعين وجدنا أنه يتحتم علينا أن ندعو ثلاثمائة أو أربعمائة شخص ، ولذا فقد كان حفل زواجى ، على عكس ماقدوت ، غاصا بالناس ، بل كان أكبر حفل زواج أقيم فى هذه الناحية . فقد حضرت أسرة كينج بأسرها من أتلانتا ، كما حضر معهم بعض خدام كنيسة إيبينزر وبعض الأصدقاء . وقد اصططبت أخفى لإديث إلى ماريون لاستقبالهم جميعا يوم الزفاف .

وقد حاول أبى أن يشينى عن عزى متعللا بالعادة القديمة التى تقضى ألا يرى العريس عروسه قبل عقد القران ، ولكنى ضحككت من أوهامه ، وقلت له لانى لأهتم بمثل هذه الخرافات ، ولكن رغم ذلك كنت أخشى أن يعتقد بعض الناس أنى فتاة متحررة أكثر من اللازم .

ووصل رتل السيارات من أتلانتا يقوده مارتن ، وصرنا جميعا إلى وجهتنا ، إلى منزلنا بعد أن مررت على دار المحكمة للحصول على ترخيص لزواج .

ولم يكن قد سبق لأحد من أسرة كينج مقابلة أحدهم أسرتي، وكنت أشعر بالقلق الشديد عن الأثر الذي سيتروكه أفراد أسرتي على أسرة كينج . كنت أريد أن يتركوا أثر أحسننا، ولم تفجح كل تجاربي في لينكولن وأنتيوك ولا معرفتي الوثيقة بمارتن وبأسرته في تخفيف حدة قلتي، كنت أخاف أن يكونوا ممن يتأثرون بالقيم التي يألّفها أبناء الطبقة المتوسطة، كما كنت أريد أن أحظى بالقبول لدى أسرة كينج، وأن يحظى معي بهذا القبول كل أفراد أسرتي . وكنت في نفس الوقت أحاول ألا أبدو متلهفة على الإرضاء أكثر مما يجب، بل الواقع أنني كنت لأرضى عن مثل هذا على الإطلاق، ولكنني كنت أريد أن تسود الالفة الاسرتين . ويبدو أن آل كينج لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا منزلا مريحا كمنزلنا في مثل الوسط الذي نعيش فيه، ولا أن يجدوا أنا سامثل أسرتي يعيشون فيه . والواقع أن شعوري هذا لا يختلف عن شعور مئات الفتيات اللاتي تمرّ بهن تجربتي هذه .

والحقيقة أن قلقي لم يكن ضروريا على الإطلاق، فقد مررت مقابلة الاسرتين بكل هدوء ونجاح، ودخل مارتن المنزل وهو يصيح : « أهلا يا أمي، وقبل أمي، وكانت هذه هي نقطة التحول. وتبعه أبوه بقامته المهيبة، مما جعل أمي تنظر إليه بوجل، ولكنني كان في منتهى الرقة، فسرعان ما تغلبت على شعورها هذا، وأخذت تتحدث بطلاقة، وسهولة مع أم مارتن .

وجلسنا إلى عشاء قمت أنا بطهو بعض أصنافه، وكانت كريستين وأختي لإديث قد خرجتا لجمع بعض العنب والأزهار لاستخدامها في تزيين المنزل، وكنت أنا أسرع من مكان إلى مكان. وبعد برهة انتحى دادي كينج بي وبمارتن ركنا ليعحدثنا بما يتحدث به الكبار دائما لابنائهم عند زواجهم . وجلسنا أمام محل أبي . والواقع أنني لا أذكر كثيرا مما جاء في هذا الحديث، لأن ذهني كان شاردا، وإن كنت أذكر تماما أنه قال لي : « لو كنت مكانك يا كورينا لتفاديت زواجي من مارتن لوثر، لو كان هذا مستطاعا، ولو كنت مكانك

يا مارتن لوثر لما تزوجت كوريتا . الواقع أنى اعتدت الخطابة ، لأنى لا أستطيع أن أعيش بدونها . ولذا فأرجو أن تفكرا جيدا فيما قلته لكما .

وكنتم أنا ومارتن قد فكرنا طويلا وانتهى تفكيرنا إلى الزواج ، ولذا فقد طمأنا داذى كينج .

وكان كلانا متعبا جدا ، فقد قاد مارتن أسرته بالسيارة من بوسطون ، وأنا كنت قد قمت بأعمال كثيرة ، وكانت حصيرة الزينة التى طلبناها لم تحضر حتى الآن ، ولذا فقد كنت قلقا جدا ، وقد توجهت باللوم دون حق إلى أنى لأنى كنت أريد أن يتم كل شيء على أمثل وجه . وقال لى أبى : : لماذا لا تؤخرين بدء حفل القران قليلا ؟ ، وثمرت عليه ثورة عارمة ، وأجبتة بلهجة غاضبة : : لن أنتظر يا أبى ، والحفل سيسير تبعا للبرنامج ا . .

ونظر إلى داذى كينج بصرامة ، وقال لى فيما بعد إن ثورتى قد أدهشته ، فلم يكن يظن أن من سيجيق أن أثور .

وبدأ المدعوون يصلون ، وتوجهت أنا إلى غرفتى لا أكمل ارتداء ملابسى ، وكنتم قد ابتعت ثوبا من بوسطون من الدانتيل الزرقاء ، وارتديت قفازا وحذاء من نفس اللون . أما الطرحة فقد كانت من تصميم كريستين ، ووضعت على رأسى تاجا من الورود .

ومر حفل الزفاف بسلام ، ورغم قلقى البالغ ، كانت حفلة رائعة ، وكانت لإديث فتاة الشرف وكان أحد أصدقاء مارتن اشيبينه . ووقفنا تحت حاجز أقمناه فى الحديقة وعقد داذى كينج قراننا ، ولم يذ كرنى فى مراسم العقد قسم الطاعة الواجب على العروس ، وكان هذا بناء على طلبنا . أما هو فلم يعترض على هذا الإجراء غير المألوف ، لأنه كان قد فهم أن الاوقات قد تغيرت وأن الشبان يفسكرون بطريقة تختلف عن طريقة آبائهم .

وبعد عقد القران أقيم حفل استقبال ، وكان مارتن وهو فى العادة شخص

عجب للناس قد بلغ منه الإرهاق مبانا جعله يكاد يستغرق في النوم وهو واقف يستقبل المدعوين، وبعد الحفل ركبنا السيارة إلى ماريون وطلبت من مارتن أن يدع لي بحلة القيادة، فقد كنت ألحظ مدى إرهاقه، وفهلا نام طوال المسافة، وأمضينا هذه الليلة عند بعض الأصدقاء وهما مستر ومسر روبرت تابز، وكان مستر تابز حائزاً للامرة، وكثيراً ما كان مارتن يتذكر هذه الليلة ويسخر منها في الأيام التالية ويقول: «أعرفين، لقد أمضينا ليلة زفافنا في دكان حائز،».

وقد يبدو هذا غريباً للبستمع، ولكن الواقع أنه لا توجد في هذه المنطقة فنادق بها أجنحة خاصة للعرائس من الزوج. كما أن الحائز كان له دور لا يغفل في حياة الريفيين من الزوج، وهو دور قد يشبه إلى حد كبير دور طبيب الصحة في مجتمع صغير. فكلما كنا نحتاج إلى مزيد من الكرامى لحفلة كنا نلجأ له، وكلما كنا نريد أن نبعث برسالة تليفونية كنا نستخدم حائزته، وإذا ما احتاجت أسرة لا تملك سيارة إلى سيارته فقد كان يبعثها إليها على الفور.

ورصلنا إلى أتلانتا يوم الجمعة حيث وجدنا آل كينج قد أعدوا لنا استقبالا دعوا إليه جميع أصدقاء الأسرة ليتعرفوا إلى زوجة مارتن الذي كان الجميع يحبونه ويهتمون لأمره. ولذا فقد أرادوا أن يشهدوا بنفسهم الفتاة التي اختارها زوجة. وقد حياى الجميع بمودة وحرارة، والواقع أن احتفال أتلانتا كان ناجحاً جداً، أكثر من حفل الزواج، لأننا كنا قد أخذنا قسطنا من الراحة.

وألقي مارتن موعظة دينية في كنيسة ايبينتز في اليوم التالى وانضمت أنا إلى الكنيسة المشيخية، وكنت قد بحثت هذا الموضوع فيما قبل مع دادى كينج الذى قال لى: «إذا انضمت إلى الكنيسة المشيخية فلن يكون من المحتم عليك أن نعظك، وإذا كان لى الأمر، فلن يتم تعמיד على الإطلاق، ولكن بما أن

مارتن سيصبح راعيا فقد يحتاج عليك بسبب ذلك بعض أعضاء الكنيسة ،
ولذا فأظن أن من المستحسن أن تخضعي لهذا الأمر .

ولم تعد المسألة في هذه الفترة بالذات تهمني ، ووافقت على أن أمر
بهذا التقليد .

ويوم انضمامي للكنيسة المشيخية ، ارتديت الزي الأبيض المعتاد ، وقادني
إلى حوض الماء دادى كينج ونزل هو في الماء حتى وسطه ، وكان يرتدي حذاء
جلديا وسترة جلدية تصل حتى صدره ، ودفع دادى كينج رأسي برفقة حتى غطاه
الماء تماما وقال : « والآن أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس » .

وقد أدت هذه الإجراءات إلى زيادة الصلة الدينية التي كانت قائمة فعلا
بينى وبين مارتن .

وفي اليوم التالي التحقت بعملى ككاتبة في شركة الامناء بأتلانتا ، وكان
دادى كينج مديرا لها ، وأقنا في منزل آل كينج الفسيح طيلة هذا الصيف ، لأننا
كننا ننوي العودة إلى بوسطن في الخريف لإتمام دراستنا .

ويمكن أن أقول إنني خلال إقامتي في أتلانتا عرفت الكثير عن أسرة
مارتن ، والكثير عن طفولته وشبابه . وكان أبوه ينحدر من بلدة صغيرة
قريبة من أتلانتا اسمها كبريدج ، وكان جده جيمس ألبرت كنج أحد العمال
الزراعيين الذين لم تسمح لهم فرصة التقدم على الإطلاق ، فقد كان ضخمة النظام
الزراعى القاسى رهين قسوة الفصول والذي يعمل فيه الاجير بمقابل ضئيل
جدا . وكان الاجراء الزراعيون في هذه الايام ، بل وفي أيامنا هذه أيضا
أسوء الحظ ، وفي كثير من مناطق الجنوب يشترى كل حاجاتهم من صاحب
المزرعة ، غذاءهم ، وملابسهم ، وأدوات منزلهم ، وحبوبهم ، كلها يشترونها
بالدين من صاحب المزرعة . وعند رقت المحصول يبدأون في دفع ديونهم له ،

وعندئذ لا يتبقى لهم سوى النزر اليسير . وكان جيمس كينج يعمل ليل نهار طول العام . وينتهي به الأمر مدينا بما يقرب من ٤٠٠ دولار ، يضطر إلى دفعها لصاحب المزرعة ، وتمر الأعوام ، عاما بعد عام ، على هذه الوتيرة ، عمل وكد وتعب وحرق وكأنه كان يحفر قبره تحت أقدامه . والذي يلفت النظر في مدى إجحاف هذا النظام أن العامل الأجير كان يقوم بدفع كل النفقات . أما الأرباح فكانت تقسم بينه وبين صاحب المزرعة الذي كان يفرض الأجير كل ما يريد ، ويقوم هو بعمل حساباته التي تنتهي دائما بأبتلاع كل ما يحصل عليه العامل .

وقد حدث مرة أن حضر دادى كينج وقت إجراء الحسابات الختامية بين أبيه وصاحب المزرعة ، وسمع الرجل يحسب بالات القطن وأثمانها بسرعة فائقة ، ويصل إلى نتيجة ختامية يقول فيها : « الحساب يقول إنك مازلت مدينا لى بخمسين دولاراً » .

وكان دادى كينج ذا ذهن حسابى متقد فقال لأبيه : « إنك لم تحسب ثمن بذرة القطن » . وكانت بذرة القطن قد بيعت بثمن يكفى لسداد دين أبيه . ولكن الرجل الأبيض صاح في وجه الأب قائلاً : « اسمع يا هذا ، قل لابنك فيليزم مكانه ، لأنك إن لم تفعل ذلك فسأفعله أنا » . وأجاب جيمس كينج بهدوء : « سيلازم مكانه مستقبلاً ، وطلب من ابنه ألا يتدخل ، ولكن دادى كينج لم يهجه كل هذا وقال وهو يغادر المكان : « لاتنس البذرة يا أبى » .

والناس كثيرا ما يتساءلون عن مصدر حب مارتن لعدم العنف .. هل ترى أتى إليه من والديه ؟ أو من جديده ؟ و دادى كينج كثيرا ما يقص علينا حادثة وقعت له وهو لا يزال طفلاً . ففي ذات يوم طلبت منه أمه أن يملأ دلواً بالماء ، فذهب وملاها ، وفي طريق عودته استوقفه رجل أبيض وقال له : « أعطني الدلو يا ولد .. » ، وأجاب دادى كينج : « لا أستطيع ، فإنى ذاهب » .

إلى أمي. وأصر الرجل الأبيض على طلبه ، وأصر دادي كينج على الرفض ، وجذبه الرجل الأبيض ومزق ملابسه حتى تركه عاريا تماما وضربه ضربا مبرحا . ولما عاد دادي كينج إلى أمه وأخبرها بما حدث كان أول شيء قالته : « أقسم لي أنك لن تقهر هذه الحادثة على أبيك ، لأنك لو فعلت فسيقتل أبوك هذا الرجل الأبيض » .

ثم خرجت هي نفسها ومعها عصا وضربت الرجل الأبيض ، ويبدو أنه انفرط خجله من الواقعة لم يذكر عنها شيئا ، ولذا فقد مرت بسلام رغم أن خبرها شاع في المنطقة ، ولما سمعها جدمارتن أخذ بنديقيته وخرج وراء الرجل الأبيض . والواقع أن أسرة كينج طوردت كثيرا من المنطقة وعاشت في الغايات لأسابيع طويلة بعد هذه الحادثة حتى نسيت تماما . ومن هذا يتضح أن عدم العنف لم يورث لمارتن من أسرته . والغريب أيضا أن والد مارتن تعلم في سن مبكرة جدا أن يقف ويدافع عن حقوقه .

فقد كان لجيمس كينج عشرة أولاد ، وكان دادي كينج الابن الثاني ، وقد أمضى شبابه تعسا للغاية بسبب الفقر المدقع الذي كانت تعانيه الأسرة ، واليأس الذي كانت تعيش في ظله ، ولذا فقد أدمن والده على الشراب . ولعل هذا هو السبب في أن دادي كينج كان لا يذوق الخمر أبدا ، لما شاهده من أضرار ألحقها بآبيه .

وكان العمل الذي يقوم به دادي كينج في شبابه عملا غير مشرف فقد كان عليه أن يعنى بالبغال ، وكان الأطفال في مدرسة ستوكبريدج يعيرونه بقولهم إن رائحته كريهة كرائحة البغال ! ولكنه كان يرد عليهم قائلا : « قد تكون رائحتي مثل رائحة البغل ولكن عقلي لا يشبه عقل البغل ! » ، وكان عمله هذا سببا في الطوائه وانعزاله وبعده عن الفتيات .

وكان فيما بعد يقول : « الواقع أني أعاني من عقدة البغال ، ولقد أقسمت عندما أغادر البلاد ألا أكون عبدا لأحد ، ولا أعني ببغل واحد آخر » .

ولما بلغ دادى كيننج سن السادسة عشرة غادر موطنه واتجه نحو أتلانتا وهو لا يحمل معه سوى خذائه الذى وضعه على كتفه . ولما مر على منزل صاحب المزرعة قال لنفسه : سيكون لى منزل كهذا فى يوم ما ، بل سيكون منزلى أكبر . وسأصبح فى يوم ما مديرا لبنك كهذا الرجل تماما ، والواقع أن والد زوجى تمكن فى السنوات التالية أن يحصل على كلتا الرغبتين ، بل وأكثر .

فى هذا الوقت كانت الفرصة تبدو بعيدة الخال ، فقد كان لم يتعد الدراسة الابتدائية ، ولكنه كان رياضى الجسم ذا ذهن متقد . وكان يعمل طوال اليوم كمساعد ميكانيكى ثم كأحد عمال المطافىء ، وتقلب فى أعمال كثيرة . وبدأ يدرس فى المدارس الليلية ، وكان شديد التدين ، ولذا فقد بدأ يعظ السكان . وكانت فصاحته على المنبر إلهاما له ولكثير من مواطنيه ساعده عليه حبه وإيمانه بالناس .

وظل يعمل راعيا فى كنيستين خارج أتلانتا ، ثم التقى بالبرتا كريستين ويليامز ، وكان والدها فسيسا معروفا فى كنيسة إبيسزور المشيخية ، يحتل هذا المنصب منذ ثلاثين عاما ، أما كريستين فقد كانت فتاة صغيرة الحجم تعمل مدرسة بعد أن تخرجت فى كلية سبيلمان بأتلانتا . وهى كلية تعتبر أحسن كلية للبنات الزنجيات ومازالت مناهجها وهيئة التدريس بها على أعلى المستويات . وفى رأى أنه إذا كان الاختلاط لابد أن يحدث فيجب أن يتأق ذلك من الجانبين ، وعلى البيض أن يفكروا جديا فى أن يعيشوا بأولادهم إلى بعض مدارس الزنوج ، مثل مدرستى سبيلمان ومورهاوس .

وبعد التخرج التحقت حماتى بمعهد هامبتون بفرجينيا ، ثم هادت إلى أتلانتا لتعمل بالتدريس . ولما تقابلت مع دادى كيننج أحبا بعضهما بعضاً ثم تزوجا بموافقة أبيها ، وانقل الزوجان إلى منزل الوالد الفسيح الذى يقع فى أهم شوارع أتلانتا .

وبعد فترة من الزمن طالب الأب من زوج ابنته أن يعمل معه كساعد قسيس وفي عام ١٩٣١ توفي الوالد إثر نوبة قلبية وأصبح القسيس كينج راعيا لكنيسة ايبينزر .

وظلت جدة مارتن تعيش مع ابنتها وزوجها ، وشهدت مولد أولادهما الثلاثة : كريستين ومارتن لوثر الأكبر والفريد دانييل مارتن . وكان مارتن كثيرا ما يحدثني عن صفات جدته الروحانية وقلبها العطوف الحنون ، وكان إذا ما ارتكب خطأ ما وضربه أبوه يتحمل العقاب دون كلمة ، ويصمم على عدم البكاء ، لأنه كان يعلم أن جدته تقف دائما وراءه والدموع تنهمر على وجنتيها بسبب ما يلقاه هو من عقاب .

ورغم مشاغل والد مارتن ومسئوليته العديدة فإنه استمر في الدراسة ، وتخرج في المدرسة الثانوية ، والتحق بكلية مورهاوس ، وحصل على شهادتها وهو أب لأولاد كبار . وكان والد مارتن يتمنى أن يبقى مستقبله ، ولذا فقد واصل أعماله التجارية بجانب عمله في الكنيسة وأصبح مديرا لشركة تأمين المواطنين ، فكانت له أسهم في شركات أخرى ، وكان دائما يقول : لو كان بوسعي أن أتخلى عن المواظ على لسكرت جهودي للتجارة ، ولأصبحت في ميدانها شخصا مرموقا . وكان بالفعل شخصا مرموقا في الميدانين المدني والديني ، فقد عين كبيرا لأمناء كلية مورهاوس بجامعة أتلانتا ، كما عين بكلية موديس براون .

وكان دادى كينج شخصا مقتصدا لا يحب الإسراف ، وحتى بعد زواجه من مارتن كنا دائما نفيظه ونتهمه بالبخل ونقول له إنه يقطع الأميال ليقصد بضعة سنتات ، بغض النظر عما ستكونه الرحلة من بنزين ، لأنه كان ولوعا بالمساومة ، وكان دائما ينتقدنا إذا ما كلفنا أحدا بأجر ليغسل سيارتنا ويقول : ولماذا لاتقومون أنتم بغسلها ، .

وكان مارتن ، الاشتراكي النزعة ، يرد عليه بقوله : « إن لي نظرية فيما أفعل يا أبي ؛ فالمجتمع يقوم على التخصص في الأعمال ، فإذا أنا قمت بفصل سيارتي فسيكون معنى هذا أني أحرم شخصا آخر من العمل ، .

ويبتسم أبوه ويرد : « أفعل ما تشاء يا بني ، بعثر نقودك كما يحلو لك ، وإذا أفلسنا فتمال إلى مساعدك .. » ، وكان بالفعل يعني ما يقول ، فرغم حبه للنقود والاقتصاد ، كان لا ييخل على أسرته بأي طلب مهما يكن .

أما والدة مارتن فهي سيدة أنيقة ذات روح دعاية ظريفة ، وأعتقد أن مارتن ورث منهاروح الدعاية هذه ، ولديها دائما العديد من القصص والنكات وأنا أحب من بينها القصة التي تقول فيها إنها ذات يوم كانت تتركب السيارة مع دادى كيننج يبحثان عن كنيسة دعى هو للوعظ بها ، فأوقفا زنجيا عجوزا وسألاه عن الطريق فقال : « استمرا في سيركما نحو ميلين ، ثم انعطفا إلى اليمين . . . كلا ، كلا ، بل واصلوا السير إلى مفترق الطرق ، ثم انعطفا إلى اليسار . . . كلا ، كلا ، لا أعتقد . . . ثم أخذ يحك رأسه وقال : « لا أعتقد أني أعرف الطريق إلى هذه الكنيسة ، .

وشكره دادى كيننج لكل هذا الجهد وواصل السير بالسيارة ، ولجأة سمعا من يصيح خلفهما ، ولما نظرا ، وجدا الرجل يعدو مسرعا نحوهما ، فتوقفا ، وعادا إلى الخلف بالسيارة وأنصتا إليه والامل يحدوهما ، ولهت الرجل وهو يقول : « كل ما أريد أن أقوله لكما هو أني قابلت أخى وقد أخبرني هو الآخر أنه لا يعرف أين تقع هذه الكنيسة ، .

وماما كيننج سيدة تتصف بالنشاط الشديد ، كما تكرر جمودها للكنيسة وأعضائها . وقد اعتادت الأسرة أن تتلقى دائما دعوة تليفونية من ماما كيننج تطلب فيها مناقشة فكرة رائعة خطرت لها لصالح جماعة من الشباب ، أو برنامجا كنسيا ترى أنه يعود بالفائدة على الجميع .

وكان تأثيرها في مارتن كبيرا ، فقد تعلم منها الصمود الصامت ، والدقة ،

والعناية والمثل الاخلاقية العليا . وكانت مواهبها هذه كلها بمثابة بركة لسلك أفراد الأسرة بل وسلك أفراد ايئزر .

أما دادي كينج فقد كان يحب كل أولاده حبا جما ، ولكنه كان يعبد مارتن . ومنذ أيام قليلة ماضية سمعته يتكلم لأول مرة منذ المأساة عن بعض الاحداث التي وقعت في حياته . وقال : « كان مارتن يتمتع دائما بخاصية ، حتى قبل أن يتعلم القراءة ؛ كان دائما يحيط نفسه بالكتب ، ويبدو أن فكرة امتلاك الكتب كانت تروق له ، وقد تعلم قراءة التعاليم الدينية قبل أن يبلغ الخامسة من عمره ، وقبل أن يستطيع أن يقرأ الإنجيل بنفسه بسنوات عديدة ، وكانت جدته ويليامز امرأة متدينة جدا ، وكانت بمثابة الإلهام للطفل الصغير ، وكان يرتل التراتيل الدينية وهو في السادسة ، ويواصل ترتيلها حتى لاتضيع من ذاكرته » .

« وأخذناه مرة إلى أحد المؤتمرات المشيخية ، وكانت أمه تعزف على البيانو ، في حين يغنى مارتن أغنيته الدينية المفضلة : « أريد أن أتقرب أكثر وأكثر إلى يسوع » . ولما انتهى من الغناء أخذ الناس يصيحون والدموع تنهمر من أعينهم ، ولكن الطفل الصغير لم يملأه الغرور ، بل توجه إلى مكانه ، وجلس فيه بكل هدوء وتواضع » .

« وكان مارتن يحب الإفصاحات إلى المجيدين من الوعاظ حتى لو لم يكن قد بلغ سنا تؤهله لفهم كل مايقولونه ، وكان بمجرد أن يسمع عن واحد منهم يطلب مني أن آخذه معي للاستماع إليه . وأذكر مرة ، وكان في العاشرة أنه قال لي إثر انتهاء الوعاظ من كلامه « لقد استخدم هذا الرجل بعض الكلمات الكبيرة ، وعندما أكبر ياأبي سأفعل مثله تماما » . والحقيقة أنه بمجرد أن تعلم القراءة أصبح يعيش بين المعاجم والقواميس ، يبحث فيها عن الكلمات ومعانيها .

والواقع أن هادى كينج قد يبدو أمام بعض الناس مبالغا عند حديثه عن مارتن ، ولسكن الواقع أنه رجل صاحب فكسة دائما وليس حزينا أوجادا كما قد يبدو الآن. وكان هادى كينج طفلا صغير الحجم ، جسم النشاط ، محبا للرياضة ، وكان يظهر الخلف فى فرقة كرة القدم بكلية مورهاوس : كما كان يمارس لعبة السلة والسباحة . ورغم أنه كان شديد الولع برياضة التنس فإن الفرصة لم تسنح له ليلارسها ؛ لأن معظم ساعات التنس كانت مخصصة للبيض فى ذلك الوقت . وحق بعد أن أصبح قائدا للحركة لم يتوقف عن رياضاته هذه ، بل كان يلعب كرة السلة مع أفراد الحركة ، ويزداد سرورا إذا مادرب أحد أولادنا على نوع من الرياضة .

وفى الأيام المطيرة التى يكون فيها مارتن موجودا بالمنزل كثيرا ما يسمعى الناس وأنا أطلب من أولادى أن يكفوا عن لعب الكرة داخل المنزل . ويرد على مارتن بقوله : « وأين يتسنى لنا اللعب إذا ؟ » ، والواقع أنه لم يكن لدى رد على مثل هذا السؤال ،

ومارتن لم يعرف عنه أبدا أنه اشتكى من شدة العمل ، وأذكر مرة أن أسرته قد اشترت فرنا بالفحم لمنزلهم ، وسرعان ماتعلم كيف يشعله ، وكيف يطفئه آخر الليل . وكان يستيقظ مبكرا ليفتح الفرن ويضع فيه الفحم ، وينظفه جيدا قبل إشعاله .

وتعلم زوجى الكثير عن التفرقة خلال الأيام الأولى من حياته ؛ فقد كانت تسكن بجوار منزل آل كينج أسرة من البيض ، وكان لها أولاد فى مثل سنه كثيرا ما يشتركون معه فى اللعب ، ولما بلغ مارتن السادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية الخاصة بالزوج ، على حين ذهب أصدقاؤه إلى مدرسة أخرى للبيض ، فقد قرر أولياء أمورهم أن الوقت قد حان لوضع الأمور فى نصابها ، وفتاة أبلغوا مارتن أنه لم يعد باستطاعته اللعب معهم لأنهم بيض وهو ملون . واحتبس صوته وأسرع والدموع تملأ عينيه إلى منزله ، إلى أمه التى ضمته إلى

صدرها وقالت له إن ذكاه هو السبب ، وبدأت تقص عليه قصة أهله ، فشرحت له تاريخ العبودية ، وكيف أن البيض — حق بعد القضاء عليها ظلوا ينظرون إلى أنفسهم وكأنهم أحسن من السود ، وكيف أنهم سنوا قوانين التفرقة حتى يظل الزوج يشعرون أنهم عبيد . . وقالت له إن ما حدث له يحدث لعشيرته كل يوم ، وختمت ماما كينج حديثها بالاغنية الزنجية التي طالما تغنيها الأمهات الزنجيات : « إنك لست أقل من أحد » .

وثمة حادثة أخرى حدثت لمارتن أيام صباه ، ولا يزال يذكرها ، فقد أقامت جمعية لخطابة من بين الطالبة مباراة للزوج في فن الخطابة ، وكانت المباراة مستعقد في فالدوستابولاية جورجيا ، أي على مسافة بعيدة من أتلانتا . وسافر مارتن للاشتراك في المباراة ومعه أستاذه ، وحصل على الجائزة الثانية في المباراة . وطبعي أن يكون شعوره وشعور أستاذه بالسرور بالغاً ، ولكن هذه السعادة لم يكتب لها أن تطول ؛ فعند وصولهما إلى « أوتوبيس » ، أتلانتا وجدا أن المسكان المخصص للزوج ملئ ، ولذا فقد اضطرا أن يقطعوا المسافة إلى أتلانتا واقفين على أقدامهما . ويقول مارتن إن سخرية الموقف لفتت نظره ، فرغم الجائزة التي حصل عليها فإن البيض لن يفسحوا له مكاناً بينهم .

وكان مارتن شاباً محظوظاً إذا قورن بكثير من الشباب والشابات الزوج ، ورغم كل هذه الحوادث فإن ظروف حياته كانت بمثابة جدار يحميه من كثير من أخطار التفرقة ، وكان تشبهه بأبيه عاملاً مساعداً له في الحياة . فقد حارب دادى كينج التفرقة العنصرية منذ بدتها ، وكان شخصاً يعتز بكرامته إلى أقصى الحدود ، ويقول : « عندما أقف أريد من الجميع أن يدركوا أن الذي يقف أمامهم رجل » . ولذا لم يكن يركب « الأوتوبيسات » إلا نادراً ، لأن الزوج كان عليهم أن يركبوا في مكان في مؤخرة الأوتوبيس ، ولكن الظروف كانت تضطره ، وبخاصة قبل أن تتحسن حالته المالية ، أن يستقل « الأوتوبيس » ، فكان عندئذ يقول : « حتى لو اضطررتي القانون أن أركب في مؤخرة « الأوتوبيس » ، فإن ذهني لا يزال في المقدمة » .

وكان دادى كينج من رواد جمعية تحسين حال الملونين، وفي عصاة الناهجين بأتلانتا، كما كان عضواً في مجلس مكافحة العنصرية بأتلانتا، وهو المجلس الذي كان له أكبر دور في الحفاظ على السلام بين العناصر المختلفة، وفي تحسين أحوال الزوج التي كانت على أسوأ ما تكون. وكان دادى كينج على رأس المطالبين بإلغاء التفرقة في مساعد المحاكم حتى قبل أن ينضم مارتن إليه. ولعل أهم نصر اكتسبه هو في كفاحه في تسوية مرتبات المدرسين الزوج بالبيض. وبعد ذلك وعندما انخرط مارتن في سلك الحركة كان أبوه واحداً من أهم عناصر الكفاح في أتلانتا.

وسنحت لمارتن فرص كثيرة في صباه ليشهد أباه وهو يعمل. وذات مرة دخل الاثنان محل لبيع الأحذية، وجلسا في المقاعد الامامية، وجاء البائع وطلب منهما بأدب أن ينتقلا إلى المقاعد الخلفية. وثار تائرة دادى كينج وقال للبائع: «لماذا لم تلب طلبنا ونحن في أما كنا هذه فلن نشترى منك شيئاً». وأجاب البائع: «لا أستطيع».

وسحب دادى كينج مارتن من يده وخرجا من المحل، وقال له — وهما في طريقهما «لا يهمني المدى الذي سأعيشه مع كل هذه الأمور، فإن أقبليها أبداً، بل سأحاربها حتى الموت».

والواقع أنه مامن شخص يستطيع أن يجعل من شخص آخر عبداً له، مادامت لا تفكر تفكير العبيد.

ومرة أخرى — وهي حادثة معروفة جداً — كان مارتن يجلس في السيارة بجوار أبيه عندما أوقفهما أحد جنود المرور وقال لدادى كينج: «أرني رخصتك يا ولد».

وأشار دادى كينج إلى ولده وقال في صوت قوى: «أرى هذا الطفل؟ لأنه ولدى، أما أنا فرجل».

ويقول مارتن إن دهشة رجل المرور كانت بالغة ، حتى إن يده كانت ترتعش وهو يكتب المخالفة .

وواصل مارتن دراسته في المدرسة الابتدائية ، ثم انتقل إلى جامعة أتلانتا ليدرس في إحدى مدارسها الفنية ، ثم دخل مدرسة بوكر واشنطن وكانت مخصصة للزواج وبها خمسة آلاف طالب ، فقد كانت المدرسة الثانوية الوحيدة للزواج بأتلانتا ، ودرس منهج فصلين في عام واحد ، ودخل امتحان القبول لـ كلية مورهاوس . ومارتن كان دائما يشير في حديثه إلى ضحالة التعليم الذي تلقاه في أتلانتا في مدارس الزواج . ورغم أن قدراته الشخصية كانت هائلة ، ورغم أن ظروف حياته كانت تفوق بكثير ظروف حياة الآخرين ، إلا أنه عند دخوله مورهاوس كان مستواه ضعيفا للغاية . ويمكننا أن نتصور هلى هذا القياس مستوى الآخرين .

ومورهاوس واحدة من أكبر كليات الزواج في الولايات المتحدة الأمريكية ، والامر التي ترسل أبناءها للدراسة بها يشعرون بنفس زهو الامر من البيض إذا ما أرسلوا أبناءهم للدراسة في جامعة هارفارد ، لأن مستواها رفيع جدا ، ومناهجها شاملة . ومن بين خريجيها مورديخاى جونسون عميد جامعة هوارد السابق ، وبنيامين مينز ، وجورج كيسلى ، أستاذ الاخلاقيات المسيحية في جامعة درو ، وهوارد ثورمان العميد السابق للجامعة بوسطن وروبرت جونسون رئيس تحرير مجلتي « ايونى » و « وجت » . وتخرج مارتن في كلية مورهاوس عام ١٩٤٤ وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وكثيرا ما كان يتحدث عن مدى استفادته من الوقت الذى أمضاه بها ، وكان دائما يعد على أن يلتحق بها أبناؤنا ، مارتن وديكستر .

وعندما التحق مارتن بمورهاوس كان يريد دراسة الطب أو المحاماة ، فقد كان اهتمامه شديدا بالأمور الثقافية ، وكانت رغبته ملحة في أن يقوم بدور اجتماعى يخالف فيه كل ما أجمعت عليه التقاليد البالية ، ولذا فلم يكن

يرغب أبدأ في دراسة الدين ، ورغم شعوره المتدين القوي فإنه لم يكن يرضى عن عاطفية الكنيسة كما عرفها ، بل كان يؤمن بعقيدة اجتماعية أخرى لم يكن يسمع عنها كثيراً في وعظ الوعاظ ، وحتى وهو في هذه السن المبكرة قرر مارتن أن يكرس حياته لتحسين أحوال الجماهير الزنجية ، ولكنه كان يعتقد أن نجاحه في هذا المجال سيكون أوقع لو ابتعد عن مهنة القساوسة .

وأيقن مارتن عند التحاقه بالكلية أن حياته سارت على نهج مستقر يخالف حياة معظم زملائه ، فكانت له أسرة وصلات أسرية ، وأهل وأقارب يساعدونه في وقت الشدة . وكان والداه يحضران كل الاحتفالات المدرسية ، أو المناسبات الرياضية التي يشترك فيها ابنهما . وكان دادى كينج يرى أن حضوره ضرورى لتشجيع أولاده ، وبخاصة إذا كانوا يقومون بنشاط غير عادى ، وكانت ماما كينج تصحبه دائماً .

وأخذ مارتن ينمو اجتماعياً ويمس بما حوله ، ورأى أن أول واجب له هو أن يبحث في الأحوال المعيشية لكل من لا يتمتع بفرص العيش الكريم ليتعرف مشكلاته ويمس بأحاسيسه ، وكان يرى أن عليه أن يشترك هو أيضاً في نفقات تعليمه بدلا من الاعتماد كلية على أبيه . ولذا فقد أثر خلال أول صف له في المدرسة أن يلتحق بعمل يدوى بدلا من أن يلتحق بعمل كتابي ، واشتغل حالا في شركة البضائع بالسكك الحديدية ثم عمل في مخازن إحدى شركات المراتب بالجفوب . وكان هذا العمل مرهقا له جدا من الناحية الجسدية وكان أبوه يحثه على تركه ، ولكن مارتن صمد ، فقد تعرف خلال عمله هذا إلى كثير من العمال وصادقهم ، كما تعرف أيضاً إلى الأحوال التي يعملون فيها تحت إمرة الرؤساء البيض ، فكان رئيس العمال بالسكك الحديدية ينادى العمال دائماً بكلمة « زنجى » . كما تحمل مارتن نفسه كثيراً من الإهانات اليومية في هذه الشركة .

وفي صيف عام ١٩٤٥ التحق مارتن مع عدد آخر من طلبة مورهاوس بالعمل في حقول التبغ بولاية كونيكتكت. وكان عملا بسيطا ، ولكن زوجي كان دائما يشير إليه فيما بعد بأنه كان تجربة مشيرة ، لأن العمال كانوا يستطيعون دخول كل المطاعم ودور السينما في هذه الولاية الشمالية . ولكن عندما وصل بهم القطار لدى عودتهم إلى حدود الولايات الجنوبية وحاولوا أن يتوجهوا إلى عربة الطعام طلب منهم عامل القطار أن يجلسوا إلى الموائد الخلفية ، بل وأسدل ستارا أمامهم يحجزهم عن باقي الركاب . وكان مارتن يقول : « أحسست أن هذا الستار قد أغلق أمامي الباب عن نفسي » .

وفي كونيكتكتيت طلب الزملاء من مارتن أن يؤمهم في الصلاة ، نظراً لتجربته في الأمور الدينية . ويبدو أن هذا الطالب هو الذي حول أنظار مارتن إلى العمل الديني . ولكن قراره النهائي أتى بتأثير من الدكتور بنيامين ميز عميد كلية مورهاوس . وفي الأعوام التي تلت ذلك كان مارتن يشير إلى الدكتور ميز على أنه « مشيره الروحاني » ، فقد تخرج في كلية بيتس ، ثم واصل الدراسة لنيل الدكتوراه ، وأصبح عميدا لمورهاوس ، وهو من أكبر المناصب التي تمكن زنجي من الوصول إليها في الحياة الأكاديمية .

وكان دادى كينج أحد أمناء الكلية ، وصديقا حميما للدكتور ميز الذي أبدى اهتماما كبيرا منذ البداية وحتى النهاية بمارتن . والواقع أنه لم يعتمد أن يقوده نحو العمل الديني بقدر ما كان له أكبر التأثير في مارتن بشخصه هو ؛ فقد كان ينظر إليه كمثل أعلى .

وكان الدكتور ميز قريبا جدا من قلوب الجماهير رغم مركزه وذكائه ، وكان كثيرا ما يشير في عظاته إلى العدالة الاجتماعية ، ويمكن القول إن وعظه كان وعظا اجتماعيا ، بما اتفق إلى حد بعيد مع عقيدة مارتن . وكان بعد ذلك في عمله الديني يؤمن بأن مساعدة الناس على حل مشكلاتهم التي تواجههم في حياتهم اليومية لا تقل أهمية عن تطهير أرواحهم .

وفي مورهاوس أنصت مارتن إلى الدكتور ميز وإلى قسيس لملاح آخر هو الدكتور جورج كيلسي رئيس قسم الدراسات الدينية . ومن هنا أيقن مارتن أن مهنة القسيس يمكن أن تكون مهنة لها قدرها من الناحية الذهنية ، كما هي مرضية من الناحية العاطفية . وبمجرد وصوله إلى هذه النتيجة انفتح الطريق أمامه إلى الكنيسة . وصمم على أنه سيعمل لإيجاد توازن بين كل من العقل والروح ، والذهن والعاطفة ، وقد ظل يعمل طيلة حياته لهذا الهدف الوصول إلى هذه الغاية . ولما تسلم أول عمل ديني له اتكأ بكليته على الناحية الدينية فيه ثم أخذ يهون قليلاً قليلاً من قبضته هذه ، ويدع نفسه على سجيته ويبرهن مشاعره بغية الوصول إلى قلوب الناس وإلهامهم ، لادخال الكنيسة وحسب ، بل ضمن نشاط الحركة التي يقودها أيضاً .

وفي سن السابعة عشرة ذهب إلى أبيه وبسط أمامه رغبته في العمل الديني . وحاول الأب إخفاء سروره بإبداء بعض الشكوك ، واقترح على مارتن أن يقدم موعظة على سبيل التجربة أمام جمهور صغير في إحدى قاعات كنيسة إيميتزر . ولكن بمجرد أن شاع الخبر بأن مارتن الأصغر سيلقي بموعظة ، تدافع الناس إلى القاعة حتى امتلأت ، وامتلات أيضاً الطرقات خارجها .

وقد قام الكثيرون بوصف هذه الموعظة الأولى لى عدة مرات حتى أصبحت الآن أستطيع أن أرى بعيني رأسي مارتن ، وهو يمتلئ شباباً وبراءة وقلماً حتى لاني أشك في أنه استطاع أن يقول كلمة واحدة . ولكن الدكتور ميز قال فيما بعد : « كان الشاب أكبر من سنه بكثير ، وتكلم كلام رجل له تجربة لا تقل عن العشرة الأعوام ، كان متزنًا ناضجاً ، له فهم كبير للحياة ومشكلاتها يفوق ما توقعناه » .

وكانت الموعظة ناجحة للغاية ؛ فقد ورث مارتن طلاقة أبيه رغم أنه اتخذ أسلوباً أقل حماسة ، وكان شبابه الغض سبباً في تعويض مظهر عليه من جهد لمحاولة إظهار قدراته . وجلس دادى كينج والزهو يملؤه ، والتواضع وحمد الله

يرتسمان على وجهه . وركع على ركبتيه في تلك الليلة وتقدم بالشكر والعرفان
لربه لمنحه إياه مثل هذا الابن .

ويبدو أن مارتن كان يمر بفترة تغير ، فقد أخذ يتم اهتماما بالغاً بعمله
الديني ، ولم يعد يفسر في الفتيات أو يتواعد معهن ، ثم لم يعد يذهب إلى
المراقص ، بل ظل في غرفته يصلي ويبتهل ويقرأ الإنجيل معظم الوقت ؛ فقد
رأى أن عليه أن يظهر نفسه أولاً . والواقع أننا لانجد الكثير من الشبان يقبلون
على مثل هذه الأمور ؛ لأنهم لا يفهمون ما يقرب عليها من نتائج ، ولكن من
يقبل عليها يجد من نفسه دافعا ورغبة في خدمة البشرية ، وهذا في حد ذاته
جزء كبير يعوض الكثير مما يحرم منه .

والقسيس عليه أن يتوخى جانب الحذر دائما ، لأن الحكم عليه خلقيا
لا يتوقف ، وعليه أن يعود نفسه على النزر اليسير من الحرية . وكان مارتن
يرى أن تسير حياته على نهج مثالي إذا كان ينوى أن يقود الناس ، وبالإضافة
إلى كل هذا نجد أن التعليم المشيخي تميز هي الأخرى بالعصامة ؛ ومثال
ذلك حادثة سأرويا : فقد ذهب مارتن في أوائل أيام وعظه إلى أحد
المراقص ، فما كان من دادي كينج إلا أن أحضره أمام جميع المشيخين وطالب
منه أن يعتذر . أما بعد ذلك ، وفي الوقت الذي تعرفت فيه إلى مارتن فلم
ألاحظ عليه أي بادرة من هذا التشدد ، فقد كان دائما عطوفا محبا للسر ، محبا
لصحبة الناس ، ويبدو أن كل ما عاناه من آلام عندما بدأ عمله الديني كان
قد اختفى تماما من شخصيته .

وفي عام ١٩٤٧ — وكان مارتن في الثامنة عشرة من عمره — تم تنصيبه
رسميا ، وأصبح زوجي راعيا لكنيسة إيميتز .

تخرج مارتن في كلية مورهاوس وهو في التاسعة عشرة من عمره ، ولم
يكن أحد عندئذ يشك في أنه سيواصل دراساته الدينية ليحصل على درجة
الدكتوراه ، وتقدم لمعهد شيكاغو الديني ، وللمعهد كولوجيت ، ومعهد أندوفر

نيوتن ، ومعهد كروزر بشستر بولاية بنسلفانيا . وقد اختار مارتن هذا المعهد الأخير ، ولما أبلغ أباه بذلك قال له الأب : « إنك مازلت صغيرا على هذا المعهد » .

وبالطبع لم يكن مارتن صغيرا ذهنيا ، وكان أبوه يعرف ذلك تمام المعرفة ، ولكنه كان يخشى عليه من عنف المنافسة في هذا المعهد . وهنا يظهر لنا مرة أخرى هذا الحب العميق المتبادل بين الأب والابن ، الحب القائم على الاحترام والإعجاب ، والذي جعل من مارتن ، رغم عزوفه عن معارضة أبيه علانية في أية قضية ، يتمسك ويحارب من أجل ما يريده ، حتى ينتهي الأمر إلى إقناع الجميع بأنه يسلك الطريق الصواب . وكان مارتن شخصا قوى الحجة ، وكان إذا ما استخدم كل طاقاته في هذا المجال مع أبيه ، فإن دادى كينج كان دائما يذهن .

وذهب مارتن إلى كروزر . وهناك كرس نفسه للدراسة وحدها ، فقد كان قد استقر عزمه على ما يريد من الحياة ، ولذا فقد جدد في دراساته على عكس ما كانت الحال عليه في مورهاوس عندما لم يتمكن من الحصول على أعلى الدرجات . أما في كروزر فقد حصل خلال ثلاث سنوات متتالية على أعلى الدرجات . ويبدو أنه أفتنع نفسه أن يحثه عما يريد قد انتهى ، وعليه الآن أن يعمل ليصل إليه .

وكان مصمما على أن يحصل على أرفع درجات التدريب التي تؤهله للعمل الديني ، كما كان اهتمامه ونشاطه دافعين له لحضور بعض محاضرات علم الفلسفة في جامعه بنسلفانيا ، وللقراءة المستفيضة . وقد قرأ مارتن حياة كثير من العظماء — من بينهم حياة المهاتما غاندى — خلال وجوده في كروزر ، وقد قرأها عدة مرات بعد ذلك ، ولكن قراءته هذه كانت أول مرة . واختلط مارتن ببعض الزوج في فيلادلفيا . وقد أعرب زملاؤه عن حبهم وتقديرهم له بانتخابه رئيسا للفصل في كروزر ، وكان بهذا أول طالب زنجي يفوز بهذا الشرف .

وتقدم مارتن للدراسات العليا ، وقبلته كل من جامعة ييل وبوسطن .
ولكنه اختار جامعة بوسطن لانه كان يريد الدراسة تحت إشراف
البروفيسور إدجار برايتمان والبروفيسور هارولد دى ولف ، وهما أستاذان
تخصصا فى الفلسفة الخاصة بالشخصية .

وفى أثناء دراسته فى بوسطن خلال خريف عام ١٩٥١ ، ذهبت أنا
للدراسة فى كولسر فانوار نيوانجلند للموسيقى .

وفى سبتمبر عام ١٩٥٣ ذهبت مع مارتن بعد عقد قراننا إلى بوسطن ،
حيث أتم هو لإجراءات إقامته كطالب لبعده الرسالة التى سيتقدم بها لنيل
الدكتوراه ، كما كنت أنا أنوى لإتمام دراستى فى الكولسر فانوار . واستأجرنا
شقة فى منزل عتيق بجوار منزل مارتن القديم وكان بها أربع غرف : المطبخ ،
وغرفة النوم ، وغرفة الجلوس ، وغرفة للقراءة حيث كان مارتن يوالى القراءة
لإعداد رسالته ، على حين كنت أنا أستذكر دروسى فى هرة النوم ، ولم أكن
أتمرن على الغناء فى المنزل أبدا حتى لا أزعج مارتن .

وكان برنامجى صعبا جدا ومزدحما ، فقد كانت هذه هى آخر سنة فى الدراسة
وكان على أن أتقدم للامتحان فى ١٣ علما حتى أستطيع الحصول على شهادة
التربية الموسيقية وعلى شهادة للغناء . وكانت دراستى لأصبح مهنية موسيقى تقتضى
أن أدرس : الصوت ، والعزف على البيانو ، وقيادة جوقة المنشدین ، وتنظيم
الفرق الموسيقية وقيادتها ، والعزف على آلات النقر ، والآلات الوترية ،
وآلات النفخ ، والآلات النحاسية . ولم يكن هذا يعنى أن شهادتى ستؤهلنى
للعزف على كل هذه الآلات ، بل كان المفروض أن أحصل على تجربة كافية
بكل المستويات الموسيقية حتى أستطيع أن أدرس نظرياتها .

وكانت دراسة كل هذه المواد والتمرين عليها تعنيان لى دفعة هائلة إلى
الامام خلال العام الأخير فى بوسطن ، وفى الفصل الدرامى الثانى مارست

التدريس فعلا في مدرسة ثانوية ومدرستين ابتدائيتين . وكنت أول مدرسة زنجية تدرس للأطفال البيض ، وقد تقبلوني عن طيب خاطر . وقد سعدت جدا عندما قالت الناظرة — وهي سيدة وفور متحفظة من سيدات نيو انجلاند — للفتش : إنني مدرسة ناجحة ، وإن تلاميذي يستجيبون ويشاركون باهتمام في البرامج الموسيقية .

واشتركت خلال هذا العام في كثير من الحفلات الغنائية ، واشتركت مع أوركسترا الكونسرفاتوار في افتتاح حفلة قدمت فيها أوبرا للوسيقار السكوبي « اماري رولدان » ، وهي أوبرا عصرية واسكنها صعوبة الفناء . وكانت سعادتي بالغة لاختياري القيام بدور فيها ، وكنت مازلت عروسا عليها مهام كثيرة ، ولكنني كنت أعلل نفسي بأن أقول إننا بعد الدراسة سنستقر إلى حياة مرتبة هادئة . كنت ساذجة لا أعرف الكثير ! .

أما مارتن فكان يعمل بجد ولشاط أيضا ، وكان بجانب دراساته يذهب للوعظ في بعض الكنائس المحيطة بوسطون . ويبدو أنه أخذ يتطور ليصبح واعظا طلقا ، لأن منطقة بوسطون لاتزال تذكر هذا الشاب المدهش . ورغم أنه كان يمضي ساعات طويلة في مكتبة الجامعة ، إلا أنه كان يمضي ساعات أطول في المنزل ، وكان يقوم ببعض الأعمال المنزلية أثناء تنجبي في عمل ، فكان يقوم بالأعمال الثقيلة بل وبالغسل أيضا . وكان لدينا حوض بالمطبخ كنت أضع فيه الملابس المتسخة وأغمرها بالماء والصابون ثم أعود لأجده قد غسلها . وكان يحاول جاهدا أن يتقن الأعمال المنزلية واسكن دون جدوى ، فهو لم ينجح أبدا في هذا الميدان .

وكنا نقوم بشراء حاجاتنا يوم السبت من كل أسبوع ، وكان عليه هو أن يقوم بالطهو كل يوم خميس ، لأنني كنت أذهب للدراسة في الساعة السادسة ، وكان مارتن قد تعلم الطهو في أثناء إقامته مع صديقه فيليب لينود ، وكان دائم يزهى بهذا ، وكان يعد لنا « طبقا » من لحم الخنزير والكرايب والدجاج المحمر

وآذان الخنزير ، ولم أكن أحب هذه الأخيرة أبدا ، ولكنه كان هو يفضلها لأنها لذيدة ورخيصة الثمن ، . ويبدو أنه فعلا ابن أبيه . وكان أيضا يطهو أنواعا من اللفت على الطريقة المعروفة في الجنوب ، وممها بعض لحم الخنزير . وكنا نحب الطعام المتبل الشديد الحرافة ، وبمرور السنين ، وبسفرياتنا المتعددة ، بدأت بعض الأنواع الأخرى تدخل على قائمة طعامنا ، ولكننا لم نتعلق إلا بطعام الجنوب . وكان الناس في بعض الأحيان يدخلون إلى مكتب القسيس في كنيسة ايبزور ليشهدوا زوجي يتناول طعامه المعد من كارع الخنزير .

يا لمارتن العزيز ، كان دائما يشكو من أن طعامنا دسم ، ويضيف إلى الجسم شحما ، ولكنه رغم ذلك يحبه . ولم يكن أبدا يهتم بما يسمى « الرقيم » .

ورغم ما حاول أن يقدمه لي من مساعدات منزلية فإن هذا لم يثر غضبه أبدا ، ولم يجعله ينجعل مما يفعل ، فقد كان كاملي الثقة برجولته . والواقع أن النظام الاجتماعي في أمريكا يهد كيان الرجل الزنجي بقوة تفوق ما يحدث للمرأة الزنجية ، وما زال الرجل الزنجي يجد صعوبة في العثور على العمل ، في حين أن المرأة الزنجية لا تواجه هذه المشكلة ، والرجل الأبيض ينظر إلى الزنجي بعين الشك ، على حين أنه لا يفعل ذلك تجاه المرأة الزنجية !! وكانت أية ظاهرة للرجولة من جانب الرجل الزنجي في ذلك الوقت تعتبر ظاهرة خطيرة يجب قمعها ، وكانت في بعض الأحيان تقمع في الجنوب بحبل يلتف حول العنق . وبهذه الخلفية فإن الأمر كان ، حق عهد قريب ، عسيرا بالنسبة للرجل الزنجي ، فهو لا يستطيع أن يحتل مكانه الطبيعي كرجل أسرة ومسؤول عن أمنها وسلامتها . وإذا كنا نجد الزنجي ينتقص عن الوفاء بتبعاته ومسؤولياته ، فالسبب في الحقيقة يرجع إلى الضغط القاسي الذي يجده من مجتمع ملء بالعداء والكراهية ، وليس لقصور في شخصه هو .

أما مارتن فلم يكن يعانى من هذا النقص ، كما لم يمر بفترات قلق نفسي كالتى

يمر بها الامر بكى الالبيض ذاته ، فكان دائما يعاملنى بحيث أشعر بأنوثتى إلى أبعد الحدود ، لأنه كان رجلا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . وبعد زواجنا قال لى : أريد من زوجتى أن تحترمنى كرب لهذه الامر ، لأنى أنا وحدى رب هذه الامر .

وضحكنا معاً لقوله هذا ، واتهمته أنا بالغرور ، فراجع قليلا وقال : بالطبع . . أنا لأعنى هذا تماما ، فالواقع أن الزواج شركة يقسمها اثنان .

ولكن يبدو أنه كان بالفعل يعنى ما قاله أولا، وقد حاولت أن أكيف نفسى لاتناسق مع رأيه هذا ، وأعتقد أنى نجحت بتفوق . وكان بالرغم من هذا يشجعنى دائما على إبداء رأى وتحقيق ذاتى ، رغم أنه لم يسر تماما لمسألة على ، فقد كان يريد تحمل المسؤولية كلها وحده وكان يقول : على أن أكسب ما يسمح لى بتولى أمر امرتى وزوجتى . وكان يوافق على أن أقوم بالتدريس ، أو الاشتراك فى الحفلات الموسيقية ما دمت أرغب فى ذلك حتى أحس باستقلالى . وواصلت العمل حتى بعد أن اشترك هو فى حركة المقاومة ، وكانت النقود التى أكسبها تستخدم فى بعض نواحي هذه الحركة . وكنت دائما أقول لى لولم أتزوج رجلا قويا لانتهى بى الامر إلى ارتداء البنطلون ١١ والواقع أن مارتن كان رجلا قوى الشخصية إلى حد أننا لم نكن نخشى حدوث مثل هذا الامر ، وكان ينقل قوة شخصيته هذه إلى أنا وإلى الآخرين ، وخاصة الرجال منهم الذين كانوا يستمدون قوتهم من اختلاطهم به ، كما كانوا ينجذبون إلى شخصيته .

وما من شك أن مارتن اكتسب شهرة واسعة واحتراما جما ، ولكنه كان فى حياته الخاصة هو نفس الرجل الذى يمكننى كامرأة أن أحبه وأحترمه .

ودرس مارتن بجوار منهاجه العادى فى بوسطن منتهجا آخر هن أفلاطون فى جامعة هارفارد تحت إشراف الدكتور رافائيل ديموس ، كما درس الفلاسفة الوجوديين المعاصرين ، مثل : جان بول سارتر ، وكارل جاسبرز ، ومارتن

هايدجر . ورغم أنه كان لا يتفق معهم في روح اليأس وعدم التقرب إلى الله ، إلا أنه كتب فيما بعد يقول إن ما أعطته الوجودية ينحصر في الإحساس بالقلق والصراع الناجمين عن حياة الشخص الخاصة وحياته الاجتماعية وما يستتفها من أخطار والغاز .

وكانت دراساته هذه جانبية ، لأن زوجي اندفع بكلية إلى دراسة فلسفة الشخصية . وكانت جامعة بوسطن مهد هذه الدراسات ، وكان رائدها الدكتور برايتان . ولما توفي الدكتور برايتان في عام ١٩٥٣ أشرف على دراسة مارتن الدكتور هارولد دي ولف . وكانت الفلسفة الشخصية تروق لمارتن ، لأنها تتم أولا بالشخص وتحمل في طياتها — كما عبر هو : « أن معنى الوجود الحقيقي يمكن العثور عليه في الشخصية » . وبعد مغادرته بوسطن بسنوات هدية كتب مارتن يقول : إن المثالية الشخصية لا تزال هي عقيدتي الفلسفية . وإصرار هذا المبدأ على القول بأن الشخصية ، النهائية واللائهائية ، هي الحقيقة بعينها ، يقوى إيماني في ناحيتين ، لأنه يمنحني الأسس الميتافيزيقية الفلسفية لتكوين الفكرة عن إله ، كما يمنحني أسسا ميتافيزيقية لإيماني بقيمة الشخصية الإنسانية وقدرها ، .

واختار مارتن لرسالة الدكتوراه موضوع المقارنة بين مفهوم الإله بين مبدأى بول تليتش وهنرى نيلسون ويمان . وكان موضوعا مسلما للغاية . لأن مارتن لم يتفق مع رأى أى منهما في مفهوم الإله ، لأنه كان يؤمن بأن الله لانهائي ، وفي ذات الوقت شخصي . فهو إله يحب يعمل من أجل الخير ويصرع الشر القائم في العالم ، وكان يرى كما أرى أنا أيضا أن كل من يهب نفسه لله ليس سوى آلة في عجلة هذا الصراع الرائع .

وقد يظن البعض أن السنة الأولى من زواجنا لم تكن سوى هل مضن وتفكير عميق ، وأنا لم نرفه عن أنفسنا أبدا خلالها . والواقع أن الذى يعرف

مارتن جيدا لا يستطيع أن يقول ذلك ، والحقيقة أنه لم يتيسر لنا الوقت الكافي
للفراغ ، ولسكننا كنا نستغل كل دقيقة تمنح لنا فيه .

وجاءت أمي لزيارتنا في أوائل عام ١٩٥٤ لتحضر حفل تخرجي ، وخرجنا
إلى إحدى المنتزهات العامة بجوار الشاطئ ، وكان بالمنتزه حديقة للألعاب ،
وأرضينا وقتا ممتعا ، واشترك مارتن في معظم الألعاب ، وخاصة التزحلق على
الجليد ، وظل هو وفيليب يتزحلقان على الجليد حتى أخذ التعب منهما كل مأخذ .

وكان اليوم يوم أحد ، وكان زوجي قد ألقى موعظة في صباحه ، وحضرت
أمي وكان إعجابها به شديدا ، فلما شهدته يجرى بين الألعاب لم تكن تصدق
أنه نفس الرجل العاقل المتزن الوقور الذي كان يتحدث منذ بضع ساعات
وقالت له : « أعلم يا مارتن أنك الآن تشبه طفلا في الرابعة من عمره » .

والحقيقة أن حياته كلها سارت على هذا المنوال : لعب حتى آخر
يوم من أيام حياته وتروفيه ، في وسط أعصاب الساعات . كان مارتن يجلب
للسرور إلى حياتنا بما جبل عليه من مقدرة ليرى المرح في أكثر المواقف
صعوبة .

وكما كانت الحال قبل زواجنا فلقد اقتصرت حياتنا الاجتماعية على أقراننا
من زنوج الجنوب الذين كانوا يدرسون في مختلف الكليات والجامعات .
والواقع أن الزنوج كانوا معزولين في أماكن خاصة ، ولذا فإن الاختلاط
في مجتمع بوسطون لم يكن سوى خرافة سطحية ، فقد كنا نعيش في حي يقطنه
كله الزنوج ، ورغم أن مراكز العلم كانت مختلطة بالاسم ، إلا أن مساحتها
الكبيرة لم تسمح بوجود جهود خاصة لاشتراك الزنوج في نشاط الجامعات .

ويرجع هذا العزل إلى أن بوسطون ذاتها مدينة بها جو من الرسميات
يختلف تماما عن جو الجنوب ، وهذا لا يعني بالطبع أننا في الجنوب كنا نمضي
وقتنا مع البيض ، ولكن ، حتى الزنوج فيما بينهم في الجنوب تسودهم روح

من الدفء والحرارة وكرم الضيافة . ومع ذلك لم نياس . وأيقنت أنا ومارتن أن بوسعنا الاختلاط مع البيض لو حاولنا ، اى إن المسألة كانت تحتاج إلى محاولة ، لأن المناخ الاجتماعى وقتئذ لم يكن يسمح للبيض والسود أن يشعروا بالراحة والبعد عن الحرج فى صحبة بعضهم بعضا .

وكان النشاط المحبب لدينا إبان إقامتنا فى بوسطن هو اشتراكنا فى نادى الفلسفة ، وكان يجتمع كل يوم جمعة ، حيث يقرأ أحد أعضائه بحثا يعده هو ، ثم تملؤه مناقشة عامة لموضوع البحث ونقده له . وكان هذا النادى فى بداية الأمر مقصورا على السود ، وكان مارتن قد أخذنى معه إليه أيام خطبتنا ولكن بمجرد أن ذاع خبر المناقشات الحية الذكية التى كانت تدور فى النادى أخذ البيض يشتركون فى عضويته .

وفى شتاء عام ١٩٥٤ أو شك مارتن على الانتهاء من رسالته ، وبدأ يبحث عن كنيسة يمكنه فيها ممارسة نشاطه وتعاليمه بنية تحسين أحوال الجماهير الرنجية ، ووصلته عروض عديدة من بينها كنسيتين فى الشمال ، وكنيسة فى الجنوب ، كما عرض عليه منصب العمادة فى إحدى الكليات الصغيرة ، ومنصبان للتدريس بجانب ذلك . وكان مارتن — وأنا أوافقه — يفضل الإقامة فى جو أكاديمى ولكن هذا لم يكن ليتفق مع رغبته فى خدمة مواطنيه ، رغم قوله إنه قد يأتى اليوم الذى يتولى فيه منصب التدريس والوعظ فى إحدى الكليات ، بجانب عمله الأساسى . وعلى مر السنين كان دائما يعبر عن رغبته هذه ، ويحلم بالساعات القليلة التى قد تسمح له بالتدريس فى إحدى الجامعات الصغيرة حيث يستطيع التفكير والتأمل ، بدلا من أن يقفز من عمل لآخر ومن نشاط إلى نشاط .

ومع ذلك كان العمل الدينى هو محط اهتمامه الأول ، وإذا فقد بدأنا نفكر فى اختيار الكنيسة المناسبة . وهنا اختفنا . كنت أريد العودة إلى الجنوب يوما ما ، رغم حبي له . وقد يبدو أنى كنت أناانية فى هذه الرغبة فى أن أستشقى

عبر الشمال ، وأتمتع بالجو الثقافي المتفتح فيه ، وأستفيد من كل هذا في دراساتي الموسيقية ، ولكن ظروف حياتنا لم تكن تسمح بكل هذه الرفاهية . وكان مارتن يرى أن الوقت قد أزف ليسير قدما إلى ما كتب له القدر . ولذا فقد كان لزاما عليه أن يعود إلى الجنوب فوراً . ليسكرس جهوده وحياته للوصول إلى حل ، ولم يكن هذا الحل يبدو أمامه سهلاً ميسراً ، بل صعباً معقداً . وقد حذرني مراراً من ذلك . والآن وجدته يقول لي : سأعود إلى الجنوب ، وسأعين في الجنوب ، لأن الجنوب هو المكان الذي يحتاج إلى ، .

ولم يكن هذا يعني أن مارتن لم يهتم بالمظلومين في أى مكان سوى الجنوب ، أو بأى شعب سوى شعبه ، بالعكس ، كان شعوره دائماً مع مهضوى الحق مهما كانوا وحيث كانوا . ولكنه كان يؤمن أن المكان المناسب له هو كنيسة في الجنوب ، فهناك سيربط حياته بحياة أناس يريد أن يخدمهم ويكرس حياته من أجلهم ، وظلمنا نفكر أياماً طويلة ونناقش الاحتمالين ونطلب من الله الهداية في الاختيار ، واضطرت أخيراً إلى الإذعان إلى رغبته ، دون صراع ، لأنى كنت قد آليت على نفسي عندما تزوجته أن أتبعه حيثما يذهب .

وساعدنا قسيس أتلانتا ، وهو صديق لأميرة كينج ، على أن يحصل مارتن على دعوة للوعظ في كنيسة ديكستر المشيخية في مونتجمرى بولاية ألاباما ، وكانت هذه الكنيسة بحاجة إلى راع يحل محل الدكتور فرنون جونز .

وقد توفي الدكتور جونز منذ سنوات ، ولكنه كان في ذلك الوقت في الخمسين من عمره ، وكنت أسمع زوجى ووالف أبرناثي يجلسان يتبادلان القصص عن هذا القسيس الجريء الذى كان يقسو كثيراً على مواطنيه ، ويقول مارتن إن هدف الدكتور جونز هو شرح حالة السوء الذى كان يعيش فيه المواطنون أمام أعضاء كنيسة ديكستر ، وكان هذا لا يتأتى إلا بمحاولة صريحة ستصدمهم ليخرجوا من شعور الرضا والقناعة الذى كان يسود بينهم .

و ذات مرة كان الدكتور جونز يقوم بعقد قران اثنين من مواطنيه من الاسر البارزة ، وكان الحفل منمقا محترما ، وقبل انتهاء مراسيم القران توقف الدكتور جونز ونظر إلى الحاضرين وقال : « أريد أن أعلن أنه بعد القران مباشرة تستطيعون جميعا أن تنزلوا إلى كهف «بدروم» الكنيسة ، حيث يمكنكم شراء شرائح البطيخ ، الشريحة بخمسة وعشرين سنتا. أما من يريد شراء نصف بطيخة ، فسيكون الثمن دولارا ونصف دولار. ودون أن ينتظر لحظة واحدة واصل الدكتور جونز كلامه قائلا : «والآن أعلنكما زوجا وزوجة .»

وكان مارتن يروى لى هذه القصة ويحاول تقليد الدكتور جونز ، وكان مارتن بارعافى هذا التقليد ، فقد كان يتحكم فى صوته بحيث يشبه صوت الدكتور جونز الذى ينحدر من ولاية فيرجينيا .

ورغم أن أعضاء الكنيسة كانوا يعجبون جدا بالدكتور جونز وبشجاعته فى كل مايتصل بالحقوق المدنية ، وبذكائه الخارق ، إلا أنهم فى النهاية فضلوا أن يسلكوا طريقا آخر غير طريقه .

ودعى مارتن فى شهر يناير إلى كنيسة ديكستر ايلاق موعظة تجريبية ، وكان مارتن يشعر بالاضطراب لإزاء هذه الدعوة ، رغم أنه مارس الوعظ من قبل فى كنيسة ايمنزر ، وكان يداعب نفسه قائلا : « احتفظ بمارتن لوثر كينج فى الخلف فى حين يقف الله فى الأمام ، وسيسير كل شئ على مايرام . وتذكر أنك لست سوى وسيلة لإيصال الدين ، ولست منبعه .»

وذهب مارتن وألقى بموعظته ، وقابله أهل ديكستر بالترحاب ، وهللوا لهذا الشاب الصغير الذى يتكلم بحكمة الكبار ، وعبروا بذلك عن رغبتهم فى أن يبقى معهم .

ولكن مارتن فضل ألا ينتهى إلى قرار فى الحال ، وسافر إلى ديترويت ، ثم إلى شاتانوجا ، وألقى بعظاته فيها ، ورغم ذلك ظل قلبه معلقا بديكستر ،

لأن الجمهور كان ذكيا ، لما حارغهم أنه اعتاد على عاطفية كثير من المشيخيين ، كما كان مارتن معجبا بعراقة الكنيسة ذاتها .

وهنا ينبغي لي أن أعترف بأنني لم أكن في البداية متحمسة لهذا العرض ، قد يكسّر كانت تقع على بعد ثمانين ميلا من بلدي ، وكنت أعرف الحال فيها تماما ، وأعرف العذاب الذي يلقاه أهلها نتيجة لسكونهم زوجا ، رغم أن مونتيجمري هي أولى عواصم الاتحاد ، شعرت أن مونتيجمري ستسند على ستار الذكريات الاليمية ، وإن تمنحني أية فرصة للممارسة عملي ومستقبلي .

أما مارتن فكان اعتراضه الوحيد على ديكستر — وهو اعتراض جدي — هو أنه سمع أن والتر ما كال — وكان زميلا له في مورهاوس وصديقا عزيزا في كروزر — يريد الحصول على هذا المنصب . واعتقد مارتن أن وفاء لصديقه يحول دون قبول المنصب . ولكنه اتصل بما كال ، فأكد له هذا الأخير أنه يريد مواصلة التدريس ولا ينبغي أن يعتقد مارتن أنه ينافسه في المنصب . وقد أصبح ما كال فيما بعد راعيا في كنيسة أتلانتا ، وضم جهوده إلينا في الصراع من أجل التحرر .

وعاد مارتن إلى مونتيجمري في أبريل ليكمل لإجراءات تعيينه ، ولما وصل إلى بوسطن أخبرني أن الأمور سارت على ما يرام ، وأن تحمسه لهذا المنصب يزداد يوما بعد يوم . ولذا فقد استقر الرأي على أن يصبح راعيا للكنيسة ديكستر المشيخية في مونتيجمري ، وأن عليه أن يبدأ عمله في أول يوم أحد من شهر سبتمبر عام ١٩٥٤ ، وأنه قد وعد المسؤولين أن يتولى العظة في الفترة الحالية ، لأن الكنيسة لا يوجد بها واعظ . وأخذ يسافر منذ شهر مايو بانتظام إلى مونتيجمري ، ويعود ثانية إلى بوسطن .

وأيقنت رغم معارضي الأولى — أن مونتيجمري أصبحت نقطة حتمية في حياتنا . وأحسست أن زوجي أخذ منذ عام ١٩٥٤ يعد نفسه للقيام بدور خاص ستزداد أهميته مع الأيام ، وعلى أن أشترك معه في هذا الدور . وكانت

كل تجربة تمر بنا تعد بمثابة خطوة تمهيد ، للتجربة التي نلها : إن وجودنا في مونتهجرى كان مثل المسرحية التي تتكشف أحداثها تباعاً ، وكنا أنا ومارتن وسكان هذه المدينة الجنوبية أشبه شيء بممثلين يؤدون أدواراً مسرحية لم يقرأوها . ولكن القدر كان يسوقنا إلى هذه النهاية ، ويدفع بنا إلى اتجاه إيجابي معين ، وشعرنا أننا سمحنا لأنفسنا أن نكون أداة لتنفيذ إرادة العلى القدير الخلاقة .

وأخذت الأمور تعد مارتن ليسكون على رأس حركة تحرير الزوج ، ويعمل رمزا لها ، وأخذت هذه الأمور ذاتها تعدنى لأقف بجانبه كزوجة مخلصه . وفي مونتهجرى بدأت مهمتى تتضح أمام عيني ، وبدأت أتبين الطريق فيما يجب على عمله للوقوف إلى جانب زوجي وتمنيده في كل ماستأق به الأيام .

شاهدت كنيسة ديكستر لأول مرة يوم أحد في يوليو عام ١٩٥٤ . كنت قد تخرجت في الكولسر فانوار ، وذهبت لزيارة ماي ودادى كينج في أتلانتا في حين بقى مارتن في بوسطون لينتهى من رسالته . وحضر مارتن خلال إحدى عطلات نهاية الأسبوع وصحبنى معه إلى مونتهجرى لمقابلة أعضاء كنيسته .

وكنيسة ديكستر ذات بناء رائع على الطراز الفيكتورى ، تقع في وسط ميدان مونتهجرى ، وتواجهها دار المحكمة العليا من جهة ، ومن الجهة الأخرى تواجهها دار البرلمان لولاية ألاباما ، بقبتها الكلاسيكية ، وأعمدتها ، وبهوها الذى كان المكان الذى أدى فيه جيفرسون ديفيز أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية اليمين القانونية .

وكان الموقع غريبا إلى حد ما لكنيسة من كنائس الزوج تقع وسط كل هذه المباني الرسمية البيضاء ، والسكنى فى الواقع شيدت أيام الإصلاح عندما كان الزوج ينحصر بفترة تحرر قصيرة فى أعقاب الحرب الأهلية . وكان الزوج فى ذلك الوقت يمتلكون الكثير من مبانى مونتهجرى ، ولكنهم طردوا منها جميعا ، ولم يبق لهم سوى كنيسة ديكستر التى كانت بمثابة الرمز لتطلعات الزوج ، الذين يعيشون الآن بعيدا عنها فى مناطقهم المخصصة لهم . ويأتى معظم السكان إلى الكنيسة فى سيارات خاصة ، كما يأتى بعضهم عن طريق « الاتوبيسات » . ورغم بعد الكنيسة عن مكان إقامة الزوج ، إلا أنهم يشعرون بالفخر بها ولا يتذمرون أبدا من طول المسافة التى يقطعونها للصلاة .

وديكستر أقل حجما من لينزر ، فلا تسع أكثر من أربعائة شخص ، فى

حين تسع إبيينزر سبعةائة . والمترددون عليها قلة ، ولكنهم جميعاً من مستوى معقول ، فمعظمهم من خريجي السكليات ، وبعضهم يحمل درجات عليية ، ومن بينهم : الطبيب ، والمدرس ، وأستاذ الجامعة ، وصاحب العمل الناجح . أما الفقراء من الزوج في مونتجمري فكثيراً ما سمعهم يشيرون إلى ديكستر على أنها « الكنيسة الكبرى » .

ورغم جهود الدكتور جونز في محاولة لإيقاظ الضمائر فإن المترددين عليها لم يشجعوا جمهرة الناس على أن يشتركوا فيها ، كما أن كنيسة ديكستر لم تحاول في الواقع لإشراك جماهير الشارع في ألون نشاطها . وكان زوجي يرى أن الكنيسة عليها واجب جذب الناس من جميع الطبقات ، وأن العقيدة المسيحية تنادى بالمساواة التامة في ممارسة الدين . ولذا فقد عرف مارتن بعد مدة قصيرة بين الناس في المجتمع الأسود بأنه « الراعي الصديق » .

وفي أول يوم أحد لتوليته عمله قال لي مارتن إنه سيطلب مني أن أقول كلمة ، ولذا فقد أعددت خطبة قصيرة ، ولكني لم أكتبها لأنني كنت أريد أن أتحدث إلى الناس بشكل طبيعي لا افتعال فيه . وعند بدء الصلاة قال مارتن : « إن المسز كينج لديها بعض ما نقوله لكم » .

والواقع أنني لا أذكر تماماً ما قلته ، ولكني أذكر أنني حاولت أن أعبر عن سروري ، لأنهم طلبوا من زوجي أن يكون راعي كنيستهم ، وأناي سعدت جداً للإقامة بين ظهرائهم والعمل في مجتمعتهم ، مميئة أن هذه ستكون بمثابة تجربة جديدة على ، وطلبت منهم أن يبتلوا معي لله حتى أصبح زوجة صالحة لقسيس كنيستهم .

ويبدو أنني نجحت في الحصول على إعجابهم ، لأنني عندما قابلتهم بعد انتهاء القداس عبر لي الكثيرون منهم عن مدى سعادتهم بأن يستقبلونا للإقامة الدائمة بينهم في سبتمبر ، كما عبر بعضهم عن إعجابهم بي ، وأشاد بصغر سنني .

وقد كانت هذه الحقيقة مفاجأة لى ، فارتن لم يكن قد تعدى الخامسة والعشرين من عمره ، ولكن يبدو أن شخصيته القوية ، وحكمة كلماته ، جعلتهم يظنون أنه أكبر منى بكثير ، وعندما صاح واحد منهم قائلاً : « إن زوجة الدكتور كينج صغيرة فى السن » . أجبت قائلة : « إن زوجى هو الآخر شاب فى مقتبل العمر » .

وأذكر بعد ذلك عندما جاءت إلى ديكستر الأستاذة مارى فير بيرك — وهى أستاذة بكلية الألباما — جاءت ومعهما جو روبنسون ، وهو الآخر أستاذ فى تلك الكلية ، ولما رأيا مارتن قالت الأستاذة بيرك : « تريد أن تخبرنى أن هذا الشاب الصغير هو راعى كنيستى . إنه يبدو صغيرا لدرجة أنى سأضطر إلى إرساله إلى أمه بالمنزل . » . وكانت تشك كثيرا فى قدرته أن يقول ما يسترعى انتباهها ، ولكنها بمجرد أن استمعت إليه أعجبت به جدا . وقد تطورت قدرة زوجى على الخطابة مع السنين وأصبح الشخص — إذا استمع إلى مارتن وهو يخطب بإلهام — عرضة لأن يغير كل مفاهيم حياته .

وذهبنا مع أهل ديكستر لمشاهدة الأبريشية؛ وهى تبعد قليلا عن الكنيسة وتقع فى حى يقطنه الزوج فقط . وكان المنزل الذى أقمنا فيه من الحجارة البيضاء به سبع غرف وطفن « فرائدة » ، فسيح ، وقد أصبح فيما بعد من أشهر الأماكن . وقال أعضاء الكنيسة لأنهم على استعداد ليعيدوا تأثيثه بما يتفق ومزاجنا . . . ولكننا رفضنا ، فلم نكن نسعى إلى الشرف ، والأثاث به كان مريحا للغاية ، وكان بالمنزل كل ما نحتاج إليه ، وكنا قد عودنا أنفسنا كسبح الأهواء والرغبات .

وتبددت مخاوى بعد أن التقيت بأعضاء الكنيسة وزرت المنزل الذى سنقيم فيه ، وشعرت أنى سأكون فى منتهى الراحة فى كنيسة مثل ديكستر ، وأستطيع أن أقدم معونتى . ولا يعنى هذا أنى كنت أطمع لأن أصبح زعيمة مشهورة ، ولكنى أيقنت أنه سيكون لى دور فى خدمة هذه الكنيسة . وعدت

إلى أتلانتا وقد زاد اقتناعى بضرورة القيام بدور ما ولو أنى لم أكن أتبين هذا الدور بعد .

وبعد هذه الزيارة قال لى مارتن : « لقد أحببت هذه الكنيسة ، فهى المكان الذى أصبو لأن أبدأ عملى فيه . » وأجبتـه ـ بعد أن شاهدت ديكستر : « إذا كانت هذه رغبتك فإنى سأكون سعيدة جدا فى مونتيجرى ، فبينما تواصل أنت عملك الدينى ، سأحاول أنا أن أدرب نفسى لاكون زوجة صالحة لكسيس . »

ويبدو أنى كنت أحس أن عمل مارتن ككسيس لديكستر رغم أهميته ، لن يكون منتهى المطاف ، بل إن ما يتحلى به من صفات نادرة ستأخذه بعيدا عن هذا الهدف ، وإن تجربته فى ديكستر ليست سوى خطوة أخرى فى اتجاه قدرنا .

وخلال الأشهر الخمسة عشر التالية سارت حياتنا على وتيرة هادئة لا تعقيد فيها ، وتقلد مارتن منصبه رسميا فى سبتمبر عام ١٩٥٤ وانتقلنا إلى الأبريشية وأصبحنا مستقلين علينا أن نتولى أمور حياتنا . وفى أكتوبر حصلنا على إجازة أسبوعين ، وتوجهنا إلى بوسطن لينهى مارتن كل ما يخص رسالة الدكتوراه ويقدمها إلى جامعة بوسطن . وأذكر أنه قال لأعضاء كنيسته إنه مضطر للسفر بالقطار ، لأن زوجته تخاف ركوب الطائرة !! وقد خجلت جدا لقوله هذا واضطرت أن أتغلب فيما بعد على مخاوفى هذه . وفى بوسطن أردت أن أزور جميع أصدقائنا ولكن الذى حدث أنى بقيت فى الفندق طيلة الوقت كتابة رسالة مارتن على الآلة الكاتبة ؛ وكانت الرسالة فى ٣٥٠ صفحة .

وفى مونتيجرى كان برنامج مارتن دائما مشحونا ، فكان يستيقظ فى الخامسة والنصف صباحا ويعمل لمدى ثلاث ساعات فى رسالته ، ثم يعاود العمل فيها بعد العشاء أيضا . وخلال النهار كانت مشاغل كنيسته تأخذ كل وقته ،

مشاغل مثل الاستشارات والزواج والوفاة ، وزيارة المرضى ، ثم ينتهى به الأمر إلى المرور على كل أعضاء الكنيسة وعددهم يقرب من ثلاثمائة .

وكنت أنا لا أجد دقيقة فراغ واحدة ، لاني كنت أعمل بمثابة سكرتيرة لمارتن ، كما اشتركت في لجان عدة ، وكنت أغنى في جوق الكنيسة ، ورغم دراستي فإنني لم أحاول أن أتعالى على الباقين ، ولكنني حاولت أن أجعل من الجوقة أعظم فرقة دينية في مونترجمري ، فكنت أحيانا أغنى بمفردي ، كما كنت في الوقت ذاته أقوم ببعض التجارب البروفات ، تمهيدا للاشتراك في حفلتين موسيقيتين تعاقبت عليهما في مدن أخرى ، كل هذا بجانب عملي الاساسي ، وهو ربة أسرة في منزل مارتن .

وفي أول الأمر لم يكن بديكستر نشاط ديني ملحوظ بما ألقى مارتن ، فلم يجتمع الناس إلا يوم الأحد ، ولم يكن هناك سوى اتحاد التدريب المشيخي ، وهو اتحاد يهدف إلى نشر التعاليم الدينية ، ثم جمعية التبشير . وخلال شهور الخريف أخذ مارتن يعد برنامجا جديدا ليقدمه لمجلس الأساقفة عند اجتماعه في يناير . وقد تقدم تقريره يطلب إقامة لجنة تكون مهمتها تنشيط الثقافة الدينية ، ولجنة لتنشيط العمل السياسي والاجتماعي تقوم بدور في الصراع من أجل الحصول على حقوق للزواج ولجنة للحصول على منح دراسية المتخرجين في المدارس الثانوية ، ولجنة ثقافية هدفها تشجيع الناشئين من الفئتين الزوج ، كما قدم توصية بضرورة إعادة تنظيم ميزانية الكنيسة على نفس الخطوط التي سارت عليها كنيسة ايبينزر ونجحت بمقتضاها نجاحا باهرا . وكان برنامج هذا سببا في أن زيادة ميزانية الكنيسة إلى ثلاثة أضعاف خلال العام الأول من توليه منصبه . وكان مارتن يهدف أيضا إلى زيادة عدد المضمين إلى الكنيسة حتى لا تقتصر على الموسرين فقط ، بل تصل إلى فقراء الزوج الذين كانوا يهربون الانضمام إليها ، نظرا لما جلبت عليه من تفضيل الأغنياء . وكان برنامجا طموحا للغاية ، وبخاصة بالنسبة إلى قسيس شاب جديد ، ونظرا إلى قدم عهد الكنيسة وعراقتها . وكان المعروف أن أساقفة ديكستر يسيطرون على كل

الأمور ولا يلقون بالا إلى قساوستهم . وكان أحد أصدقاء والد مارتن قد حذره من مغبة التقدم بمثل هذه الافتراحات ، وكان يتكلم عن معرفة لأنه هو نفسه كان راعيا في كنيسة أخرى بمونتجرى ، قال لمارتن : « خذ حذرك من شخص واحد في مجلس القساوسة ولعله توفى الآن ، ولكن إذا كان حيا يرزق فأرجوك أن تبتعد عنهم جميعا ، لأن هذا الشخص سيجعل حياتك جحима ، » .

والواقع أن هذا الشخص كان في ذلك الوقت رئيس مجلس الاساقفة ، وكان زوجى يعلم تماما ماسيلاقيه منه ، ولكنه كان رغم ذلك مصمما على الصمود في وجه الجميع ، وقال لى : « سأكون راعيا لهذه الكنيسة ، وسأدير أمورها بنفسى ، » .

والواقع أن الأمور سارت على خير مايرام ، فعندما لمس الاساقفة من مارتن الدراية التامة بعمله ، وعندما علموا بتجربته فى إينزر ، تحمسوا لبرنامجهم تحمسا شديدا ، وهضدوه وأيدوه بلا حدودهم وأعضاء كنيسته ، واندفع فى البرنامج دون عقبات طيلة إقامتنا هناك . وكان الجميع يعاملوننا بكرم وتفهم زائدين عما توقعناه نحن .

وكان مارتن يمضى قرابة ١٥ ساعة كل أسبوع يعد فيها مواعظه ، وكان يبدأ يوم الثلاثاء ، ويواصل العمل فيها حتى يوم السبت ، وكان يكتب الموعدة ثم يبدأ فى حفظها ، فإذا ما جاء يوم الأحد وقف على المنبر وألقى بموعظة دون نص مخطوط ، وكان الجميع يعجبون لطلاقة ، وسلامة أساوبه ، وقدرته على الكلام دون الرجوع إلى نص مكتوب لمدة ٣٥ أو ٤٠ دقيقة .

أما فيما بعد ، عندما زاد عليه ضغط العمل ، وعندما كان على رأس حملة مقاطعة « الاوتوبيسمات » ، فلم يتيسر له وقت لكتابة مواعظه ، فكان حينئذ يرتجلها ، بعد أن تخطر له الفكرة ويناقشها معى ويقول : « لاني أفكر فى الأمر الفلانى ليسكون موضوع موعظتى يوم الأحد القادم ، » . ويبدأ فى إبراز النقط التى يريد الكلام عنها ثم تنافسها معاً ، وكان فى بعض الأحيان يضمن

الموعظة بعض اقتراحاتى ، وقد أيقنت عندئذ أنه يعترض بأرائى ، ولذا فقد أحسست بالرضا . وقد ظل هذا برنامجى حتى النهاية ، وساعدته كثير آفكرة رسم الخطوط الأساسية ثم مناقشتها .

وكنى أجلس فى الكنيسة أنصت لما يقول ، فإذا مالست غموضاً فى نقطة ما ، كننى أثيرها فيما بعد معه ، وأحاول أن أصف له رد فعل الحاضرين . كننى فخورة بمارتن وهو يقف على المنبر ، وكننى كننى أحاول ألا أثير له حتى أستطيع مساعدته ، وكثيرا ما كان يقول لى إننى أحسن ناقد له .

وقد ألقى مارتن فى ديكستر أهم خطبه ، لأنها كانت كلها تحوى رسالة اجتماعية بجانب المضمون الدينى ، وأذكر مرة بعد ذلك بسنوات عندما قال لى : دسألقى بموعظتى يوم الأحد ، وسيكون موضوعها كيف تعالج مشكلة الخوف . وفى الجنب كانت هذه مشكلة المشكلات وكانت إحدى الوسائل التى يستغها العنصريون وأفراد الكوكلوكس كلان ، وحتى رجال البوليس لكسر شوكة الزوج . وتحدثنا طويلا عنها ، ثم بدأ فى وضع خطوطها الرئيسية واختار لها عنوانا ، الترياق الشافى من الخوف ، وهى تعتبر من أحسن مواعظه .

وقال فيها مارتن : د لاخوف فى الحب ؛ لأن الحب يبدد المخاوف . والخوف عذاب . والذى يخاف لا يستطيع أن يحب بكليته .

ثم تحدث عن أنواع الخوف التى تساور الرجال والنساء فى مراحل التطور والتغير والقلق ، وتحدث عن الخوف من المرض ، أو الفقر ، أو عدم الكفاية الشخصية فى مجتمع مثل المجتمع الأمريكى يعتمد إلى حد خفيف على المنافسة . وقال إن أخطر أنواع الخوف هو الخوف من الموت ، أو القضاء على العنصر ، فى هذا العصر الذرى الذى يتأرجح فيه العالم كله على شفا الدمار ، الخوف من أن تؤدى زلة دبلوماسية بسيطة إلى إشعال نار الحرب والدمار .

واستطرد يقول : د إن بعض هذه المخاوف طبيعى وضرورى ، كالخوف

من الحيوانات المفترسة في الغابات ، ولكنها إذا ما تسلطت على الفرد بلا توقف
ثلث إرادته وحولته إلى يأس وسلبية . واستمداد كلمات ايمرسون الذي كتب
يقول : : إن من لا يتعلم كيف يتغلب على الخوف يوما يكون قد فاته أن
يتعلم كيف يحيا . .

كيف إذا تقاوم وتتغلب على الخوف ، قال مارتن : : أولا يجب علينا أن
نواجه مخاوفنا بلا رهبة دين وفهذه المواجهة ستمنحنا إلى حد ما بعض القوة .
ثانيا ، نستطيع الحد من مخاوفنا إذا لجأنا إلى بعض الفضائل الإنسانية
كالشجاعة ، فالشجاعة هي قدرة للعقل على مقاومة الخوف .

ثالثا ، الخوف يحد من جماح الحب ، وهو نفس الحب الذي قاد المسيح إلى
الصليب ، وشجع القديس بولس على أن يقف شامخا إزاء التعذيب المستمر .
هذا الحب ليس حبا رخوا ضعيفا أو عاطفيا ، بل هو الذي يتصدى للشر
دون تراجع . .

وأخذ مارتن يشرح كيف أن للكراهية بين العناصر والشعوب والدول
تنبع من الخوف ، وكيف أن الحروب جميعها تسببت عن الخوف لا الكراهية
ثم قال إن التفرقة العنصرية والظلم العنصري في أمريكا ناجمان عن خوف الرجل
الابيض من تطور وتقدم الزنجي . ثم قال : : إذا استطاع إخوتنا البيض أن
يتغلبوا على خوفهم هذا فينبغي لهم أن يعتمدوا ، لا على مبادئهم المسيحية
لحسب ، بل على الحب الذي ينبعث من الزنجي . وعلى الرجل الزنجي أن يقنع
الرجل الأبيض أنه في الواقع يبحث عن العدالة لنفسه ولإخيه الأبيض أيضا .

وختم مارتن موعظته قائلا : : والخوف تغلبه العقيدة والإيمان ، ونحن
بلا إيمان كالآيتام الذين ألقى بهم في غياهب الفضاء الخفيفة ، في عالم لا يقوم
على هدف أو عقل . ورغم أن الموت حتمي فنحن لانهايه . والله الذي خلق
عالمنا الدوار هذا ، والذي قاد البشرية عبر القرون ، يستطيع بلا منازع أن

يقودنا خلال ظلمات الموت إلى نور الأبدية ، وإرادة الله كاملة ، وأسبابه
لا حصر لها في هذا العالم الضيق . والموت ليس نهاية الشر ، الشر هو أن يبعد
الفرد عن حب الله . يجب ألا نشترك مع جماهير المجانين الذين يتهاكسون على
مقتنيات الأرض ويجعلون منها ملجأ دنيويا لهم . إن ملجأنا الأبدى هو الله .

وكانت هذه الموعظة التي ألقاها زوجي بعد تخطيط لنقطة دليلًا وتعبيرًا
عن شجاعته وحبه وإيمانه ، لأنه خلال الأعوام القليلة التي عاشها بعد ذلك وجد
نفسه بحاجة ملحة إلى كل هذه الأمور .

وفي مونتجمري كانت لنا صداقات عديدة ، وأخص منها صداقة أسرة
رالف أبرنathi . ورالف أبرنathi قسيس الكنيسة المشيخية الأول شاب متحمس
كارتن تماما للإصلاح الاجتماعي . وقد لجأ إليه مارتن قبل أن يقرر قبول
منصب ديكستر ليرى بنفسه أحوال قسيس شاب آخر في مونتجمري ، فشجعه
رالف وحثه على قبول المنصب وقد يكون السبب في ذلك هو الصداقة الوطيدة
والحب العميق بينهما ، حتى إن رالف كانت تروق له فكرة اشتغال مارتن في
مونتجمري .

والواقع أن حياة القسيس الشاب في بلدة صغيرة من بلاد الجنوب حياة
لامرحة فيها ، فكانت الأمسيات التي نتمضيها مع جوانيتا ورالف أبرنathi من
أمتع أساليب الترفيه لنا . وأصبح رالف فيما بعد زميلا مقربا لزوجي في حركة
الحقوق المدنية .

وتوطدت صداقتنا أيضا بكثير من أعضاء الكنيسة ، ومن بينهم المستر
والمسز جوزيف بروكسي ، وكان عازف الأرغن في كنيسة ديكستر وقد
ربط بيننا حب الموسيقى ، وكان منزلها جميلا ورائعا لأن ، جوزيف كان يمثل
الارستقراطية بأجلى معانيها . وكثيرا ما كنا ننظر إلى صورة هذا الرجل
المشرف وهو يعزف في التجمعات الجماهيرية في جو لم يفكر هو لحظة واحدة

أنه سيوجد فيه . وقد أمضينا أول ليلة لنا في مونتهجمري مع آل بروكس قبل أن ننتقل إلى الأبريشية — كما قدر لنا أن نمضي معهم ليلة أخرى مليئة بالرعب والمخاوف .

وكان ربيع عام ١٩٥٥ ربيعاً سعيداً علينا ، فقد حصل مارتن على درجة الدكتوراه في الفلسفة فرع الديانات المنتظمة ، وختم هذا ٢١ عاماً من العمل المتواصل ووصل إلى القدوة ، ولكن ليس إلى النهاية ، فإن مارتن واصل الدراسة طيلة حياته .

واكتشفت في هذا الربيع أني حامل ، وكان سرور مارتن لهذا النبأ يعادل سروره بدرجة الدكتوراه ، فقد كان حلمه منذ البداية أن يتزوج ويرزق أطفالاً وكانت سعادتنا بالغة ، وخاصة أننا كنا في شك قبل ذلك من قدرتنا على الإنجاب ، وكان مارتن يتحدث طويلاً عن حبه الأولاد ، ويقول لنا إذا لم نتجب فسنبقى بعض الأطفال ، أما الآن فقد أصبح زواجنا كاملاً ، وبقوة وبحماسة سمعته يقول إنه يريد ثمانية أطفال ، ولكن لم أوافق على هذا الرأي وفكرت قليلاً وقلت : « فلنصل إلى حل وسط ، ونكتف بأربعة ، وفعلنا هذا ما فعلناه .

وكان مارتن في منتهى الحنان والعطف خلال فترة حملي ، لأننا كنا نخاف أن يحدث ما لا نريده ، ولكن يبدو أن هذه مخاوف عامة ، وخاصة في الطفل الأول ، ولا سيما إذا كان الطفل قد طال انتظاره ؛ وكان مارتن يريد ولداً أولاً . وكثيراً ما كان يشير إلى الطفل الذي أحمله بقوله : « أريد أن أسمي ابني مارتن لوثر الثالث » .

وفي نوفمبر دخلت المستشفى لأضع ، وكان مستشفى كاثوليكيا ، وكان هذا غريباً ، ولكنه كان المستشفى الوحيد في مونتهجمري الذي يعامل الزوج بأدب ، رغم أن به عتابر غصصة للزوج وأخرى للبيض . وكان المستشفى يتعاضى عن هذه التفرقة إذا ازدحت شفايره بالمرضى ، وبخاصة في غير الولادة .

وولدت ابنتنا في ١٧ نوفمبر عام ١٩٥٤ ، وكانت طفلة جميلة ، وزنها تسعة أرطال و ١١ أوقية . والغريب أن مارتن لم يغم ، كما هي العادة مع جميع الأزواج ، لسكونها بلقا ، بل فرح بها جدا ، وكانت دائما مقربة لآيه .

وكانت طفلتنا منذ البداية كبيرة الحجم بالنسبة لسنها ، كما كانت متقدمة عن هذه السن دائما ، وقلت لمارتن بعد عودتي إلى المنزل : « الظاهر أننا يجب أن نتوخى جانب الحذر دائما مع هذه الطفلة ، لأنني أظن أنها ستكبر وتصبح شخصا شديد الحساسية » ، وبالفعل كبرت وصارت فتاة ذكية حساسة ، كما لمست أنا ذلك منذ أيامها الأولى .

واخترت لها اسم يولاندا دنيز ، ولسكن زوجي كان له بعض التحفظات على هذا الاسم ، فكان يتساءل : كيف سيناديها الناس ؟ يولاندا ؟ أم سيخطئون في نطق اسمها .. وكان على صواب في هذا ، فإن اسمها كثيرا ما ينطقه الناس بشكل خاطئ . مما يضايقها .

والمعروف أن الزوج من الطبقة المتوسطة كثيرا ما يحبون إطلاق الأسماء الغريبة على أطفالهم ، ويبدو أنهم بهذا يبحثون عن الأناقة أو عن الظهور ، وقعت أنا ضحية لهذه العادة ، بدلا من أن أكون أكثر تعقلا وأطلق على الطفلة أحد أسماء الأسرة . وقال مارتن فيما بعد : « إذا رزقنا بطفلة أخرى فسأطلق عليها اسما بسيطا مثل ماري جين » .

ولما رزقنا بطفلة أخرى أسميناها برنيس البرتين ، وهو اسم جدتها ، ورغم أنه ليس بسيطا كما أردنا إلا أنه على الأقل اسم متداول في الأسرة . والواقع أننا نناديها : باني . وننادي يولاندا : يوكي .

وكان مارتن يقول إن يولاندا أتت في وقت كان هوفي ميسس الحاجة إلى

ما يخفف الضغط الهائلة التي كانت تتنازعه عنده ، وكان كلما عاد إلى المنزل مرهقا مكدودا ورأى طفله تثرثر بكلام غير مفهوم ، فإن سعادته كانت لا تعادل . والواقع أن الطفل يعيد الحياة من جديد لأبويه . وبعد ثلاثة أسابيع من ميلاد يوكي ، حدث أن رفضت إحدى الخياطات — واسمها روزا باركر — التنازل عن مكانها في أحد أتوبيسات مونتهجيري وبدأت حركة الأتوبيسات .

(٦)

إن كل تطور للبشرية يحتاج لأن يقف على هضبة رجل وروح وحاجة ، وكل واحدة من هذه يجب أن تكون مناسبة لعصرها التاريخي وإلا ضاعت كل الجهود سدى . وفي مونتجمرى كانت روح العصر موجودة ، كما قال مارتن ، تكن تحت السلبية الظاهرة على الشعب الزنجي ، ودقت الساعة ، وظهر الرجل . ولكن كل ما حدث هناك لم يكن ليحدث لولا تجمع القوى وتزايد الآلام .

ويمكن القول إن حركة تحرير الزنوج في التاريخ الحديث بدأت في الواقع في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وكانت شرارات التدمير — كما وصفها مارتن — تزداد اشتعالا دون أن يلحظها أحد ، وترزح تحت عبء سلام ظاهر فرضه البيض ، لا في أمريكا وحدها ، بل في العالم بأسره ، وليس بين الزنوج فقط ، بل بين الأصويين وغيرهم من الشعوب المستغلة . وكان لضغط الحرب والثورات العديدة التي اشتعلت في أرجاء العالم أثرها في تمزيق السلطات المفروضة على المجتمعات ، وفي وصولها إلى درجة الغليان ، وأخذ ضمير العالم يصحو .

وكانت أول خطوة اتخذت في سبيل العدالة الاجتماعية في أمريكا هي إعلان الرئيس ترومان في ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن تعيين لجنة من المواطنين المرموقين للبحث في الحقوق المدنية تكون تحت إشراف الرئيس الأمريكي نفسه . وبعد مضي عام من تأسيسها ، وبعد أن عقدت عدة اجتماعات وقامت بكثير من الدراسات تقدمت اللجنة بتقرير عن مدى النقص الذي يعانيه مجتمعنا في مواجهة المثل الأعلى الأمريكي ، وأين يكن هذا النقص ، وتقدمت اللجنة

عدة توصيات تشمل الكثير من النواحي مما يجب أن يتخذ لتأمين حقوق كل مواطن أمريكي . وحق يومنا هذا لم يمكن تنفيذ نصف هذه التوصيات على الأقل تنفيذا صحيحا .

ولكن رغم هذا بدأت الأمور تتحرك ، وإن كان التحرك ببطء يدعو إلى الحزن ، فقد تقرر إلغاء التفرقة في القوات المسلحة الأمريكية مثلا ، وكان هناك أيضا بعض التطور الطفيف ، والكثير من الكلام والخطابة . وفي نفس الوقت بدأت أصوات الجماهير المظلومة في أرجاء العالم تملو ، وبدأت الشعوب المستعمرة تفك أسارها وتخلص من نير الاستعمار ؛ ففي الهند ، وإفريقية ، وجنوب شرق آسيا ، وجزر الهند الشرقية ، رأينا السكان من غير البيض يحصلون على استقلالهم ، وراقب زنوج أمريكا كل هذه الأحداث ورحبوا بها وهللوا لها .

وحدثت الخطوة التالية في السياسة الأمريكية في ١٧ مايو سنة ١٩٥٤ ، وكان مارتن في ذلك الوقت يعد رسالته في بوسطون ، عندما أعلنت المحكمة العليا أنها رجعت في قرارها القديم القائل بضرورة منح الزوج تسهيلات مشابهة ولكن منفصلة عن البيض في مسائل التعليم ، بما يتفق والبند ١٤ من التعديل الدستوري . وتقدمت جمعية تحسين أمور الزوج الوطنية بقضيتها التي عرفت فيما بعد باسم قضية براون ضد لجنة الشئون التعليمية بتوييكا بولاية كنساس ، والتي أعلنت فيها بجرأة أن التسهيلات التعليمية المنفصلة ليست متساوية . والواقع أن هذه حقيقة كان يعرفها كل زنجي منذ أعوام .

وفي عام ١٩٥٥ أتبعَت المحكمة العليا قرارها هذا بقرار آخر يقضى بإزالة التفرقة من كل مدارس الولايات المتحدة الأمريكية ، بكل سرعة ممكنة ، . وكانت هذه الجملة سببا في تعطيل تنفيذ هذا القرار ، وجاء قرار ثالث من نفس المحكمة يعضد القرارين السابقين يقضى بتنفيذ هذا الاختلاط في مدارس الجنوب

وكان رد الفعل لهذه القرارات عنيفا بالطبع وبخاصة في الجنوب ، وهبت مجالس المواطنين البيض محاولة إلغاء قرارات المحكمة العليا وبدأت جماعات الكوكلو كس كلان تزيل الغبار عن عباؤها وطراطيرها ، وتخرج مظاهرة تحرق الصليبان . وكنا في هذه الأيام نضحك ونقول : من ياترى من جيراننا يسير في هذه المظاهرات المتخفية ؟ . والواقع أننا علمنا بالفعل أن بعض التجار من البقاين وغيرهم قد اشتركوا في هذه المظاهرات .

وهذه حضور مارتن إلى مونتهجرى حل على طائفة عبء مسئولياته التي تقضى بمحاربة التفرقة بكل مظاهرها . وكانت لجنة النشاط السياسى التي ألفها في ديكستر إحدى سبله في ذلك ، كما زاد نشاطه في الفرع المحلى للجمعية الوطنية لتحسين حال الزوج ، وانضم إلى فرع مونتهجرى في مجلس العلاقات الإنسانية ، وهو المجلس الوحيد المختلط والذي كان يرأسه قسيس شاب أبيض اسمه راى وادلى .

ولكن مجهودات مارتن في سبيل إذكاء روح زوج مونتهجرى اعترضتها عقبات شديدة جدا ، لامن البيض وحدهم ، بل من المجتمع الزنجى أيضا ، فقد ساد الانقسام نتيجة للطبقية ومستوى التعليم . وكانت هناك أيضا ثلاث لجان أخرى خاصة بالحقوق المدنية ، كل واحدة منها تشهر بالحقد على الأخرى . أضف إلى ذلك كثيرا من المثقفين الزوج كانوا يخشون على أعمالها إذا هم اشتركوا في مثل هذه الحركات ، وتردد الكثير من القساوسة زاعمين أن الدين يجب أن يقف بمهزل عن السياسة . ثم إن جماهير الشعب الزنجى كانت لا تزال في حيرة من أمر السبيل المجدى للتعبير عن غضبها وعدم رضاها .

ولم يحدث شيء يستحق الذكر لفترة ما بعد قرارات المحكمة العليا هذه ، ولكن صدور القرارات في حد ذاته كان يمثل أملا أمام الشعب الأسود .

وفي نوفمبر عام ١٩٥٥ طلب من مارتن رئاسة المجلس القومى لتحسين حال

الملونين، وكان متحمسا لذلك كثيرا، ودفعته عدة ظروف إلى تولي الرئاسة . وكانت ماما كينج تقيم معنا في ذلك الوقت ، وكنت أنا وهي ننصح به برفض المنصب ، ويثبت له أنه أمضى الساعات الطويلة في إعداد رسالته . والآن عليه أن يكرس كل وقته للتقدم ببرنامجه الديني . وبعد العديد من المناقشات ، والكثير من الصلوات الحارة ، وافق مارتن على رأيي ورفض المنصب ، رغم أنه في ليلة ما حاول أن يعا كسني أنا وماما كينج ، ويقول إنه قبله . وقد ثرنا لذلك ، ولسكتنا ارتحنا لما اكتشفنا خداعه لنا .

وبعد وقت قليل قال لي مارتن : د لقد كنت أنت في منتهى الحكمة ، وكنت أنا سعيد الحظ لأنني لوقبت هذا المنصب لما تمسكنت من أن أفود مظاهرات مقاطعة د الاوتوبيسات ، ، إذ كنت سأعطي البيض سببا ليؤكدوا زعمهم أن مقاطعة د الاوتوبيسات ، ليست سوى مؤامرة دبرها المجلس القوي لتحسين حال الملونين . وقد أعلنت سلطات ألاباما بعد ذلك أنها لا تعترف بهذا المجلس ، وهو إعلان غير قانوني مطلقا ، وسرعان ما ثبت عدم قانونيته . ولو كان مارتن قد انضم إليه لحد هذا من نشاطه إلى أبعد الحدود، وكان القدر يقف إلى جانبه عندما رفض هذا المنصب .

والمعروف أن من بين كل الإجراءات التعسفية التي تقضى بالفرقة العنصرية في مونتجمري كانت القوانين الخاصة بخطوط د الاوتوبيسات ، أكثرها مهانة وذلة . والواقع أن شركات د الاوتوبيسات ، فاقت الجنوب ذاته في كل ما كانت تتخذه من قوانين ، فرغم أن سبعين في المائة من ركاب هذه الشركات كان من الزوج فإنها كانت تعاملهم كقطعان الماشية ، بل وأكثر ، فالواحد منا لا يمكنه إهانة بقرة . كان الزوج مرغبين على الوقوف في مؤخرة د الاوتوبيس ، حتى لو كانت المقاعد الأمامية خالية . أما إذا كانت هذه المقاعد محتلة وتجمهر البيض على د الاوتوبيس ، فقد كان لزاما على السود أن يقفوا لهم ويمنعوهم مقاعدهم ، وأكثر من كل هذا — ولا أظن أن الشماليين قد فهموا ذلك أبدا —

فقد كان على الزوج أن يدفعوا أجرهم في مقدمة د الأوتوبيس ، ثم ينزلوا ، وبسببهم حتى المؤخرة ليتخذوا أماكنهم فيها . وكان د الأوتوبيس ، في بعض الأحيان يواصل سيره دون أن يتمكنوا من الصعود إليه بعد أن يكونوا قد دفعوا ثمن تذكارهم . وكان هذا يحدث للسنيين والحبالي في الجو الصحراوي والمصاف المطير ، وكان السائقون يجعلون من هذه الواقعة موضوعا لتندرهم ، كما كانوا كثيرا ما يمدون إلى إهانة ركابهم بوصفهم زوجا ، أو أبقاراً سوداء ، أو قروداً سوداء ، ولك أن تتصور مدى المهانة التي يحسها رجل زنجي حين يركب د الأوتوبيس ، مع ابنه مثلاً ويلقي مثل هذه المعاملة .

وخلال مارس عام ١٩٥٥ رفضت فتاة تدعى كلوديت كوافين ، وهي في الخامسة عشرة من عمرها ، أن تتخلى عن مكانها لراكب أبيض ، وكان من نتيجة ذلك أن قبض على هذه الفتاة ، وهي تلميذة في المدرسة الثانوية ، ووضعت الأغلال في يديها ، وأرسلت إلى قسم الشرطة . وكان مارتين وقتئذ عضواً في إحدى اللجان التي كانت مهمتها الاحتجاج لدى سلطات المدينة ولدى موظفي شركة د الأوتوبيس ، على هذه المعاملة ، ولكن الجمعية لم تقابله إلا بالأدب الجهم الذي لا ينتج عنه أي شيء . .

وزادت النار اشتعالا حتى وقعت الحادثة التي كانت سببا في أجيجهاء ، ولم تكن سوى حادثة عادية ، ففي اليوم الأول من ديسمبر عام ١٩٥٥ ركبت سيدة تعمل حائكة — واسمها روزا باركس وتبلغ من العمر ٤٢ عاما — أحد د الأوتوبيسات . وقد وصف زوجها السيدة بقوله : « إنها سيدة ظريفة جدا ذات شخصية جذابة » ، ركبت هذه السيدة الأوتوبيس بعد عمل يوم بأ كلة قاصدة منزلها ، ووجدت الأوتوبيس مزدحما ، ولكنها عثرت على مقعد في مقدمة الجزء المخصص للزوج . غير أن السائق أمرها بأن تتخلى عن مقعدها هذا لأحد البيض ، وكان هذا يعني أنها ستضطر للوقوف حتى آخر المسافة . والواقع أن روزا باركس لم تكن في حالة تسمح لها بالثورة أو الاحتجاج ، ولم تفكر أبدا مقدما فيما فعلته ، إذ يبدو أن السكيل كان قد طفح دمها ، وكما

قالت هي فيما بعد : دكنت متعبة للغاية وقدماى تولمانى ، . جلست فى مكانها ورفضت أن تتزحزح ، فنادى السائق أحد رجال الشرطة الذى ألقى القبض عليها وقادها إلى دار المحكمة . وهناك اتصلت المسز باركس بشخص يدعى المستر نيكسون ، فحضر ودفع الكفالة وأفرج عنها .

والمسز نيكسون هذا كان أحد مواطنى الألباما الثوريين ، وكان يعمل فراشا فى إحدى عربات البولمان ، وكان له نشاط معروف فى سبيل الحصول على الحقوق المدنية ، ولجأة وجد هو الآخر أن الكيل قد طفع معه هو أيضا ، كما يبدو أن كل زنجى فى مونتجمرى ساوره مثل هذا الشعور ، واشتعلت النار لجأة ، وأخذت أجراس التليفونات تدق فى كل الأحياء الزنجية بالمدينة ، واقترح المجلس النسائى السياسى مقاطعة ، الاتوبيسات ، لمدة يوم احتجاجا على ما حدث .

أما نحن فقد كانت معرفتنا بهذا كله نتيجة لمكالمة تليفونية من المستر نيكسون لزوجى صباح يوم الجمعة الثانى من ديسمبر ، وكان قد تحدث قبل ذلك مع رالف أبرنائى . وأخذ نيكسون يصف لزوجى ما حدث قائلا : « لقد عملنا مثل هذه الأمور طويلا ، وقد حان الوقت لمقاطعة شركة « الانوبيس » ، فهذا هو السبيل الوحيد لإفهام البيض أننا لم نعد نحتمل مثل هذه الإهانات . »

ووافق مارتى على رأيه هذا ، وعرض عليه أن يقيموا اجتماعهم فى كنيسة ديكستر . وبعد عدة اتصالات تليفونية أخرى استقر رأى على أن يجتمع القساوسة السود وكل القادة المدنيين منهم فى مساء نفس اليوم ، وقد أخبرنى مارتى فيما بعد أنه تقدم بهذه الفكرة لأعضاء كنيسته وهو غير متأكد من أن جميعهم سيتعاونون معه ، ولكن لمروره وجد مارتى أن ما يقرب من أربعين من قادة الزنوج يمثلون كل قطاعات الحياة قد حضروا إلى الاجتماع فى ديكستر ، وكان من بينهم الأطباء والمحامون ورجال الأعمال والعاملون فى الحكومة ورؤساء النقابات والكثيرون جدا من القساوسة . وكان هؤلاء الآخرون

يقابلون برحاب شديد ، لالنفوذهم لحسب ، ولكن لأن حضورهم كان دليلاً على تقبلهم لأراء مارتن القائلة بأن الدين لا يهتم بالجنة لحسب ولكنه يهتم أيضاً بالأرض التي نحيا عليها ، وبأن أى تعاليم دينية تجبر بأنها تريد تطهير نفوس البشر وليس تطهير أماركن لإقامتهم ولا تنهم بأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية التي يرزحون تحتها ، ما هى إلا تعاليم جافة غير مجدية . ومنذ هذه الخطوة بدأ القساوسة المسيحيون يقودون صراعنا قائلين إن المبادئ المسيحية هى منبع الصراع .

وافتح الاجتماع بتلاوة صلاة قصيرة ، وانتخب القس روى بنيت رئيساً للاجتماع نظراً لتفريب نيكسون بسبب العمل . وأخذ الرئيس يشرح ما حدث لمسز باركس وقال : « لقد حان الوقت للحركة ، فلم يعد لدينا وقت للكلام ، بل علينا أن نعمل » .

وقال لى مارتن بعد عودته إلى المنزل : « إن الاسئلة التي طرحت كانت كثيرة لدرجة أنها كادت تهدد بإفساد الاجتماع ، ولكن بعد العديد من الأخذ والرد ظهر شيء واحد جلياً ، وهو الإجماع التام على المقاطعة ، وحدد لها يوم الاثنين الخامس من ديسمبر ، وأقيمت لذلك اللجان ، ووعد جميع القساوسة أن يحثوا مواطنيهم على الاشتراك فى المقاطعة ، كما وزعت آلاف المنشورات التي طبعت على الآلة الخاصة بالكنيسة ، تعدد أسباب المقاطعة ، وتحث الزنوج على ألا يركبوا « الأتوبيسات » وعم فى طريقهم « إلى العمل ، أو المدرسة ، أو أى مكان آخر يوم الاثنين الخامس من ديسمبر » . وطلب من الجميع حضور القداس الذى سيقام فى كنيسة شارع هولت المشيخية مساء اليوم نفسه ليتلقوا مزيداً من التعليمات . وكان قسيس هذه الكنيسة قد عرض أن يقام الاجتماع فى كنيسته نظراً لكبر مساحتها عن ديكستر ، ولموقعها الملائم للجميع ، إذ تقع فى وسط حى الزنوج .

وكان مارتن منهمكاً جداً خلال يوم السبت ، فقد أخذ هو وأعضاء اللجنة

يُنقلون من بين الناس وينظمون المقاطعة ، ويتصلون بأصحاب سيارات الأجرة من الزوج ليقوموا بنقل إخوانهم إلى العمل ومنه . أما أنا فقد كانت مشاركتي في كل هذا ضئيلة ، لأن يو كي كانت لا تزال في الأسبوع الثاني من عمرها ، وقد نصحتني الطبيب أن ألزم الفراش لمدة شهر . ولكنني كنت أواصل الرد على التليفون الذي لم ينقطع جرسه عن الرنين . وكنت أقوم بتوصيل الرسائل عن طريقه .

وكان كل اهتمامنا ينحصر في كيفية الوصول إلى خمسين ألف زنجي في مونتجمري ؛ وكان علينا أن نفعل ذلك مهما تسكن المتاعب ، خاصة أن الصحافة البيضاء حاولت أن تظهرنا بمظهر غير لائق في ثورتنا على ما نقوم به .

والذي حدث أن إحدى السيدات من البيض عثرت على أحد المنشورات ، وكانت خادمتها الزنجية قد تركته وراءها في المطبخ ، فما كان من سيدة البيت إلا أن تدق التليفون وهي في ثورة هارمة للصحف تبليغها ما يدبره السود . وقد ضحكنا كثيرا من تصرفها هذا ، وكان مارتن يقول فيما بعد إنها أسدت لنا خدمة جليلة .

وفي صباح يوم الأحد كان موضوع جميع المواقف في كل الكنائس الزنجية يحث الناس على الالتزام بالمقاطعة .

وعاد مارتن إلى البيت مساء يوم الأحد في ساعة متأخرة وأخذ يقرأ صحف الصباح ، وكانت كل مقالاتها الافتتاحية تهتم المجلس القوي لتحسين حال الملونين بأنه دبر قصة المسز باركس ، لأنها كانت تعمل في بعض الأوقات مسكينة لهذا المجلس ، وشبه أعمال المجلس بأعمال المجالس البيضاء الباطنين . وكان هذا القول مدعاة لغضب مارتن ، وأخذ ضميره يؤنبه بشدة ، وأخذ يسائل نفسه عما إذا كان ما يقرم به هو الصواب . وجلس في المكتبة يصارع

أفكاره ، ويسائل نفسه : هل المقاطعة أمر يتفق والتعاليم المسيحية أم لا ، ويقول إنها في أساسها قد تستخدم لأغراض غير أخلاقية ولكنه انتهى إلى القول إننا نستخدمها في سبيل الحرية وفي سبيل حث الناس على إتباع قوانين البلاد ، وإننا لانهدف إلى إفلاس شركة «الأتوبيس» بل في الواقع نهدف إلى استخدام العدالة . وتذكر كلمات ثورو الفائلة : « لم يعد في وسعنا مساعدة نظام فاسد ، وقال لنفسه : « إن من يتقبل الشر دون الاحتجاج عليه هو بالفعل يتعاون معه » . وقد كتب مارتن فيما بعد يقول : « من هذه اللحظة تبدى لي مفهوم حركتنا ، فهي حركة عدم تعاون بالجملة ، ومن ذلك الوقت رفضت استخدام كلمة مقاطعة » .

ولما وصل بأفكاره إلى هذه النقطة هدأت نفسه وجاء ليجلس معي ، وكنا ننوي أن نأوى إلى فراشنا مبكرين ، ولكن يوكي لم تسكف عن البكاء ، والتليفون لم ينقطع عن الرنين . وبين الضجيجين جالسنا نعدد ما قد ينجم عن نجاحنا في هذا الاحتجاج . وكان الشك يملؤنا ؛ فقد سبق لكثير من محاولات المقاطعة في مونتميري أن بادت بالفشل . ولكن نظرا لتغير الظروف والأوقات فإن فرص النجاح أمام هذه المحاولة كانت أكبر بكثير عما سبقها من محاولات ، ولكن الأمل كان ضميما . وأخيرا استقر قرارنا على أنه حتى لو حصلت هذه المحاولة على ستين في المائة من النجاح فإننا نكون بذلك قد وصلنا إلى شيء ، ويكفي هذا لنقتنع ببداية موفقة .

وبعد منتصف الليل بقليل أويتنا إلى الفراش ، واستيقظنا في الخامسة والنصف ، فقد كان «الأتوبيس» المخصص سيحضر في السادسة خارج منزلنا . وتناولنا طعام الفطور ووقفت أرقب محطة «الأتوبيس» من نافذة غرفة الجلوس . وجاء الأتوبيس في ميعاده المحدد ، وقد أضاء السائق النور الأمامي نظرا للظلام . كما كان النور الداخلي مضاء أيضا ، وصحت في مارتن أن يقترب

مضى ، وجرى إلى وقد ارتسم الاهتمام على وجهه ، فقد كان د الاتوبيس ،
خاليا تماما من الركاب .

ووقفنا ننظر مرور د الاتوبيس ، التالى ، وكان خاليا أيضا ، مع أن
الخط الذى يمر بمنزانا يعتبر من أكثر الخطوط ازدحاما فى المدينة ، وتوالت
د الاتوبيسات ، خالية تماما ، وكان سرورنا بالعا حتى إن الكلمات انعقدت
على ألسنتنا ، ولكن مارتن تمالك نفسه وقال : د سأخذ السيارة وأنزل إلى
البلد لأرى مايجرى هناك

ومر على والى أوبرناى وأخذه معه وأخذنا يدوران بالسيارة على الأحياء
المختلفة فى المدينة ، ولما عاد إلى المنزل أخذ يقص على ما رآياه ، رأيا الشوارع
مكتظة ، بالرجال والنساء ، د والاتوبيسات ، خالية إلا من رجل أو رجلين
من البيض وواحد من الزوج فى بعض الحالات ، رأيا طلبة مدرسة الألباما
الثانوية يتجهون سيرا على الأقدام إلى المدرسة ، أو يحاولون الركوب مع
بعض أصحاب السيارات الخاصة ، كما رأيا بعض أهلينا وقد امتطوا ظهور
الحمر ، فى حين ركب البعض الآخر العربات التى تجرها الخيول ، ولكن
السود الأعظم كانوا يسرون على أقدامهم ، ويقطعون فى بعض الأحيان
مسافات تصل إلى اثنى عشر ميلا ، وقد كتب مارتن فيما بعد يقول : د كنت
وأنا أرقبهم أعلم أنه لا يوجد ما يفوق جلال العزم والتصميم الأشخاص الذين
يواجهون الألم والتضحية فى سبيل حصولهم على حريتهم وكرامتهم .

وسارع مارتن فى التاسعة من صباح هذا اليوم إلى حضور محاكمة المسز
باركس ، فقد وجهت إليها تهمة عصيان قوانين التفرقة بالمدينة ، وحكم عليها
بغرامة قدرها عشرة دولارات والمصروفات . ولكن محاميها الشاب طلب
استئناف الحكم . وكانت هذه أول مرة يحاكم فيها زنجى بمثل هذه التهمة ،
فقد كان الإجراء المعروف هو توجيه تهمة التشرد أو مايشابها .

واجتمع زعماء الحركة في الساعة الثالثة بعد الظهر لتنظيم تجمع عام في المساء . وحضر مارتن إلى هذا التجمع متأخرا بعض الشيء ، وبمجرد دخوله القاعة وقال له الحاضرون : « لقد انتخبناك يا مارتن رئيسا لنا . فهل تقبل ؟ » .

ويبدو أن روفوس لوتس — وهو أحد رجال الأعمال في مونتجمري — هو الذي تقدم باسم مارتن فانتخبه الحاضرون بالإجماع . وكان الجميع معهم مارتن يعلمون أن هذا المنصب يحوطه الخطر لأن من يحتله سيكون هدفا للغضب البيض والتمائمهم ، ولسكن مارتن أجاب : « هذا يوافقني ، والحقيقة أن على شخص ما أن يتولاه ، ومادمت ترون أني أصالح لذلك ، فسأبى رغبتكم » .

ثم انتخب عدد آخر من الأعضاء ، من بينهم القس روى بنيت ، الذي انتخب نائبا للرئيس ، والقس فرنش الذي انتخب سكرتيرا ، ولمسز ارنا دانجى سكرتيرة مالية ، والمستريكمسون أمين صندوق ، وبدأوا يناقشون الاسم الذي يطلقونه على المنظمة . واقترح البعض أن يطلقوا عليها اسم لجنة المواطنين الزوج ، ولسكن مارتن لم يوافق على هذه التسمية ؛ فقد كانت تشبه اسم لجنة المواطنين البيض ، وأخيرا اقترح رالف أبرناتشي أن يطلق على المنظمة اسم لجنة تحسين الأحوال بمونتجمري ، ووافق الجميع على هذا الاسم .

وكان الخوف يسودا لاجتماع ويخيم عليه ويحجبه الشجاعة والامل ، وارتفعت أصوات تقترح أن تظل اللجنة سرية حتى لا يتعرض أعضاؤها للإيذاء ، ولسكن نيكسون عارض هذه الفكرة قائلا : « إننا نتصرف مثل جماعة من العلمان ولا بد أن أسماءنا ستعرف ، وإذا كنا نخاف من هذا فمن الأوفق أن نعمل عصانا ونرحل ، لأن البيض سيكشفون حتما أمرنا ، وعلينا أن نقرر الآن ما إذا كنا سنتصرف كرجال شجعان ، أو كعلمان مذعورين ؟ » .

وكان في هذا فصل الخطاب واستقر الرأي على الاستمرار في الاحتجاج إلى أن تحجب بعض المطالب ، وعين رالف أبرناتشي رئيسا للجنة هذه المطالب .

وعاد مارتن إلى المنزل في الساعة السادسة ، وقد أخبرني فيما بعد أنه كان يتخرج من إبلاغى قبوله رياسة حركة الاحتجاج ، ولكنه في الواقع لم يكن لديه سبب لذلك ، لأنى كنت صادقة عندما قلت له مساء هذا اليوم : وأنت تعلم أنى وراك فى كل ماتفعلاه .

وعندما تأكد من شعورى ذهب إلى غرفة المكتبة ليبدأ في إعداد خطابه الذى كان مقررا أن يلقيه فى اجتماع المساء ، وكان لديه عشرون دقيقة فقط لإعداد هذا الخطاب الذى يعتبر الخطاب الحاسم فى حياته . وقد أخبرني فيما بعد أن شعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، وعليه بما سيكون فى القاعة من صحفيين وكاميرات تليفزيون ، كانا سببا فى شعوره ببعض الخوف وبعد انقضاء خمس دقائق توجه إلى ربه بالصلاة قائلا : « رب أعدلى ثقتى بنفسى ، واحتفظ لى توازنى ، وكن معى فى وقت أحتاج فيه إلى هدايتك أكثر من أى وقت مضى » .

وتساءل مارتن : كيف يمكنه إعداد خطاب ثورى بشكل يدعو المواطنين إلى التحرك ، وفى نفس الوقت يجنبهم الكراهية والغضب ؛ فقد كان عاقدا العزم على أن يفعل ذلك .

وتوجه مارتن وبرفته رالف إلى الاجتماع ، ولما وصلوا إلى مقربة من الكنيسة المشيخية فى شارع هوات وجدوا أن هناك زحاما شديدا من السيارات ، فقد تجمهر نحو خمسة آلاف شخص خارج الكنيسة يستمعون إلى أصوات مكبرات الصوت ويشدون التراتيل ، أما فى الداخل فقد امتلأت الكنيسة على سعتها . وأخبرني مارتن أن الجماهير اضطرت إلى حمله هو ورالف على أكتافها ليسهلوا دخولهما إلى الكنيسة . وأحس مارتن بإلهام ينزل عليه بمجرد سماعه صوت التراتيل فقد استجاب الله دعاءه ، وقال فيما بعد : « لقد فهمت تماما ما كان الوعاظ القدامى يعنون عندما كانوا يقولون : « افتح فك والله سيترككم نيابة عنك » .

وبدأت الجماهير تنشد أولا : تقدموا يا جند المسيحية ، ، في صوت قوى حماسي ، ثم تبعت هذا بالصلاة ، وقراءة الإنجيل . ثم صعد مارتن وارتفعت الألف بالتصفيق له وبدأ يتكلم ارتجالا ، وأخذ يردد مرة ثانية قصة المسز باركر ويعد بعض ما يحتمله السود من ألوان المهانة والعذاب . ثم قال : ولكن سيأتى وقت يشعر الناس فيه بالتعب ، ونحن هنا الليلة لنقول لسكل من يسىء معاملتنا إننا مرهقون ، مرهقون من هذه التفرقة والمذلة ، مرهقون من الأقدام التى تدوسنا بوحشية وظلم . .

وصفقت له الجماهير بحماسة بالغة ثم استطرد يقول : لم يعد لنا بديل سوى الاحتجاج ، لقد صبرنا طويلا وبشكل يدعو إلى الدهشة ، ولسكننا حضرا هنا الليلة لنرى من على أكتافنا هذا الصبر الذى يجعلنا نرضى بأقل من الحرية والعدالة . .

وتناول مارتن مآقائه والصحافة من أن اجتماع الليلة يشبه اجتماع لجنة المواطنين البيض ، أو اجتماعات الكوكوكس كلان مشيرا إلى أن هذه الجماعات تحتاج طالبة الاستمرار في الظلم ، أما نحن فنحتاج طالبين مولد العدالة ، وطرق هؤلاء الناس كلها عنف وفوضى ، في حين أن العارق الذى سنلجأ إليه لن يكون فيها حرق صابان ، أو جر المواطنين البيض من منازلهم ، وقتلهم بلا رحمة ، سيكون رائدنا في كل ما نفعل أعلى مبادئ القانون والنظام . .

وبعد أن نفث في الجماهير روح العمل الثورى أخذ مارتن يضع حدودا لهذا العمل ، وقد ألهم كلماته حبه لعدم العنف وللتعاليم المسيحية ، ودراسته لهما دراسة وافية ، إذ قال : إن تخيف أحدا حق نجعله يرفض ركوب « الأوتوبيسات » ، ويجب أن تكون أساليبنا هى أساليب الإقناع لا التخويف ، وسنقول للناس ، دعوا ضائركم تقودكم . أما تمهركاتنا نحن فيجب أن يكون رائدها أقوى المبادئ وأعظمها ، مبادئ الديانة المسيحية ، يجب علينا أن نعى مرة أخرى كلمات المسيح ، أحب عدوك ، بارك كل من يلعنك ، وصل لأجل من يحاول تخفيرك . .

فإذا أخفقنا في الوصول إليهم بعد كل هذا فلينتهي احتجاجنا هذا كما
تنتهي المسرحية الجوفاء على مسرح التاريخ ، وإن تبقى منه سوى ذكرى تغلقها
مهملات الخجل . إن نصبح حقودين وإن ينتهي بنا الأمر إلى كراهية إخواننا
البيض ، ولننذركم كاهات بوكرو واشنطون التي قال فيها : ولاتدع أحد يحرك
إلى الحضيض بأن يجعلك تكرهه .

وأخيراً واصل مارتن كلامه قائلاً : « إذا احتججتم بشجاعة وفي نفس
الوقت بكرامة وحب فسيكتب عنكم التاريخ ، لقد عاش أناس سود كانوا
يتصرفون بالشجاعة ، فقد أدخلوا إلى المدينة عنصراً جديداً ومغزى جديداً . هذا
هو التحدي الذي يواجهنا وهذه هي مسؤوليتنا الكبرى » .

وبمجرد أن انتهى مارتن من كلماته دوت القاعة بالتصفيق والهمس . لقد
كان زوجي بخطابه هذا قد وضع المعنى الحقيقي للحركة وحدد مبادئها ، الحركة
التي قادها هو من مونتجمري إلى الأمام .

ولما جلسنا فيما بعد نتحدث عن السبب الذي جعل مونتجمري دون أي بلد
آخر ، منبعاً لمثل هذه الحركة التي كان لها فيما بعد أبعد الآثار ، ولماذا اختير
لها هذا الوقت بالذات من التاريخ ، ليسكون بدء اتحاد الزوج جميعاً في سبيل
قضية الحرية ، لم نجد سوى تفسير واحد لكل هذا . فرغم أن الدافع الحقيقي
برز عندما اتخذت المحكمة العليا قراراتها الشهيرة ، ورغم أن سوء معاملة شركة
« الأوتوبيسات » بالمدينة كانت قد فاقت كل حد ، إلا أننا وجدنا أن السود
كثيراً ما لاقوا تعذيباً وإهانات أشد ضراوة من كل هذا في بلاد أخرى
واحتملوا بصبر وخنوع . اعتقد أن التفسير الوحيد هو قيادة مارتن وأعوانه
الذين كرسوا حياتهم لهذه الحركة . ولكن مارتن عارضني في ذلك قائلاً ،
إن المسألة ليست راجعة إلى عامل واحد ، فهذا لا يكفي ، وعلينا أن نبحث
عن تفسير آخر . وكان زوجي يعتقد أن ميلاد هذه الحركة لا يمكن تفسيره
إلا بالرجوع إلى تفسير إلهي ، وكان يؤمن إيماناً عميقاً أن هناك قوة خلاقة

بإستطاعتها هـد الجبال لإزالة ما بها من شر ، ودك المرتفعات إذا كانت تحمل في قمتها الظلم . وكان يرى أنه وسيلة هذه القوة إذ قال : « لقد استخار الله موتهجمرى لتسكون ميدان الاختبار ومسرح مكافحة الظلم فى أمريكا . والله دائم التدخل بقدراته عبر التاريخ » . وكان مارتن يفرح جدا كلما وجد أن التاريخ قد اختار موتهجمرى ، وهى مهد الاتحاد فى أمريكا ، لتكون مهدا ثانيا للحرية والعدالة .

وفى نفس الليلة ، ليلة الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٥ ، رأينا النصر بعيدا جدا ، والصراع على وشك البدء . ووافق المجتمعون على اقتراحات رالف أبرناتى التى يجب أن تنفذ قبل أن نعود إلى استخدام « الاتوبيسات » مرة ثانية . والواقع أنها كانت مطالب معتدلة جدا ، وتتناخص فى الآتى :

(١) معاملة مهذبة من جانب السائقين . (٢) على الركاب أن يحتلوا ما يجدون من مقاعد كل حسب أولوية صعوده إلى « الاتوبيس » ، على أن يبدأ الزوج فى الجلوس من مؤخرة « الاتوبيس » . (٣) تعيين سائقين من الزوج على الخطوط التى يركبها الزوج بأغلبية .

وفى السابع من ديسمبر ١٩٥٥ رأس مارتن لجنة لمقابلة العمدة جيل ، ورجال الشرطة بالمدينة والعاملين فى شركة الاتوبيسات لمناقشة التوصل إلى حل للمشكلة . وكان كبير الأمل فى إمكان التوصل إلى مثل هذا الحل . وقد أنهت رجال الشرطة إلى كل ما قالته اللجنة بأدب ، وبدأ عليهم أنهم مقتنعون بمطالبنا ، وخاصة فيما يتصل بمقاعد الجلوس ، وهى مطالب لا تختلف فى الواقع عما كان متبعاً فى كثير من مدن الجنوب الأخرى ، مثل « موبايلى » ، بـالاباما وناشفيل بتينسى . ويجدر هنا أن نلاحظ أن مطالبنا فى ذلك الوقت لم تكن تعنى أن البيض والسود يجلسون معا فى مكان واحد ، ولكن رغم كل هذا فقد أعلن جاك كراشو عمادى شركة الاتوبيس أن هذا المطلب يعنى خرقا

لقوانين التفرقة في مونتجمري . وبعد انتهاء الاجتماع صرح كورثو بالسبب الحقيقي في اعتراضه ، إذ قال : « إذا سلطنا الزوج بهذه المطالب فسيعلنون على الملأ وبزهو أنهم نالوا انتصارا على البيض ، وهذا ما لانقبله على الإطلاق » .

ورغم أن الاجتماع مر بسلام ، في الظاهر على الأقل ، إلا أنه لم ينتج عنه ما يستحق الذكر ، وأدركنا أن الطريق أمامنا طويل ، فقد كان البيض يتوقعون أن تنفى المقاطعة لمجرد أول عائق يظهر في سبيلها ، ولكن مارتن خيب آمالهم وأعلن أن التنظيم الدقيق سيحول دون حدوث ذلك . وكان أهم ما في الموضوع أن يسهل انتقال مواطنينا من وإلى أهلكهم دون فوضى أو مصاعب . ففي التاسع من ديسمبر حظرت سلطات المدينة على أصحاب السيارات الأجرة من الزوج استخدام سياراتهم للنقل الجماعي ، وأنهم إذا لم يذعنوا لهذا الأمر فإن رخصهم ستسحب . ولكن الذي حدث أن كثيرا من السائقين تبرعوا بسياراتهم الخاصة ليكونوا ما يشبه وسيلة للتواصلات ، وحددوا المحطات التي يحملون منها الركاب ، كما حددوا اتجاه كل مجموعة من السيارات ، وتبرع المئات للقيام بالقيادة . ووصل عدد السيارات المستخدمة في هذا النظام ما يقرب من ثلثائة في ذروة المقاطعة ، وعلى سبيل المثال كان من بين من تطوعوا سيدة تدعى المسز وست ، وهي عضو في لجنة تحسين الأحوال بمونتجمري ، وهي سيدة في سن متقدمة وذات دخل محترم . كانت هذه السيدة تمر كل صباح وكل مساء بسيارتها الانيقة إلى كل منازل الزوج من العمال وتحملهم إلى مقر أهلكهم . وقد تبرعت بجمعية تحسين الأحوال بمونتجمري بمبالغ تبكفي لشراء عشر سيارات من السيارات « الستيشن » ، لتساعد في نقل المواطنين ، وقد قامت الكنائس الرنجية بشراء هذه السيارات وكان من نتيجة ذلك أن أسماءها قد كتبت على أبوابها . وكانت هذه السيارات تسير في شوارع مونتجمري ، وقد امتلأت عن آخرها وأخذ كل من فيها ينفى ويرتل .

ولسكن رغم كل هذه المحاولات فإن كثيراً من الناس ، بل آلافاً منهم كانوا مضطرين لقطع المسافات سيرا على الأقدام . وكنا نراهم يسرون بعظمة وكبرياء ، وقد سأل أحدهم إحدى السائرات عما إذا كان التعب قد بلغ منها ، فأجابته قائلاً : لقد كانت روحى متعبة ، وأفدأى مرتاحة فيما قبل ، أما الآن فإن أفدأى متعبة ، ولسكن روحى مرتاحة . .

ودون أى قصد ، كانت كثيرات من السيدات البيض يساعدتنا ، وذلك بأن يأتين بسياراتهن ليحملن خادماتهن الزنجيات ، ليتأكدن من حضورهن إلى العمل .

وداومنا الاجتماعات مرتين فى الأسبوع فى الكنائس ، محاولين بذلك رفع الروح المعنوية للناس ، وكانت الآلاف تحضر هذه الاجتماعات ، وكان البعض يحضر مبكراً قبل ميعاد الانعقاد بساعات ليحصل على مكان يجلس فيه .

وشدد مارتن رقابته على الخطباء ليتأكد من حفظ التوازن الدقيق بين الكلام الملهم والكلام الذى لاينجم عنه إلا إثارة النفوس ، وكان قد بدأ فعلاً فى تنفيذ الطريقة الغاندية وذاع صيته خارج مدن الجنوب ، وأدرك الناس أن ثمة جديداً يحدث فى مونتجمرى ، وأن السود أنفسهم ووحدهم يرسمون خطة اجتماعية جديدة للتغيير ، وأنهم يعدون البناء الاجتماعى من أساسه ويعملون على تطويره .

وكان تنظيم الحركة رائعا ، خصوصا وأنه كان يقوم جميعه على التطوع ، وأخذت اللجان المتنوعة : لجنة للنقل ، وأخرى للمفاوضات ، وثالثة للبرامج ، ورابعة لجمع التبرعات ، تعمل بدقة ونظام . وكنا بحاجة إلى مبالغ كبيرة من المال ، وقد تبرع معظمها فى بادئ الأمر زنوج مونتجمرى ، ولسكن بمجرد أن ذاعت شهرة حركتنا بدأت التبرعات من شتى أرجاء البلاد تنهال علينا ، كما وصلتنا تبرعات من أماكن بعيدة جدا أيضا مثل طوكيو وسويسرا .

وكانت روح المجتمع الزنجى تثير الإلهام ، وسرى التحمس بينها ، واشتركت معنا جماعات من حركات أخرى ، وكان هذا غريبا جدا بالنسبة لمونتجمرى

التي اشتهر فيها الزوج بالانقسام والفرقة والطبقية ، ولم يسبق لهم أن اتحدوا
 بدا واحدة من قبل . وما زالت ! اعتقد أن هذه الوحدة أنت نتيجة لقيادة مارتن ،
 فقد كان الناس يثقون به ويحترمونه إلى أقصى الحدود ، كما أن حبه للطبقات
 الفقيرة ، واحترامه لذوى العقول والثقافات ، كانا سببا في أن يحد الجميع أنفسهم
 ويتعرفوها في شخصه . أصبح رمزا للوحدة بين السود ، ورابطة بين
 الجماعات المتنازعة .

ورغم أهمية الحركة فإن زوجي لم يسمح لها أبدا أن تقتصر على احتياجات
 السود فقط ، بل كان يقول : « إن كل مانقوم به ليس لصالح الرجل الأسود
 وحده ، بل لصالح أخيه الأبيض أيضا . والنظام الذي يقضى على شخصية
 الرجل الأسود ويلوث روحه ، نظام يؤثر في شخصية الرجل الأبيض أيضا ،
 إذ يمنحه شعورا زائفا بالعظمة ، كما يمنح الأسود شعورا زائفا بالنقص ،
 والفرقة ضارة على الطرفين ، فإننا عندما نحرر الزنجر نحرر أيضا الرجل
 الأبيض من مفاهيمه الخاطئة وعقدة الذنب التي يعاني منها تجاه كل من يظلمه » .

والمعروف أن الصحافة دأبت عندما تعالج أمرا من أمور الزوج أن تعتمد
 إلى تبسيط القضايا والمواقف . وقد راحت الصحافة تهاجم مارتن بوصفه نقطة
 التحول ، رغم أنه كان يتجنب كل أساليب الدعاية ، مما كان سببا في مشاكل
 عديدة بالطبع ؛ لأن المشتركين معه في الصراع كانوا عديدين ، وكانوا هم
 أيضا يتعرضون لكثير من المخاطر . وقد حدث أن أدى هذا به إلى اليأس
 والاستسلام لما لمسه من منافسات ، وكان على وشك الاستقالة ، وقال « إنى
 على أتم استعداد للانكماش والاختفاء ، إذ كان هذا سيؤدى إلى ظهور آخرين » .

وكان لثبا عزمه على الاستقالة وقع شديد ؛ إذ قوى من أواصر الوحدة
 بين أعضاء جمعية تحسين الأحوال ؛ لأن جميع أعضائها كانوا يفهمون تماما
 طبيعة مارتن ويؤمنون بإخلاصه وتفانيه ، وهزوفه عن الشهرة . وكان مارتن

يهم برأى هؤلاء الأعضاء ، فقد كانوا في نظره يمثلون الحركة . وكان طيلة حياته يسائل نفسه عن مدى صحة قيادته ؟ وهل يمكن أن يشترك معه فيها آخرون ، ممن قد يفيدون الحركة في أى حقبة من حقبة تاريخها ؟

أما أنا فلم أشترك بشكل فعال في حركة المقاطعة هذه ، إلا أنى شاركت فيها باهتمامى الزائد بها . ثم إن منزلنا كان في بداية الأمر بمثابة مكتب للجمعية ولم يتوقف التليفون عن الرنين من الخامسة صباحا حتى منتصف الليل ، ولم يخل منزلنا أبدا من الأشخاص الذين يأتون إليه الاجتماع ، وكان من الصعب جدا على أن أرتب نظاما محددًا ليوكى ، ولكنها تعلمت أن توقم نفسها على ظروفنا ، وكنت لأعلم مقدما كم من الناس سيأتون مع مارتن لتناول العشاء . ولكنى كنت دائما أقوم على خدمتهم جميعا مهما تكن الظروف ، وكنت في بعض الأحيان لا أقدم لهم سوى الخبز والسمك .

وبمرور أيام شهر ديسمبر أيقن البيض أننا لن نتخلى عن موقفنا ، وأخذت الأمور تزداد سوءا ، وأخففت جميع مفاوضات الصلح ، وانضم عمدة المدينة ورجال الأمن بها إلى مجلس المواطنين البيض ، مستهدفين إعطاءنا درسا . وزادت المشكلات التليفونية البذيئة إلى منزلنا ، ففي أية ساعة من الليل أو النهار كان التليفون يدق ولسمع صوت رجل أو امرأة ينال بالالفاظ الوقحة علينا ، لعل أخفها وطأة كان لفظ : « أيها الزنجى ابن الكلبة » . أما الأصوات الفسائية فكانت بذيئة في حديثها عن الجنس ، متهمة إياى ومارتن بكل ما يمكن أن يقال في الانحراف ، ثم تنتهى المشكلة بالتهديد بالقتل إذا لم تسارع بمغادرة البلدة .. وكان مارتن — بوصفه القائد والرمز لهذا الاحتجاج — هدفًا لكل حملات الكراهية والعداء التى انتابت البيض ، مصداقا لما كان يعمله عندما تولى الرئاسة .

ورغم كل هذا الاضطراب ، ورغم كل ما كان يحيط بنا من أخطار ،

وما لحق حياتنا الشخصية من قوضى ، فإني كنت ثابتة ، بل متحمسة جدا ، للاستمرار في الحركة . وبمجيء شهر يناير اقتنعت مع مارتن بأن هذه الحركة لم تعد محلية ، بل إنها انتقلت خارج حدود بلدنا ، وأن شيئا ما يحدث سيكون له أكبر الأثر في صراعنا من أجل المظلومين في كل أرجاء العالم ، وكان تسمى لهذه الحقيقة لا يعادله تحمس ، لأنني اعتبرت نفسي جزءا من حركة ستشهد مولد صراع خارج مونتجمري ، بل وخارج الولايات المتحدة ذاتها ، حركة ثورية تشمل البشرية جمعاء ، وتكون بمثابة الظاهرة الطبيعية التي ستؤكد حق الفرد في الحرية والاحترام الذاتي .

و ذات ليلة من ليالي شهر يناير تذكرت كيف أني كنت يوما ما سأرفض أن أعيش في مونتجمري ، وقلت لمارتن : « كم أنا سعيدة بمارتن بأن أكون في مونتجمري معك في هذه الفترة من التاريخ » .

ولكن لم تتمكن من الاحتفاظ بروحنا عالية طيلة الوقت ، فقد كانت التهديدات والمخاطر التي تحيط بنا مدعاة لليأس في كثير من الحالات ، وذات مرة وجد مارتن نفسه يخاطب المجتمعين قائلا : « إذا عثرتم على يوما ما ملق ومضرجا بدمي فلا أريد منكم أن تأخذوا بثأري بارتكاب العنف ، بل أطالب منكم أن تواصلوا الاحتجاج بنفس الكرامة والعزة والنظام القائم الآن . » ومرة أخرى عاد مارتن إلى المنزل وهو منهوك القوى ، وقد أخبرني فيما بعد أنه كان ينظر إلى ، وإلى طفلتنا ، ويفكر أنه من الممكن أن نفترق في أية لحظة . ودق جرس التليفون في منتصف الليل ، وسمعنا صوتا يقول بغضب : « اسمع أيها الزنجي ، لقد حصلنا منك على كل ما نحتاج ، وقبل أن ينقضي الأسبوع المقبل ستأسف على أنك نزلت بقديمك إلى مونتجمري » .

ولم تكن هذه المكالمات سوى واحدة من عديد مثلها ، ولكن مارتن كان قد نفذ صبره ، وتوجه إلى المطبخ وأعد لنفسه قدحا من القهوة ، وأخذ يفكر بهدوء في الموقف وفي البديل له . طأطأ رأسه وهو جالس إلى المائدة وتوجه

بالصلاة بصوت مرتفع : دياربى ، إن أقف بجانب كل مأو من بصحته والناس
يتطلعون إلى كفائدهم ، وإذا وقفت أمامهم خائر القوى مسلوب الشجاعة فلن
تطول وقفهم . وقد بلغ بنى الصبر منتهاه ، ولم يعد أمامى طريق ، إذا وصلت
فيه إلى النقطة التى لم أعد عندها أقدر على الوقوف وحدى .

وفيا بعد قال لى مارتن : « لقد أحسست فى هذه اللحظة بوجود القوة
الإلهية إلى جانبي بشكل لم أعده من قبل ، وبدأ لى وكأنى أسمع صوتا هادئا
يطمئننى ويقول لى : قف إلى جانب الحق والحقيقة ، وسيقف الله إلى جانبك
دائما . »

واستعاد مارتن بعد هذه التجربة ثقته بنفسه واستعد لمواجهة كل
المخاطر .

ولما بدا أكيدا أن المقاطعة لن تتوقف ولن تنهار ، قررت سلطات المدينة
اتخاذ سياسة القوة والشدّة ، وذات ليلة قاتمة من أيام يناير ، وبينما كنت
ومارتن نتناول طعام العشاء ، وكان معنا بوب ويليامز وهو صديق لمارتن من
أيام الدراسة ويعمل مدرسا للموسيقى فى مدرسة ألاباما الثانوية ، وكان يمضى
أوفانا طويلة فى ضيافتنا ويقوم بدرر الحارس الأمين — قال لنا مارتن :
« أنعلون ماسمعت ؟ سمعت أن الشرطة تفكر فى إلقاء القبض على وتوجيه تهمة
مدبرة لى . »

وأجبتة : سيكون هذا مفيدا للحركة ، إذ سيؤدى إلى غضب شعبنا ،
ويقوى أواصر الوحدة بينه ، وستكون غلطة من جانب الشرطة ، ولنكني
أرجح أنهم سيرتكبونها كما يرتكبون الكثير غيرها .

ووافقنى الرجلان على رأى هذا ، وقرر مارتن ألا يحاول مقاومة القبض
عليه . وتوجه هو وبوب بالسيارة إلى منزل سكرتيرة الكنيسة — وهى ميدة

تدعى المسز ليلي توماس — ثم توجهوا جميعا لأخذ بعض الركاب الآخرين ،
وهند محاولة مارتن الخروج من موقف السيارات اعترضه أحد رجال الشرطة
وطلب رؤية رخصته ، وبينما كان مارتن يستعد لإخراجها سمع رجل شرطة
آخر يقول : « هذا هو الملعون كيننج ا » .

وغادر مارتن المكان وتبعه رجل شرطة على « موتوسيكل » ، وتوخى
مارتن الحذر وهو يقود السيارة ، منفذا كل تعاليم المرور ، ولما توقف لينزل
الركاب توقف رجل الشرطة بجوارهم ، وقال له : « اخرج يا كيننج ، أنت
مقبوض عليك ، لأنك تسير بسرعة ثلاثين ميلا في منطقة يجب ألا تزيد السرعة
فيها على خمسة وعشرين » .

وجاءت إحدى سيارات الشرطة وحملت مارتن إلى سجن المدينة ، وألقي
به في زنزانة قدرة راحتها هفنة ، من زنزانات الزوج ، وفي هذه الزنزانة
تعرف مارتن إلى أحد المدرسين الذين ألقى القبض عليهم بسبب الاحتجاج .
وتجمع المقبوض عليهم حول مارتن وأخذوا يطلبون منه العون لإخراجهم
وقال لهم مارتن : « يا إخواني . . قبل أن أمد لكم يد العون ، على أن
أخرج أنا أولا من هنا » .

وانتشرت أنباء القبض عليه كالنار في الهشيم ، وانهقدت خمسة اجتماعات
في ذات الليلة ، وأعلن فيها كلها نبأ اعتقاله ، وأسمرت المسز ديانا ويب —
وهي إحدى عضوات كنيسةتنا المخاضات — إلى تعاليفي النبأ ، وكانت تصيح :
« يامسز كيننج ، يا مسز كيننج ، لقد اعتقلوه . . لقد اعتقلوا الدكتور مارتن
يامسز كيننج ، أرجوك حاولي إخراجهم ، أرجوك ، افعل شيئا » .

وتلقت النبأ بهدوء لأنني كنت أتوقعه ، ولسكن يبدو أن المسز ويب ظفنت
بكل أسف ، أني غير آبهة له .

وكان رالف أبرناتى أول من وصل إلى السجن ، ولما عرض دفع الكفالة لإخراج مارتن ، قال له الموظف المختص : « عليك بالانتظار حتى الغد » .
ورد عليه رالف قائلا : « أنا راهى الكنيسة المشيخية الأولى فى مونتجرى ، فهل هذا يعنى أن توقيعى غير معتمد » .

— كلا ، لا يمكن اعتماد توقيعك .

— هل أستطيع رؤية الدكتور كينج .

— كلا .

وسرعان ما تجمع قساوسة الكنائس كلهم فى السجن ، وأخذ رجال الشرطة يعيدون النظر فى قرارهم ، وأخرج السجن مارتن من زنزانه ، وترك زملاءه وهم يصيحون : « لا تفلسنا يا دكتور كينج » .

وأخذت بصمات مارتن ، وقال له رجل الشرطة : « حسنا يا كينج ، إنك مفرج عنك تحت مسؤوليتك » .

وقص على مارتن فيما بعد أنه كان يشعر بالخوف وهو فى أول اعتقال له ، فقد ظن أنهم سيعلقونه فى شجرة ، ولكنه ارتاح عندما رأى مؤيديه ينتظرونه فى الخارج ، وأخذه أحد القساوسة ومعه رالف فى سيادته ومر به على كل الاجتماعات التى كان الحاضرون يواصلون فيها الصلاة والابتهاال إلى الله أن ينزل الرحمة فى قلب السجن حتى يفرج عن قائدهم . وقد استجاب الله بالتأكيد لصلواتهم .

وفى مساء السبت التالى تلقينا ما يقرب من ثلاثين مكالمة تليفونية كلها تهديد وسباب ، مما اضطرنى فى الساعة الثانية والنصف صباحا أن أرفع سماعة التليفون حتى نستطيع أن ننام . ولما أعدتها فى الساعة السابعة صباحا انتهالت

المكالمات ثانية ، وقال لى صوت : « لقد أبلغنى الأولاد أنك رفعت السهارة بالأمس » .

وأجبت غاضبة : « إنه تليفونى ، ولى مطلق الحرية أن أنصرف فيه كما أشاء » .

وسمعت مارتن يقول لى : « لا تفعل هذا يا حبيبى » .

ولكنى كنت فى غاية الإرهاق والتعب حتى إنى اضطررت أن أردد بعنف . وفى يوم الأحد قال مارتن من على المنبر : « إننا نتلقى الكثير من المكالمات التليفونية البذيئة مما يضطرنا إلى رفع السهارة ، وإذا كان أحدكم يريد الاتصال بى ولا يستطيع ، فهو يعلم الآن السبب . . . » .

وأخذ أعضاء الكنيسة يبدون قلقهم على ، وأشاروا بضرورة أن يمكث معى بعضهم فى أثناء تغيب مارتن ، ولما أبلغنى مارتن بهذا رفضت وقلت له : « إنى لا أخاف البقاء وحدى ، بل إنى أسعد به » .

وكان احتمال إلقاء قبلة على المنزل احتمالا قائما ، وقد تحدثنا عنه ، ولكن منزلنا كان يقع فى منطقة آهلة بالسكان ، وظننت أنه ما من شخص يجرق على إلقاء قبلة عليه ، وبخاصة فى واجهته ، أما فى الخلف فقد كان لدينا سور مرتفع وليس من السهل عبوره للوصول إلى المنزل . وكنت أنام مع الطفلة فى الجزء الخلفى من المنزل ، رغم أن حوادث إلقاء القنابل على المنازل كانت قد تكررت .

ولسكن مارتن كان قلقا جدا ، حتى إنى وافقت على أن أطلب من مارى لوس ويليامز جارتنا أن تبقى معى فى الليلة التالية .

وفى ليلة الثلاثين من يناير سنة ١٩٥٦ كنت قد ارتديت ملابس النوم ، وجلست مع مارى نتحدث فى غرفة الصالون ، عندما سمعت طرقة شديدة على « أسفلت الفراشة » ، وكان من المحتمل — لو لم أكن أتوقع هجوما — أن أذهب لارى

بنفسى ماذا حدث ؟ ولكنى جلست مكافى وقت : « يبدو أن هناك من يهاجم المنزل ، ومن الاوفى أن ننتقل إلى الجزء الخلفى » .

وتحركنا بسرعة لنعبر « الصالة » ، لأن هذا كان سيقرّبنا من مكان الهجوم ، بل توجهنا عبر غرفة النوم المخصصة للضيوف ، وبينما كنا نمرق فيها سمعنا انفجارا كالرعد ، ثم أخذ الدخان يملأ المكان ، وأخذ الزجاج يتساقط . .

وتشبثت مارى بى وأخذت تصيح ، وزاد صياحها من خوفى بالإضافة إلى الصدمة التى انتابتنى من الهزة الشديدة ، وأسرت إلى غرفة النوم حيث ترقد يولاندا فى سريرها ووجدت أنها بخير ، وبدون وعى منى مددت يدي إلى التليفون ثم سألت نفسى : « من الذى سأكلّمه ؟ لن أطلب الشرطة بالطبع » .

وأخذ جرس الباب يرن ، وكان أول ما خطر لى أنه لابد الشخص الذى ألقى القنبلة ، وأخذت أفسر فيما سأفعل ، خاصة والطفلة معى . . . وبذعر صحت بأعلى صوتى : « من الطارق ؟ » وأجابنى صوت يقول : « هل أصيب أحد ؟ » .

وتوجهت إلى الباب وفتحته ودخل جيرانى وقد انتابهم القلق والخوف ، إذ يبدو أن الانفجار سمع فى جميع أرجاء الحى . وتفقدت المنزل فوجدت نوافذ غرفة الجلوس قد تحطمت عن آخرها وانتثر زجاجها على الأرض ، كما تصدعت « الفرازة » وحدثت فجوة واسعة فى أرضيتها « الاسفلت » وانقطعت جميع الاسلاك الكهربائية فى الغرفة الامامية ، وأخذت مصباحا « لمبة » وعلقته فى غرفة خلفية وأضأت النور حتى نستطيع الرؤية .

وقررت أن أتصل برالف أبرنانى فى كنيسة حيث ينعقد أحد الاجتماعات التى كان زوجى يخطب فيها ، وردت المسز ليرين جرانت لإحدى عضوات الكنيسة على التليفون ، وأبلغتها أن منزلنا قد تحطم نتيجة لإلقاء قنبلة عليه .

ولم أظن إلى إبلاغها أنى والطفلة بخير ؛ إذ كل همى كان أن أطلب منها

أن تسرع بإرسال بعض الحاضرين إلينا ، فلم أكن أود استدعاء الشرطة لحايتنا ، فلم أكن متأكدة من خلو مسئوليتهم عن الحادث .

واتصلت أيضا ببعض الأصدقاء ومن بينهم المسز يوريتا أدير التي تبرعت بالحضور إلينا . وفعلًا حضرت ، وأذكر أنها وقفت بجانب مهد الطفلة تلاعبها . وامتلا المنزل بالأصدقاء ومعهم العديد من مراسلي الصحف من البيض الذين أخذوا يسألون عن سبب الحادث ... ودق جرس التلفون ، وكان من الكنيسة ، يسألون عما إذا كنا بخير ؛ فقد رأوا الا يبلغوا مارتن حتى ينتهى من خطابه . ولكن يبدو أن زوجى لاحظ المهرج والمرج الذى حدث بين مستمعيه ، وشعر أن أمرًا ما قد حدث ، فنادى رالف أبرناثى وسأله ، وحاول رالف تجنب الإجابة ؟ ولكن مارتن أصر على معرفة ما حدث ، ولما أخبره رالف سأل عن وعن الطفلة ، فأجابه رالف بأنه يحاول معرفة ما إذا كنا قد أصبنا بضرر .

وكتب مارتن يصف هذه الليلة البشعة فيقول : « لقد تقبالت خبر إلقاء القنبلة على منزلى بهدوء ، فقد منحتنى تجربتى الدينية منذ أيام قدرة غريبة على الاحتمال ، .

وفي الخطبة توقف مارتن ، رقص على مستمعيه ما حدث ، وطالب إليهم التزام الهدوء ، بل مواصلة العمل لتصل بإيماننا إلى ما نريد وهو الصواب ، وبإيماننا إلى أن الله يقف معنا فى صراعنا هذا ،

ثم أسرع مارتن إلى المنزل .

وكانت الجماهير الغاضبة قد تجمعت أمام المنزل عندما وصل إليه مارتن ، وكان رجال الشرطة يحاولون منع الناس من الدخول ، ووصل إلى مكان الحادث العمدة جيل ، والمحكم دار كلايد سيلرز ، وأسرع مارتن إلى الداخل واطمأن على الطفلة ، وارتاح لما رأى أتقبل كل شئ بهدوء .. وقال : « حمدا لله أنكما بخير ، .

وعاودت طمأنته وقبلنى : « لماذا لا تردين ملابسك يا عزيزتى ؟ » .

وجأة أدركت أنى مازلت بملابس النوم رغم أن المنزل كان قد امتلأ بالناس . وزاد الموقف فى الخارج حرجا وخطرا ، فرغم أن الجماهير علا صوتها بالغناء إلا أن الغضب كان يشع من صوته . وأذكر أنى سمعت من يندس : « بلادى ، هى كل ما أريد » ، وكان كثير من الناس يحمل أسلحة نارية ، وحتى الأطفال منهم كانوا يمسون بزجاجات مكسورة الرقبة . وحاول أحد رجال الشرطة الهدى لرجل كان يقول له : « إذا كنت تحمل مسدسك فأنا الآخر أحمل مسدسى ، فانتباز » .

وفيما بعد قال بعضهم إن التوتر كان قد وصل إلى حد أنه لو داس أحد الرجال البيض خطأ على قدم أحد السود فإن ما كان سيحدث كان سيفوق أية مظاهر حدثت من قبل . وخشى المراسلون البيض أن يتحركوا من أماكنهم وظلوا فيها يحملون قصصهم التى كان المفروض أن يصرعوا بها إلى صحفهم . أما العمدة جيل والحكمدار فقد امتنع وجهاهما إلى حد الموت ، وصعدا إلى مارتن ليعبرا عن أسفهما لوقوع مثل هذا العمل المؤسف فى مدينتهما .

أما المستر سماليلى — وهو رئيس لجنة الأمناء بديكستر وناظر مدرسة بوكرو واشنطون وهى أكبر مدرسة ثانوية للزوج فى المدينة — فقد قال والغضب يشتمد به : « إن الأسف لأبأس منه أبدا ، ولكننا مسؤولان عن كل هذا ، فقد أسهمتا فى خلق المناخ الذى أدى إلى وقوعه » .

وزاد حجم الجماهير بانضمام الناس إليها فى كل دقيقة ، وأخذت تتأرجح كأواج البحر وتهدر وتزجر وتلقى بالفاظ السباب فى وجه رجال الشرطة . وعندئذ خرج مارتن إلى الشرفة ، وقد يمكن القول إن هذه تعتبر أهم ساعة فى حياته كلها ، فقد تحطم منزله نتيجة لإلقاء قبلة عليه كان الممكن أن تودى بحياة زوجته وابنته . كانت هذه الفترة بمثابة اختبار دقيق لمبادئه المسيحية

ونظرياته التي تنادى بعدم اللجوء إلى العنف، ووقف مارتن يواجه الجماهير وقد ارتسمت على وجهه كل علامات الجِدِّ والهدوء، وسيطر عليها بشخصيته القوية. رفع يده وفجأة نزل الصمت على الجميع، وبدأ مارتن يتكلم بصوت هادئ ويقول: «إن ابني وزوجي بخير، وأنا أطلب منكم أن تعودوا جميعاً إلى منازلكم وتلقوا بأسلحتكم، لأننا لن نحل هذه المشكلة بالعنف والثأر، بل علينا أن نواجه العنف بعدم العنف، ولتذكروا كلمات يسوع: «إن من يحيا بالسيف سيهلك بالسيف». علينا أن نحب لإخوتنا البيض مهما فعلوا بنا. فنجعلهم يدركون أننا نحبهم، ولا يزال يسوع ينادينا عبر القرون قائلاً: «أحب أعداءك». هذا هو المبدأ الذي يتحتم علينا أن نعيش به، فلنقابل الكراهية بالحُب.»

وارتفع صوت زوجي واكتسب رنة بها الكثير من قوة العاطفة والتصميم، وقال: تذكروا أنه حتى لو تمكنوا من وقفي أنا، فإن هذه الحركة لن تتوقف لأن الله معنا، فلتذهبوا إلى بيوتكم وأنتم تحملون في قلوبكم هذا الإيمان المضيء، وتلك الثقة اللامعة.

وكان الكثيرون قد غلبتهم دموعهم، وانهمرت كالسيل على وجوههم، ودفعتهم أحاسيسهم إلى الصياح «آمين»، فليباركك الله، فنحن معك حتى النهاية.»

وسأل واحد منهم: «ماذا سيحدث لك أنت؟»، وأجابه مارتن: «لقد وعدوني بالحماية.»

وتقدم العمدة جيل والحكمدار إلى الأمام، وأخذت الجماهير تصيح مستهزئة بهما. وزاد الطين بلة عندما طلب رجال الشرطة من الموجودين أن ينهضوا لما سيقله الحكمدار.. فعندئذ تعالت صيحات استهزائهم، لولا تدخل مارتن الذي تقدم إلى طرف الشرفة فتوقف الصياح، وكأنه قائد أوركسترا وقد رفع

عصاه إيدانا بالبدء . وقال مارتين : « تذكروا ما قلته لكم ، ولنستمع إلى ما يقوله الحكمدار ، .

وقال سيلرز « سنفعل كل ما في طاقاتنا للعثور على الفاعل الحقيقي لهذا العمل البشع ونقدمه للعدالة ، .

وأضاف العمدة جيل : « لقد خصصنا مكافأة قدرها خمسة آلاف دولار لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى اعتقال الفاعل ، .

وبدأت الجماهير تنحسر ، وأخذ الناس يعودون إلى منازلهم ، وسمع صوت أحد رجال الشرطة البيض يصيح : « لولا هذا القسيس الزنجي لقضى علينا جميعا ، .

(٧)

ولما انفض شمل الجميع ذهبت أنا ومارتن ويوكى إلى منزل آل بروكسى حيث أمضينا الليل ، ولما يذكر أننا أمضينا أول ليلة لنا فى مونجيمرى عند آل بروكسى أيضا ، وأوينا إلى الفراش ، ورحنا فى سبات عميق على الفور .

ولسكن بعد ساعتين سمعت طرقات متواليا على الباب الخارجى ، فأيقظت مارتن ، ورأينا شبح إنسان على زجاج النافذة ، وانبأنا الذعر ، لأن ابتنا كانت تنام فى مهدها بجوار النافذة ، وجلسنا وقد كدنا نموت فرعا ، ولانعلم ماذا يخبئه لنا القدر ، ولم نكن نعرف طريقنا فى أرجاء المنزل جيدا ، ولذا فقد فضلنا البقاء حيث كنا حتى لانفت حركتنا الشبح خارج النافذة . ومرت فترة ثم أطل مارتن من النافذة ووجد أن الشبح قد ابتعد واختفى .

وبعد قليل دق جرس التليفون فى غرفة نوم آل بروكسى ، وكان المتكلم هو دادى كينج يبلغنا أنه دق على الباب طويلا ، ولسكن ما من أحد رد عليه . وبعد فترة وصل دادى كينج وكريستين وشقيق مارتن ، وبعد وقت قصير وصل أبى أيضا .

وكنت فى بداية اليوم قد قلقت بسبب ما قد يتولى أسرقى من ذعر إذا ما سمعت عن أخبار القبلة ، وماذا سيكون حالهم إذا شكوا فى أننا أصبنا ، ولذا فقد اتصلت بالمستر هامبتون لى - وهو صاحب حانوت فى ماريون - لأطلب إليه أن يذهب إلى أسرقى ويبلغها فى بخير . والآن دخل أبى إلى الحجرة ، وكان أول شيء قاله لى : " لقد أتيت لآخذك أنت والطفلة إلى ماريون ، .

وأنت لما يقول بهدوء واحترام ، ولكنى أجبت : « كلا يا أبى ، سابق مع مارتن ، . وكان دادى كينج هو الآخر قد طلب من مارتن أن يعود معه إلى أتلانتا . ولكن مارتن رفض ، فقال له أبوه : « إن من الأفضل أن تحيا لتكافح بدلا من أن تعرض نفسك للذبح إظهارا للشجاعة فقط ، .

وحاول أبى أن يقنعه هو الآخر وقال : إنهم ان يتركوك يا مارتن ، أوأرى أن من الأفضل لك أن تتوارى قليلا وتدع شخصا آخر يتولى القيادة لفترة ما . أما أنت يا كوريتا فقد حضرت خصيصا لآخذك أنت والطفلة لقضاء بضعة أسابيع معنا حتى تهدأ الأمور بعض الشيء ، .

وأجبت ثانية : « أعتقد أنى سابق هنا ، فإن ارضى بالذهاب إلى أسرى لانى أريد البقاء هنا مع مارتن ، .

وبالطبع حاول دادى كينج أن يثنىاعن عز منا ، وأصر على عودة مارتن معه والابتعاد عن المسرح قليلا . وكان دادى كينج فعلا مصمما على إبعاده تماما عن الحركة . أما أنا فقد أحسست بالانهيار والتزق ، رغم محاولتى أن أبدو شجاعة . وأيقنت أنا ومارتن أن ثمة ما قد يحدث لنا ولنزلنا ، وأيقنا أن المرة التالية قد تودى بحياتنا جميعا .

وعلى الإفطار قالت كريستين : « اسمع يا أبى ، اترك مارتن يقرر بنفسه ماذا يفعله ، ودعه يتصرف تبعا لما يعتقد أنه الصواب ، .

وطبعا قررنا البقاء .

وقال لى مارتن فيما بعد : « لقد كنت بحق جنديا شجاعا يا كوريتا ، لأننى لا أدري ماذا كان بوسعى أن أفعل لولا وجودك إلى جانبي ، .

ولم أكن فى الواقع قد فكرت فيما يجب على عمله ، ولا فى رد الفعل الذى قد يصيبنى إزاء مثل هذا الاحداث ، بل كنت أتصرف على سجيتى ، وأنا كنت طيلة عمرى شخصا قويا ، ولكنى لم أتصور أبدا أن شخصا فى مثل

قوة مارتن يجد نفسه بحاجة إلى ، وقد تأثرت جدا لما فهمت أنه يعترف بهذه الحاجة .

ولما تم إصلاح منزلنا انتقلنا إليه ، ولكن بعد أن اتخذنا بعض الاحتياطات . فكان بوب وليامز يأتي كل ليلة لقضائها معنا ، والواقع أنه لم يكن ينال الكثير من النوم ، وقد أحضر معه خفية بندقيته دون أن يعلم مارتن بذلك ، وكان يجلس طوال الليل لحراستنا والبندقية بجواره . ولما اكتشف مارتن أمر البندقية أصر على إبعادنا عن المنزل ، وكان أحد أعضاء الكنيسة قد أحضر لنا مسدسا ، ولكن مارتن لم يستطع أبدا أن يقتنع بوجهة نظر الأسلحة ، وكان يرى أنها لا تتفق ومبادئه في عدم استعمال العنف ، ولذا فقد تخلص أيضا من المسدس ولم يعد بمنزلنا أية أسلحة . وكان مارتن إذا سمع أن أحد أعضاء الحركة يسير مسلحا طالب منه الاستغناء عن سلاحه ، وكان دائما يذكر الناس أن من يحيا بالسيف لابد أن يهلك بالسيف ، . ولو لم يتبين زوجي هذا المسلك من البداية لاتخذت الحركة سيلا مخالفا تماما لما سارت عليه ، ولما استطعنا أن نصل إلى ما وصلنا إليه ، نظرا لبحور الدم التي كانت ستسيل عبر الطريق .

وأقنا كشافات ضوئية خارج منزلنا ، وأصر أعضاء كنيسة ديكستر أن نقبل وجود حارس غير مسلح طوال الليل ، كما تبرعوا بدفع أجر سيدة تساعدني في رعاية الطفلة . كما وعدهم مارتن بأنه لن يخرج بسيارته وحيدا خلال الليل ، بل سيأخذ معه بوب وليامز أو أى شخص آخر .

وبعد بضعة أيام من إلقاء القنبلة على منزلنا أقيمت قنبلة ثانية على منزل نيكسون ، ثم هدأت الأمور لفترة قصيرة بعد ذلك . وفي منتصف فبراير أخذت يوكي وسافرنا لقضاء إجازة مع أسرتي ، ثم توجهت لزيارة مامي ودادي كينج في أتلانتا ، أما مارتن فقد ذهب لإلقاء سلسلة من المحاضرات في جامعة فيسك بمدينة ناشفيل . وخلال تغييبنا تمسكن أحد وكلاء النيابة في

مونتجمرى من العثور فى ملفاته على قانون للولاية يحظر المقاطعة ، واستدعى هيئة المحلفين العليا لمونتجمرى وجعلها تعد اتهامها موجها لمارتن ولما يقرب من تسعين شخصا آخرين من قادة الحركة . وبدأت الشرطة فى حملة اعتقالات واسعة النطاق ، وبمجرد أن سمع مارتن بالأنباء ألغى بقية محاضراته وعاد إلى أتلانتا ليأخذنى معه ونعود إلى مونتجمرى . وعدنا ونحن نعلم أنه سيلقى القبض عليه فور وصوله .

وكان دادى كينج يعارض ذهابنا إلى مونتجمرى معارضة شديدة ، لأنه كان يخاف على ابنه خوفا شديدا ، ولذا فقد جمع كثيرا من أبرز أصدقائه فى أتلانتا ليحاولوا إقناع مارتن عن عزمه . ولما حضروا ألقى دادى كينج فيهم خطبة مبينة الأخطار والحوادث التى ستقع لنا ، وقال إن البيض مصممون على قتل مارتن ، وتوالى بعده المتحدثون ، وكلهم يحاولون إقناع مارتن بالعدول عن السفر إلى مونتجمرى . أما الدكتور ميز — وكان من بين الحاضرين — فلم ينطق بكلمة واحدة ، لأنه كان يعرف مارتن جيدا .

وجلس مارتن منصتا لما يقولون أثم خذ يمين لهم موقفه بوضوح قائلا : يتحتم على أن أذهب إلى مونتجمرى ، وإذا أحجمت عن الذهاب فساكون جباناً ، وإن أستطيع مواجهة نفسى بعد ذلك ، لأننى ساكون قد تخليت عن أخواتى وإخواتى الذين يعتقلون الآن فى مونتجمرى . وأفضل لى أن أبقي فى السجن عشرات السنين على أن أنخل عن قوى الآن . لقد بدأت هذا الصراع ولم يعد باستطاعنى الرجوع عنه ، فقد وصل بنا الصراع إلى نقطة اللاعودة ، وخيم على الغرفة صمت رهيب ، فكان الجميع يدركون أنه على حق ، ولم يقطع هذا الصوت سوى صوت نشيج دادى كينج ؛ لأنه هو الآخر يعلم أن مارتن على حق وقال له : « اعلم يا بنى أنى ورامك فى كل ماتخذنه من قرارات ، وأخذ الجميع يواسون دادى كينج ويقولون له إن الأمور ليست على كل هذا الحد من السوء .

وقال الدكتور ميز إنه على استعداد لدفع الكفالة ، فقد حركته كلمات مارتن ، ونصحه بأن يفعل ما يحليه عليه واجبه .

وكان والد مارتن ووالدته قد حاولا في الليلة السابقة أن يقنعهما بالعدول عن السفر ، ودارت بينهم مناقشة حادة ، وتركتم أنا وصعدت إلى الطابق العلوى ، وجلست مع الطفلة أفكر ماذا يعنى كل هذا لمارتن ولأسرته . وكنت أعلم أن حياتى وحياته فى خطر شديد ، لأنى لم أفكر لحظة واحدة فى أن أبعد عنه ، وإن كان الحق يميل على أنى كنت فى منتهى الذعر والخوف وأنا فى ماريون وأتلاتنا . أما الآن فقد أيقنت أن القرار أصبح فى يدنا نحن ، أنا وزوجى ، وأيقنت أن على أن أكرس أنا الأخرى حياتى للكفاح إذا كنت أريد أن أقف بجانب زوجى .

وصعد مارتن إلينا وقال مداعباً : « لقد تخليت عنى يا كوريتا وتركيتى وحدى فى الطابق السفلى » . وأفهمته أن كل ما فعلته هو أنى أبعدت يوكى عن النزاع والنقاش الذى كان دائراً تحت ، وقلت : « اسمع يا مارتن ، فى حياة كل شخص لحظة يبعد نفسه مضطراً فيها إلى اتخاذ قرار وحده ، إذ يجد نفسه يقف وحده ، وهذه هى اللحظة الحاسمة فى حياتك ، وأنت وحدك تستطيع رسم الطريق الذى تراه صواباً ولستى أريدك أن تعلم أنى معك فى كل خطوة فيه » .

وبعد ذلك شعرت بالراحة التامة . والغريب أن شعور الفلق هذا لم يكن يفتابنى إلا وأنا خارج مونتهجرى . ولما عدت إلى مونتهجرى التف حولنا الناس وراحوا يهتفوننا بعطفهم وحنانهم بما كان إلهاماً لنا على مدى الحركة كلها . والواقع أننا بتشجيعهم هذا — الذى كان ضرورياً ولازماً لنا — استطعنا أن نسير قدماً .

واستقر قرارنا على العودة إلى مونتهجرى ، وأصر دادى كينج على مصاحبتنا إليها وتركنا أتلاتنا فى سيارته فى الساعة السادسة صباح اليوم التالى ، ووصلنا مونتهجرى فى حوالى الساعة التاسعة ، ووجدنا الصحفيين والمصورين ينتظرون أمام منزلنا . ولا أعلم كيف ذاع نبأ وصولنا .

وكان رالف أبرناتى الذى اعتقل وأفرج عنه بكفالة فى انتظارنا أيضا .
وذهب مع مارتن إلى دار المحكمة حيث سلم مارتن نفسه . وأخذت الشرطة
بصمات أصابعه ، والتقطوا له صورة فوتوغرافية كالتى يلتقطونها للمجرمين ،
ووضعوا على صدره رقما كبيرا . ثم أفرج عنه بكفالة .

وحدد يوم المحاكمة ، وكان التاسع عشر من مارس ، وكان القاضى يوجين
كارتر هو الذى سيتولى نظر القضية . وحضرت أنا ودادى كينج وكريستين
المحاكمة بالطبع وكان معنا شقيق مارتن أيضا والكثيرون من أصدقائنا . وكان
الناس يتظاهرون خارج دار المحكمة ، وكان البعض يضعون صلبانا سوداء
على صدورهم مكتوبا عليها : « سامعهم يارب » .

وبدأ ويليام ثيتفورد محامى الادعاء عرض القضية ، التى اعتبر فيها مارتن
المتهم الاول . وكنا قد أقمنا له دفاعا من العديد من المحامين ذوى الكفاية ،
منهم : آرثر شورز ، وبيتر هول ، واورزل بيلينجلى ، وروبرت كارتر ،
وبالطبع معهم فديد جراى . واستمرت محاكمة مارتن أربعة أيام وهو جالس
فى قفص الاتهام ، فى حين أن الولاية تطلع علينا كل يوم بشاهد جديد
لإثبات تهمة تنظيم المقاطعة عليه ، وهى التهمة المنافية لقوانين ولاية ألاباما .
أما محامو الدفاع فقد استجلبوا الشاهد تلو الآخر محاولين إظهار الأحوال
الفضيعة غير المحتملة التى يعيشها زنوج ألاباما ، وبخاصة فيما يتصل بمعاملة
شركة « الأتوبيس » لهم .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر مارس انتهى الجانبان من
المرافعة ، ولم تَمْضِ فترة قصيرة إلا وطلع علينا القاضى كارتر بتهمة مخالفة
القوانين وحكم على مارتن بدفع غرامة قدرها خمسمائة دولار ، أو السجن
والإشغال الشاقة لمدة ٣٨٦ يوما ١١ وقال القاضى إن هذا الحكم مخفف جدا
نظرا لما حاوله مارتن من عدم استخدام العنف .

وبكى الكثيرون فى القاعة ، فى حين جالس الباقون صامتين مطأطئى الرؤوس

وقال محامونا على الفور إنهم سيستأنفون الحكم ، رغم أنهم كانوا مدركين تماما عدم جدوى الاستئناف . وأفرج عن مارتن بكفالة . وخرجنا معا من قاعة المحكمة يتبعنا الأصدقاء ، وفي الخارج وقفت الحشود تصيح : « فليباركك الله » . وأخذت تنشد : « إن نستقل ، الأقويسات ، بعد ذلك » .

وفي كتابه « خطوات نحو الحرية » كتب مارتن يقول : « لقد شعرت في ختام محاكتي بشعور الشفقة والثناء للقاضي كارتر ، لأنه كان في الحقيقة في ورطة ، إذا حكم على فعله أن يواجه اتهامات الأمة . . . بل والعالم ، وإذا برأني فعليه أن يواجه اتهامات مجتمعه المحلي وأصوات الناخبين التي وضعته في كرسيه . لقد عاملني القاضي طوال المحاكمة بأدب جم ، وقد أصدر حكما يعتقد هو أنه أسهل طريق للخروج من ورطته . . . »

ولم يقتصر المحامون على الاستئناف ، بل واصلوا جهودهم في المحكمة الفيدرالية الإقليمية حتى تصبح التفرقة في « الأقويسات » غير دستورية . واستمعت محكمة مكونة من ثلاثة قضاة في السادس من مايو ١٩٥٦ إلى طلباتهم . وكان مارتن سعيدا لأن القضية تنظر أمام محكمة فيدرالية ، وكان يقول إن مثل هذه المحاكم لا يشوبها جو التزمّت الذي يسود محاكم الولايات الجنوبية .

وبعد أسبوعين حكمت هذه المحكمة بعدم دستورية التفرقة في « الأقويسات » . وسرعان ما استأنف وكيل نيابة المدينة هذا الحكم وطلب رفع المشكلة إلى المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية ، وكان هذا يعني أنه إن يصدر قرار ما إلا بعد شهور عديدة .

وفي نفس الوقت استمرت المقاطعة ، بل وتجدد التمهّس فيها ، ولم تسفر حركة الاعتقالات إلا عن أثر عكسي لما تصوره منظموها ، فقد أدت هذه الاعتقالات إلى رفع الروح المعنوية لشعبنا ، وزادت من أواصر الوحدة بين أفراد وجماعته .

وكان مارتن في ذلك الوقت يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما ، واسكنه

كان قد أصبح شخصية وطنية مرموقة. وباليقنى فى هذه الايام احتفظت بدفتر من دفاتر الزيارات التى أحتفظ بها اليوم ، فلو أنى فعلت لسجلت أسماء الزوار الذين وفدوا على بيتنا من كل أرجاء أمريكا ، بل ومن كل أنحاء العالم لبروا زوجى ويقدموا له تأييدهم ومساعدتهم . وكان الزوار يفدون من الهند وقد مسست شغاف قلوبهم اتجاهات عدم العنف التى نادى بها غاندى ، كما زارنا كثير من زعماء الزوج ، أمثال : رالف بانس ، وجيمس فارمر ، وروى ويلسكنز ، وروبن هيرلى ، وكيفيث كلارك — وهو من كبار العلماء النفسانيين . وذات يوم دق جرس باب منزلنا وكان الطارق هو بايارد راستين قائد عصبة مقاومة الحرب . ولما فتحت له الباب قال : « إن معى خطاب تقديم من روث نودورفر ، وهى إحدى مدرساتك السابقات فى مدرسة لينكولن الثانوية ، .

ومد يده ليلسنى الخطاب ، ولسكنى بادرته بقولى : « إنى أعرفك يا ماستر راستين ، لقد سمعتك تخطب وأنا فى الفصل الثامن فى مدرسة لينكولن ، ثم استمعت إليك فيما بعد فى لنيوتوك ، .

وأخذ يشرح لى مدى اهتمامه بعملنا وإمكانات تطوره لنصل به إلى حركة مقاومة سلمية فى كل أرجاء البلاد ، كما تحدث عن مدى إعجابه بزوجى . ولما حضر مارتن ووجده بالمنزل ، ولم يكن قد سبق له التعرف إليه ، تحدثنا معا طويلا ، وعرض بايارد أن يتقدم بالمعونة فى كل ما يستطيع أن يقدمه . وقد أصبح فيما بعد من أقرب المقربين إلينا ومن أعوان زوجى .

كما أتى لزيارتنا الكثيرون من الأحرار البيض ، ومن بينهم : إلين نايت تشالمرز ، والفيس جيلين سمابلى — وهو أحد البيض المنضمين إلى جماعة التهدة . ومن أهم زوارنا فى هذه الفترة ستانلى ليفزون — وهو أحد محامى نيويورك — وقد عرفنا به بايارد راستين ، وكان الاثنان فى ذلك الوقت عضوين فى جمعية

اسمها الصدافة الشاملة ، كان هدفها جمع التبرعات لمساعدة مهنوى الحق من أهل الجنوب . وقد ساعد ستانلى فى حركتنا بتقديم العون المالى . ولكن هذا العون لا يقارن بما قدمه لزوجى فيما بعد من لصالح قانونية .

ووقف بجانبنا أيضا بعض أصدقائنا من البيض فى مونتجمرى ، وقد دفعوا ثمننا غالبا لوقفهم هذه ، فقد حدثت مأساة جوليت مورجان ، وهى موظفة فى مكتبة مونتجمرى ، وكانت بين الاعضاء البيض فى مجلس العلاقات الإنسانية ، وكتبت خطابا إلى إحدى الصحف تقارن فيه بين حركتنا وحركة التحرر فى الهند وتمتدحها ، مما أدى إلى مقاطعة المجتمع الأبيض لها مقاطعة جامعة مانعة . وزاد الضغط على هذه الفتاة حتى دفعا آخر الأمر إلى الانتحار بتناول جرعة كبيرة من الحبوب المنومة ، ولا يمكن أن أصف مدى تعاستنا لهذا الحادث !! وكان هناك أيضا أوبرى ويليامز وزوجته ، وكان رئيسا لإدارة الشباب الوطنى فى أيام الرئيس فرانكلين روزفلت ، كما لا أستطيع أن أنسى كليفورد وفرنجينيا دور ، فقد دفعا ثمننا غالبا لتأييدهما لنا ولحركتنا . والمسترد دور محام معروف تأثر مكتبه بالغ الأثر نتيجة لصدافته لنا ، ولكنه واصل التأييد ، كما واصلت زوجته حضور اجتماعاتنا الدينية . ومن البيض أيضا أذكر : آل مورلاند وآل سميث . وكان المستر سميث مهندسا معماريا ، كما كانت أسرة زوجته تملك شركة لتنظيف وكى الملابس فى مونتجمرى . أما روبرت جراتز — وهو قسيس أبيض للكنيسة البروتستانتية الزنجية — فقد انضم إلى اللجنة التنفيذية لحركتنا .

يا لدورة حياتنا الغريبة !! بدأ مارتن حياته قسيسا لكنيسة مشيخية صغيرة فى بلدة صغيرة من بلاد الجنوب ليجد نفسه وسط حركة ذات أبعاد وطنية . أما بالنسبة لى فإن التغيير كان ذا أثر بعيد أيضا ، فنزلنا أصبح دائما يعج بالزوار ، ولم تعد لنا من أول لحظة حياة خاصة ، وكل وجبة طعام عندنا أصبحت تشبه وليمة واسعة النطاق ، وكثيرا ما كان مارتن يأتى مع با أكثر من ثمانية أشخاص دعاهم إلى العشاء بعد اجتماع ما . أما الصحفيون الذين كانوا

يقفون أمام منزلنا فلم يكن بوسعنا تركهم دون طعام ، لأن كثيرا منهم كانوا يأتون من بقاع بعيدة من العالم . ولذا فقد عودت نفسي أن أقوم بطهو كميات وفيرة . وقد اعتدت هذا الإجراء ، وهو إجراء ليس سهلا بالنسبة لامرأة ، كما اعتدت أن ما أطهوه من الطعام لا يقدم في مواعيد ثابتة ، بل كان هلى أن أترك ساعات على الموقد فى انتظار تحركات الزمن .

وبالإضافة إلى كل هذا فإن مارتن كثيرا ما كان يغيب عن المنزل ، فقد طلبته البلاد بأسرها لمتحدث ، وكان يقبل معظم الدعوات التى تصله بغية جمع التبرعات لأجل الحركة حتى تصل كلماتها إلى كل الجهات .

وكان خطابه الذى ألقاه فى كاتدرائية سانت جون بنيويورك فى السابع عشر من شهر مايو عام ١٩٥٦ - بمناسبة الذكرى الثانية لقرار المحكمة العليا باختلاط المدارس - من أهم خطبه . وقد امتلأت الكاتدرائية الفوطية على سمعتها بمن جاءوا ليستمعوا إليه . وقد اختار مارتن بعض فقرات الإنجيل فى خطابه هذا ، كما حوى الخطاب فقرات من أقوال : شيكسبير ، وجفرسون ، وجيمس راسل لويل ، مستشهدا بها على انتصار الخير على الشر وقال : « إننا نشهد اليوم تغييرات عظيمة ، فقد أصدرت محكمة الولايات المتحدة العليا قرارا هز العالم بأسره وجعل قوى العدل تلتصر على الشر » .

وقد أبلغنى مارتن فيما بعد أنه سمع أصواتا تهتف : « آمين ، عندما أعلن انتصار الحق ، وكانت أصوات زنوج هارلم الذين حضروا إلى هذه الكاتدرائية الكنسية ليستمعوا إليه .

وختم مارتن خطابه قائلا : « إن مزامير الإنجيل تقول إننا لاحتاج لأن نسير فى الظلام ، وأين أذهب من روحك ومن وجهك ، أين أهرب . إن صعدت إلى السموات فأنت هناك ، وإن فرشت فى الهاوية فأنت . إن أخذت جناحي الصبح وسكنت فى أفصى البحر ، فهناك أيضا تهدينى يدك وتمسكنى

يمضى . وهذا الإيمان يجب أن يؤيدنا في كفاحنا ، ويضئ لنا الطريق ، ويصدق خطانا . وبدونه ستهول أعرض آمال الإنسان إلى تراب . .

وفي يولية تحدث مارتن في مؤتمر الديمقراطيين ، وقال للحاضرين إن الحقوق المدنية قضية تعتبر من أهم القضايا الأخلاقية في عصرنا هذا ، وطالب بأن يكون لها مكان الصدارة في المعركة الانتخابية .

واستمرت المقاطعة في مونتجمري ، وحل الحريف ، وأخذ مواطنونا يشعرون بالتعب والإرهاق ، كلما تراءى لهم شتاء جديد ، تكل فيه أقداهم سيرا ، وتزداد فيه ضراوة المقاومة البيضاء . وكان البيض يجرون الزوج خارج السيارات ويضربونهم ضربا مبرحا . أما محطات البنزين التي كانت تمنون سياراتنا بالوقود فقد تعرضت للقنابل ، كما تعرض أصحابها للهجوم المتواصل ، وأخذت شرطة مونتجمري تهدد الزوج وتكيل لهم الكراهية ، التي مرت في المجتمع سريان العدوى وسمته تماما .

وفكر قادة المدينة في ذلك الوقت في أكبر تحد وجه إلينا ، ففي الثلاثين من شهر أكتوبر عام ١٩٥٦ أصدر العمدة جيل قرارا يقضى باتخاذ كل الإجراءات القانونية ضد كل من يؤيد أو يساعده على استمرار المقاطعة . وحاول محامونا الطعن في هذا القرار ، وطالبوا برفعه إلى المحكمة الفيدرالية ، ولكن دون جدوى . وأعلن مارتن وزملاؤه الشول أمام المحكمة في الثالث عشر من شهر نوفمبر .

وفي ليالى نوفمبر المظلمة ألقي مارتن أروع موعظة له في الرابع من شهر نوفمبر في كنيسة ديكستر . واتخذت الموعظة صورة خطاب هوجه من القديس بولس إلى جميع المسيحيين بأمريكا ، وفيه يناشدنا أن نحذر من التخلي عن قيمنا الروحية لتلقى بأنفسنا في غياهب المادية ، واختتم الخطاب بالكلمات التالية : « إن أكبر فضيلة هي الحب . وفيه نجد المعنى الحقيقي للعقيدة

المسيحية . إن الألم يشبه التليساكوب الذى نشهد من خلاله امتداد الأبدية كما نشهد حب الله وهو ينتشر عبر الزمن . .

وجعل صوت مارتن فى أرجاء الكنيسة يقول : « إن العظمة والقوة له وحده ، فهو يشد من أزرنا وينشلنا من وادى اليأس إلى قمة الأمل ، من ظلمات الخذلان إلى نور السعادة . آمين . »

ورغم شجاعة مارتن وجراته فى أحاديثه العامة فإنه كان يشعر وهو فى المنزل بالخوف ، وخصوصا كلما اقترب ميعاد المحاكمة ، وقال لى : « إن الناس أخذوا يشعرون بالتعب . وإذا توصلت السلطات إلى إصدار هذا القرار ، وأنا واثق أنها ستفعل ، فإنى أخشى أن يعود أهلنا إلى ركوب « الاوتوبيسات » ، وسأجد نفسى غير مستطيع أن أطلب منهم الاستمرار فى المقاطعة ، سيعود الأمر إلى ما كان عليه . »

وكنت أنا من جانبي أحاول تشجيعه وفلت : « أظن أن المحكمة العليا هى الأخرى ستصدر قرارا لصالحنا ، وستسير الأمور على ما يرام ، سترى . »

والواقع أنى كنت أخدع نفسى وأتصور أن التوقيت المناسب سيحدث ، ولكنى كنت أريد طمأنة زوجى ولم أجد سوى هذه الكلمات ، ولم أعلم حينئذ أنى كنت فى الواقع أنبيا بما سيحدث .

واستعاد مارتن كماداته قوته بالاعلاة ، وبإلهام الناس له . وتحدث فى الليلة السابقة للمحاكمة عن الحقيقة المجردة ، وهى أن القرار سيصدر ، وقال لمستمهيه إنه لا يستطيع أن يطلب منهم أكثر مما فعلوا ، ولكن إذا تراجعوا فسيكون هذا معناه أن كل شعور الاحتجاج ضاعت هباء . وقال : « إن هذه قد تكون ساعة الإظلام التام التى تسبق الفجر ، لقد وقفنا طوال هذه الشهور لإيماننا أن الله بجانبنا فى صراعنا ، وقد أثبت التاريخ صحة هذا الإيمان بكل الطرق غير المتوقعة ، ولا بد لنا أن نواصل كفاحنا بنفس الإيمان ، ونؤمن أن ثمة طريقا سيظهر من هذا الطريق الممدود . »

ولما عاد إلى المنزل هذا المساء ، شعرت بالآسى عليه وعلى شعبنا كله .

وفي الصباح ، صباح الثالث عشر من شهر نوفمبر ١٩٥٦ توجهنا إلى المحكمة ، ووقفنا مرة ثانية أمام القاضى كارتر . وجلس مارتن — بوصفه المتهم الرئيسى — مع محاميه فى الامام ، أما أنا فجلست مع رالف أبرناتى ونيكسون فى الخلف . ووقف محامى الاتهام يقول: إن المدينة قد خسرت ما قيمته خمسة عشر ألف دولار من ضرائب نتيجة لمقاطعة « الأنوبيسات » ، وطالب بالتعويض عن هذا المبلغ ، كما وصف المقاطعة بأنها تهديد للصالح العام ، وأن تشغيل السيارات الخاصة فى نقل الركاب يعمل دون ترخيص ، ولذا فيجب إصدار قرار بمنعه .

واستمر فى سرد اتهاماته ، وكنا جميعا نعلم أنها مجرد إجراءات شكلية ، وأن القاضى كارتر سيحكم بإصدار القرار بالمنع .

وعند الظهيرة حدث هرج ومرج ، وترك العمدة حيل والمحكدار سيلرز أما كنهما فجأة ، وتبعهما اثنان من المحامين ، وأسرع الصحفيون خلفهم . وسلم مراسل وكالة الاخبار المتحدة مارتن ورقة صغيرة ، وأخذ مارتن يقرأها للجاسين معه ، ثم أسرع نحوى وقد ملأ البشر وجهه وقال : « استمعى لهذا ، لقد قررت المحكمة العليا للولايات المتحدة تأكيد القرار الذى أصدره ثلاثة من القضاة ، ويقضى بعدم دستورية قوانين التفريق فى وسائل المواصلات بولاية ألاباما ، .

وسمع معى الكثيرون ما قرأه مارتن ، وسرى الخبر فى قاعة المحكمة بسرعة ، وزادت الهمسات والغمغمات رغم استمرار انعقاد الجلسة ، وأخذ الناس ينتقلون من مكان لآخر ، وصاح رجل هرم : « لقد تكلم الله وسمعنا صوته من العاصمة واشنطن ، .

ويعتبر قرار المحكمة العليا حجر زاوية ، ولكن الواقع أن صمود المقاطعة

البطولي كان له أكبر الأثر في إصدار هذا القرار ، ولولا التماسك والإصرار والوحدة بين أفراد الشعب الزنجي في مونتجمري لوجد أنصار التفرقة مهرباً لهم ، كما فعلوا عبر عشرات السنين .

ولم يعن هذا القرار أن متابعينا قد وضع لها حد نهائي ؛ فلم يصل القرار بصورته النهائية إلى مونتجمري إلا بعد شهر من صدوره ، وبعد أن أصدر القاضي كارتر حكمه الذي لم يعد له مغزى الآن. وطالب مارتن عقد اجتماع فوري وكان بمونتجمري ما يقرب من خمسين ألفاً من الزنوج بما فيهم الأطفال. وحضر إلى الاجتماع ما يقرب من ثمانية آلاف زنجي ، واضطر المسئولون إلى عقد الاجتماع في كنيسة في وقت واحد ، وكان المتحدثون ينتقلون من الواحدة إلى الأخرى . وقال مارتن إن اللجنة ناشدت المواطنين لإنهاء الاحتجاج ، وإن كانت تنصح بعدم ركوب الآتوبيسات، حتى يصل لص القرار من واشنطن وقرأ بوب جراتز رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس التي تقول : « وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس بحبة ، فاست شيئاً ، واستطرد يقول : «لما كنت طفلاً ، كطفل كنت أتكلم ، وكطفل كنت أفطن ، وكطفل كنت أفكر ، ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل . »

وعند هذه الكلمات وقف المجتمعون وصفقوا ولوحوا بمناديلهم ، فقد أيقنوا أنهم قد بلغوا الرشد . كانت الروح عالية جداً هذه الليلة ، وكان كل المتحدثين في أوج عظمتهم ، وأيقن الناس أن الألم والعذاب والانتظار قد أتت ثمارها .

وفي نفس الليلة نشطت جماعات الكوكلوكس كلان وسارت في شوارع المدينة بعباءاتها البيضاء ، وطرا طيرها المضحكة ، وكانوا فيما مضى يحدون الأحياء الزنجية دائماً خلوا من الناس ، ولكنهم في هذه الليلة فوجئوا بالأضواء كلها مضاءة ، والزنوج يقفون جماعات أو يتزهون دون رهبة أو خوف ، أو يجلسون أمام منازلهم ، وقد وصف مارتن هذا الشعور بقوله : « لقد كان الجميع يتصرف ، وكأنه يشهد منظر آ في سيرك » .

ولم يعد الزوج يخافون من جماعات الكوكلو كس كلان ؛ فقد انتصروا عليها ، وهذا ما فهمته هذه الجماعات ، فلم يكن أمامها سوى التوارى عن الأنظار بعد أن دارت بسياراتها في بعض الأحياء .

وانتظرنا وصول القرار من واشنطن ، وأعددنا أنفسنا لاستخدام « الاتوبيسات » دون تفرقة ، ووزعنا المنشورات التي تحت الناس على الأدب مهما حاول البيض إثارتهم ، وتطلب منهم ألا يحاولوا الجلوس بجوار أى أبيض إذا كان هناك مكان آخر ، وترجوهم أن يراعوا أهم مبدأ وهو عدم الزهو بانتصارهم ، وكما قال مارتن : « إن هذا ليس انتصارا للزوج وحدهم ، بل هو انتصار لمونتجيمرى كلها ، وللجنوب بأسره » .

وقنا بإعداد ما يشبه الفصول الدراسية للتوعية ، وصففنا الكراسى بما يشبه النظام الموجود داخل « الاتوبيس » ، وقام بعض أفراد الجمهور بتمثيل دور السائق والركاب البيض ، وبقي الآخرون يعبون دورهم ، أى دور الزوج ، وكان الذين يقومون بدور الركاب البيض يتصرفون بأدب ، والبعض الآخر بلا أدب ، وكان على الذين يقومون بدور الركاب الزوج أن يقابلوا هذه الإهانات بالأدب ، وحتى بارد ببعض الجمل مثل : « لى أحبك يا أختى » ، وكان التثليل يصل فى كثير من الحالات إلى حد الواقعة الزائدة بما يضطرنا إلى وقفه . وكان بعض البيض يتنادون فى إهاناتهم ، وبعض السود يفسون مبدأ اللاعنف ويبدأون فى العراك ، وعندئذ كان مارتن وزملاؤه يشرحون لهم المسئوليات الملقاة على عاتقهم حتى نحتفظ بما كسبنا من حقوق .

وقد يبدو هذا الإجراء اليوم وكأننا كنا مسلمين أكثر من اللازم ، وأننا كنا نحاول بالتنازل تجنب الكثير من المصاعب ، ولكن علينا أن نتذكر أن كل هذا حدث منذ خمسة عشر عاماً فى الجنوب البعيد ، وفى الأيام الأولى لحركة الشوريين الزوج . والواقع أن مونتجيمرى هى التي وضعت الأساس لهذه الحركة القائمة فى عصرنا الحديث اليوم .

ولم يحاول المتعصبون من المتطرفين البيض تسهيل المشكلة؛ فقد هدد أعضاء مجلس المواطنين البيض بأن الدماء ستجری في الشوارع ما لم ينفذ قرار التفرقة. وتسلم مارتن خطاباً يحمل تهديداً بإحراق خمسين منزلاً، من بينها منزلنا، إذا حاول الزوج وكوب، الاتوبيسات، وبدأ أن يوم الحساب قد اقترب.

ووسط كل هذا كنت أنا منهمكة في مشروع مخالف تماماً؛ فقد نظم ستانلي ليفرون وبايارد راستين وإيلا بيكر حفلاً موسيقياً في مركز مانهاتن بنيويورك وحدد لإقامته اليوم الخامس من شهر ديسمبر ١٩٥٦؛ وهو العيد الأول للمقاطعة. وكان الهدف من الحفل هو جمع التبرعات للحركة. وكانت كل من المسز رالف باناش، والمسز روى ويسكنز، عضوين في لجنة التنظيم، وتمكنتا من إقناع أسماء لامعة مثل ديوك ايلنجتون وهاري بيلافونت بالاشتراك في الحفل. والواقع أني تمكنت من مقابلة هاري بيلافونت لأول مرة خلال هذا الحفل، وقد أصبح فيما بعد واحداً من أعز أصدقائنا، الذين يسارعون إلى مد يد المعونة والمساعدة لنا إذا ما حلت بنا مأساة... إن هاري ذو قلب كبير كريم. وكان المفروض أن أقوم أنا بالعزف بين هؤلاء النجوم، وشعرت بضخامة المسؤولية، وخاصة أن التذاكر بيعت كلها عن آخرها.

وغنيت أولاً بعض الأغاني الكلاسيكية وصاحبتني فيما جوناثان برايس، ثم أخذت أقص على الحاضرين ما يحدث في مونجمرى بالكلمات والأغاني، واستخدمت في ذلك النص الذي أعدده لحفلاتي في مارنت تابور عندما كنت في مدرسة لنكولن الثانوية، وهو نفس النص الذي استخدمته فيما بعد في حفلات التحرر. وأخذت أسرد تاريخ الحركة وأنا أنشد الأغاني الروحية المعروفة وأضيف إليها ما كتبته أنا.

وتحدثت عن الاضطهاد الذي عانته البشرية على مر العصور وقلت إن الله كان دائماً يستجيب لدعوات الناس ويرسل إليهم من ينفذهم، وقلت: «واليوم يحدثنا الله ويقول: «فك أسري»،»

« لقد مر عام اليوم على ما حدث في مونتجمري عندما اعتزمهد الظلم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ولقد سرنا بكبرياء طيلة هذا العام وفصلنا السير على إهانة الركوب . وكنا ننشد ونحن في طريقنا من وإلى أعمالنا :

سيروا معاً يا أحباب ، ولا تهنوا ولا تتعبوا

سيروا معاً يا أحباب ، ولا تهنوا ولا تتعبوا

فإن الراحة في انتظاركم في الأرض الموعودة

ثم قصصت على الحاضرين حادثة السيدة العجوز التي قالت: « إنها اعتادت فيما قبل أن تكون روحها متعبة ، في حين أن قدميها مرتاحتان . أما الآن فإن قدميها متعبتان ، في حين ارتاحت روحها » .

وقد أتت إلى مونتجمري خلال الصيف فران توماس ، وألهمتها هذه الكلمات لكتابة أغنية تقوم على معناها .

وتحدثت عن التهديدات والعنف وما نعانى منها ، وتصميمنا على المواصلة رغماً عنها ، ثم أنشدت أغنية روحانية كتبها بوب ويليامز وعنوانها « ياربى ، لم يعد باستطاعتى النكوص على عقبي ، فقد ولدت من جديد » .

ثم أنشدت أغنية روحانية أخرى بعنوان « لا ترفع يدك عن المحراث » ، وقلت : « لن نرفع أيدينا عن المحراث لأننا مصممون على بناء مونتجمري جديدة ، بل وبناء جنوب جديد . بل وأمريكا جديدة ، تصبح فيها العدالة مع الحق ، والمساواة حقيقة يراها كل رجل وكل طفل . لقد شعرنا طيلة صراعنا بأن العالم يشاركنا في لهذا الصراع ، وبأن الله في جانبنا ، وأن الحق والخير لا بد منتصران في النهاية . هذا هو إيماننا وبهذا الإيمان سنواصل الحياة » .

وفي ختام البرنامج أنشدت أغنية مفضلة عند مارتن ، وهي روحانية « الشرف ، الشرف » .

لقد أشعل يسوع شمعة بجوار النهر
ليرى أتباعه وهم يعمدون

الشرف ، الشرف

أسرعوا يا أحباب إلى التعميد
في الاجتماع السعيد بجوار النهر

الشرف ، الشرف

وقد روى لى أصدقائى فيما بعد أن الجمهور قابلى بحماسة ، وإن كنت قد
لمست ذلك بنفسى ؛ لأنى أحسست بالحلب والتجاوب منه .

ووصلتنا هذا العام هدية رائعة بمناسبة عيد الميلاد . فى العشرين من شهر
يوم ديسمبر ١٩٥٦ ، وصل قرار المحكمة العليا إلى مونتهجرى ، وأعلن العمدة
جيل أنه سيلتزم به ويحاول حفظ النظام . وخلال أحد الاجتماعات التى عقدت
فى نفس الليلة قال مارتى : لقد آتى إيماننا ثماره .

وبعد أن استعرض تاريخ الصراع أعلن نهاية المقاطعة ، وحث الجميع على
العودة إلى ركوب « الاتوبيسات » على أساس متساو ، دون تفرقة ، ابتداء
من اليوم التالى .

ثم ناشد مارتى الجماهير للمرة الأخيرة التحكم فى الأعصاب وضبط النفس
قائلا : « علينا أن نستجيب للقرار بفهم عقلية كل من اضهادونا ، وبتقدير
الوسيلة التى ينبغى لنا بها أن ننفذ قرار المحكمة إزاء ما سيمليه هذا القرار من
تغييرات على البيض . يجب علينا أن نعمل على الاختلاط على أساس من
الاحترام المتبادل . »

« ونحن عندما نعود إلى استخدام « الاتوبيسات » يجب أن نسلح أنفسنا
بحب يكره لأن يجهل من العدو صديقا . وأنا واثق أن بد الله تعمل فى مونتهجرى .

وبهذا التكريس مستطاع أن نخرج من ظلمات ليل اضهاد الإنسان لآخيه الإنسان إلى نور الحرية والعدالة .

وفي صبيحة اليوم التالي ، وفي تمام الساعة السادسة إلا ربعاً ، اجتمع في منزلنا جماعة من إخواننا ، من بينهم ، المزرورزا باركر ، ورائف أبرناثي ، ونيكسون وجاين سمايلي (وهو أبيض) وقرروا أن يقدوا أول حملة لاستخدام «الاتوبيسات» . ولم يكن أحد منهم يستطيع التنبؤ بما سيحدث نظراً لتهديدات المتطرفين من البيض . وانتظر خارج منزلنا العديد من الصحفيين ومصوري التليفزيون .

وكما حدث في اليوم التاريخي — الذي سبق هذا اليوم بعام أو يزيد — شاهدنا أضواء «اتوبيس» الساعة السادسة يقترب من المنزل في الشارع الخالي وهو يقف في محطته التي تقع أمام منزلنا ، وسار الرجال متجهين نحوه ، وسمعوا قائده يقول في صوت كأنه صوت المكتشف العالمي ستانلي وهو يخاطب زميله ليفنجستون : «أعتقد أنك الدكتور كينج» .

ورد عليه مارتن . «نعم ، أنا هو» .

وأجاب السائق : «يسعدنا أن تكون معنا اليوم» .

وابتسم مارتن وأخذت أعصابه تهدأ قليلاً ، وجلس في المقعد الامامي وبجواره سمايلي جلين . وقاد السائق «الانويس» ، وكان شيئاً لم يحدث .

وانتقل مارتن إلى عدة خطوط أخرى «اللاتوبيس» خلال اليوم ، وفعل مثله الكثيرون من زملائه القساوسة ، بغية الوجود مع الناس في حالة حدوث أي اضطراب . ولكن لم يحدث ما يستحق الذكر في بداية الأمر ، إذا صرفنا النظر عن بعض حوادث الإهانات البذيئة التي حاولها بعض البيض تجاه السود .

ولكن هذا الهدوء لم يكن مقدراً له أن يدوم ، فقد أخذ الغضب والتعصب مأخذهما في نفوس بعض المتطرفين ؛ فشرعوا يلقون بالحجارة على بعض

«التوبيسات» ، ويمجرون الزوج منها قسراً ويضربونهم ، وأصبحت امرأة حامل برصاصة في ساقها . وذات ليلة أطلق بعضهم الأعيرة النارية على منزلنا ، وفي إحدى ليالي شهر يناير شن المتعصبون هجوماً شديداً على منزلنا ، وعلى منزل رالف أبرنathi ، كما ألغوا القنابل على كنيسة وعلى منزل بوب جرانتز ، وعلى ثلاث كنائس أخرى للزوج ، وتهدمت اثنتان منها تماماً .

وكان لسكل هذه الحوادث أكبر الأثر في نفس مارتن ، وفي الخامس عشر من شهر يناير سنة ١٩٥٧ — وكان عيد ميلاده الثاني والعشرين — تحدث في اجتماع عام وناشد أتباعه أن يواجهوا العنف بالحلب ، فبدونه لن نستطيع أن نحيا . وتبعه الحاضرون في الصلاة ورددوا وراءه : « يارب ، احفظنا من الموت نتيجة لصراعنا من أجل الحرية في مونتجمري ، احفظنا جميعاً ، فإننا لا نريد الموت ، واسكن إذا كان على أحد أن يموت فلاكن أنا . »

وصاح المجتهدون : « كلا ، كلا ! » ووقف مارتن على المنبر وقدهزه الهتاف ثم توجه إلى مكانه وجلس فيه .

وكانت هذه أسوأ الليالي التي مرت بنا ، رغم أنه حدث في الثامن والعشرين من شهر يناير أن أقيمت بعض القنابل وأصاب العديناميت على منزلنا . وأخيراً اضطرت سلطات المدينة أن تلجأ إلى وقف الهدام . ونشرت الصحف العديد من المقالات التي كتبها القسارسة البيض يناشدون فيها أهل مونتجمري ضرورة قبول قرار الاختلاط . وتألفت جماعة من رجال الأعمال البيض وأطلقت على نفسها اسم « رجال مونتجمري » ، وأعلنت معارضتها التي لارجوع فيها لسكل حوادث إلقاء القنابل . وبهذا الموقف من البيض توقف العنف ، ولو أن هؤلاء القادة حاولوا اتخاذ مثل هذا الموقف من قبل لجنبوا الجميع الكثير من الآلام . واسكن يبدو أن قوة المقاومة السلبية هي التي وصلت بهم أخيراً إلى هذا الموقف ، وهكذا استجاب الله لدعاء مارتن وصلواته ولم يهلك شخص واحد في حركة التمهير بمونتجمري .

(٨)

الواقع أن مونتجمري كانت الأرض التي ثبتت فيها بذور العمل الاجتماعي وضربت بجذورها عميقا فيها. وقد وجد الشعب الأسود في سياسة عدم العنف طريقة ثورية مباشرة تجنبت أساليب العنف، ولكنها في الوقت ذاته توصلت إلى مواجهة ذات أبعاد وآثار هامة؛ كان من بينها إلهاب حماسة الشعب بأمره وإثارة روح التعليم والاستمارة فيه. وقد أدركت هذه الروح الشر، وأظهرت بوضوح نواحي الأخطاء، كما أنها جمعت قوة المظلومين السكائمة وهيات لهم طريقة للتعبير عن عزمهم. وبدون كراهية، وبدون إذلال، ظهرت مطالب الحرية في قوة وكبرياء. وكان السود كلهم في انتظار هذه الحركة. ولذا فقد دفعتم غريزتهم إلى التمسك بها حتى يستطيعوا أن يشقوا لأنفسهم سبيلا نحو عصر جديد من التغييرات الاجتماعية.

وقد أظهر انتصارنا في مونتجمري للجنوب كله ما يمكن لإنجازه بمجهودات موحدة تسير في طريق قانوني لا يعرف العنف. وأصبح زوجي بطلا في أعين السود على طول الولايات المتحدة وعرضها. وكانوا جميعاً يتوقون إلى قائد حقيقي خلاق، ولذا فقد اتجموا بأنظارهم إلى مارتن، وكان هو يشعر بضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه.

وكان يقول لي: «دإني في الحقيقة منزعج من السرعة التي تم بها كل هذا؛ لأن الناس ينتظرون مني الآن المعجزات، ولا أريد أن أصل إلى قمة حياتي في سن السابعة والعشرين، ويبقى من عمري السنوات الطويلة لا أعمل فيها شيئا، كما أفي لا أريد أن أخذلهم وأصدم آمالهم بابتعادى عن دور الساحر الذي يخرج الأرائب من القبة».

وفي الوقت ذاته كان إحساسي أنا ، كما قلت قبلا ، أن مارتن ألوتر كينج مقدر له أن يقوم بما يقوم به ، وأنه في قرارة نفسه يشهر أن الزمن لن يتسع له طويلا للقيام بما يريد القيام به من منجزات . وإذا نظرنا إلى السنوات الأولى من حياته لوجدنا أن ظروفه كلها كانت تعده للقيام بالدور الذي لعبه . فقد التحق بالكلية وهو في سن الخامسة عشرة ، ولم يتوقف عن الدراسة والعلم حتى حصل على إجازة الدكتوراه . وعين راهبا لكنيسة من أكبر الكنائس الزنجية وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، مما بين أن القدر كان يهيئه للدور القيادي في لحظة من التاريخ احتاج فيها شعبنا إلى قائد . كانت هناك قوة تدفع مارتن إلى إنجاز ما يريد ، وأنا أعتقد أن هذه القوة هي التي دفعته إلى إنجاز أعماله في وقت مبكر بسبب قدرة الأخير في أن يصبح شهيدا حتى يتم قضاء الله وتمحقق إرادته .

كان مارتن يؤمن بأن الألم في غير محله والتفجئة الشخصية لها كلها جزاؤها ، وقد نفت إيمانه هذا في الحركة لينتج زملاءه الشجاعة . وكان لهذا أثره أيضا في حياته الشخصية ، فقد آزره على الاحتمال .

وأدى انتصار الزوج في معركة ، الاتوبيسات ، إلى قيام الكثير من الحركات التي ألهمت ماونتجمري ، فبدأت حركة في تالاهاسي بفلووريدا ، وفي برمنجهام ، وفي موبایل بولاية ألاباما ، ووصلت هذه الحركات إلى أفلاتا . وقد تزعم هذه الحركات كلها رجال قادرين ذوي كفاية ، تعاون معظمهم مع زوجي تعاونا وثيقا في السنوات التي تلت ذلك . ومن بينهم القس ستيل — وهو شخص متفان وشجاع ، كان يرأس حركة تالاهاسي وهو يعمل راعيا للكنيسة المشيخية بها . وأصبح فيما بعد نائبا لرئيس حركة الجنوب الشاملة ولا يزال حتى الآن يحتل هذا المنصب . أما حركة موبایل فقد تأسست تحت قيادة فائدها النشط القس جوزيف لويزي ، وقد ازدهرت هذه الحركة وجمعت من موبایل مدينة مثالية من مدن الجنوب ، وهو الآن رئيس مجلس إدارة جمعية

التحرير بالجنوب ، ومن حين حظ الجمعية أنه عين راعيا للكنيسة أتلانتا
النظامية عام ١٩٦٨ ، حتى يتسنى له أن يعطى من جهوده للجمعية دون بعد
في المسافة .

أما القس فريدلى شانلزورث فقد أصبح بحق رمزا لكفاح الجنوب، وهو
رجل ذو شجاعة نادرة، وأصبح رئيسا لحركة الألباما المسيحية في مونتجمري،
وهي مدينة تعتبر بحق رمزا للظلم والاضطهاد في الجنوب ، وهو الآن سكرتير
جمعية التحرر بالجنوب .

أما حركة دالاتوبلسات ، في أتلانتا فقد تزعمها قسيس كنيسة شارع
ويت المشيخية — المشهور ويدعى ويليام هلبز بوردرز .

وكان مارتن يرى أنه ينبغي أن يتم التنسيق بين كل هذه الحركات حتى تاتي
بنتائج فعالة . كما كان يعتقد بضرورة توسيع قاعدة حركتنا . وقد تحدثنا في
هذا الموضوع مع جماعة من زملائنا خلال ديسمبر عام ١٩٥٦ قبل حدوث
سلسلة الهجمات بالقنابل في مونتجمري . واقترح مارتن إقامة مؤتمر للزعماء
الزوج لهذا الهدف ، هدف رسم خطة موحدة للقضاء على التفرقة في الجنوب .
واستقر الرأي على عقد هذا المؤتمر في يومى ١٠ و ١١ يناير ١٩٥٧ في أتلانتا .
وانضم كل من ستيل وشانلزورث إلى مارتن في إرسال الدعوات التي سرعان
ما جاء الرد بقبولها على الفور بما يقرب من مائة زعيم زنجى . وبعد ذلك
أخذنا نعد جدول أعمال هذا المؤتمر في اجتماعات كانت تتم في منزلنا ، وكان لي
شرف الاشتراك فيها .

وفي مساء اليوم التاسع من شهر يناير توجهنا جميعا إلى أتلانتا ، وأخذت
الوفود تصل لحضور المؤتمر . وفي الساعة الثانية صباحا اتصلت جوانيتا
أبرنائى بزوجها رالف لتخبره بما حدث في مونتجمري من حوادث لإلقاء
القنابل وما أدت إليه من دعر ورعب ، وقرر رالف ومارتن أنه ينبغي لهما

أن يمرعنا إلى مونتيجمري ليسكونا بجانب أهلها ويحاول طمأنتهم وتهديتهم .
وطلب منى مارتن أن أنوب عنه فى حضور المؤتمر بأتلانتا .

ولما اجتمع المؤتمر فى اليوم التالى فى دار التعليم بإيبنزر كنت أنا أول
المحدثين وشرحت للحاضرين سبب تغيب مارتن، وعرضت على الأعضاء آخر
أخبار العنف الأبيض فى مونتيجمري ، ثم قرأت جدول الأعمال الذى وافق
عليه الحاضرون بالإجماع ، وبدأ العمل فى المؤتمر .

وعاد مارتن إلى أتلانتا فى اليوم التالى وقد أخذ منه التعب كل ما أخذ ،
وإن كان قد حاول جاهداً ألا يبدو مرهقا . وسرعان ما ملأه التحمس لما شاهده
من نشاط المجتمعين فى أتلانتا ، وتحت رياسته أقيمت جمعية سميث ، ومؤتمر
الجنوب للبواصلات وللغضاء على النفرة بالطرق السلمية ، وقرر المؤتمر ،
خروجا عن جدول الأعمال ، إرسال برقية إلى هيربرت براونل ، وكان حينئذ
النائب العام أو وزير العدل فى الولايات المتحدة ، نطلب منه فيها أن يتخذ
الخطوات اللازمة للغضاء على العنف الذى يتعرض له الزوج فى الجنوب . كما
أرسلنا برقية إلى الرئيس أيزنهاور نقترح فيها عليه أن يزور الجنوب ليرى
بنفسه ما يعاناه السود ويقرر تنفيذ قرارات المحكمة . ولم ترد علينا واشنطون
وإن كانت الصحف أبرزت دعوتنا هذه لإبرازها واسما .

وأهم من هذا كله القرار الذى اتخذته المؤتمر بإقامة اجتماع شامل فى
نيو أورليانز فى الرابع عشر من شهر فبراير ، بهدف تكوين جمعية دائمة .
وفى اجتماع نيو أورليانز قررنا توسيع دائرة أهداف الجماعة لتشمل الصراع
ضد كل أساليب النفرة ولتنظيم حملة واسعة لتسجيل أسماء السود فى قوائم
الناخبين فى الجنوب . وكان مارتن يرى ضرورة تجنيد كل الطبقات على كل
مستويات التعليم . وأرسلنا برقية أخرى إلى الرئيس أيزنهاور نحثه فيها على
إقامة مؤتمر بالبيت الأبيض لبحث الحقوق المدنية ، وقلنا فيها : « إذا لم نتخذ

خطوات محددة لتصلح هذه الأخطاء. فسنجد أنفسنا مضطرين إلى تنظيم مسيرة دينية تتوجه إلى واشنطن . .

وأبدلنا اسم الجمعية إلى «جمعية القياديين المسيحيين» ، وكان معظم المشتركين في المؤتمر من القساوسة . وكانت جماعتنا منذ البداية تؤمن بالكنيسة ، فقادتها جميعا من القساوسة ، وأعضاؤها من المترددين دائما على الكنائس ، كما أن شعار عدم العنف كان مفهوما روحانيا يتفق تماما ومعتقدات الكنيسة الزنجية الأمريكية .

والواقع أن هذا المفهوم كان نابعا من مارتن ، فلم يناد أبدا بعصيان كل القوانين ، بل بعصيان القوانين التي لا تتسم بالعدل . وقد حدد مارتن هذه القوانين بأنها تلك التي تفرضها الاغلبية على أقلية لا يكون لها صوت في رسم هذه القوانين . وكان يعتقد أن مثل هذه القوانين لا تتفق والدستور ، وأن من واجب الضمير الشخص أن يعارضها ويعصاها ويتحمل في سبيل ذلك الجزاء ؛ فقد كان في الواقع يؤمن بسيادة قانون أخلاقي سام .

ونادى بعدم العنف ، لا لأنه من تعاليم المسيح فحسب ، بل لأنه السبيل العمل الوحيد الذي سيؤدي إلى تغيير النظم الاجتماعية الزوج ، كما أشار ذات مرة إلى أن الثورة العنيفة لا تنتج إلا في حالة واحدة ، عندما يكون التآثرون هم الاغلبية ، أما في حالة زوج أمريكا فإنهم لا يكونون سوى ١٢٪ من مجموع السكان ، ولا يمكن أن يكون إلا الضئيل من الأسلحة ؛ ولذا فقيامهم بثورة مسلحة ، سيعنى انتحارا تاما بالنسبة لهم .

ولم تكن في الواقع «مقاومين سلميين» ، بل كنا جماعة من الثائرين نعتقد أن أقوى سلاح في أيدينا هو سلاح عدم العنف . والحقيقة أن هذه السياسة كان لها أكبر الأثر في حياة هذه البلاد . وهي سياسة مازالت تتصف

بالفعالية والقوة ، وقد تزعم مارتن رزملاؤه حملة المواجهة بين القضية السوداء العادلة وبين بناء المجتمع الأبيض بأسره . وقد عمل طوال حياته كل ما في جعبه لمنع هذه المواجهة من أن تلتخ بالدم .

وعمل كل من رالف أبرنathi وفريد شاتلزورث وستيل مع مارتن لإقامة قيادة مسيحية تشرف على عقد مؤتمر لمسيحيي الجنوب ، وقد انتخب زوجي رئيسا ، وانتخب ستيل نائبا للرئيس ، وشاتلزورث سكرتيرا ، وأبرنathi أميناً للصندوق . وافتتحت للجمعية مكاتب في أتلانتا ، لأنها كانت مركز نشاط الجنوبيين . وعينت إيلايكر السكرتيرة التنفيذية ، ثم احتل هذا المنصب فيما بعد القس جون تيللي .

وبعد هذه الأشهر المستوفزة والمتوترة ، في مونتجمري نشرت مجلة تايم في ١٨ فبراير ١٩٥٧ مقالا لرئيسيا رائعا عن مارتن الذي زينت صورته الغلاف أيضا ، وتحدث المقال عن مظاهرات الاحتجاج في مونتجمري ، وأشار إلى مارتن بلقب القس المشيخي المثقف الذي قفز في أقل من سنة ليصبح من أبرز قيادي البلاد . وأضاف المقال : « إن قيادته تتجاوز معركة فريدة لأن قوته الروحية عظيمة » .

ووصلت إلىسادعوة من كوامي نكروما رئيس حكومة غانا آنئذ لحضور احتفالات يوم الاستقلال في عاصمة بلاده أكرا . ونكروما يعلم الكثير عن أمريكا ، وقد سبق له أن دعا العديد من المبرزين من رجالها لحضور حفل الاستقلال هذا . وكنا نود الاشتراك في الحفل ، ولكن ظروفنا لم تكن تسمح لنا بذلك ، فرغم أننا كنا سمنزل ضيوفاً على حكومة غانا إلا أن أجر المواصلات كان سيدفع من جانبنا نحن . وكان أن تبرع لنا أهل ديكستر بألفين وخمسائة دولار ، كما أعطتنا إحدى الجمعيات ألفاً أخرى مساهمة منها في نفقات الرحلة . وكان الجميع متحمسين لفكرة سفرنا ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها مارتن إلى العالم ، وكان الكثير منهم قد سافر خارج الولايات المتحدة ،

ولذا فقد وجدوا لزاما على راعى كنيسةهم أن يرى الدنيا بضاً، لأنها في رأيهم كانت تجربة تؤدي إلى إثراء أفكاره ، كما كانت مستهم في حياة الكنيسة والمجتمع بشكل عام .

وكان مارتن يرى صلة وثيقة بين صراع زوج أمريكا وصراع الاستقلال في أفريقية ، وطالما قارن في خطبه بين الاستعمار الأوربي واضطهاد الزوج في أمريكا ، ولذا فقد فرح جداً لهذه الفرصة التي منتهج له السفر إلى أفريقية ليشترك في احتفالات استقلال شعب أسود .

وفي مارس ١٩٥٧ ركبنا الطائرة ومعنا العديد من قادة الزوج الذين دعاهم نكروما ، ومن بينهم رالف باناش وآدام كليتون بابل وفيليب راندولف وروى ويلكيز وليستر جرينجر ، وكان معنا أيضا نورمان واشنطن مانلي رئيس وزراء جامايكا .

ووصلنا إلى أكرا في أثناء الليل وذهبنا على الفور إلى كلية اشيموتا حيث نزلنا في ضيافة أستاذ انجليزى وزوجته . وكانت عيشتهم تختلف كثيراً عما اعتدنا رؤيته في أمريكا ، فقد أعدت لنا أسرة متنقلة عليها حشيات رقيقة ، كما شاهدنا هذهم العديد من الخدم الذين قاموا على توفير الراحة لنا ، وهو أمر لم نتعوده في أمريكا ، فقد كان كل من نعرفه في أكرا يستخدم من يقوم على خدمته . وقد علمنا أنهم يدفعون للواحد منهم أجراً لا يزيد على ٢٨ سنتاً في اليوم ، وهو أمر مؤسف ، ولكنه من نتائج الاستعمار . وقد انزعجنا جداً لما عرفنا هذه الحقائق ، وكان مارتن يشعر بالآلم لما جره الاستعمار على هذه الشعوب ، وبخاصة عندما كنا نرى هؤلاء الخدم يركعون ويخافون من مخدومهم . والواقع أنها مسألة محزنة .

ومع ذلك فقد شاهدنا شوارع البلدة النظيفة والفنادق الجميلة التي تملكها الحكومة ، ومنها فندق الأمباسادور وهو في رأي يفوق العديد من فنادق

أمريكا في الفخامة . وأدركنا أننا نحن الآخرين قد وقعنا ضحية الدعاية المغرضة التي تزعم أن أفريقية كلها بلد متأخر قدر .

وفي ليلة السادس من مارس حضرنا جلسة آخر برلمان في العهد السابق ، وقد أقيمت في مبنى عتيق على الطراز الانجليزي ، وشاهدنا فيها ممثلي تسع وستين دولة ، وعلى رأسهم ريتشارد بترل ، وكان وقتئذ يحتل منصب حامل أختام المملكة ، كما كان هناك أيضا ريتشارد نيكسون نائب رئيس الولايات المتحدة وقتذاك .

وخلال الاحتفالات تقدم نائب الرئيس نحو مارتن ، وقال له : أنت الدكتور كينج ، لقد تعرفت عليك من صورتك التي نشرتها مجلة تايم . لقد كان مقالا رائعا . ثم طلب من مارتن أن يأتي للاجتماع به في واشنطن عند عودتنا جميعا إلى أمريكا .

وكان أعضاء البرلمان ، وكلهم من البيض ، يرتدون نفس الملابس التي يرتديها أعضاء البرلمان في ويستمستر بانجلترا . أما الموظفون فكانوا يرتدون الباروكات ، البيضاء التقليدية والأرواب السوداء . وتوالت الخطب الخماسية عن الاستقلال .

واختتم آخر برلمان تحت الحكم الاستعماري جلساته قبيل منتصف الليل وخرج الأعضاء يتبعهم الضيوف حيث تجمع في الميدان ما يقرب من خمسين ألفا من سكان غانا الذين حضروا من منازلهم في الغابات والأحراش بملايسهم القبلية . وكان العلم البريطاني يرفرف على الصاري في منتصف الميدان الذي أضوى بالأنوار الكاشفة . وهتفت الجماهير عندما ظهر نسك وما بقامته المديدة وردائه المزركش ، وساد الصمت .

ودقت أجراس أكرام معلنة منتصف الليل ، ورفع نكروما ذراعه ، ثم

أخذ العلم البريطاني ينزل من على الصاري ، وبدأ العلم الأخضر الجديد الذى
يرمز إلى الدولة المستقلة يرتفع مكانه وزاد هتاف الجماهير .

ورفع نكروما ذراعه مرة ثانية ، وصمتت الجماهير ، وقال باللغة الانجليزية :
« أخيراً انتهت المعركة وأصبحت بلادنا المحبوبة غانا بلداً حرة ، فلنقف دقيقة
صامتة نضع فيها بالشكر لله ، . وساد الصمت . وبعد دقيقة هن هدير
هتافهم المسكان وهم يهتفون معاً : « غانا حرة » .

وكانت لحظة مثيرة للغاية بالنسبة لمارتن ولى ؛ فقد أخذنا نوقر أنفسنا
ونتعرف إلى هؤلاء الأفريقيين الذين يهتفون للحرية بلهجاتهم القبلية المتعددة ،
وشعرنا بالزهو الشديد بترائنا الأفريقى ، ووجدنا فى غانا رمزاً لآمالنا
وتطلعاتنا ، ففي هذه اللحظة تحرر شعب غانا ، تحرر من الأغلال السياسية ،
رغم أن شبوح السيطرة الاقتصادية الخارجية والتدخل لم يزل وافقاً يتسكع على
أبواب تاريخ الامبريالية .

وفى صباح اليوم التالى استيقظ مارتن وهو يعانى من مرض شديد ؛ فقد
أصيب بميكروب أدى إلى ارتفاع درجة حرارته ارتفاعاً كبيراً ، وأرسل
الرئيس نكروما طبيبه الخاص لمعالج مارتن ، ولكن شفاء زوجى لم يتم إلا
بعد فترة طويلة . وإزاء هذا قررنا الانتقال إلى فندق الأمباسادور حيث قضى
فترة نقاهة طويلة .

ولما من الله عليه بالشفاء التام اجتمع مع الرئيس نكروما على مائدة العشاء
بالقصر الجمهورى ، ودار بينهما حديث طويل . وقد أعجب زوجى إعجاباً
شديداً بذلك نكروما وتفانيه ، وأظهرت لنا الحوادث أنه ذو شخصية جذابة
للعناية ، يشعر المرء بالدفع عندما يتحدث إليه ، على عكس ما قد يبدو عليه
من صرامة وهو يخاطب الجماهير . ووجد مارتن أن نكروما يعرف الكثير

عن أمريكا ، لأنه أمضى بها زمنا طويلا وهو طالب ، وأحسنا بتقارب شديد بيننا وبينه ، وتحدث نكروما عن سياسة عدم العنف ، وأيقنا أنه مؤمن بها تماما .

والجدير بالذكر أن كل هذا حدث في بداية حكم نكروما ، فإنه في السنوات التالية تعرض لضغوط اقتصادية وتمقيدات شديدة كان يتزقمت وطأتها . ولم يتمكن نكروما من إنجاز الاستقلال الاقتصادي ، ووجد نفسه يواجه صعوبات شديدة بسبب الشروط القاسية التي وضعتها المصالح الكبرى لإزاء التبادل التجاري . وكان نكروما يحاول تحقيق هدف الوحدة تحقيقا إيجابيا بين دول أفريقية ولكن يبدو أن السبيل خاثة في الوصول إلى ذلك .

وقد تعرض نكروما لانتقادات شديدة ، وخصوصا في أمريكا ، وكان لإحسامي أنا ومارتن أن الصحافة الأمريكية حاولت تشويه صورته ، ورغم أننا لم نكن نبارك الكثير من أعماله إلا أننا في الوقت ذاته كنا نحاول أن نفهم وجهة نظره ، وكان مارتن يرى أن نكروما يعاني من الشعور بالمرارة بسبب الضغوط الشديدة عليه .

والواقع أن موضوع نكروما وتاريخ حكمه ومشكلات غانا موضوع أكبر من أن يعالج ببساطة ، ومن الأفضل أن نترك للتاريخ تقدير وتفسير كل ما حاول نكروما القيام به في مجهوداته الرائدة هذه .

وغادرنا غانا بالطائرة متجهين إلى لاجوس حيث تناولنا الغداء في السفارة الأمريكية ، ثم توجهنا بالطائرة إلى كانو في وسط نيجيريا لنمضي الليلة ، وفي كانو حيرتنا أحوال السكان وفقرم المدقع ، وقد يكون السبب أننا في غانا لم نزل في الواقع إلى سواد الشعب ، بل اقتصر نشاطنا على الاحتفالات الرسمية أما في كانو فقد رأينا السكان يعيشون في ظروف من الفقر والتأخر تفوق أسوأ الظروف التي يعاني منها زنج أمريكا . وتحدث مارتن والغضب يملؤه عن استغلال بريطانيا للشعوب الأفريقية ، وعندما وصلنا لندن قارن بين عظمة إنجلترا والامبراطورية البريطانية وبين الأحوال السائدة في نيجيريا ،

ولكنه كان مطمئنا إلى روح الثورة التي كانت تحتاج شعبنا بهدف إبعاد الحكم الظالم ، وأشار إلى أن الوقت الذي كانت الشمس تغرب فيه عن الامبراطورية ولى ، وأن الشمس بالجمهد الآن تشرق عليها .

وتوجهنا من بيجيريا إلى روما ثم جنيف ثم باريس ثم لندن ، وقد أعجبنا على وجه الخصوص بروما وبشعور الود والضيافة الذي يتحلى به أهلها ، كما سررنا بوجودنا في مدن تاريخية تعود بنا إلى الأحداث والأماكن التي طالما قرأنا عنها في كتب التاريخ . وقد تأكد شعورنا هذا على وجه الخصوص عندما زرنا الفاتيكان . وبالنسبة إلى شعورنا الديني العميق فقد أحسستنا بالاندماج عندما وجدنا أنفسنا وسط مركز العالم الكاثوليكي . وقد يبدو هذا غريبا عندما يصدر عن شخص يتبع الكنيسة المشيخية ، ولكننا في الواقع لم نكن ننظر إلى الدين نظرة جمود ، وأنا أذكر وأنا أقف بين عظمة وجمال كاتدرائية القديس بطرس كيف كان شعورنا بأننا قد انتقلنا عبر القرون في اتجاه الإله الأعظم ، وبلغ من شدة تأثر مارتن أنه خر راكعا وسط الكاتدرائية وتضرع بالصلاة .

وأثر هودتنا إلى أمريكا منح مارتن ميدالية الجمعية الوطنية لتحسين حال الزنوج تقديرا لجهوده في ميدان محاربة التفرقة العنصرية ، وتسلم أول درجة علمية نالها من بين عدة درجات في كلية مورهاوس ، وقد تأثرنا جدا لهذا التقدير من جانب كليته . وقد تحدث في الحفل العميد ميز الذي قال بصوته القوي الذي امتلأ بالفخار والحب ، كيف أن قيادة حركة مونتيجمري قد أقيمت على عاتق مارتن ، ثم توجه بالكلام إلى مارتن قائلا : ولقد حافظت على هذه القيادة ولم تخنها ، بل سرت في مقدمة شعبك بكبرياء هادئة وتصميم أكيد . وقد تعرض زملاؤك في أثناء غيابك للاعتقال والتعذيب وكانهم جرمون لاثوريون يطالبون بحريتهم . وقد حاول البعض الدس والوقية بنشر أنباء كاذبة عن هربك ، ولكنني سمعتك بأذني تقول إنك تفضل قضاء عشرات

السنيين في السجن على التخلي عن أملاك في هذه المحنة . وقد حبيبتك عندئذ بقلبي وروحي وعقلي ، وأيقنت في هذه اللحظة أن القدر قد اختارك للقيادة في هذه اللحظة من التاريخ ، لقد أصبح اسمك رمزاً للشجاعة والامل عند كل مهضومي الحقوق في كل مكان ، لأنك لم تجر وراء الشهوة ، بل هي التي أتت تصمي إليك ، ولا بد أن إيرسون كان يعني شخصاً مثلك عندما قال انظروا كيف تشغل الجماهير نفسها وتحفر قبورها بيديها ، عندما نرى هنا وهناك أرواحاً عظيمة مضحية تدعى نفسها أولسكن الأبدية تخلدها . إنك رقيق وعطوف ومتدين وشجاع وعاقل ومتعقل ، كما أنك خطيب مفوه ، وأستاذ متين بين أساتذة التعاليم المسيحية . وفي هذا اليوم — وهو عيد الميلاد التسعين لهذه السكينة — يشرفنا أن نكون أول كلية ، بل وأول جامعة ، تكرمك بهذه الطريقة .

وزاد من سعادتنا أني وجدت نفسي حاملاً للمرة الثانية ، وكان ابنا هذه المرة ، وهو الابن الذي طالما تاق مارتن إليه .

وكان مارتن طوال هذه المرة منهمكاً ، كما هي عادته دائماً ، لأننا كنا نحس أن حكومة أيزنهاور لاتحت الخطى في سبيل التقدم بتسجيل أصوات الزوج في قوائم الناخبين .

وحاول مارتن أن يزيد من ضغطه عليها ، ودعا إلى عدة مؤتمرات نادينا فيها بمسيرة دينية تتجه إلى واشنطن في شهر مايو ، وقد تم تنظيمها وإعدادها بواسطة لجنة مؤلفة كلها من الزوج ولم أستطع الاشتراك فيها بسبب الحمل ، وهو أمر آسف ، عليه إجداد .

وعند ظهر اليوم السابع عشر من شهر مايو ١٩٥٧ تقدمت المسيرة المؤلفة من ٢٧٠٠٠ ، من بينهم ما يقرب من ٣٠٠٠ من البيض الذين يؤمنون بحقوق السود ، ووقفت أمام تمثال لنسكولن . وتحدث فيهم كل زعماء الزوج ، وفي الساعة الثالثة قام راندولف بتقديم مارتن إلى الجماهير ليلقي الخطبة الختامية

وكانت خطبته هذه أول خطبة يلقها على مستوى الأمة كلها ، ورغم أنى لم أكن معه بشخصى إلا أنى استمعت إليه من الإذاعة .

وتحدث مارتن أولا عن تراخى الحكومة الفيدرالية والحزبين السياسيين فى سبيل تنفيذ الحقوق الدستورية للزواج وبخاصة حق التصويت ، وناشد الجماهير تأليف قيادة فيدرالية من أعضاء الحكومة ومن أهل الجنوب الذين لا يتصفون بالمتطرف ، كما طالب بتأليف قيادة ذكية شجاعة من بين الزنوج ، ثم أهاب بالجماهير التى كانت تنهف دآمين ، أن تعمل كل ما فى طاقتها فى سبيل الوصول إلى ذلك قائلا :

أعطونا حق التصويت ، وعندئذ لن نطالب بأى شئ آخر ، بل ومنه نخطط بأيدينا القوانين العادلة على حوائط المباني .

د أعطونا حق التصويت ، سنملأ مراكز الحكومة بالأفراد الذين يتمتعون بحسن السمعة .

أعطونا حق التصويت ، وسننتخب القضاة العاديين الذين يحبون الرفقة والرحمة .

أعطونا حق التصويت ، وعندئذ سنعمل نحن على تنفيذ قرار المحكمة العليا الصادر فى ١٧ مايو ١٩٥٤ بهدوء وبنظام .

أعطونا حق التصويت ، وسنجدون أننا قد حولنا أعمال الإرهاب التى يرتكبها الجحور المتعطش للدماء إلى أعمال بناءة يقوم بها مواطنون يحبون النظام والقانون .

ومر العام التالى بهدوء على حياتنا ، بشكل نسبي ؛ فلم تسكن هناك معارك ولا مواجهة ، ولكن رغم كل هذا فإن مارتن لم يكف عن العمل ، والواقع أنى كنت بالجدد أراه ، وقد نشرت مجلة دجيت ، مقالا عنه بعنوان د رسل



الصلاة قبل تناول الوجبات ونرى فيها مسرورهم ومعهم ما يورثهم ما رنى



الام كينج ومعه الاب، والدا مارتن لوثر كينج، ومعه
الجدّة جيني وبليانز وأخو دكتور كينج وأخته كريست



مارتن لوثر كينج وعروسه كوريتا عند عقد قرانهما
في كنيسة ديكنستر المشيخية في يونيه عام ١٩٥٣

دكتور كينج ومعه مارتى ويوكي
يقفون أمام المنزل الذي ولد فيه الاب
في شارع اوبورن بآتلانتا



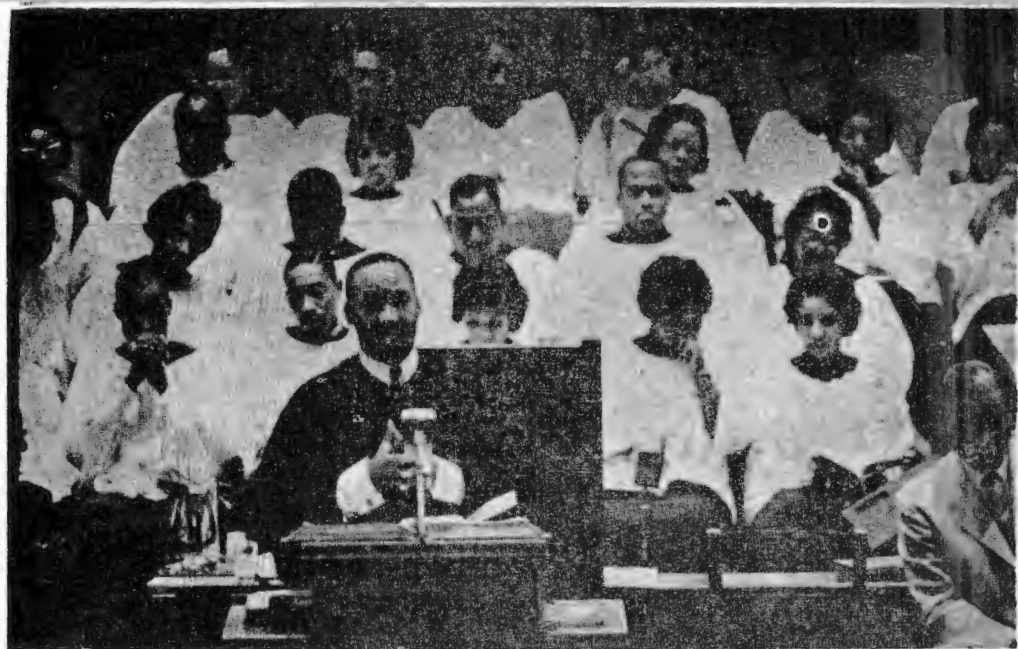




دكتور مارتن لوثر كينج والبوليس
يلقى القبض عليه في مونتجمري
خلال شهر سبتمبر عام ١٩٥٨
بعد أن وجهت إليه تهمة القسرد



كوريتا كينج ومعه إلى اليمين هاري
بيلافونت وإلى اليسار ديوك أيلنجتون
أثناء الحفل الذي أقامته في مونتجمري
خلال الإضرابات ،



دكتور كينج يلقى بإحدى مواعظه فى كنيسة اينزر المشيخية



دكتور كينج وبجانبه والى ابرناتى وويليام. ج أندرسون بعد إلقاء القبض عليهم



دكتور كينج في الزناوة ومعه رالف أرناتى عند ما زج بهما فى سجن
محلات أوجستين بفلوريدا فى يونيه ١٩٦٤



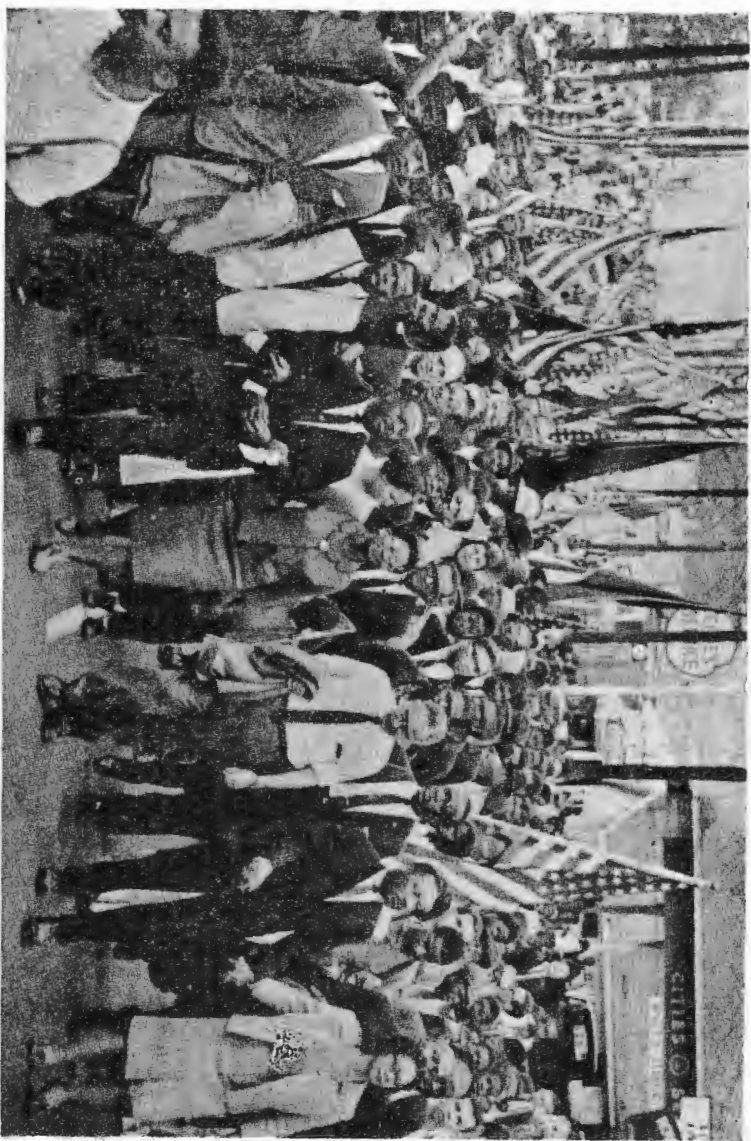
آل كينج عام ١٩٦٣



دكتور كينج وزوجته بمنزلها وقد التقطت هذه الصورة عام ١٩٦٧



دكتور كينج يلقى تهنئة الملك أرولاف ملك النرويج بعد اختياره للحصول على جائزة نوبل للسلام
في ديسمبر ١٩٦١ ، ويرى إلى أقصى اليسار والده مارتن كينج الأكبر



المسيره عند وصولها الى نهاريا بعد ان قطعت المسافه من سيفا الى مونتجمري في مارس ١٩٦٥ ويرى في مقدمتها
 باياردواستين وجون لورين ووالف وجوانيتا ايرنان كايشامد في الصف الاول دكتور واليبانش



٢
د. ليني أحلم ، مسيرة في واشنطن في أغسطس عام ١٩٦٣



مسز كينج وأطفالها الأربعة .



جثمان دكتور كينج وبرى حوله أولاده وأفراد أسرته



المسيرة الاخيرة، وتظهر في الصورة ا. د. ديوان، ورالف ابرناتى، وديكستر،
ومارنى، ونظير جوارا. د. د. ليكن التمشي نحو صورته

يتحرك دائماً ، قالت فيه إنه ألقى نحو ٢٠٨ خطاب وقطع ٧٨٠.٠٠٠ ميل ، وهذا ما كان يبدو لي . كما أنه كتب خلال نشاطه هذا أول كتاب له وهو : خطوات نحو الحرية ، الذى يقص حكاية الاحتجاج فى مونتجمرى ، والواقع أنى لأفهم كيف تيسر له كتابة هذا الكتاب وسط أعماله كلها هذه ، ولكنه لم يكن يكتب فى المنزل ؛ لأن منزلنا لم يكن يخلو دقيقة واحدة ، فكان عليه أن يختبئ فى منازل أصدقائه . لستم كتابه ، وقد ساعدته فى ذلك سكرتيرته الشخصية مود بالوالقى صاحبه خلال الاحتجاج ، واضطرت كذلك أن تنتقل إلى أتلانتا لبعض الوقت .

وأدت شهرة مارتن إلى تسليه عروضاً مغرية بمرتبات ضخمة وصلت إلى ٧٥٠٠٠ دولار سنوياً فى السنة ، ولكنه لم يتقبل ولا واحدة منها ، وكان يؤمن بأنه ليس فى حاجة إلى امتلاك أى شيء . وكان المال والنجاح المادى لا يعنياه فى شيء . وكذا مرت به الستون كان يزيد يقيناً بأنه يفضل الفقر رغم مسؤولياته العائلية العديدة ، وكان يقول إن الامتلاك سيعيده عن الجماهير ، وكثيراً ما كان يقول : « لا أرى سبباً واحداً لامتلاك منزل . . . وعندما تولى منصبه كقس للكنيسة رأى أن الملابس أمر حيوى بالنسبة لشخص يمثل مجتمعه ولكنه بعد ذلك تخلى تماماً عن هذا الرأى ، وكان يفخر بقوله إنه يستطيع أن يحب العالم وليس معه حقبة ولا يحمل سوى « بذاته » التى يرتديها وبعض الملابس الداخلية ، وكان يتصحننا بالاستعناء عن كل ما ليس ضرورياً فى حياتنا اليومية ، كما حاول أن ينقل رأيه هذا إلى أتباعه أيضاً .

وكان يفهم تماماً شعور الذين طأوا كثيراً من الحرمان والاضطهاد عبر القرون ، فهم دائماً يميلون إلى الاقتناء ، وإلى امتلاك بعض بواجر النجاح والراحة التى تمتنعها لهم الحياة ، ولكنه كان يقول : « إن قيمة الرجل لا تقاس بحسابه فى البنك أو بطراز سيارته ، ولكن قيمته تقاس بأعماله ومنجزاته . . . ولم يكن يحتاج أبداً على البساطة التى تعيش فيها . ورغم تزايد عدد أفراد أسرتنا فإنه كان دائماً يحثنا على البساطة .

وفي الثالث والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٥٧ ولد ابننا مارتن لوثر كينج الثالث، وشكرنا الله وحدناه على بجنه، وكانت سعادة مارتن بمولده لا توصف أما أنا فقد كنت دائما أميل إلى بعض التحفظات فيما يتصل بتسمية ابننا الأول، إذ كنت لا أرى ضرورة لأن يحمل اسم أبيه ، تفهما في لكل الأعباء التي تعنيها مثل هذه التسمية ، ولكن مارتن كان دائما يعبر عن رغبته في أن يحمل ابنه اسم مارتن لوثر كينج الثالث ، وكذلك كانت هذه رغبة أبيه ، ولذا فقد وافقت على التسمية ،

وخلال هذه الفترة زاد نشاط جمعيات الاحتجاج ، ولا سيما فيما يختص بتسجيل أسماء الناخبين. وفي عام ١٩٥٨ بدأنا حملة أطلقنا عليها اسم حملة الحقوق المدنية وركزنا كل اهتمامنا عليها . وفي يوم ميلاد لنكولن وهو ١٢ فبراير عقدنا ٢١ اجتماعا في ساعة واحدة في كل مدن الجنوب الهامة ، وبدأ مارتن الاتجاه في هذه الاجتماعات بخطبة قال فيها : « فلنعمل على أن تكون أهدافنا واضحة تماما ، فنحن سنعمل لأجل حريتنا وسنصل إليها . إننا نريد الحرية الآن ، ولا نريد أن يقدمها لنا أحد بملقعة على مدى مائة وخمسين سنة أخرى . »

وأدت هذه الاجتماعات كلها ، كما أدى الضغط المتواصل على الحكومة الفيدرالية ، إلى اجتماع دعا إليه الرئيس أيزنهاور في البيت الأبيض ، وهو الاجتماع الذي كان الزعماء الزوج قد طالبوا به منذ أكثر من عام عند اجتماعهم في نيو أورليانز . وفي واشنطن انضم إلى مارتن كل من فيليب راندولف وروى ويلسكنز ولبستر جرينجر ، وتقدم الجميع بمقترحات في منتهى الاعتدال طلبوا فيها من الرئيس أيزنهاور أن يستخدم نفوذه في سبيل تشريع قانون جديد للحقوق المدنية يتمتع بمقتضاه الزوج بحقوقهم الدستورية ، وأن يطلب من وزارة العدل أن تعمل طبقا للقوانين الحالية على حماية الزوج الذين يرغبون في تسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين ، وأن يعمل على وقف إلقاء القنابل على

الكنايس والمنازل . وقد كان موظفو الحكومة الفيدرالية في منتهى التهذيب ولكنهم لم يتخذوا خطوة واحدة في سبيل تنفيذ هذه المقترحات .

وخرج مارتن من هذا الاجتماع وهو لا يشعر بمرارة ، ولكن بأحاسيس متضاربة لم يفهم كتبها حول حكومة ايزنهاور ، وإذا قرأنا اليوم ما كتبه عن مناقشاته مع الرئيس ايزنهاور حول التفرقة العنصرية فقد نستطيع أن نفهم مدى قوة فهمه السياسي : كتب يقول :

« لقد كان إخلاصه للشخصية للقضية واضحاً ، كما كانت له قدرة رائعة على نقل هذا الشعور إلى الآخرين ، ولكنه رغم كل ذلك لم ينجح في أن يترجم هذه القوة للجماهير ، كما أنه لم يستطع أن يحدد المشكلة على أنها قضية داخلية ذات أهمية بالغة . ويبدو أن الرئيس ايزنهاور كان لا يريد أن يعد بأى شيء يودى إلى تغيير جذرى في بناء المجتمع الأمريكى ، وكان في هذا متحفظاً إلى حد الجود ؛ فقد كان يرى أن عيوب المجتمع يجب القضاء عليها جزءاً جزءاً وكأننا ننتزعها بملقط ، كان يرى أن مشروط الجراح وسيلة راديكالية لا ينبغي استخدامها في هذا المجتمع الذى يراه أعظم مجتمع في العالم . »

وزاد انهماك مارتن في أعمال الجمعيات ، وفي كتابه ، وفي عمله كقس لديكستر وكريستى لجمعية مونتجمرى لتحسين الأحوال ، ولكننا تمكنا في صيف عام ١٩٥٨ أن نحصل على أول « إجازة » حقيقية تناولها منذ زواجنا ، وقضينا أسبوعين في المكسيك ، في راحة من الخطب والاجتماعات وما إليها ، واستمتعنا بالمناظر الخلابة في هذا البلد ، ولكننا صدمنا للفروق الهائلة في مستوى معيشة الأغنياء والفقراء ، وكانت أحاسيس مارتن تتأرجح بين الغضب والياس .

وإثر عودتنا إلى بلادنا مباشرة حدثت واقعة أليمة أخرى .. ففي سبتمبر توجهت مع مارتن إلى قاعة المحكمة للشهادة بالف أبرنائى يدلى بأقواله في

قضية خاصة. وكنا نقف خارج غرفة المسجل عندما تقدم منا أحد رجال الشرطة
وطلب إلينا الابتعاد، وقال له مارتن : « إني أنتظر حماي الخاص ، فريد
جراي .. »

وأجاب رجل الشرطة : « إذا لم تخرج من هنا في الحال ، فستحتاج بلا
شك إلى محام .. » وأصر مارتن على البقاء ، واستطرد رجل الشرطة يقول :
« حسنا ، لقد سهلت على « مهمق » .. ثم نادى زميلا له وأمسك الاثنان بمارتن
وحاولا لي ذراعيه خلفه ودفعاه على السلم خارج القاعة . وسرت أنا ورواهم
والياس يملؤني ، والتفت إلى رجل الشرطة محاولا إثارتي بقوله : « وأنت
يا بنت .. أتريدين أن تذهبي إلى السجن أيضا ، ما عليك إلا أن تهزي رأسك
بالقبول !! » والتفت إلى مارتن يقول : « لا تنطق بكلمة واحدة يا عزيزي ، .. »

وأسرعت لاستدعاء الأصدقاء. وعدت بهم لأجد مارتن قد اختفى تماما .
واتضح أنهم اعتدوا عليه بالضرب . وعندما اكتشفوا حقيقة اسمه اهتموه
بمصييان أحد رجال الشرطة ، وأفرج عنه بالضمان الشخصي .

وعدنا إلى المنزل وقال مارتن إنه واثق من أنه سيحكم عليه بغرامة، ولكنه
واثق من أن الوقت قد حان لرفض هذا ، وإذا حكم عليه بالغرامة فسيرفض
ويصر على أن يعتقل .

وطلب مني إبداء الرأي في هذا ؛ لأن النتيجة ستؤثر في أبا الأخرى ،
وأكدت له أنني أوافق على رأيه ، وأن الوقت قد حان لأن نخاطر بمثل هذا ،
وأنه هو الشخص الذي يصلح لمثل هذه المخاطرة .

وكان مارتن بعمله هذا يسلك سبيل غاندى وتعاليمه في عدم التعاون عن
يضاغطونه ، وكان زوجي يؤمن أن قيادة الزنوج عليها أن تتحمل الألم كما فعل
غاندى . ولو أنه كان لا يرغب في السجن ؛ فالسجن أمر فظيع بالنسبة لرجل

حساس رقيق مثله ، وكنا نعلم أحوال سجون الجنوب وأحوالها مما يؤدي إلى هلاك كثير من المسجونين ، ولكن مارتن كان واثقا من أن سجنه سيحول الانقباه إلى حركتنا . وكان يرى أنه إذا طلب من أى شخص آخر أن يمر بهذه التجربة فاعليه هو ، وهو القائد إلا أن يتحملها أولا .

وأذكر أيضا ما قاله خلال حديثنا هذا ، وكنا نناقش هذه المسألة مع بعض الأصدقاء . إذ قال : « إنكم في الواقع لا تدركون المغزى الحقيقي لكل هذا ، ولو أن أحدا طلب منى منذ عامين عندما قبلت الرئاسة أنى سأنتهى إلى السجن فقلت له إنى سأحاولى أن أتنبه بكل طاقى ، فهذه ليست الحياة التى أرغبها لنفسى ولكن الآن ، وبعد أن تحمكت المسؤولية ، لم يعد أمامى سوى هذه السبيل . لا مناص من أن أدفع بنفسى كلية ، وعندئذ لا بد أن أفعل كل ما فى وسعى فى سبيل القضية والحركة . لقد وصلت إلى هذه النقطة ولم يعد أمامى خيار . . . لقد أسلمت نفسى تماما للحركة .

وأعددت نفسى ، كما هى الحال دائما ، لتقبل كل ما يراه مارتن . وبحسنا الموضوع مع دادى كينج وكان فى زيارتنا ، وأخذنا نصل . وانتظرنا أن تعرض القضية على المحكمة .

وكما توقعنا أدين زوجى وحكم عليه بفرامة قدرها عشرة دولارات ، أو ١٤ يوما فى السجن . وعلى الفور طلب مارتن من القاضى أن يسمح له بالكلام وأذن له القاضى ، وأخذ مارتن يدلى ببيانه التاريخى أمام القاضى يوجين لو فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ فى محكمة مونتجومرى بولاية ألاباما (١) .

ودعش القاضى لتصرف مارتن هذا ، ولذا فقد فض الجلسة بعد إعلان

(١) النس السكامل للبيان يوجد فى الحاتمة .

الحكم ، وتركت دار المحكمة ومعنى رائف وجوانيتنا ، وترجعنا إلى كنيسة
ديكستر لنحضر قداسا أقيم تأييدا لمارتن ، وبقي مارتن مع عماميه فريد .
جراى . وقال القاضى موجها الكلام لمارتن : وتستطيع الخروج الآن يادكتور
كينج بعد أن تدفع الكفالة ، أتريد أن يدفعها لك أحد ؟ .

وأجاب زوجى : لا ياسيادة القاضى ، لا أريد أن أدفع الكفالة .

وسار مارتن مع بقية المسجونين متجها إلى السيارة التى ستحمل الجميع
إلى السجن ، ولما أتى دور مارتن ليركب رفض موظفو السجن السماح له
بذلك . فدخل ثمانية إلى المحكمة وظل ينتظر سيارة أخرى تحمل المجموعة
التالية . وحدث نفس الشيء . وعندئذ فهم مارتن أن ثمة خطة رسمت لتحول
دون دخوله السجن ، ولكن مارتن كان عاقدا العزم على مشروعه رغم
محاولات السلطات . وأخيرا جاء من يقول له : تستطيع أن تخرج يادكتور
كينج . . لقد دفع أحدهم الكفالة .

ودهش مارتن وقال : من يكون ياترى ؟ . .

وأجابه المسئولون : لا بد أنه أحد زملائك . . وأصر مارتن على أن
هذا يمكن أن يحدث ، لأنه طلب من زملائه ألا يعارضوا خطته ، وحاول مارتن
جاهدا أن يعرف كيف دفعت الكفالة . وأخيرا قيل له إن شخصا رأى أن
يظل اسمه مجهولا هو الذى دفع الكفالة ، ولم يعد أمامه من سبيل سوى
أن يخرج .

ويبدو أن الحكمدار سيلرز كان ماهرا أكثر من أعوانه ، فقد فهم أن
سجن مارتن سيؤدى إلى الكثير من الدعايات ضد مونتجمرى وموظفيها ،
وأن انتشار نبأ سجن مارتن لوثر كينج سيثير عاصفة من النقد الشديد ، ولذا
فقد دفع الكفالة من ماله الخاص ، وأصدر بيانا يقول فيه : إنه يحاول أن
يجنب دافع الضرائب ثمن تنفيذ كينج لمدة أربعة عشر يوما .

صدر كتاب مارتن وخطوات نحو الحرية ، - وهو أول كتاب له - في السابع عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ . وقد نال قبولا كبيرا لدى النقاد ، كما قام مارتن برحلة للدعاية لهذا الكتاب . وكانت الجماهير تلتف حوله حيثما كان ، وتهلل له ولكتابه ، في ديترويت وشيكاغو وبخاصة في حي هارلم بنيويورك .

وفي ليلة التاسع عشر من شهر سبتمبر كان مارتن في هارلم ، وكنا ننتظر عودته إلى أتلانتا في الليلة التالية ، وكنت أجلس في غرفة النوم أفكر في الاستعداد للذهاب إلى المطار لانتظاره ، كما كانت عادتي عندما كان يعود من رحلاته خارج بلدتنا ، ودق جرس التليفون ، وكان المتكلم الدكتور كلاي ماكسويل قس الكنيسة المشيخية بماونت أولت بنيويورك ، وهو أحد الأصدقاء القدامى لأسرة كينج ، وبعد أن سأل عن حالى وأجبهته وأنا في دهشة من مكالمته هذه قال : « اسمى يامسز كينج أرجو أن تعدى نفسك لما سأفوله ، لأننى أحمل أخباراً سيئة » .

وطار ذهني في الحال إلى مارتن ، وأيقنت أن ما أخاف منه دائماً قد وقع ، ماذا حدث ياترى ؟ هل مات ؟ هل أصيب إصابة بالغة ؟ وأخذ قلبي يدق بسرعة هائلة .

وقال الدكتور ماكسويل إن مارتن أصيب بطعنة من امرأة زنجية وهو يوقع على بعض نسخ كتابه في أحد المحال التجارية بشارع ١٢٥ ، ويبدو

أن الجارية امرأة غتلة عقليا ! وختم كلامه قائلا : « إن الجرح خطير
ولكنه لم يقض عليه ، وإن كان على جانب كبير من الخطورة » .

وطلبت منه أن يداوم الاتصال بي ليلفتني عن كل التطورات ، وفي ذات
الوقت أخذت أنا أستعد للسفر بالطائرة إلى نيويورك ، وكان أخى قد جاء
من ماريون لزيارتي ، وعندما أبلغته هذا النبأ غلبتني الدموع ، ثم تماسكت
نفسى وأخذت أصلى وأضرع إلى الله وأقول : « يارب .. لا تسمح للبوت
أن يأخذ مارتن بهذه الطريقة ، وإذا شئت قدرتك ، فلتساعدنى على
تقبلها .. »

واتصل بي رالف أبرناتى ليسأل عن صحة النبأ الذى سمعه فى الإذاعة عن
مارتن ، وحاولت أن أنقل إليه كل ما أعلم من تفاصيل ، ولكن شجاعى
خافتنى وأنا أتحدث إليه ، وحاولت أن أتغلب على مشاعرى لأخبر رالف أنى
متوجهة إلى نيويورك . وعندئذ قال إنه سيقوم بإجراءات حجز الأماكن فى
الطائرة ، فقد صمم على أن يصحبنى .

وأخذ الناس يتوافدون على منزلنا بمجرد سماع النبأ ، واستمر رنين جرس
التليفون ، وأخذت أعد نفسى للحنة التى سأسر بها خلال الأسابيع القادمة ،
واتصلنا عدة مرات بنىويورك ، كما اتصل بنا من فيها عدة مرات أخرى .

وفى إحدى المكالمات قال المتحدث إن السكين قد انتزعت ، وقبل أن
أتمكن من هضم هذا النبأ تكلم شخص آخر ، وقال إن السكين مازالت مغمدة
فى صدر مارتن . وأخيرا قلت لنفسى إنى سأحاول أن أقتنع بأنه لا يزال حيا ،
وكان هذا نوعا من خداع النفس .

وساعدتنى بعض سيدات بلدتنا فى حزم أمتعتى ، كما عبر بوب ويليامز عن

ورحبته في مصاحبتى ، أما كريستين فقد أبلغتنى تليفونيا أنها ستنضم إلى عدد وصولى إلى أتلانتا .

وغادرتنا مونتيمرى في حوالى التاسعة مساء ؛ وقطعنا معظم الرحلة ليلا ، وعندما وصلنا إلى أتلانتا كان علينا أن نستقل طائرة ثانية ، وهناك انضمت إلينا كريستين . وخلال الرحلة عاودتنى الأفكار السوداء ، وقلت لنفسى إن مارتن قد قضى نحبه ، وعدت وقلت لنفسى إنه سيعيش .

وبلغنا نيويورك عند الفجر ، وكان فى استقبالنا بالمطار عدد من الأصدقاء . وكان القلق يبدو على الجميع وهم يحاولون تهدتنى وطمأتنى ، وقصوا على تفاصيل الحادث الذى وقع فى متجر حيث تقدمت منه امرأة فى الثانية والأربعين من العمر وسألته : « هل أنت الدكتور كينج ؟ » ، ولما أجابها ، قالت فى صوت خفيض ملىء بالحقد : « لقد تتبععت خطواتك بالوثر كينج خلال السنوات الخمس الأخيرة » .

ثم لمع فى الجو شيء عندما تناولت المرأة من بين ملابسها فتاحة للمظاريف من ذوات الحد ، وأغمدتها فى صدر مارتن ، هاج الناس وماجوا وأمسك أحدهم بالمرأة ، واسمها المسز ايسولا كارى . وحاول البعض أن ينزع السكين ولكن مارتن رفض . وقد قال لى فيما بعد : « إنه فى البداية لم يكن يحس بألم ، بل جلس فى أحد المقاعد والسكين تطل من صدره ، ولكنه سرعان ما أدرك أن هذا قد يكون فيه هلاكه ، رغم أنه لم ينزف إلا قليلا ، ولكنه كان واثقا أن النزيف الداخلى كان شديدا . وقال لى : إنه حاول لمس حد السكين دون قصد ، فكانت حادة لدرجة أنها جرحت يده .

وألقى البوليس القبض على المحزر كارى ، وقال الناس إنها آلة فى يد آخرين ، تأمروا على مارتن ، ولكن كل هذا كان محض خيال ، ولم نشك نحن لحظة واحدة فى أن المرأة مخنلة العقل ، وأنها غير مسئولة عن تصرفاتها ؛ فقد أخذت تهذى وتقول إن القساوسة جميعا مسئولون عن مشكلاتها ، ولما فتنها رجال

الشرطة وجدوها تحمل مسدساً بين طيات ملابسها ، وتنفسنا الصعداء لأننا لم
نستخدمه بدلاً من السكين .

وحضرت عربة الإسعاف لتنقل مارتن إلى مستشفى هارلم ، وقال لي الناس
فيما بعد إنه تهدد على مائدة العمليات انتظاراً لحضور الطبيب والسكين لا تزال
مغموسة في صدره ، وأخذ يحاول تهدئة أصدقائه وهو يعلم تماماً أنه قد يكون
على شفا الموت .

وقبل أن يأتي الطبيب ، وقبل أن تنقل إلى مستشفى هارلم بعض المعدات
الخاصة بالعملية ، أحضر رجال الشرطة المسز كاري وأدخلوها أمام مارتن
ليتعرف عليها ، وبمجرد أن وقفت عيناها عليه قالت : « نعم إنه هو ،
سأبلغ عنه محامى » .

وقال مارتن إن سخرية الموقف جعلته يهتسم ، رغم الآلام التي كان يعانيها .
وكانت حشود من الناس قد تجمعت خارج مستشفى هارلم ينفشون ويبتهلون
إلى الله ، كما ذاعت الأخبار بأن الناس في جميع أنحاء البلاد كانوا يتضرعون
إلى الله من أجل مارتن .

وكان ستانلي قد اقترح - ونحن في السيارة في طريقنا إلى منزل نوم كيلجور
أن نتوجه لمقابلة كبير الجراحين بالمستشفى ، وكان يدعى الدكتور أوبري مينارد
وقد أنيط به هو وثلاثة آخرون من الجراحين أن يتولوا العملية لإخراج السكين
من صدر مارتن . والدكتور مينارد طبيب من جمايكا كان يتلقى تدريبه في
هارلم . وقد بادرني بالحديث وقال لي إنه أعجب كثيراً بخلق زوجي وهدوئه
وقال إن مارتن أظهر شجاعة نادرة خلال كل ما عاناه من عن . واستطرد
يقول : « لو أنه أصيب بالذعر أو بأى اضطراب آخر لكان هذا أثر تأثيراً بالغاً
في فرص إنقاذه من الموت . والواقع أن طرف السكين كاد يمس الشريان التاجي

ولو أنه تحرك بشدة ، أو حتى عطس ، لكان الموت عاجله على الفور . لقد كان تصرف الدكتور كينج وتعاونهم معنا سببا لإنقاذ حياته ، وكما تعلمين فإن زوجك رجل رائع جدا .

ثم أخذ الدكتور مينارد يسرد على تفاصيل العملية ، وذكر لي بعض الطريف فيها ؛ فقد قام بإجراء فتحة تقع مباشرة في أعلى قلب مارتن ، وكانت هذه الفتحة على شكل صليب ، واستطرد الدكتور يقول : ربما أن علامة هذه الفتحة ستظل باقية على صدره ، وبما أنه قسيس فقد وجدت أن هذا أمر مناسب ولقد اضطررنا إلى إزالة ضلعين من ضلوعه حتى نستطيع إخراج السكين ، ونحن نشعر أن شفائه سيكون كاملا تماما . ورغم أنه من المحتمل أن تقع بعض النكبات خلال الأيام الثلاثة الأولى ، إلا أننا نعتقد أنه سيمر بها بسلام .

ثم صحبتني بعض الأصدقاء داخل غرفة مارتن في المستشفى ، ووجدناه يرقد على السرير وقد تدلت أنبوبة من أنفه ، ووصلت إلى رقبته ، بهدف امتصاص أى سوائل قد تصل إلى رئتيه ، وكان لا يزال يقع تحت تأثير المخدر البنج ، ولكنه رغم ذلك عرفني ، وقال لي الأطباء إنه كان دائما يسأل عنى .

ويبدو أنى لم أظن إلى مدى خطورة إصابته إلا بعد أن رأيته راقدا على السرير ، وتذكرت عنده كلمات الطبيب ، وحمدت الله على معجزة شفائه ، وكنت أعلم كما كان مارتن هو الآخر يعلم أن الله وحده هو الذى يقف بجانبنا ويشد من أزرنا ، ورغم كل ما عانيناه من قلق على حياته كنا نشعر أن الوقت لم يأزف بعد ، ويبدو أن الله كان يعدنا لما سيأتى بعد ذلك .

وجلست بحوار زوجى ، وطافت بذهنى أفكار عديدة حاولت بها أن أقدر . أفهم ، كل ما حدث لنا ، ولم أصدق أن كل هذا لم يكن سوى عمل جنونى لا معنى له ، بل إن هذه التجربة كانت تحمل في طياتها أكثر مما نظن ، وتأكدت أنها إنذار لنا ، ورسالة من الله ، وتذكرت الجواهر التى تبعت مارتن في كل

ممكن ذهب إليه ، وتذكرت تجاربهم المختلطة مع كلماته وهو يتحدث
إليهم على إحدى نواحي شارع هارلم في الليلة السابقة على الحادث وقد كرت
كيف أتشبه هذا اليوم بيوم أحد السعف عندما ذهب المسيح إلى بيت المقدس
وتجمهر حوله الناس بمجدونه ويشيدون به ، وقلت لنفسي إن حادثة الطعن لم
تكن في الواقع تشبه الصاب ، ولكنها تعتبر فترة عصيبة في حياة زوجي ،
لأنه كان فيها يمر باختبار ، كما كان أتباعه كذلك يمرون باختبار . لقد تكلمنا
طويلا عن العنف وعن كيف نتقبل الضربات ولا نرد عليها . الآن علينا أن
نضع كلماتنا هذه موضع الاختبار .

والحقيقة أن معتقدات الشخص تمر باختبار حقيقي عند حدوث أزمة شديدة ،
ولقد قال مارتن هن المسز كاري بمجرد أن استطاع الكلام بوضوح : « إنها
شخص بحاجة إلى مساعدة ، ، وهي ليست مسئولة عما أصابني به من
عنف ، وأرجو ألا تصيبوها بمكروه ولا تعذبوها ، بل حاولوا أن تعالجوها
وتشفوها ، .

وقد نقلت المسز كاري إلى مصحة عقلية ، وزوجو أن تكون قد بقيت
فيها ما تستحقه من علاج . أما من ناحيتي أنا ، فالواقع أنني لا أشعر بمرارة
تجاربها ، ورغم أن الحادث كاد يودي بحياة زوجي إلا أنني لم أشعر إزاءه
بالخوف ، بل كنت أحس أنه يحمل في طياته معنى أعمق وهدفا أكبر ، كما هي
الحال في حياتنا جميعا .

إن كل قائد يجد نفسه بحاجة إلى بعض الوقت للتأمل والتفكير ، كما كانت
الحال مع غاندى ونهرو ، وهما سجينان ، وقد اتخذ مارتن من فترة نفاخته
وقتا لهذا التأمل ، لا يوجد فيها اجتماعات ولا أسفار ، بل اتسع له الوقت
ليعد التفكير في فلسفته وأهدافه ، ويعيد تقويم صفاته الشخصية
واتجاهاته ومعتقداته .

ويمكن القول إن زوجي كان يعاني مما يسميه علماء النفس الشعور بالذنب ،

لأنه كان واعيا إلى مسؤولياته إلى أبعد الحدود ، إلى درجة أنه كان مصمما على ألا يرتكب أبسط الأخطاء فيما يختص بالحركة ، وكان دائما يقول : ليس في إمكانية أن أرتكب خطأ واحدا ، ، رغم أنه كان يدرك تماما أن الإنسان لابد أن يرتكب خطأ .

ودارت بيننا أحداث هائلة عديدة خلال إقامته بالمستشفى ، وكان دائما يرى في المحنة التي مر بها نوعا من التكفير عن طريق الألم ، وأحسننا أننا لسير في طريق يهيئنا لأعمال كبيرة ، وأنا علينا أن نكرس حياتنا لعدم العنف إذا كنا نستعد لمواجهة الاضطهاد والتعذيب ، في سبيل الوصول إلى كفالة الحرية للجميع ، والكرامة للجميع . وأيقنا أن انتصارنا في موت جمرى لم يكن سوى خطوة بسيطة في طريقنا ، فالجنوب لا يزال كله تقريبا يتعرض للاضطهاد العنصري ، وكانت المدارس كلها لا تزال تعاني من التفرقة رغم قرار المحكمة العليا ، كما أن شعور البيض المؤيدين للتفرقة كان لا يزال هلى ما هو عليه ، لم يطرأ عليه أى تغيير ذى مغزى ، بل على العكس يبدو أن شعورهم في هذا الصدد كان قد ازداد حدة ، وكنا نعلم أن شعبنا يعاني الكثير في الشمال رغم اختلاف البناء الاجتماعى ، وأن الطريق أمامنا طويل قبل أن نصل إلى المساواة التامة للشعب الأسود .

ولم أقم مالمف نطرنافى هذه الحادثة هو أننا أدركنا أن واحدا من بيننا هو الذى استخدم العنف تجاه مارتن ، ولم نستطع أن نفنى أن الشخص الذى اغتال غاندى كان هو الآخر من الهنود .

والغريب أن الأحداث والفواجع كثيرا ما ينجم عنها بعض الخير ، وكثيرا ما تاتى الازمات بالفرص العديدة ، وبالأخطار العديدة أيضا . وقد فهم عن هذه الازمة بعض النتائج الإيجابية ، فقد شعرت أنها ربطت بين الشعب الأسود برباط الاهتمام والتأييد . والواقع أن الزوج لم يروا أنفسهم فى شخص مارتن وحسب ، بل الواقع أن الكثير من البيض أنفسهم أحسوا بهذا الشعور أيضا ، وبدأ الناس ، من نساء ورجال ، فى شتى أرجاء العالم

يفكرون في شخصه ، حتى لو لم يكونوا يعرفونه ، بدأوا يسمعون عن فلسفته ويصلون لأجل شفائه . وبدأ الكثيرون يتحمسون للرسالة التي كان ينادي بها ، ووصلتنا رسائل تهنيت عديدة من الكنائس ومن كثير من المواطنين في جميع أرجاء البلاد ، وغرقنا إلى أذاننا في باقات الورد التي وصلتنا ، وفي البرقيات ، واضطرت أن أطلب من المستشفى أن يفردي مكانا أجعل منه شبه مكتب لأرد منه على أكبر عدد ممكن من الرسائل .

وإمل أبرز خطاب وصلني في هذه المحنة كان خطابا من طالب بإحدى المدارس الثانوية ، وقد كتب يقول : « لقد قرأت في الصحف ما قاله للطبيب من أنك لو عطست لكان هذا معناه الموت ، وأنا سعيد أنك لم تعطس ، وأن الله أطال في عمرك حتى تواصل عمل الخير » .

وعندما قرأ مارتن هذا الخطاب التفت إلى وقال : « فعلا أنا سعيد جدا أني لم أعطس ، لأنني لو فعلت لما كنت هنا لأشهد كل هذه المكاسب » .

وبعد ذلك كان مارتن يستغل هذا المعنى في تصوير الكثير من أفكاره ، وقد استخدمه بالفعل في اليوم الثالث من شهر أبريل عام ١٩٦٨ في مدينة ممفيس .

وغادر مارتن المستشفى في الثالث من أكتوبر وقد طلب إليه الأطباء أن يظل في نيويورك ، ولذا فقد أمضينا ثلاثة أسابيع في منزل القس ساندی راي ، وهو صديق قديم لأسرة كينج ، وبعد ذلك توجهنا إلى مونتهجمری ، وإن كنا لم نغرق أنفسنا على الفور في العمل والاجتماعات والخطب ، فقد نصح الأطباء مارتن بأن يخلد إلى الراحة لفترة ما وقد استمع هو إلى هذه النصيحة ، فقد كان الاعتداء الذي وقع على حياته بمثابة صدمة عنيفة هزت كيانه بشكل لم يظن هو إليه ، ولذا فقد اضطر أن يبتغي قليلا عن ميدان القتال حتى يستعيد صحته وقوته .

ورأى مارتن أن الوقت قد أظف ليقوم بزيارته التي طالما حلم بها إلى الهند، وكان قد تمنى خلال الاعوام الماضية أن يزور البلاد التي حررها غاندى ، ويدرس مبادئ ثورته المسألة على الطبيعة ، ويتحدث مباشرة ووجها لوجه مع كل من عرف هذا الزعيم الخالد وعمل معه. وكنا قد استقبلنا بعض الزوار من الهند خلال شهر أغسطس من هذا العام، وتأثرنا جدا بهم وبمبادئهم الروحية التي شدت من عزيمتنا في مواصلة الكفاح بعد حادث الاعتداء .

وكان مارتن قد أسلم منذ عام مضى دعوة من مؤسسة غاندى للسلام لزيارة الهند وإلقاء بعض المحاضرات فيها ومقابلة زعمائها ، ومن بينهم رئيس الوزراء جواهر لال نهرو . ولكن نظراً إلى أنه لم يتوافر لنا ، لا المال ، ولا الوقت فقد اضطررنا إلى تأجيل قبول الدعوة . أما الآن فقد تهيأت لنا الفرصة ، وبخاصة بعد أن وصلتنا منحة من صديق مخلص هو ليبي هولمان رينولدز وقدرها خمسة آلاف دولار .

وفي أوائل شهر يناير ١٩٥٩ طرت مع مارتن ومعنا البروفيسور لورنس ريديك إلى الهند ، وكان المفروض أن تربط الطائرة في نيودلهي ، ولكن الأحوال الجوية اضطررتنا إلى التوجه إلى بومباي التي وصلناها ليلة التاسع من مارس . وهكذا كان أول منظر تقع عليه أعيننا في الهند التي طال حنيننا إليها منظرًا مفرعاً . وكانت المدينة تبدو من الطائرة وكأنها عقد من الاضواء التي تحيط بالمينا ، ولكننا بمجرد أن نزلنا إلى شوارعها وشاهدنا آلاف السكان في أسبال بالية ، ومعظمهم يلتحف السماء ، وينام على الطوالة ، وزكت أنوفنا الروائح العفنة أصبنا بالهلع ، ولما تساءلنا عن سبب كل هذا البؤس والفقر ، جاءت الإجابة أن كل هؤلاء لا يملكون سقفا يأوون إليه ، وأنهم يحملون معهم كل ممتلكاتهم ملفوفة في خرق بالية أو في ورق صحف قديم . وكان من الصعب جداً علينا أن نفهم أو نتقبل هذا ، وكان غضب مارتن لا يحارى كلما شاهد واحدا منهم يبحث في صناديق القمامة عما يقيم أوده . إن الاستعمار

مستول عن كل هذا ؛ فنحن لم يسبق لنا ، حق ولا في أفريقية ، رؤية مثل هذا الفقر والبؤس .

وفي طريقنا إلى فندق « تاج محل » ، الفاخر تقدم من سيارتنا رجل يحمل طفلا بين ذراعيه وفتح فيه ليتكلم ، ولكن ليس باللغة الانجليزية ، ولذا فقد أخذ يشير إلى فيه ، ثم إلى الطفل ، محاولا أن يبين لنا مدى الجوع الذي يعانيه . وكان أحد أصدقائنا قد نصحننا قبل مغادرة الولايات المتحدة ألا نحاول إعطاء أى نقود لآى شحاذا ؛ لأن الحكومة الهندية تحاول القضاء على التسول ، ولكن مارتن سرعان ما أطاح بهذا النصح ، وأعطى كل ما معه من نقود لهذا المخلوق البائس الذى كان يتضرع إلينا .

وفيا بعد ، وبعد عودتنا إلى أمريكا ، تحدث مارتن طويلا عما رآه في الهند من مظاهر العذاب والفقر ، كما تحدث عما لدينا من فائض القمح ، وما يكلفنا تخزينه من نفقات وقال : « أنا أعرف مكانا نستطيع تخزينه فيه دون مقابل ، هذا المكان هو الاجواف الخالية لشعوب آسيا وأفريقية .

وفي اليوم التالى ركبنا الطائرة في طريقنا إلى نيودلهى . وفي مطارها صرح مارتن للصحفيين يقوله . « قد أذهب إلى بعض البلاد كسائح ، أما الهند فقد أتيتها أحج إليها . »

وفي هذه الليلة دعينا لتناول طعام العشاء على مائدة الرئيس نهرو ، وكانت أفكارنا كلها تتجه نحو هذه المقابلة ، فنهرو قائد سياسى لحركة الاستقلال كلها ، وكان نهرو يقيم في مقر الرئاسة ؛ وهو منزل كلاسيكى ضخم مبنى بالاحجار الرملية ، قام ببنائه البريطانيون في أوج مجد إمبراطوريتهم . وقد سرنا بالسيارة في عمر طويل يقف على جانبيه الحراس وتحف به الورود والأزهار .

وأيضا نهرو في ملابسه البيضاء الطويلة ، وقد رشق وردته المعروفة على

صدره ، يقف في الهواء لتحيئتنا . وصعدنا معه إلى غرفة الاستقبال الرئيسية حيث استقبلتنا ابنته أنديرا غاندى رئيسة الوزراء الحالية ، وهى سيدة جذابة ومضيئة بارعة . أما عن نهرو فقد كان مثالا للكرم واللباقة وكان يبدو عليه السرور الحق لمقابلة زوجي .

وعلى العشاء تحدث الاثنان طويلا بعضهما مع بعض ، وأخذ مارتن يقارن بين الهند وصراعها من أجل الحرية ، وبين كفاح الزوجي الأمريكى في سبيل حقوقه المدنية . كما ناقش الاثنان الأسلوب السلمى البعيد عن العنف وأهميته في مثل هذا الصراع ، وهما نهرو وزوجي على قيادته لشعبه وسلوكه هذا المسلوك السلمى ، وقال له مارتن : « لقد قرأت الكثير عن غاندى وعن نجاحه في أسلوب عدم العنف ، ونجاحه في هذا الطريق ، لدرجة أننى صممت على الحضور هنا لأرى بنفسى نتيجة كفاحه . »

وأشار مارتن إلى أن الصداقة بين الهند وبريطانيا ظلت قائمة ، رغم أن البريطانيين كانوا يستعمرون الشعب الهندي ، وأرجع هذا إلى أسلوب عدم العنف الذى لجأت إليه الهند في صراعها من أجل الاستقلال ومنعت بذلك حدوث ما قد يشير المرارة والكراهية .

وفي حديثهما عن غاندى قال نهرو : « لا بد أنك تعلم أنى لم أكن أوافقه على كل آرائه . »

وكنا نعلم هذا من قراءتنا ، كما أبلغنا عنه العديد من الأصدقاء الهنود الذين كانوا يأتون لزيارتنا في مونتجمرى . والواقع أن غاندى كان يؤمن إيمانا لا حد له بعدم العنف ، في حين كان نهرو يتقبله على أنه وسيلة ثورية مفيدة فقط ، وكان غاندى يمارض لإدخال الأساليب الفنية الحديثة إلى الهند ، أما نهرو فكان يرى أن بلاده لا يمكن أن تقوم لها قائمة بدون التصنيع .

وهذا لا يعنى أن خلافاهما كان بسيطا ، فكلاهما كان يدرك مدى التعقيد

الذى يلابس سياسة عدم العنف ، وقد كتب نهر في هذا الصدد في كتابه
« نحو الحرية ، يقول :

هل يستطيع سكان قرية بعيدة أن يضربوا نهاية لكل صراعنا من أجل
الحرية ؟ لو كان هذا الصراع مؤقتا ، أو متناثرا لنجحت مثل هذه السياسة ،
وعلينا أن ندرب ٣٠٠ مليون هندي على سياسة عدم العنف قبل أن نتوصل
إلى حريتنا ، وحتى لو كان الأمر كذلك فإننا لا يمكننا أن ننكر أن استفزازات
رجال الشرطة لن تمكننا من البقاء مسالمين طويلا .

والحقيقة أن غاندى نفسه لم يكن يرى في عدم العنف تجنبنا للواجهة أو
الخطر . فقد كتب في قصة حياته يقول : « إنى أؤمن أنه لو كان الأمر اختيارا
بين الجبن والعنف لنصحب باختيار العنف ، وإنى أفضل أن أرى الهند تحمل
السلح لتدافع عن شرفها ، على أن تبقى بلا حول ولا قوة وتقف ضحية جبانة
يلقوها العار . ولكن في الوقت ذاته أعتقد أن عدم العنف يفوق بكثير العنف ،
وأن الغفران صفة لها ميزات الرجولة أكثر من العقاب . »

وتحدث زوجي مع رئيس الوزراء لساعات طويلة في كل هذه الموضوعات ،
وكنتم أنصت إليهما بانتباه شديد دون أن ألتقط بكلمة واحدة . وبما لاشك
فيه أن هذا الاجتماع لو حدث في مرحلة متأخرة من رحلتنا لكنت تحدثت
طويلا ومليا عن المرأة الهندية ومدى التقدم الذى حققته بعد الاستقلال . وقد
أعجبنا كثيرا طوال رحلتنا في الهند بالدور السياسى الذى تقوم به المرأة هناك ،
وهو دور يلوق بكثير الدور الذى تقوم به المرأة الأمريكية . وكنا نعلم أن
نهر تفضل إشراك المرأة في كفاحه من أجل الاستقلال ، وأن الكثيرات منهن
دخلن السجون مثل الرجال تماما ، وعمل غاندى أيضا على تحرير المرأة من
أغلال التقاليد العتيقة .

وفي صباح اليوم التالى توجهت مع زوجي لزيارة قبر « راج جات » ،
ورضع لا كليل من الأزهار عليه ، وهو القبر الذى وُصِفَ فيه وفاته

غاندى ، ثم التقينا بالعديد من المسؤولين ممن اشتركوا في معارك التحرير ومن بينهم أول رئيس للهند وهو راجندرا براساد ، وكان يقيم في القصر الذى كان يحتله نائب الملك ، كما التقينا بسارفا بلى رادا كريشنان نائب الرئيس وهو سيامى فيلسوف ، وكان حديثه معنا من أمتع ما سمعنا فى الهند ، فقد سرد علينا فلسفته فى الحياة ، وقد ذكر فى حديثه بمورخادى جونسون وهو الشخص الذى بعث فى ذهن مارتى حب الفلسفة الغاندية . وعندما غادرناه عبر مارتى عن سروره لهذه المقابلة . وقال إن يومنا الأول فى الهند أتاح لنا فرصة لقاء كل من جورج واشنطن وتوماس جيفرسون وجيمس ماديسون .

وفى الأيام التى تلت ذلك التقينا بالعديد من الشخصيات الهندية من أتباع غاندى ، وكان بعضهم لا يزال يحتفظ بردائه المعروف المصنوع من نسيج الصوف البسيط . فقد أقسم غاندى على ألا يقرب إلا الفقراء . كما أقسم على نبذ مادية الحضارة الغربية . وكان الأمر الذى أدهشنا حقيقة هو أن الكثير من هؤلاء الأتباع كانوا يحتفظون بلباسهم هذا ولكنهم فى الوقت ذاته يقيمون فى المنازل الفخمة التى تركها البريطانيون . وكانوا فى كثير من الأحيان يتصرفون مثل مستعمرهم فى حب الفخمة والترف ، وكان من الصعب علينا فهم هذا التناقض ورغم أننا كنا ندرك تماما أن الناس الذين يقاسون مرارة الحرمان كثيرا ما يندمجون فى الترف إذا ما أتيح لهم ، وذلك على سبيل التعويض ، وكنا نأمل أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه هؤلاء أن يجدوا سبيلا للوازنة . ورغم هذا فقد عثرنا على الكثيرين ممن يعيشون ببساطة غاندى ، ولكن كل هؤلاء قابلناهم خارج نيودلهى .

لقد أحببنا الشعب الهندى لكرمه ولروحانياته ، ولعل أكثر مقابلاتنا طرافة تلك التى زرنا فيها القديس فينوبا بهاف ، وهو شخص يقطع الهند من أولها لآخر حاملا قلاغا غاندى ، وناديا بمقيدة روحية تدعو إلى اشتراكية لامركزية .

ووجدنا بهاف وأعرانه يقيمون فى أحد المراعى فى خيام متناثرة ، ويطهون

طعامهم على نار في العراء ، في حين يجرى أطفالهم ويمرحون حولهم ، وجلسنا إلى بهاف نهضت إليه ، وهو يقول إن العالم سيكون أحسن حالا لو أن الحكومات كلها اختفت من الوجود ، فالحكومة تفسد الشعب ، وكلما زاد النظام زاد معه الفساد ، وقد أحسست أن مارتن يرى أن هذه الآراء ليست عملية ولا يمكن تنفيذها ، رغم مثاليتها . وقد أعجب مارتن رغم ذلك برأى بهاف القائل إنه من الممكن على أى بلد من البلدان أن ينزع سلاحه تماما ، وأنه لو فعلت الهند ذلك لكان له أثر خلقى عظيم على العالم بأسره .

وخلال تجموعنا زرنا العديد من الأماكن التي طاف بها غاندى ، وأصبحت فيما بعد معابد لفلسفته ، ومنها قرية غاندى في جنوب الهند ، وهي مركز تدريب يشبه إلى حد بعيد المدرسة ، وبها الكثير من الشبان . ومن حظنا أننا استمعنا إلى صلوات تردى بنفس طريقة غاندى ، فكانت تقرأ على المئات الجالسين القرفصاء بملابسهم البيضاء الفضفاضة الصلوات الإسلامية والهندوسية والمسيحية واليهودية والبوذية .

وقد زادت معرفتنا بفلسفة غاندى . كما قابلنا العديد من أتباعه وتحدثنا معهم ، فقد كانوا جميعا مخلصين لتعاليمه ، وقد استفدنا جدا من مبادئ فلسفة القوة الروحية ، وهي من العمد الرئيسية لمفاهيم البعد عن العنف عن غاندى . وزرنا أيضا مرضا اللوائى مع المهراجامايور ، وهو شخص مثقف ذكى تقدى الفكر رغم ما كان يعيش فيه من عظمة وأبهة . وقد حياه المجتمعون في المرض بما يدل على شعبيته .

والقى مارتن العديد من الخطب في طول الهند وعرضها أكد فيها جميعها ما لفلسفة غاندى عليه من أثر ، أما أنا فكثيرا ما قدمت عروضاً غنائية ، وقد أحسب الهنود إعجابا شديدا بالآغاني الدينية الرنجية . والتفتينا بالكثير من المسؤولين في الولايات المختلفة ، وكان البعض منهم يتعلل بالخلق والمثاليات ، في حين يمكن وصف البعض الآخر بالانحراف والفساد ، وقد قلقتنا جدا لهذه

المعلومات ، لأننا كنا نعتبر الهند مثلنا الأعلى ، ولكننا في الآخر قلنا لأنفسنا :
« وما الذى يجعل من الهند لهذا يختلف عن بلدان العالم الأخرى ؟ أو ما الذى
يجعل من الهنود أفرادا يختلفون عن الجنس البشرى » بأسره . . .

ورغم كل هذه المتناقضات ، بين الثراء والفقر ، وبين الفلسفة والوصولية ،
والمادية والمثالية ، فإن تجربتنا في الهند كان لها التأثير الأكبر في مارتن ،
فقد تعلم منها الصبر بالدرجة الأولى ، فقد استمر كفاح الشعب الهندى ما يقرب
من نصف قرن قبل أن يحصل على استقلاله وحرية ، وقضى الكثير من
زعمائه مددا طويلا في السجون . أما نحن في أمريكا فنشعر أن نتائج كفاحنا
يجب أن تأتى سريعا ، وكنا على غير استعداد أن نفتظر بسلبية حتى تهبط
علينا الحرية ، والهنود لا يتصفون بالذرع ، ولكننا نعلمنا منهم التحمل
والصبر والالم بشكل لم نعهده من قبل .

ورجع مارتن من الهند وقد ازداد إيمانه بفلسفة غاندى في عدم العنف
والتقشف ، وكان كثيرا ما يسائل نفسه عن الطريقة التى يستطيع بها تنفيذ
هذه الفلسفة في أمريكا ، وكانت المشكلة الكبرى أمامه هى الثغرة الهائلة بين
مجتمعا الصناعى الكثير التعقيد والمجتمع الهندى ، وأدى إلهامه بهذه الفلسفة
إلى أنه فكر حتى في تغيير زبده ، ولكنه عدل عن هذا الرأى خوفا من إبتعاد
الناس من حوله في الوقت الذى يريدون أن يلتفوا به ، والحقيقة أن الزى ليس
إلا مظهرا سطحيا لا يمت بصلة ما إلى القيم الروحية التى كان يهدف إليها .

وزاد تصميمه على أن يعيش بمظاهر البساطة كلما أمكنه ذلك ، وكان
يشعر أن سبب الفساد في مجتمعنا يرجع أولا وأخيرا إلى حب الاقتناء وحب
المادة ، فالحل يريد امتلاك المنازل والسيارات والأرض ، أما مارتن فكان
يفضل أن يتخلى عن كل هذه الماديات ، وأخبرا قال لى : « إن الرجل الذى
يكرم نفسه لقضية ما لا يحتاج إلى أسرة . . .

ولم أر أى أساس بمشاعرى في هذا القول ، وأيقنت أنه لا يريد أن يفهمنى

أنه لم يعد يحبني ، أو أن حبه لأطفاله قد خفت ، ولكن كل ما كان يعتيه هو أنه قد وهب حياته كلها للحركة ، ولذا فهو يرى قصوره فيما يحب أن يقوم به من أجل أمرته . كان يرى تناقضا بين الواجب والحب ، الحب الذي يحول دونه ودون تكريس كل وقته للفضيلة ، أما أما فكنت واقفة أنه بحاجة إلينا ، فأنا أعرف مارتن جيدا ، إنه رجل يعمل في ظروف الأسرة أحسن مما يعمل منفردا ، فهو بحاجة إلى الحب والدفع اللذين نصطيهما له ، وأن وجودها نفسه يمنحه نوعا من الإنسانية تقرب بينه وبين جماهير الناس .

كان أثر الهند فيه قويا ، لدرجة أن مارتن كان يسائل نفسه مرارا : هل هو يسير فعلا على مبادئ عدم العنف ؟ وهل هو متشكك بدرجة كافية ؟ وكان يوفن أن التنقل يساعده كثيرا وفلسفه يمنح له الفرص ، وإذا فاملاك السيارة في بلدنا ضرورى ، وأن امتلاك المنزل يهيه له مكانا للعمل والمعيشة ، وإن وجود التليفون ضرورة ملحة لعمله . وأخيرا قرر أن ظروف الحياة في أمريكا تحتم امتلاك مثل هذه الأشياء ، وأن واجبه الآن أن يتبنى مبادئ غاندى الروحية .

وكان صراعه في هذا المجال يشبه إلى حد بعيد صراع غاندى مع نفسه إذ كتب يقول : وكيف يقضى للمرء أن يعامل بنفس المستوى الموظفين المنحرفين الوقحين المفسودين ، نتاج الآمس الذين يرفعون عقيرتهم بمعارضة لاعمى لها ، والرجال الذين لم ير الفرد منهم إلا كل خير وفضل . كيف يقضى للفرد أن يخلص نفسه من كل ممتلكاته ، أليس الجسد ذاته ملكا للشخص ، أليست الزوجة والأطفال ممتلكات للشخص ؟ هل يتحتم على أن أقضى على كل خزانة ودواليبى ، بما تحوى من كتب ؟ هل على د أن أتخلى عن كل ثوب وأتبع الله وحده ؟ نعم ، إن الجواب واضح أمامى وضوح الشمس ، يجب أن أتخلى عن كل ثوب وأسير وراءه ، لأنه بدون ذلك ان أستطيع أن أتبعه .

ولكن مارتن لم يدع لنفسه صفات الزعيم ، ولم ير أن على الناس أن

يطيعوا أبسط إشارة له ، بل على العكس ، فعندما كان زملاؤه يحاولون أن يجعلوا منه رجلا هاما ، يتمتع بكل أشكال الرعاية ، كان يرفض أن يسمح لهم بذلك ، وكان يفضل أن يقود سيارة من طراز هـ فورد ، على سيارة كاديلاك . وأذكر مرة كان عائدا من برمنجهام بعد قضاء فترة في السجن . وكان زملاؤه متحمسين جدا له ، ورأوا أن تكون مراسم استقباله هي مراسم استقبال البطل ، واقترح البعض أن نركب في هوكب من سيارات الكاديلاك . وعندما أخبرت مارتن بذلك قال : « وماذا سيكون منظري وأنا عائد من السجن في سيارة كاديلاك . سأعود في سيارتي الخاصة » .

ولكن رغم كل هذا فقد كان من الصعب جدا على الناس ألا يقدسوا مارتن ، فقد كل هو أول زعيم لهم ، وكانوا لا يرون أى أمر كبير على الدكتور كينج ، بل يجب أن يركب الكاديلاك التى تتقدمها الموتوسيكلات ، يجب أن توفر له كل المظاهر التى توفر لغيره من كبار الزعماء فى العالم كله .

كان الشعب الزنجى يرى فيه شخصية بارزة ، بل كان الكثير منهم يعتقد أنه رئيس جمهورية الزنوج .

منذ ١٩٥٦ ، ولمدة ثلاثة أعوام ، لم ينقطع مارتن عن السفر والعودة بين مونتجمري وأتلانتا ، حيث يوجد مقر الجمعية الوطنية لتحسين حال الزنوج . وفي عام ١٩٥٩ رأى زوجي أن الوقت قد حان ليكرس من جهوده الكثير في سبيل الحقوق المدنية ، ولذا فإن منصبه في ديكستر يقف حائلا دون ذلك . ويبدو أن الوقت ذاته كان العامل المقرر للقيام بهجوم مركز على نظام التفرقة العنصرية في الجنوب ، وكان مارتن يرى أن الجمعية الوطنية ، إذا كانت ستصبح للعامل المؤثر في الجنوب ، فعليه أن يكرس كل وقته لها ، ولما تحتاج إليه من تطور .

والحقيقة أن أهل ديكستر كانوا ينظرون بالرضا إلى كل نشاط يقوم به مارتن ، بل الواقع أنهم عاملونا بمنتهى الصبر والتفهم ، وبدلا من أن يطلبوا من مارتن أن يلقى بموعظته كل يوم أحد عندما كانت الحقوق المدنية تشده إلى مكان آخر ، فقد فضلوا أن يستأجروا واعظا جديدا ليحل محله ، ولكن مارتن نفسه كان يشعر بالذنب إزاء هذه الإجراءات ، وكان يرى أنه لا يعطى الكنيسة الاهتمام الكافي ، ولكن أعضاؤها كانوا دائما يقولون له : « إننا نعلم ما نحمله من أعباء ولكن نرجوك يادكتور كينج ألا تفكر أبدا في تركنا . فنحن نريدك هنا في ديكستر إلى الأبد » .

وكانت هذه مشكلة عويصة ، ولكن إرهاب السفر والتنقل إلى أتلانتا ، ومحاربة القيام بدور الراعي ، والخطيب في كل أرجاء البلاد ، بل وخارجها أيضا ، ومطالب المجهودات التي ينبغي أن تبذل في حركة الحقوق المدنية ، كل هذه المطالب أرغمت مارتن على قرار حز كثيرا في قلبه ، وهو ترك مونتجمري .

ولكن أتلانتا مهدت له السبيل للتطور ، وبخاصة في سبيل الحركة . وقد بحث مارتن المسألة مع دادى كينج الذى أبدى رغبة ملحة في أن يكون مارتن معه في إينيزر لأن ذلك سيكون عوناً كبيراً له ، لأنه يجد صعوبة في إدارة أبرشيته وحده ، وعرضت المسألة على مجلس القساوسة ، ووافق الجميع بكل كرم وشهامة أن يشترك مارتن مع أبيه في رعاية كنيسة إينيزر المشيخية بأتلانتا .

وتأثر مارتن جداً لهذا القرار ، وإن كان سرته به سروراً شديداً ، رغم أن ترك ديكستر كان يحز في قلبه وفي قلوبنا جميعاً . والواقع أن لموت جيمرى صفة خاصة ، لأنها كانت مقر أول كنيسة نتولاهما ، كما أنها أتاحت لنا أول فرصة لمشاركة الجماهير في آلامها وآمالها ، وكنا نحب أهلها وكانوا هم يحبونا ، وقد أبدوا رغبتهم في بقاء مارتن معهم ، وكنا نحس تماماً بمشاعرهم ، وكان بعضهم يقول له : « إننا نشعر بارتياح شديد عندما تكون معنا يا دكتور كينج ، فنحن نعلم تمام العلم أنك ستتصرف أحسن تصرف في وقت الشدة » .

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر نوفمبر كنت مع مارتن في الكنيسة عندما قدم استقالته ؛ إذ وقف على المنبر بعد انتهاء الصلاة والاحتسايس تملؤه ، كما كان حب الجماهير يحيط به من كل جانب ، وقال : « إن ما سأفعله الآن أعلم أنكم تشعرون به ، فقد كنت خلال السنوات الأربع الماضية أقوم بعمل خمسة أو ستة رجال » . ثم أخذ يسرد مسؤولياته وما أدت إليه مشغوليته من تفصيل بعض الشئ في خدمة الجماهير . وأخيراً قال : « أرجو أن تعلموا أنى وصلت بعد دراسة وتمحيص دقيقين إلى نتيجة هامة ، هي أنه لم يعد بوسعى التوقف الآن ، لقد ألقى التاريخ على كتفى عبئاً ومسئولية لاأستطيع الهروب منها ، ولم يعد أمامى خيار إلا أن أعمل على تحريركم » .

واستند بيديه إلى المنبر وهو يقول : « أود أن أقدم استقالتي من منصبى كراع لـكنيسة ديكستر ، وذلك ابتداء من آخر يوم أحد في شهر يناير عام ١٩٦٠ » .

ورقت المجتمعون جميعا وأشدوا دقبيارك الله الرباط بيننا .

وبكى زوجى معهم .

وبعد ذلك بيومين ، فى أول ديسمبر سنة ١٩٥٩ ، ألقى مارتن بياناً يعتبر حجر زاوية فى سبيل تحرير السود ، وقال فيه : « لقد حان الوقت للجنوب ليقوم بحملة واسعة النطاق فى سبيل الحصول على المساواة ، وبعد دراسة شاملة أعتقد أن المناخ النفسى ملائم لقيام بمثل هذه الحملة المركزة ضد الظلم ، وأن هذه الحملة ستؤتى ثمارها . ولن تستهدف حملتنا المطالبة بحق التصويت لحسب ، بل لأنها ستكون هجوما شاملا على العنصرية والتفرقة بكل أنواعها . يجب أن نقوم بتدريب الشباب والكبار ليستوعبوا خطوات التغيير الاجتماعى بالوسائل السلمية . علينا أن نستخدم أساليب جديدة للصراع تشترك فيها جماهير الشعب ، وكانت الخطوة الأولى فى سبيل هذه الحملة هى انتقالنا إلى أتلانتا ، حيث يستطيع مارتن لإدارة الحركة بكفاية أكبر .

وفى يوم الأحد الأخير من شهر يناير أقيم احتفال كبير لمارتن ، استعرض فيه المحتفلون نشاطه خلال وجوده فى مونتجمرى ، وقد كانت دهشتنا كبيرة لحضور ماما كينج وكريستين وولدى نجاة إلى الحفل ، كما حضرها أيضا ولدانا يوكى ومارتن ، وكانا فى الرابعة والثانية من عمرهما . وقدم لنا أهل مونتجمرى هدية وداع عبارة عن طقم للشاى من الفضة الخالصة وقد نقش عليه ما يلى : « إلى الدكتور والمسز كينج ، رمزا لتقديرنا العميق ، كنيسة ديكستر المشيخية مونتجمرى ، ألاباما ، ١٩٥٤ - ١٩٦٠ » .

وألقى مارتن خطبة فى شرف جمعية تحسين الأحوال الزنجية ، واستعرض فيها كل ما قابلناه سوريا من مصاعب ، وانتهى الحفل ، وتمانقنا مودعين الكثير من أصدقائنا وأحبائنا . وكان أهل مونتجمرى ، وخاصة النساء منهم ، ينظرون

إلى زوجي وكأنه ابن مفضل عندهم . وقالت أحداهن وتدعى الأم نورمان
د إلى أحب الدكتور كينج كما لو كان ابني تماما ، ولا أظن أن أمه الشرعية تحبه
أكثر مما أحبه أنا . .

وأشارت إلى د أيضا على أن ابنتها ، ومازالت حتى الآن أذكر حفلة قمت
فيها بالغنا . ، ووقفت تقول وهي تصفق بحماسة د هذه ابنتي ؟! وقد أهدتني في
ليلة الوداع منفضة للسجائر صنعتها هي بنفسها من قاع علبة من الصفيح وزينتها
بغطاءات الزجاجات وقد ربطتها بالاسلاك وقالت لي : د أنا أعلم أن هذه المنفضة
البسيطة لانتليق بمنزلك يا مسر كينج . . وكان تأثيري لهذا القول بالغنا ، وفلت
لها : د سأحتفظ بها على الدوام ، وأضعها في مكان بارز في منزلي ، وآمل أن
تحضري لزيارتنا في أتلانتا لترى بنفسك . .

ولكن الأم نورمان توفيت قبل أن تسنح لها فرصة زيارتنا ، ولكن
منفضة السجائر التي أهدتها لي لا تزال تحتل مكانا بارزا في منزلي ، ولعل من بين
كل الهدايا التي أعطيت لنا في مونتجمري ، تعتبر هذه المنفضة الهدية ذات
المغزى الأكبر لدى . وكان وداعنا لأهل مونتجمري مفعما بالاحاسيس والود
وكنا نشعر بفخر كبير كما كنا نخس أننا لا نستحق كل هذا الإعجاب ، وتركنا
مونتجمري ، ونحن نشعر أن تجربتنا فيها لن تتكرر ثانية .

والواقع أن السنوات الماضية أعدت شخصيتنا لكل ما كنا سنلاقيه في المستقبل
كما أن الحركة كانت قد تطورت إلى حد أنها أصبحت ذات انجاء معين ، يهدف
إلى نقطة معينة ، أكدتها سنوات مونتجمري التي وضع فيها حجر الأساس
لهذه الحركة .

ولم نكد نستقر في المنزل الذي استأجرناه في أتلانتا حتى لحقت بمارتن أكبر
صدمة لسمعته ، أصدرت هيئة المحلفين في مونتجمري صحيفة اتهام له بأنه حاول
التزوير في أوراق الضرائب عن سنتي ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، وذلك عن الأموال
التي جمعها للجمعيات .

ورغم أن الاتهام كان مزوراً تماماً إلا أنه سبب لمارتن ألما لا يمكن وصفه وقال لي : د سيظن الكثيرون أن حقيقة متهم ، وأنت تملين ما حاوله أعدائي لاني لم ، ولكنهم لم يسبق لهم أن اتهموني في شرقي أو غراقي ورغم أني أعلم أن السكال لله وحده فإني كنت أختر بفضيلة الشرف والنزاهة ، وبخاصة فيما يتعلق بالنقد ، .

والحقيقة أنه كان شديد النزاهة ودقيقاً جداً في حساباته النقدية ؛ لأنه كان يرى أن النزاهة حتمية لكل قائد ، وأكثر من ذلك فقد كان مارتن رجلاً لا يرحم نفسه أبداً في مثل هذه الأمور .

وحاول الكثير من أصدقائه مثل رالف أبرنات و رالف بانس أن يهدئوا من خاطره ولكن جرحه كان عميقاً جداً لهذا الاتهام ، رغم ما مر به من إهانات وقذف فيما سبق .

وعندما سمع الأخبار لأول مرة قال لنا : د إنكم جميعاً تعلمون أني لا أملك من النقود ما يكفي لدحض هذا الاتهام في المحاكم ، وإن أستخدام سذنا واحداً من أموال الحركة في هذه السبيل ، وهكذا سأظل حتى نهاية حياتي أواجه بعض من يظن أني أخذت نقوداً لا تخصصني ، .

ولا يسمي هنا إلا أن أشير إلى أن محاكم الجنوب ، بما نعلمه عنها ، كانت لن تبرئه ، حتى لو أنفق الملايين .

وقد رد عليه أحد أصدقائه — وهو ستانلي ليفزون بقوله : د إن الدفاع عن شخصك لم يعد من واجباتك أنت يا مارتن ، وهذا الضرر أصابك لما قت به في سبيل الحركة وفي سبيل هذه البلاد ، فن واجب هذه البلاد أن تنهي كل السبل للدفاع عنك ، .

وأحسست أنا بالنعاسة لما أصاب مارتن في مشاعره الخلقية باتهامه بمثل

هذه الاتهامات الحقيرة وما صاحبها من دعاية في طول البلاد وعرضها ، وكان ألمه شديدا لدرجة أنه أخذ يشك هو نفسه في نفسه ، وكان يرى أن تبرئته لن تكون إلا في ساحات المحاكم ، أو في حوار عام . وحاولت جاهدة أن تؤكد له أن غالبية الشعب تؤمن به وتفهم الدوافع التي حدثت بولاية ألاباما إلى مثل هذه المكيدة ، ولكن سرعان ما أيقنت أنه بدأ يحس بفقدان ثقة الناس به ، وأنه لم يعد هناك شخص واحد يريد أن يستمع إليه . وكان هذا الإحساس سببا في المزيد من شقائي .

وأخيرا تمالك مارتن نفسه واستطاع أن يقوم برحلة إلى نيويورك حيث التقى بصديقنا الدكتور رالف بانث . واستمع إليه الدكتور رالف ورأى بنفسه شقاه وقال له : « لفهم يامارتن أن المسألة ستكون هي كلمة ولاية ألاباما ضد كلمة الدكتور مارتن لوثر كينج ، وأنا لا يخامرني شك في أية كلمة لهما ستقبلها أمريكا ، .

ثم قاد مارتن خارج مكتبه دون أن يشرح له سببا لذلك ، وتوجها معا إلى مكتب الأمين العام الذي استقبل مارتن بحفاوة وترحيب عما جعل مارتن يشعر أن سمعته لدى من يستحقون لم تتأثر أبدا .

وأخذت ردود الفعل لهذه الاتهامات المزورة تصلنا بعد حوالي أسبوع ، ورأينا أن معظم الناس صدموا ولم يصدقوا أى اتهام منها ، وانتهالت علينا التبرعات حتى نستطيع أن نستجلب أمهر المحامين للدفاع عن مارتن .

وتوجهنا إلى مونتجمري في مايو لحضور المحاكمة . وصحبنا دادى كينج وكريستين ورالف أبرناتى . واستمرت المحاكمة من يوم السبت حتى يوم الاثنين . وألغيت أنا ارتباطا لى فى أنتيوك ، وأحيلت القضية إلى هيئة المحلفين فى الثامن والعشرين من شهر مايو . ورغم أن جميع الشهود برأوا مارتن إلا

أنا كنا واثقين من أن هيئة المحلفين لن تبرأه ، رغم أن أحد شهود الاتهام
الرئيسيين اعترف بأنه واثق من براءة مارتن . ودخل أعضاء هيئة المحلفين إلى
قاعة الجلسة ، وبكل عظمة وأبهة سألهم القاضي رأيهم . وما كدت أسمع حكمهم
حتى كذبت أذني ، فقد جاء الحكم : « ليس مذنباً » .

كيف تم هذا ؟ هيئة محلفين مؤلفة من اثني عشر شخصا من البيض ومن
الجنوب تبرأ مارتن ؟ لقد كان انتصاراً رائعاً للعدالة ، كان معجزة كادت تعيد
إلينا ثقتنا بالبشرية ، ورنيت في أذني الكلمات التي طأما ردها مارتن : « إن
الحقيقة التي دأستها الأقدام ستظهر ثانية ، و « الكذبة لا يمكن أن تعيش إلى
الأبد » . ودل كل هذا على أن أعداء مارتن قد تعلموا درساً إن ينسوه أبداً ،
إن نزاهته أقوى من أن يداسها اتهام حقد .

وعاد مارتن ومن معه إلى أتلانتا ، على حين توجهت أنا ووالف أبرناتي
إلى كليفلاند التي وصلناها في الخامسة صباحاً ، ولم أكن قد أعددت خطابي .
وترددت في كتابة خطاب ، ونصحتي والف قائلاً : « أعتقد يا كوريتا أن من
الأفضل أن تتكلمي عن التجربة التي مررت بها هذا الأسبوع ، وسيكون
هذا كافياً » .

وفي المساء أريت إلى فراشي في كليفلاند ، ولكنني لم أستطع النوم ، بل
رقدت أفكر حتى انبلاج الصبح ، وارتديت ملابس استعدت للحفل الساعة
الحادية عشرة . ولما قدمت للجمع الموجود أخذت أتكلم دون ورق ، واستمر
كلامي مدة أربعين دقيقة ، وبدأ على الجمهور أنه ينصت إلى كلماتي بإمعان ، وبدأ
لي أني استطعت أن أنقل إليه صورة واضحة لما دار في المحكمة ، ولما اجتاحتنا
من قلق ، ثم ما وصلنا إليه من نصر أخير .

وقد هنأني المسز ليولا ويتد ، وهي صديقة حميمة تقيم في كليفلاند .
وقالت : « لقد سحرت الجمهور يا ابنتي وأنا شغورة بك » . وحدث الله علي
أنه أعانني في هذا الموقف .

كان عام ١٩٦٠ عام لإضراب الطلبة ، وجلسهم في المقاهى والمطاعم التي تتيج سياسة التفرقة. وقد بدأت المظاهرات في جرينز بورو بكارولينا الشمالية ، عندما رفض أحد هذه المطاعم خدمة جوزيف ماكنيل ، وهو طالب في كلية الزراعة الفنية بكارولينا الشمالية ، فما كان من زميل له إلا أن عرض عليه كتابا صدر عن حياة مارتن ، ومادار بينهما وبين شركة .الاتوبيس ، . وتأثر الطالب بهذا وأصر على الاستمرار في جلوسه هو وزملاؤه . وفي أول فبراير حدثت أول حادثة ، إذ أصر الطلبة على أن يقدم لهم الطعام ، ولكن المطعم رفض ، ورفضوا هم ترك المطعم . واستمرت الحال هكذا يوما لآخر يوما ، وانضم إليهم الكثيرون من الطلبة البيض .

ونقلت وكالات الأنباء أخبار هذه التحركات ، وانتشرت الحركة كما تنتشر النار في الهشيم ، ولم يمر أسبوعان إلا وكان طلبة جميع مدن الجنوب ، ما بين بيض وسود ، قد نظموا مثل هذه الإضرابات . واعتقل البعض ، ولكن هذا لم يؤد إلا إلى انتشار الحركة .

وكان مارتن متقاربا جدا هو والطلبة ، وكان بعض المضربين يحملون لافتات كتب عليها : « اذكروا تعاليم شاندى ومارتن لوثر كينج . » ولما زاد انتشار الإضرابات رأت الجمعية أن تعقد اجتماعا مع زعماء الطلبة لوضع أسس التنظيم والإصرار على عدم العنف . وتحمس مارتن لهذه الفكرة ، كما رصدت الجمعية ميزانية كافية لتنظيم الحركة .

وعقد الاجتماع في جامعة شو بمدينة رالى بكارولينا الشمالية ، واستمر ثلاثة أيام مبتدئا بيوم الجمعة الحزينة ١٥ أبريل ١٩٦٠ وحضره ١٤٥ زعيما من بينهم : جيمس بيفيل ، وبرناردلى ، وجيمس لوسون ، ولونى كينج، وماريان رايت ، وريان ناشى ، وتحدث فيه كل من مارتن ولوسون .

وتألفت لجنة من الطلبة أطاقت على نفسها « لجنة تنسيق عدم العنف » .

وتحت قيادة مارتن أقسم الجميع على التزام عدم العنف والعمل على تصفية
العنصرية تماما من خلال ذلك ، كما وافقت الجمعية على تمويل هذه اللجنة حتى
تستطيع الوقوف على قدميها .

وقد ألف خلال مظاهرات الطلبة هذا النشيد القوي الذي اعتبر فيما بعد
رمزاً للحركة بأسرها ، وهو نشيد يقوم على أغنية زنجية دينية كان عمال النسيج
يرددونها خلال الاربعينيات في تينيسي . وأخذ الناس ينشرون هذا النشيد في كل
اجتماع حتى ذاع وانتشر . وهو نشيد « سننتصر » ، كما كانوا يضيفون إليه بعض
الكلمات في بعض الاحيان . كان المضربون ينشدونه ، والمحتجون ينشدونه ،
والمظاهرون ينشدونه ، في وجه جماعات الشرطة ، والكلاب البوليسية ، وخراطيم
المياه كانوا ينشدونه في السكائنس ، وفي حقول الرز ، وفي العربات ، بل وفي
زنايات السجون ، في طول الجنوب وعرضه . وكان نشيدا حماسيا ماثبها ،
ينفت في الجماهير العزم والقوة ، وأصبح نشيدنا الرئيسي ، كما كان المارسيليز
لنشيد الثورة الفرنسية .

ووصلت حركة الإضرابات إلى أتلانتا في خريف ١٩٦٠ ، وكانت
« الانوبيسات » قد أذعن للاختلاط بعد ثورات عديدة قادها القس ويليام
هولمز بوردرز ، وهو القس الذي نظم حركة اسمها : الحب ، القانون ،
التحرير . وانضم إليها أمثال : القس صامويل ويليامز ، والقس مارتن لوتر
كينج الأكبر ، والقاضي السابق والدن ، وجيمس هيل ، وغيرهم كثيرون .
وكان القس ويليامز يقول : « شكرا لك يا مونتجمري ، وشكرا لك يا مارتن
لوتر كينج » . واسكن المطاعم كانت كلها لاتزال تعاني من التفرة العنصرية في
أتلانتا ، ولم يكن هناك مكان واحد خارج حي الزوج يستطيع فيه السود أن
يتناولوا زجاجة من العصير إلا إذا ذهب الواحد منهم إلى الباب الجانبي للمحل ما
وطاب زجاجة وهو واقف خارج المحل فيناولها له صاحب المحل .

إن من الصعب حقيقة أن يصف المرء كيف كانت التفرة تلاحق الشخص

أينما ذهب مهما يحاول أن يتجنب إيجاد نفسه في مأزق يدعو إلى إهانة. وأذكر مرة أن كان مارتن في رحلة وعائدا إلى أتلانتا ، بعد أن أصبح اسمه معترفا به في البلاد كلها ، ودار بينه وبين الجالس بجواره في الطائرة حديث ، وكان رجلا أبيض ، واستمر الحديث والتفارب حتى إن الرجل الأبيض دعا مارتن إلى الغداء في المطار عند وصولهما إلى أتلانتا، وقبل مارتن الدعوة ، وتوجه الاثنان معاً إلى المطعم ، وطلبا مائدة لاثنتين. ولكن العاهلة نظرت إلى مارتن وقالت : « سأضطر أن أجد لك مكاناً على مائدة منفردة ، وقادت مارتن إلى مكان خلف ستارة قاتلة له : « إن كل شيء هنا لا يختلف هما في الخارج ؛ فالطعام واحد ، والكراسي واحدة . »

ورد عليها زوجي بهدوء ولكن بحزم : « كلا ، هذا ليس الواقع ، فإليك عندما تمر ليني ، فإليك بذلك تهرميني من صحبة أخرى ، هذا في حين أريد أن أكل حديثي معه . » ثم أشار إلى حوائط المطعم المزخرفة وقال : « إذا جلست خلف الستارة فلن أتمكن من مشاهدة هذه الزخارف ، كلا ، إن الأمر مختلف تماماً . »

وبالطبع رفض مارتن أن يجلس خلف الستارة وغادر المطعم .

وهذا ما كان الطالبة يحتجون عليه ، فقاموا بتنظيم المظاهرات ومسيرات الاحتجاج ، وكان هدفهم الأول في أتلانتا علنا تجاريا باسم « ريتش » ، وهو من أكبر المحلات التجارية في الجنوب . وقد وجهوا الدعوة لمارتن ليشارك معهم في أحد هذه الاحتجاجات في مطعم هذا المحل ، وقبل مارتن دعوتهم بالطبع .

وكانت جماعة الطلبة تنأف من حوالي ٧٥ طالبا ، وقد ألقى القبض عليهم جميعا ومعهم مارتن ، وكان من بينهم لوني كينج زعيم حركة الطلبة في أتلانتا. والحقيقة أن حركة الطلبة بأتلانتا كانت منظمة جدا ، كما أن مسيرات الاحتجاج فيها كانت تتم دون أى مظهر من مظاهر الفوضى ، بل قام للنفس فريد بنيت بقيادتها ، وكانها جيش عسكري ، وكان يعاقب عليه اسم « القائد » . وقد كان

المحتجون قد اتفقوا سلفاً على أنه لو أُلقي القبض على أحدهم فإنهم لن يدفعوا الكفالة ، بل سيبقون في السجن . وقال مارتن : « سأبقى في السجن سناً أو عشر سنين لو اقتضى الأمر حتى يتم القضاء على المنهوية في محل « ريتش » .

وساد الغضب المجتمع كله عندما ذاعت أنباء الاعتقالات ، ونألفت لجنة من الطلبة والكبار للتفاوض مع التجار وكبار المسؤولين بالمدينة تمهيداً للوصول إلى اتفاق . وظل مارتن معتقلاً لمدة أسبوع ، وأطلق سراحه بعد ذلك وبعد أن أمكن التوصل إلى اتفاق . كنت أنا في ذلك الوقت حاملاً ولكني كنت أذهب لزيارته في السجن يومياً . وكانت الزيارة المقررة مرة واحدة في الأسبوع ، ولكن نظراً لصداقة دادي كينج مع المأمور — وكان رجلاً مهبذاً — فقد أمكنني أن أزور زوجي يومياً .

وكان ولدنا يوكي ومارتي قد بلغا الخامسة والثالثة على التوالي ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفهمان فيها سر غياب والدهما ، فقد استمعا إلى الأخبار في الراديو وهما في السيارة من مدرسة الحضانة ، وقد دخلت على يوكي باكية وسألتني : « لماذا ذهب أبي إلى السجن ؟ »

وكنت أحاول أن أهد نفسي لهذه اللحظة ، ولذا فقد قلت لهما : « إن والدكما رجل شجاع عطوف ، لقد دخل السجن لأنه يحاول مساعدة الآخرين الذين لا يملكون النقود أو الغذاء أو الملابس أو المسكن ، لقد دخل والدكما السجن حتى يستطيع هؤلاء الناس الحصول على كل ما حرموا منه ، ولا تقلقوا فوالدكما سيعود إليكما قريباً » .

وكان مارتن الصغير يريد أن يصبح طياراً حتى يستطيع أن ينقل أباه إلى كل مكان يريد الذهاب إليه ، ولذا فقد سألتني : « هل ذهب أبي إلى السجن بالطيارة » . ولما كنت أريد بكل قواي أن أخفف من وطأة الخبر عليهما فقد أجبتهم بالإيجاب ، وبخاصة أنهما اعتادا ، كلما غاب أبوهما ، أن يكون سفره بالطائرة .

وكنيت أعتقد أن من الواجب على الأثير الرعب من السجن في نفوسهما ،
بل كنت على العكس أريدهما أن يشعرا أن وجود أبيهما في السجن علامة من
علامات الشرف .

وقد سمع مرة أحد أصدقاء الأسرة — وهو يدرس ليوكي درسا في
الادب — مناقشة بين تلميذة بيضاء وابنتي يوكي ، وكانت البنت البيضاء
لا تزيد في العمر عن يوكي ، إذ قالت لها بلهجة شائنة : « إن والدك يذهب
دائما للسجن ، فإنا نعلم أن يوكي إلا أن أجاتها يهدوء وبكبرياء : « نعم ،
إنه يذهب إلى السجن ليساعد الناس ، وقد مررت جدا لما سمعت
بهذه القصة .

وألقى القبض على مارتين بعد ذلك في ألباني خلال ديسمبر سنة ١٩٦١ ،
بعد مضي عام على هذا النقاش ، ولما سمعنا بالخبر عن طريق التليفزيون أخذت
يوكي تبكي لأنها خافت من أن أباهما سيكون متغيبا عنا في أثناء عيد الميلاد ،
وأخذ أخوها مارتين يهدى من روعها ، ويقول لها : « لا تبكي يا يوكي ،
فسيعود دادى ، لأن عليه أن يساعد الناس ، لقد ساعد البعض ، ولكن عليه
مساعدة البعض الآخر ، وعندما ينتهى من كل هذه المساعدات فسيعود إلينا ،
فلا تبكي يا يوكي . »

وقد هدأت نفسى عندما وجدت الاطفال يتقبلون اعتقال أبيهم بهذه
الروح ، يتقبلونه كشيء يفخرون به لا يخافون منه ، بل ويأملون فيه أيضا ،
إذ قالت يوكي فيما بعد : « أود أن أذهب أنا أيضا إلى السجن مع دادى . »

وكنيت أنا كذلك تواقا للذهاب مع مارتين إلى السجن ، ولكنه كان
يرفض قائلا إن الاطقال بحاجة إلى ، ولكنى كنت أرى أن اشتراكى في
الاعتقال هو الذى سيكون العنصر المكمّل لنشاطى في الحركة ، وأن السجن
سيكون تجربة لى في خدمة القضية . والواقع أنى عانيت السجن الروحى مرات

عديدة ، رغم أنى لم أدخل السجن أبدا ، وكنت أحس أن جزءاً منى معتقل معه فى سجنه .

وذاث یرم انتشر خبر فى أنلانتایة قول إنه من الممكن التوصل إلى اتفاق، ولأنه سيفرج عن مارتن والطالبة المعتقلين . واتصلت فى جیمس هیل تلیقونیا ودعتنى إلى اجتماع مع زوجى لوثر کینج للاحتفال بهذا الافراج فى مطعم نخم من المطاعم التى یسمح فیها بالاختلاط ، یدیره جماعة من الزوج ، وسرت جددا لهذه الدعوة وفرحت لانى سأقابل زوجى قریبا .

ولما وصلت إلى المطاعم وجدت جماعة من الطالبة المعتقلين فدلا ، ولكنى لم أر مارتن ، وأحسست بالحرج لانى لم أكن أريد أن أسأل عنه ، ولكن المخاوف اعترتنى ، وجاست بین المحتفان وأنا أتوجس خيفة مما سأسمعه ، وأخيرا قل لى أحدم : لقد احتجزوا الدكتور کینج فى السجن ! .

ولم أفهم أولا ، ولكنى شعرت بتعاسة بالغة ؛ فلم یحذرنى أحد من قبل من أن مارتن قد لا یكون من بین المفرج عنهم ، وأخيرا عرفت السبب . . . فى أبریل أو مايو كان قد ألقى القبض على مارتن بدعوى أنه لم یقم بتغییر عنوانه من ولاية ألاباما فى رخصة القيادة ، ولذا فهو یقود سيارة دون ترخیص فى ولاية جورجیا . وحدث هذا فى لیلة كنا فیها مدعوین إلى العشاء مع لیلیان سمیت ، السکاتبة المعروفة ، ثم أخذناھا معنا فى سيارتنا إلى مستشفى جامعة ایمرى حیث كانت تعالج من مرض السرطان ، وفى الطريق استوقفنا أحد رجال الشرطة وقال لمارتن إنه یحمل معه فى سيارته امرأة بیضاء ، وعندما اكتشف رجل الشرطة شخصية مارتن ووجد أنه هو هذا الشخص المشاغب المعروف حرر له مخالفة .

حدث کل هذا فى مقاطعة دى کالب ، وهى مقاطعة تقطنها جماعة السکر کلوکس کلان. وفى الیوم التالى توجه مارتن ومعه دادى کینج إلى مرکز

الشرطة حيث دفع ٢٥ دولارا غرامة ، وحكم عليه بحكم مع وقف التنفيذ ، وأخل سبيله بالاضمان الشخصية ، ولم يذكر مارتن هذا الحكم ، ولذا فعندما أفرج عنه بعد الإضرابات في أتلانتا جاء المسؤولون في مقاطعة دى كالب ، وطلبوا احتجازه لأنه خالف قوانين الإفراج عنه بالاشتراك في الاحتجاجات وحدد يوم الثلاثاء التالي لنظر قضيته ، وظل مارتن معتقلا ١١

وفي صباح هذا اليوم أتى في طلبه مأمور مقاطعة دكالب، ووضع الاخلال في يديه ، وسار والكبرياء تملؤه مع سجينه . وبالعطبع التقطت لهما عدة صور ونشرت في جميع صحف البلاد .

وتوجهت إلى المحكمة ، وهى دادى كينج وكريستين ، وفي نهاية الجلسة قال القاضى ميتشل : لقد وجدنا المعتقل متهما وحكمتنا عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة ستة أشهر في سجن الولاية يريد يسفيل ١١ ،

وكانت الصدمة شديدة علينا جميعا؛ فقد كان الحكم بحكما للغاية إذا ما قورن بالجنائية ، وهى مخالفة مرور بسيطة ، وكان الصعب علينا تقبله ، وكنت في شهرى الخامس من الحمل ، وقد أثرت في هذه الحادثة تأثيرا عاطفيا شديدا .

وانفجرت كريستين باكىة ، وانفجرت أنا أيضا معها ، أما دادى كينج فقد كان الغضب يملؤه واسكنه غضفا على بكائنا ، واسكنى كنت قد وصات إلى منتهى صبرى ؛ فقد مضى على اعتقال مارتن ثمانية أيام ، وكنت قد انتابنى التعب من التردد يوميا على السجن ، والآن سيأى طفلنا الجديد ومارتن معتقل ولن يكون بجانبى في وقت شدتى ، وأحسست أنى لم أحد أحتمل كل هذا .

وأعيد مارتن على الفور إلى السجن ، وسمح لى ولدادى كينج بزيارته ، وحارلت أن أكفكف دموعى وأنا داخله إلى الزنزانة ولكن دون جدوى .. ولما رأتى مارتن على هذه الحال قال : د تذرعى بالقوة يا عزيزتى كورى ،

فأنا لم أرك على مثل هذا النخاض أبدا من قبل .. أرجوك تذرني بالقوة من أجل ..

ولما نظرت إليه وجدت أنه قد شحب وذبل ، وزاد هذا في صدمتي ، وحاولت أن أبدو قوة حتى أشد من أزره هو ، ولكن الموقف كان أكبر مني بكثير .

وقال دادى كينج : وأنا لأبكي يا كوريتا ، بل سأواصل للكفاح ، وأرجوك ألا تذرفي دمة واحدة إلا إذا رأيته أنا أبكي ، فسأقف في وجه الشدائد ..

والواقع أنه كان شديد التأثر رغم أقواله هذه ، ولكنه كان يرى أن عليه أن يظهر بهذه القوة حتى يشجعنا نحن على تقبل هذه الصدمة .

وقال لي مارتن : واعتقد أنه ينبغي لنا أن نعد أنفسنا لحقيقة هامة ؛ هي أني سأظل هذه المرة في السجن .

وطلب مني تزويده بالصحف والمجلات والمنشورات وأن أترك له بعض النقود . وعدت إلى المنزل لألبى رغباته هذه ولأطمئن على الأطفال .

وفي ذات الوقت كان محامونا قد طلبوا من القاضي تأجيل إرسال مارتن إلى سجن الولاية ؛ فقد كانوا يعدون أمراً بالإفراج عنه ، ووعدهم القاضي بذلك ، ولكن اتصل بي أحد أصدقائنا في اليوم التالي وأبلغني أنهم نقلوا مارتن بالفعل إلى سجن الولاية . وكان هذا أكثر مما أحتمل .

وقد أبلغني مارتن فيما بعد أنهم أتوا إليه في الرابعة صباحا ، وكان نائما ، وسلطوا على وجهه نور بطارية ، وقالوا له : استيقظ يا كينج .

واستيقظ مذعورا ، فقد كان يفهم مغزى هذه الزيارات المفاجئة ، وطلبوا

إليه ارتداء ملابسه ووضعوا الأغلال في يديه والسلاسل حول رجليه، ووضعوه في سيارة سارت ثلثائة ميل حتى وصلت إلى سجن الولاية، وهو لا يعلم ماذا سيكون مصيره

ولما وصل إلى السجن كان التعب والإرهاق والمهانة قد أخذت منه كل مأخذ فألقوا به في زنزانة ضيقة كالتي يضعون فيها مئات المجرمين، وأعطوه ملابس السجن ليرتديها، وأرسل السجناء إلى مارتن رسائل يبدون فيها احترامهم وحبهم له وأسفهم على ما عومل به من ظلم واضطهاد . . وكان لهذه الرسائل أكبر الأثر في نفسية مارتن، رغم الوحشية والقسوة والاذلال التي عومل بها من السجنائين . ومن الطريف هنا أن أذكر أن الزنزانة التي وضعوا بها مارتن كانت للزنزانة المختلطة الوحيدة في سجن الولاية .

وأخذت أنا أفكر كيف سيقضى مارتن أيامه في السجن، وهو رجل لا يحب الوحدة، بل يحب الناس وصحبته، ويعتمد على تأييدهم في نشاطه من أجل الحركة . وكانت أيام السجن من أشق الأيام على نفس مارتن، وبخاصة هذه المرة التي سيقضى فيها وقتنا طويلا في السجن دون رائف وبقية زملائه الذين شاركوه في الكفاح .

وكانت المسافة طويلة، وآلام الحمل تزداد هلى . وأرسلت كتبنا ومجلات إلى مارتن، ولكنني نسيت أن أرسل له النقود، وأحسست بالذنب لأنني كنت أعلم أنه بحاجة إلى النقود ليشتري بها ما يحتاج إليه في السجن، ولذا فقد طلبت من دادي كينج أن يأخذني إلى السجن، ولكن دادي كينج كان منهمكا مع المحامين حتى يستطيع إخراج مارتن، وطلب مني بدلا من ذلك أن أذهب معه إلى موريس ابرام . وهو محام محترم وصديق عزيز لنا، وقد قدم لنا مساعدات جلية في كفاحنا من أجل الحقوق المدنية .

ودق جرس التليفون، وقال شخص من الطرف الآخر : « أريد التحدث إلى المسز كينج، المسز كينج، للسنا فور كينيدي يريد التحدث إليك » .

وكان السناتور جون كينيدي في ذلك الوقت يخوض أيام حملة الرئاسة ،
وأخذت السماعة وانتظرت قليلا ، ثم سمعت صوتا اعتدت أن أسمعه في
الراديو والتلفزيون يقول لي : « صباح الخير يا مسز كينج ، أنا السناتور
كينيدي ، » .

وتبادلنا التحية ، ثم قال السناتور كينيدي : « أريد أن أهب لك عن
اهتمامي بمسألة زوجك ، وأنا أعلم أنك تمرين بأزمة شاقة ، فأنا هرفت أنك
تنتظرين مولوداً وأريدك أن تعلمي أني أشاركك كل إحساساتك وأفكر
فيك وفي الدكتور كينج ، وإذا كان ثمة ما أستطيع أن أفعله أرجوك ألا تترددي
في الاتصال بي .. » .

وأجبت : « أشكرك على هذا الاهتمام ، وأشكر لك كل ما تعرضه علينا
من مساعدة ، » .

كانت هذه الكلمات المكاملة التي قيل فيما بعد إنها غيرت مجرى التاريخ
وساعدت كينيدي على النجاح في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية .

ولم أكن وقتئذ متمرسه على الأمور السياسية ، فلم أعلم مدى أثر مثل
هذه المسكالمات ومدى استغلالها سياسياً ؛ فقد كان زوجي ينتهج سياسة الحياد
فيما يختص بسياسة الانتخابات للرئاسة ، ولذا ، فلم أرد أن أبدر وكأني أخذت
صفت مرشح ضد آخر . وسمعت فيما بعد أن مستشاري كينيدي لصحوه بأن
يلقي بيانا في صدد مشكلتنا ، رغم معارضة سيامي جورجيا لهذا البيان ، فقد
رأوا أن إلغا. مثل هذا البيان سيجعل الجنب كله يصوت ضد كينيدي ، وقد
قال أحدهم : « اترك لي عذة المسألة وسأعمل على إخراج كينج من السجن ، » .
ولكن السناتور كينيدي رأى أن أقل ما يستطيع أن يفعله هو أن يتصل بي
ليفويا .

وأخذت الأحداث تتوالى بعد ذلك بسرعة ، وانهار على المراسلون محاولين

معرفة ما قاله لى السنا تور كينيدي ، وكنت في أول الأمر مترددة في الإجابة على أسئلتهم ، ولكنني تشاورت مع أحد مستشاري كينيدي وقال إنه من الأفضل أن أصرح لهم بما دار بيني وبين السنا تور. وأخذت بعد ذلك أسمع أنباء مشجعة عن الإفراج عن مارتن .

وسمعت بعد ذلك أن روبرت كينيدي اتصل بالقاضي ميتشل وسأله عن سبب عدم الإفراج عن الدكتور كينج بكفالة تمهيدا للاستئناف . وتسربت هذه القصة إلى الصحافة ، وبالأطبع أسرع القاضي ميتشل بتغيير قراره ووافق على الإفراج عن مارتن بكفالة .

وصلتني أنباء الإفراج عند ظهر اليوم التالي وسعدت بها جدا ، واستأجرت الجمعية طائرة خاصة لإحضار مارتن ، وذهبنا جميعا إلى المطار لاستقباله . . وهكذا استطاع الصغير مارتن أن يرى أباه عائدا في طائرة .

وركبنا جميعا السيارة ، وأخذ مارتن يقص علينا في الطريق ما حدث له في سجن الولاية . واتفقوا اجتماع في مساء اليوم نفسه في كنيسة إيبينز وحضره الناس من كل فج وصوب ، وأقيمت صلوات الشكر ، وألقى مارتن موعظة لم يمس فيها السياسة ، ولكنه عقد العزم على مواصلة الكفاح بشدة أكثر من ذي قبل . أما أبوه فقد عبر عن رأيه بصراحة في أنه سيهبط على صوته لكينيدي وليس لنيكسون .

وانتخب كينيدي بعد ذلك بأيام رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية بأغلبية لا تزيد على مائة ألف صوت . وأنا أعتقد أن المؤرخين على حق عندما يقولون إن تدخل كينيدي في مسألة مارتن كان هو العامل الفاصل الذي أدى إلى نجاحه في الانتخابات . وقد ظهر مغزى كل هذا لعيني ، وخاصة بعد كل ما حدث في معركة الحقوق المدنية وللصلة التي أبدتها أسرة كينيدي كلها لنا وللبادئ كفاحنا .

واستمرت الاحتجاجات في جميع أرجاء الجنوب ولافت نجاحا منقطع النظير ، وأمكن التوصل إلى تعميم الاختلاط في العديد من المجتمعات ثم تطورت الاحتجاجات في مارس ١٩٦١ إلى مسيرات للحرية تهدف إلى القضاء على التفرقة في جميع سبل المواصلات في الجنوب ، وكان مارتن يرأس هذه المسيرات . وفي ٢٨ أبريل كتب جيمس فارمر خطايا إلى الرئيس كينيدي يبلغه فيه عن خطط سير أول مسيرة من هذه المسيرات . وفي الرابع من شهر مايو استقلت جماعة من السود ومن البيض « الأوتوبيسات » معا وسارت عبر ولايات فرجينيا وكارولينا الجنوبية والشمالية وجورجيا وألاباما وميسيسيبي حتى بلغت نيواورليانز .

وأثارت هذه المسيرة المنظمة حفيظة الجنوبيين وأخذت جماعات منهم تتهاجم « الأوتوبيسات » وتقوم بانزال ركلها بالقوة وضربهم وإلقائهم في السجون ، ففي أليسترن بولاية ألاباما هاجمت إحدى هذه الجماعات « أوتوبيسا » وحطمتها تماما وألقت بداخله قنبلة حارقة .

وكان هذا أعنف هجوم حدث على المسيرة ، وأنا أذكر صورة « الأوتوبيس » على شاشات التليفزيون . أما مارتن فقد استبد به القلق إذ كان يدرك أن العنف من جانب البيض لابد أن يقابله عنف من جانب شعبنا .

ولكن مسيرات الحرية استمرت كما ازدادت حدة الهجمات عليها عنفا ، واشترك مارتن في الكثير من النداءات التي وجهت إلى المسؤولين في الحكومة الفيدرالية تناشدتهم حماية راكبي « الأوتوبيسات » . وأكدت لما حكومة كينيدي أنها ستعمل على ذلك بمراقبة المسيرات عن كثب .

وفي نفس الوقت كانت هناك جماعة ينتظر وصولها إلى مونتهجرى في ٢٠ من مايو ، وتوجه مارتن إلى هناك لاستقبالها . وقد قص على ه فيما بعد كيف أنه تجهمر حول د الاوتوبيس ، ما يقرب من ثلاثمائة شخص . وخرج أول المحتجين — وكان طالبا من البيض — وصاحات الفسوة : د اقتلوا صديق الزنوج القذر ١١ ، وحاول الرجال مهاجمته ، واسكنه لم يرد على العنف بالعنف تمشيا مع سياستنا ، بل وقف دون أن يدافع عن نفسه وضربه المتجمعون ، وظل راقدا بلا وعى .. على أرض الشارع ما يقرب من الساعة قبل أن تحمله سيارة الإسعاف .

وهو جرم آخرون ، وتمكن البعض من الإفلات ... كل هذا حدث تحت سمع وبصر رجال الشرطة ١١ وظلت الاضطرابات حتى الليل ، ثم أرسلت الحكومة الفيدرالية ستمائة من رجال الشرطة لإعادة النظام إلى المدينة . وعارض حاكم الولاية هذا الإجراء وهدد باعتقال رجال الشرطة الفيدرالية قائلا : د باستطاعتنا معالجة الموقف بأنفسنا وبالطبع كانت معالجة الموقف في رأى المحافظ هي ترك الجماهير تتصرف بما يحلو لها من عنف وكرامية .

وأذاع الراديو أن مارتن لوثر كينج سيحقد اجتماعا لأعضاء مسيرات الحرية في كنيسة رالف أبرنathi المشيخية . واحتشد ما يقرب من ١٢٠٠ شخص في الكنيسة ، في حين انهالت د الاوتوبيسات ، تحمل المئات من البيض العنصريين من خارج المدينة . والتف جماعة منهم حول الكنيسة ، وأخذت الحجارة تنال على المجتمعين فيها محطمة نوافذها الملونة . وأصيب بعض المجتمعين من شظايا الزجاج . وصاح العنصريون قائلين : لانهم سيحرقون الكنيسة بأسرها . وأسرع زوجي إلى التليفون واتصل بالنائب العام روبرت كينيدي في واشنطن ليرسل المزيد من الشرطة الفيدرالية ؛ لأن الجماهير كانت قد أطبقت تماما على الكنيسة .

وفي الوقت الذي انهالت فيه الحجارة على الكنيسة أخذت الجماعات الشجاعة بداخلها تصل وتشد قائله : د سننتهر ، .

وظل الحصار لمدة ساعات طويلة ، ثم هدأت الحال قليلا ، ورأى مارتن أن يحاول إخراج الجماهير المحاصرة بداخل الكنيسة ، وخرج معه والف برناتى ، وبمجرد ظهورهما انفجرت قنبلة من قنابل الغاز قريبة من رأسه والتقطها أحد زملائه وألقى بها بعيدا عن مارتن ، وشده أحدهم إلى داخل الكنيسة حيث بقى فيها الليل كله مع الآخرين . وهذه الحركة تدل على مدى ولاء الناس لمارتن وخوفهم على حياته ، فقد كانوا يضعون أنفسهم فى أماكن الخطر لحمايته ، أو لمنع أى ضرر من الوقوع به . ورغم أنهم كانوا غير مسلحين إلا أنهم كانوا يحاولون حمايته بأشخاصهم وبأرواحهم . وكان لإخلاص مارتن للقضية وخدمتهم لها دون تفكير فى جزاء هو سبب هذا الحب . تمكن رجال الشرطة الفيدرالية ، بعد أن وصلتهم تعزيزات ، من أن يقمعوا جماهير المتعصبين . وتمكن المحاصرون فى آخر الأمر من العودة إلى منازلهم عندما انبج الصبح . ولكنها كانت ليلة ليلاء رهيبية لا يمكن أن تنسى ، فقد ظهرت فيها واضحة جليلة قسوة العنصرية وحدتها .

واستمرت مسيرات الحرية طوال الصيف وأنجزت الكثير ، رغم أنه ألقى القبض على الكثيرين من المشتركين فيها ، من بينهم العديد من الأسماء التى عرفت فيما بعد كقادة لحركة التحرير .

والحقيقة أن مسيرات الحرية نقلت الاحتجاج من ساحات الجامعات بالمدن الكبرى إلى القرى والبلد الصغيرة فى الجنوب ، وقد كان الشباب الجامعى المثالى فى ميسيسبي وألاباما ولوزيانا وجورجيا يمثل القاعدة العريضة لهذه الحركة فى الريف . وهكذا كانت حركة قساوسة الجنوب التى سارت على نفس النمط الذى اتبعه زوجى فى احتجاجات « الأوتوبيسات » مشارا لترحيب كبير بين طلاب جامعات الجنوب الذين كرسوا بحوداتهم لسياسة عدم العنف .

وطلب مارتن من كثير من هؤلاء الشباب الانضمام إلى جمعياته ، وانضم

وبات ووكر كدير تنفيذى لإحدى هذه الجمعيات ، وأحضر ووكر معه دوروثى كوتن وجيم وود ، ثم انضم إليهم جميعا فيما بعد برناردلى ، وهو طالب سابق فى كلية ألاباما ، وقاد الحركة فى هذه الولاية ، ثم أصبح فيما بعد سكرتيرا خاصا لمارتن وكان يصحبه فى معظم رحلاته . ومن مونتجمرى انضمت لىلى هنتر ، وهى أول سكرتيرة لمارتن فى كنيسة ديسكستر كما انضمت إلى الحركة أيضا دورا ماكدونالد من أتلانتا ، وهى التى عملت سكرتيرة خاصة لمارتن طيلة ثمانية أعوام .

وحوالى هذا الوقت تقدمت مؤسسة فيلد بمنحة مقدارها ٤٠ ألف دولار لمعاونة برنامج التوعية الانتخابى ، وهو البرنامج الذى نظمته كنيسة المسيح المتحدة ، واختير لهذه المنحة قسيس زنجى يدعى أندرو يانج ، وكان يعمل مع مارتن ثم انضم فيما بعد إلى عضوية الحركة وظل يترقى حتى وصل إلى منصب نائب المدير ، ولا يزال يحتل هذا المنصب حتى الآن .

وانضم إلينا القس جيمس بيفيل من ناشفيل ، كما انضمت فيما بعد زوجته ديان ناش . ومن برمنجهام جاء جيمس أورانج ، ومن شباب برمنجهام انضم إلينا ويل بولدن وليستر هانكروستون وبن كلارك . ومن أهم أعواننا فى هذا الوقت هوسيا ويليامز الذى يرجع إليه الفضل فى تنظيم المسيرة التى حدثت فى مارس ١٩٦٥ من سيلما إلى مونتجمرى ، وغيرهم كثيرون .

ومن الصعب على أن أحصر أسماء كل من أسهموا فى نجاح حركتنا ، ولكن كل هؤلاء وغيرهم يعتبرون بلا شك من العناصر القيمة جدا التى عملت مع زوجى خلال السنوات الاثنتى عشرة ونصف السنة من كفاحه من أجل الحركة . والواقع أن الجمعية قد ضمت الشباب والعقل والتكريس بين صفوف أعضائها ، مما أدى بمؤتمرها العام أن يحتل مكانا مرموقا بين الجمعيات التى تهدف إلى الإصلاح الاجتماعى .

وقادت الحملة التالية مارتن إلى ألباني بجورجيا . وألباني يبلغ تعدادها نحو ٥٠٠.٠٠٠ نسمة ، وتبعد حوالي ٢٧٠ ميلا إلى الجنوب الغربي من أتلانتا ، أى فى قلب العالم العنصرى . وكانت تعاني من التفرة فى كل نواحي الحياة بها وقد رأس حركة التحرير بها طبيب زنجى محترم يدعى ويليام أندرسون ، ويعمل معه اثنان من الشباب قانما بإنشاء مركز لتسجيل أسماء الناجين ، وكان هدفهم هو اتباع الخطوات التى تمت فى مونتجمرى .

وبدأت الحركة فى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦١ عندما جلس ثلاثة من الزوج الشبان واثنان من الكبار إلى مائدة فى مطعم محطة دالواتوبيس ، وطلبوا من الجرسون أن يخدمهم وألقى القبض عليهم . وفى اليوم العاشر من شهر ديسمبر وصلت جماعة من أعضاء مسيرة الحرية ، وعلى رأسهم قائدهم الشاب برناردلى ، لمساعدة المقبوض عليهم ولمساعدة جماعة أخرى كانت تحاول القضاء على التفرة فى محطات السكك الحديدية . وألقى القبض عليهم أيضا . وفى ١٥ من ديسمبر طالب العمدة أساكبلى بتجنيد وحدة من الحرس الوطنى فى جورجيا للقضاء على مثل هذه الاحتجاجات . واتصل الدكتور أندرسون بمارتن يطلب منه الدون .

والواقع أن حركة ألباني بدأت قبل أن يتدخل فيها مارتن الذى كان وقتئذ منهمكا فى توحيد الحركة وجعلها حركة وطنية شاملة ولم يرأية فائدة فى تفهيت قوتنا فى مواجهات محلية يمكن معالجتها عمليا . ورغم ذلك لم يرحض ضميره ولا شعوره بالمسؤولية إلا الاستجابة لطلب المساعدة .

ووصل مارتن ومعه رالف أبرناتى إلى ألباني فى الليلة ، وفى اليوم التالى سارا على رأس مظاهرة مؤلفة من نحو ٢٥٠ شخصا متجهين إلى دار البلدية . وألقى القبض على كل واحد منهم .

ودارت المفاوضات بعد هذا الاعتقال الجماعى ، ووافق المسؤولون على

القضاء على التفرقة في محطات د الأوتوبيس ، والسكك الحديدية ، ولقاء ذلك وافق المحتجون على وقف المظاهرات وأفرج عن المعتقلين . وفي نهاية ديسمبر وافقت شركة د الأوتوبيس ، على منع التفرقة في د أوتوبيساتها ، ، رغم أن المسؤولين رفضوا أن يجعلوا من هذا الإجراء أمرا رسميا . وقد رأى مارتن فيما بعد أنه كان من الأوفق من حيث الاستراتيجية أن نقبل هذه المسكاسب المؤقتة ونتوقف برهة حتى نتيح الفرصة أمام المجتمع ليؤقلم نفسه بسلام على هذه التغييرات ولكن قواد حركة ألباني كانوا قد ذاقوا طعم النصر ورأوا أن يواصلوا السير . وقد شجعهم مارتن نفسه على ذلك واقترح عليهم حملة مقاطعة لبعض المحال التجارية ، ولكن هذه المقاطعة لم تنجح ، فلم يكن لدى زوجي الوقت الكافي الذي يسمح له بمتابعتها .

وفي ٢٧ من فبراير ١٩٦٢ قدم مارتن ورالف وغيرهما للمحاكمة بتهمة التحريض على مظاهرات ألباني ولم يصدر عليهم حكم حتى اليوم العاشر من شهر يولييه ؛ فقد خير القاضي كلا من مارتن ورالف بين غرامة ١٧٨ دولارا وهـ يوما سجننا مع الاشغال الشاقة . ورفض الاثنان دفع الغرامة ولكن بنفس الطريق اتى استخدمت من قبل دفع الغرامة مجبول، وطرده الاثنان من السجن . واستمر الصراع طيلة صيف عام ١٩٦٢ ، ولكن المسؤولين في ألباني كانوا قد أصروا ألا يتزحزحوا عن موقفهم ، ورفضوا منح أية تنازلات أخرى . وفضلوا لإخلاق متزهات المدينة على جعلها مختلطة ، كما أغلقوا المكتبة العامة ولعل من أطرف ما يمكن ذكره في معرض حوادث هذه الفترة أن رئيس الشرطة ويدعى لورى بريشت لم يكن يمثل رجال الشرطة في الجنوب ، فلم يكن يتصف بالقسوة والوحشية المعروفة عنهم ، رغم أن بعض رجاله كانوا يمارسون هذه الصفات بشدة ، أما هو فقد حاول أن يتصرف بأدب ، كما بدأ أنه يعطف على قضيتنا ؛ فكان يسمح للمتظاهرين بالاحتجاج حتى نقطة معينة ، ثم يقول : ، علينا الآن أن ننفذ فإذا لم تنفذوا فسيقبض عليكم .

وكان المتظاهرون كثيرا ما يرفضون الانفضاض رغم هذه التحذيرات ، بل كانوا يركعون ويأخذون في الصلاة ، وكان بريثشت يشارككم في الصلاة ثم يلقي القبض عليهم بالعاج وإسوقهم إلى للسجن وهم يواصلون الإلشاد .

وجاء أناس كثيرون من المقاطعات المجاورة لمشاركة أهل الباني في احتجاجهم ، كما جاء ما يقرب من خمسة وسبعين قسا ما بين بيض وسود وبروتستانت وكاثوليك ، وقد ألقى القبض عليهم جميعا . وخلال يولية حدثت اضطرابات عنيفة قام بها نحو ألفين من المتظاهرين وألقوا فيها الزجاجات والحجارة على رجال الشرطة . وناشد مارتن المتظاهرين تنظيم يوم للغفران لهذه الاضطرابات ، كما نصح بأن يقتصر النشاط لمدة أسبوع على الصلاة والابتهاال .

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر يولية قاد مارتن رالف أبرناثي والدكتور اندرسون أول مسيرة لهذا الأسبوع ، وألقى مارتن القبض عليهم وزج بهم في السجن وحدد اليوم العاشر من شهر أغسطس لمحاكمتهم ، أى لأنهم سيظلون معتقلين لما يقرب من أسبوعين .

وكنت أنا في أتلانتا مع أولادنا الثلاثة ؛ فقد رزقت بولد أسميناه ديسكستر تيمنا بكنيستنا المحببة في هونتجمري ، وقد ولد في يناير ، وكنت أذهب بالسيارة لزيارة مارتن كثيرا ، وكان بريثشت عطوفا عليهم جميعا في أثناء فترة اعتقالهم وسمح لهم بكثير من الهدايا مثل الغذاء ، كما سمح لمارتن بالحصول على الكتب وجهاز لاراديو . أما السجن نفسه فقد كان قدرا للغاية ولسكنهم حاولوا تنظيف المسكان الذى اعتل فيه زوجى فقد كنت أتم رائحة المطهرات في كل مرة كنت أزوره فيها .

وذات مرة أخذت ولدى الكبيرين معى ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يريان فيها أباهما وهو سجين ، وقد سمح له بالخروج إلى الممر لرؤيتهما ،

فلم يره وراء قضبان الزنزانة . ولم يبد عليهما أى اضطراب لهذه الزيارة ، بل كانا يجران ويمرحان فى المعمر .

وكنا جميعا واثقين من أن المعتقلين سيحكم عليهما بالسجن ، ولذا فقد قررنا نحن الزوجات أن ننظم مظاهرة احتجاج بعد جلسة المحكمة . وكنت أنا ، وزوجة أبرنائى وزوجة أندى يونج ، وزوجة اندرسون ، وزوجة ووكر وغيرنا سنقوم هذه المظاهرة . ورأينا أنه لو تم اعتقال بعض النسوة لكان لهذا أثره الكبير فى الجمهور الأمريكى الذى قد يتحرك عندئذ . وكان لهذا الإجراء أثره فى نساء ألبانى حتى إن واحدة منهن وهى ديان ناش بيغيل وكانت حاملا فى شهرها التاسع — رفضت أن تعود إلى موطنها لتضع طفلها ، بل بقيت فى ألبانى لتشارك فى المظاهرة وتضع طفلها هناك .

ولسكن المحكمة أفرجت عن مارتى ورالف بعد أن حكمت عليهما بالسجن مع وقف التنفيذ ، وقد كان أسفى لهذا كبيرا ، فقد كنت أتوق إلى السجن والاعتقال .

وبمجرد الإفراج عن مارتى ورالف بدأ الاثنان فى تنظيم مظاهرة ضخمة ، وذاع خبر هذه المظاهرة ؛ إذ يبدو أن الشرطة كانت تتمجس على اجتماعاتنا ، وتمسك رجال الشرطة هذه المرة من استصدار أمر فيديرالى بمنع المظاهرة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يستطيعون فيها ذلك . وأنا أذكر أن زوجى قلق جدا لهذا النبأ وظل يفكر ساعات طويلة فى كيفية مجابهة مثل هذا الأمر . فقد كان حتى الآن يعصى القوانين المحلية ولا يعصى القوانين الفيدرالية . وكانت المحاكم الفيدرالية فى الجنوب قد رقت منا حتى الآن موقفا معتدلا ، ووجدنا أننا نجابه الآن أمرا من نفس هذه المحاكم ، ورأى مارتى أن الأمر يحتاج هنا منه إلى تقدير دقيق .

وكان الكثير من القادة ، ومن بينهم قادة الشباب ، يرون أنه ينبغي

عصيان هذا الأمر ، واتصل مارتن بوزير العدل والنائب العام وقتئذ — وكان روبرت كينيدي — وبحث معه المشكلة ، ويبدو أنه لم يتفهم موقفنا تماما ، بما زاد في قلق مارتن ، ونصح كينيدي بالتوقف عن المظاهرات في ألباني . ولكن مارتن قال له : إنك لا تدرك ما نحن بهدد مواجهته . . . وكانت خيبة أمله عظيمة .

وقضينا ليلة تمسة ؛ فقد رأى مارتن أن إلغاء المظاهرة سيؤثر تأميرا بالناس في الروح المعنوية لكل المشتركين في الحركة ، ورأى أن يعقد لجنة تخطيط مع كل زملائه في مساء نفس اليوم ، ولكنهم لم يحضروا ، إذ يبدو أن التعب كان قد أخذ منهم كل مأخذ . وآوينا إلى فراشنا بعد يوم شاق .

ورأى مارتن — بعد تفكير وتمحيص — أن يلغى المسيرة ، وقد أدرك فيما بعد أن هذا الإلغاء كان العامل الذي قضى على حركة ألباني .

وقد أسف مارتن كثيراً لقراره هذا فيما بعد ، وكان يقول : « الآن ، وبعد أن تمسكنا من الحصول على أمر فيديريالى ونجحوا فإنهم لم يتوقفوا ، بل سيعيدان الكرة المرة تلو المرة ، وسيبقى هذا القضاء علينا » .

وقد تعرض زوجي لنقد شديد لانصياعه لهذا الأمر الفيديريالى ، ولكن الواقع أن الحكومة الفيديريالية كانت دائما تقف إلى صفنا ، وبخاصة في المسائل الدستورية . ولذا فقد كان من العسير على مارتن أن يعارض أوامرهما ، فقد كانت الحكومة الفيديريالية هي الصديق الوحيد لنا في الجنوب .

ورغم كل هذه المشكلات التي أحاطت بحركة ألباني فإن هذه الحركة كان لها بعض النواحي الإيجابية في أنها أيقظت مشاعر الناس ، وأثارت وعيهم في الورطة التي يعيشون فيها ، كما منحتهم الكثير من الثقة واحترام النفس . ورغم

أن نجاحها لا يمكن مقارنته بنجاح حركة مونتجمري ، ورغم أن نتائجها لم تصل إلى ما وصلت إليه حركة مونتجمري، إلا أن كل مجتمع عليه أن يمارس نشاطه بما يتفق وأحواله المحلية ، وحركة ألباني وضعت حجر الأساس لكثير من الإصلاحات التي تمت فيما بعد في ولاية جورجيا .

وانتشرت روح التحرير إلى كثير من المقاطعات المجاورة ، كالقن أعضاء الجمعية المركزية درسا مفيدا في تجنب الجاهل ، كان سيأتي ثماره بعد ذلك من برمنجهام .

لقد رأيت أن أعداد الحوادث بتتابعها الزمنى يحدد كل ما كان يحدث في الجنوب من احتجاجات ومظاهرات ومقاطعة واعتقالات ، وأركز عليها حتى يستطيع القارىء أن يحصل على صورة واضحة لها ، ولكن الواقع أن حياتنا على المستويات الأخرى كانت هي الأخرى تسير قدما . كان مارتن يذرع البلاد طولا وعرضا ، ويلقى بالحطاب ليحصل على التأييد الأدبى والمادى للحركة ، وكنت أنا أقدم الحفلات الموسيقية . وفى ذات الوقت أتحدث فى بعض الاجتماعات بهدف مساعدة القضية .

فى أواخر مارس ١٩٦٢ — وكانت حركة ألبانى فى ذروتها — ذهبت من جماعة النساء المحتجات من أجل السلام لانضم إلى وفد الجمعية فى رحلته إلى جنيف بسويسرا ، الاشتراك فى مؤتمر حظر التجارب الذرية الذى كان منعقدا هناك . وكنت أهتم بمبادئ نشر السلام فى العالم ، فى أثناء أيام دراستى ، وقد اشتركت فى هيئة النساء الدولية للحفاظ على السلام والحرية فى أتلانتا . وكنت وما زلت على اقتناع تام بأن نساء العالم إذا ما اتحدن — بغض النظر عن الفروق العنصرية — لاصبحن قوة لا يستهان بها فى سبيل نشر السلام والإخاء .

وضفى عن الذكر أن زوجى كان هو الآخر مهتما بمشكلة السلم العالمى ، ولكنه فى الواقع انخرط تماما فى معركته من أجل الحقوق المدنية ، مما لم يدع له وقتا لحركة السلام هذه ، أما أنا فقد كان لدى الكثير من الوقت .

وهكذا فقد كانت رغبتى صريحة فى الذهاب إلى جنيف ، ولكنى وجدت صعوبة فى ترتيب أمر سفرى هذا ، وكان المؤتمر سيستغرق أسبوعا ، وكنت

مرتبطة بمحفلة موسيقية في سينمات في اليوم الذي كان مقررا أن يعود فيه الوفد من جنيف ، وكذلك كان على أبحاث عن شخص يرفع الأطفال خلال تغيب . ولما ناقشت هذه المشكلات مع زوجي قال لي : « أرى أنه يجب عليك الذهاب إذا كان هذا ممكنا ، وستكون تجربة ذات مغزى بالنسبة لك ، وأنا أريد فكرة ذهابك ، » .

ولما تأكدت من موافقة زوجي قررت أن أنضم إلى جماعة الحسين سيدة الذهاب إلى جنيف ، وكانت الجماعة مؤلفة من سيدات عاملات وأمهات لم يشتركن من قبل في أي نشاط سياسي ، وغيرهن من كان لهن باع طويل في هذا الميدان . وكان من بينهن أربع نساء زنجيات . وقد أعجبت بالجماعة كلها بمجرد أن التقيت بها في الطائرة ، فقد كن جميعا ذوات عقل راجح ذكي متزن . وفي جنيف انضمت إلينا جماعات أخرى من بلاد ، مثل : اسكندنافيه ، وانجلترا ، واستراليا ، وروسيا ولكن الجماعة الأمريكية كانت أكبر الجماعات عدداً .

وكن جميعا مهتمات بوقف الحروب ، وبخاصة وقف التجارب الذرية . وكان اعتقادنا أن وقف التجارب الذرية هو الخطوة الأولى في سبيل السلام ، وفي سبيل صالح البشرية جمعاء .

وانضمت الجماعة الأمريكية مع آرثر دين المشدوب الأمريكي ، ولكن بكل أسف كانت مقابلته لها جافة باردة ، فقد نظر إلينا على أننا جماعة من النسوة المصابات بالهستيريا ، وتصرف بما يوحى بأنه لن يتأثر بأية عواطف قد نظهرها . وفي الحقيقة أننا كنا في غاية الاضطراب والقلق ، إذ كنا نفكر في أثر هذه التجارب في تلويث أطعمة أطفالنا والإضرار بعظامهم وبحياتهم ذاتها ، وكنا نشعر بمنتهى الرعب والقلق لما قد تحدثه مثل هذه التجارب من أضرار .

أما المستر دين فقد بدا عليه أنه لا يلقى بالا على الإطلاق لمشاعرنا هذه ،

وكان ألمانا وجرحنا شديدين لهذه المعاملة ، وبخاصة أننا وجدنا أن مثل بلدنا أمريكا ، الذى عين ليعبر عن رغبات الشعب — ونحن أفراد — يعاملنا مثل هذه المعاملة .

وقبل أن يغادر اجتماعنا معه قال لنا بحدة : « اذهبن أنتن وتحدثن مع الروس ، لقد تعبنا من الحديث معهم ، فلماذا لا تجربين حظكن معهم ، ١٩ »

وكان هذا بالفعل ما عملناه ، فقد اجتمعنا مع الوفد الروسى ، ولا بد لى أن اعترف أن مقابلته لنا كانت أكثر أديا ، وأقاموا لنا حفل استقبال ، وتبادلنا معهم الحديث ، ودار الحوار على مستوى عال من الود . لقد كان التباين واضحا بين مسلك الوفد الروسى ومسلك وفد بلادنا .

والحقيقة أن الروس من أبرع ما يمكن فى فن الإعلام فهم يدركون تماما كيف يعاملون الناس ويتركون فى نفوسهم أثرا حسنا ، أما مندوب أمريكا فلم يبد عليه أنه يهتم برأينا ، بل حتى لم يحاول معرفة هذا رأى .

كنا ، مارتن وأنا ، خلال هذه الفترة من حياتنا نهتم بتربية أطفالنا بما يتفق وروح العصر ، وكان هذا فى الواقع هو شعور كل الآباء والأمهات من الزوج ، كانوا يريدون أن يشب أبنائهم دون خوف ، وأن يتخلصوا من المرارة التى عاينوها نحن . وهذا فى الواقع أمر صعب المنال فى مدينة تمارس فيها التفرقة العنصرية مثل أتلانتا ، كما أن نشاطنا فى الحركة زاد فى إمكانية تنفيذنا لهذا .

كانت يوكى كثيرا ما تعود إلى المنزل وتسألنا : « لقد سئمت يا ماما من أسئلة الناس ... هل أنت ابنة مارتن لوثر كينج » .

وكنتم أنا أحاول أن أفسر لها سبب كل هذه الأسئلة على مستوى يسمح لها بالفهم ، وأقول لها إن السؤال لا يرجع إلى أن أباه شخص مكروه ، بل

الواقع أنهم يسألونها لأنه شخص مرموق يحاول أن يساعد شعبه . . وأقول لها : « إن الناس يسألون عن أبيك لأنهم يحبونه ويقدرونه . »

ورغم كل هذا كان من الصعب على التوفيق بين المظاهر المتعددة لمركزنا التي كانت تؤثر في الأطفال ، ومن بين هذه المظاهر ما يستطیع الأطفال أنفسهم أن يرتكبوه من أعمال قسوة بعضهم تجاه بعض . وكانت يولندا طفلة حساسة ذات مقدرة فريدة على معالجة مشكلاتها .

و ذات يوم عادت من المدرسة وقد ارتسمت علامات الرضا على وجهها ، وقالت لي إنها ملكت كل ما يتعلق بالموضوع ، وإنها انتهزت فرصة خروج المدرس من الفصل والتفتت إلى زملائها وقالت : « لا أريد منكم أية معاملة خاصة ، بل أريد أن أحامل مثل أية تلميذة أخرى . . . »

ونظرت إلى هذه الطفلة ذات السبعة الأعوام وضحكت ، فقد استطاعت ببراعة الطفولة أن تعبر عما كان يحول في خاطر مارتن وخاطري بصدد تربيتها هي وإخوتها .

وكان اسم مارتن سبباً في مشكلات عديدة لابنتنا مارتن ، فقد كان عليه أولاً أن يتعلم أنه شخصية قائمة بذاتها رغم أنه يحمل اسم أبيه المعروف ، وكان عليه أن يدرك أننا في الجنوب ، وأن عليه أن يواجه المشكلات التي قد يثيرها البيض حولنا .

و ذات مرة ذهبت لإحضاره من مدرسته — وهي مدرسة مختلطة — بعد انتهاء الدراسة ، وبعد الانتهاء من مباراة في كرة القدم ، وكان معي أخوة ديكستر . وفي أثناء انتظارى نزل ديكستر من السيارة وذهب لأخيه ، وكما هي عادة الأولاد ابتعد الاثنان عن مكاني ، وكان علي أن أنادي عليهما بعد : وقفاً يتحدثان إلى اثنين من الطلبة الكبار من البيض وفي السيارة قال مارتن

لجأة : د انظرى يا أمى إلى هؤلاء الأولاد الكبار ، لقد سألوني عن اسم أبى ،
وقلت لهم إنى نسيته . .

وكان قلبى ينزف لسماعى هذا ، ولكنى أجبتته بركة : إناك لم تنس اسم
أبيك يا مارتن . . لماذا قلت لهم ذلك ؟ !

وطأطأ مارتن رأسه وقال : د لقد خفت يا ماما أن يضربونى . . .
وأدركت عندئذ أن ابنى يخاف من اسمه ، لأنه لو عرف فسيؤدى ذلك
إلى إيذائه .

لقد كنت أبكى وأبتهل إلى الله أن يحميه من مثل هذا الشعور ، وصحمت
على أن أكون دائماً يقظة لما قد يفرسه هذا الشعور فى نفسه وحاول أن أفضى
عليه فى الحال .

وكان مارتن فى الصف الثالث عندما التحق بهذه المدرسة المختلطة . وفى
اليوم الثانى لالتحاقه تقدم منه ولد فى نفس الصف وسأله : د اسمع ، ما اسم
أبيك ؟ ، وأجاب مارتن بكبرياء : د مارتن لوثر كينج . . . وقال الولد :
د آه إن أباك هو هذا الزنجى الشهير . .

وكنيت أنا ومارتن نحاول أن نثبت فيه روح الكبرياء بشعبه الزنجى ،
وأن كلمة زنجى لا تعمل أية إهانة .

إن من الصعب حقاً أن نفرس فى أطفالنا حب شعبهم ، ولكنه أمر حتمى
فى نفس الوقت . كان علينا أن نشعرهم بقدرهم وبقدر شعبهم ، رغم كل
ما كان يلقاه من ضغوط من مجتمع أبيض يحاول اليوم بعد اليوم أن يقول لنا
إننا أقل منه .

ولعل كفاحنا من أجل المساواة العنصرية كان من الأسباب التى سهلت
على أطفالنا تفهم هذه الروح . أما نحن فكنا نحاول جاهدين أن نبهدهم عن

كل مظهر قد يشير كبرياءهم . فمثلا إذا كنت أفود سيارتي ومعنى يوكي في حى من أحياء البيض ، ومررنا بساحة من ساحات اللعب ، وأبدت هى رغبتها فى أن تنزل لتلعب فى هذه الساحة كنت أقول لها : د إن الوقت قد تأخر وعائنا أن نعود إلى المنزل فقد أرف مروعد الغداء يا عزيزتى . . . ، كنت أحاول أن أجنبها مرارة أن تعلم أن الساحة للبيض فقط ، وأنه غير مسموح لها ، وهى طفلة زنجية ، أن تلعب فيها . كنت أحاول أن أمنحها الفرصة لتطوير قوتها الذاتية قبل أن تواجه مشكلة الزنجى المروعة فى المجتمع الأمريكى .

وكان مارتن فى خطبه كثيرا ما يقص واقعة حدثت لأطفالنا وجرحتنا جرحا أليما . فقد أقيمت ساحة اللعب فى أتلانتا مخصصة للأطفال وأطلق عليها اسم « مدينة المرح » وكانت الإعلانات العديدة قد سبقت افتتاحها ، وكان أطفالنا يرون هذه الإعلانات فى التلفزيون ويتابعونها وينشدون بعض مقاطعها .

وكانوا يناشدوننا أن نأخذهم إليها ، وكنا نحن نفتحل لهم الاعتذار محاولين ألا نقول لهم أن دعوة التلفزيون ليست موجهة لهم هم ، وكان مارتن يقول لهم : « لن نستطيع أن نأخذكم إليها هذا الأسبوع لأننى مضطر للسفر » . وظلت الحال هكذا أسبوعا بعد أسبوع إلى أن قالت يوكي أخيرا : « الحقيقة أنك لا تريد أن تأخذنا إلى مدينة المرح » .

ونظرت إلى عينيها اللتين عبرتا عن الأسى ، وقلت لها : « إن مدينة المرح ، يا يولاندا أقيمت بأيدى أفانس قرروا أنهم لا يريدون فيها الملونين ، وهؤلاء ليسوا مسيحيين فاضلين ، ونحن ملونون ، فلن نستطيع أن نذهب إليها » .

واغرورت عينا ابنتى بالدموع ، وسمعت نفسى أقول لها : « هذا لا يعنى يا عزيزتى أنك أقل شأنا من الأطفال الذين يذهبون إليها . فقد خلقنا الله

جميعاً ، ونحن كلنا أبنائه ، وقد خلق بعضنا سوداً ، وبعضنا حمراً ، وبعضنا صفراً ، والله يحب أبناءه الملونين فهم عديدون ، فلن يطول الوقت قبل أن تتمكن من الذهاب إلى مدينة المرح ، لأن أباك يكافح من أجل ذهابك إليها ، بل وذهابك إلى أى مكان تريدين الذهاب إليه .

وكانت هذه الحادثة البادرة الأولى التى جعلتها تفهم معنى وجود الزنجى فى عالم أبيض ، فقد فهمت يوكى أنها زنجية وأن هناك أما كن محرمة على الأطفال الزنوج ، وبكت لأنها أحست بالالم ، ولكنها فهمت فى الوقت نفسه معنى كفاح أبيها ، فهمت أن الأمور قد تتغير ، وفهمت مغزى تنبيه الطويل وسفره المتواصل .

وسمعنا بعد ذلك ، خلال عام ١٩٦٣ ، أنه تم القضاء على العنصرية والفرقة فيما يختص بمدينة المرح ، وقررنا أن نصحب الأطفال إليها . وكان سرورهم عظيماً لهذا التبا ، وأمضينا جميعاً وقتاً رائعاً فيها ، وركبنا مع الأطفال جميع الألعاب بها ، وكان مارتن يبدو وكأنه طفل صغير وهو يضحك ويمرح مع أولاده .

وفى أثناء وجودنا بمدينة المرح تقدمت منا امرأة بيضاء وسألتنى : د هل أنت المسز كينج ؟ .

ولما رددت عليها بإيجاب قالت : د كم أنا سعيدة لوجودك هنا ، وهل هذه ابنتك ؟ ، ونظرت المرأة إلى ابنتى وقالت ثانية : د كم أنا سعيدة بوجودكم هنا .

والآباء الزوج تعترضهم مثل هذه المشكلات كثيراً . والحقيقة أن كل مظاهر الحياة فى أمريكا تنادى بأن يكون الشخص أبيض ، فالإعلانات فى التلفزيون ، والأغاني ، والأناشيد ، تمجد كلها الملامح البيضاء ، أما الدين

لا تنطبق عليهم هذه الملامح فهم قبيحو الخائفة . وهذا يرجع في الواقع إلى أيام العبودية . فذرو الملامح الزنجية كانوا يلقون الأمرين من أسيادهم ، أما هؤلاء الذين تقرب ملائحتهم من ملائح البيض ، حتى ولو كانوا من أصل زنجي ، فقد كان السادة يعاملونهم معاملة أحسن .

والآن وبعد أن ظهر شعار : « الأسود جميل » ؛ وهو الشعار الذي اعتقد أنه من أكثر العوامل البناءة في تغيير نفسيات الناس ، تبدلت النظرة ، وأصبح أطفالنا ينظرون إلى لون جلدهم نظرة سليمة . وذات يوم قالت لي يولاندا — وكانت في السابعة من عمرها : « ما السبب في أن البيض أجمل من السود يا أمي ، ؟ »

ودعشت ؛ فقد كنت أظن أنني نجحت في مقاومة مثل هذا المفهوم ، وأجبتها : « هذا ليس صحيحا يا يولاندا ، إن الجمال موجود في كل العناصر . » وعارضتني بشدة قائلة : « كلا ، إن البيض أجمل من السود . »

والتقطت نسخة من مجلة « ايبوني » ، وجاسيت بجانبها أقلب صفحات المجلة الزنجية وأشير إلى بعض الصور وأقول : « انظري كم هي جميلة . » أو « انظري كم هو مليح » . ولما انتهينا نظرت إلى يوكي وقالت : « الحقيقة يا ماما أن الزفوج أجمل من البيض » .

وكدت أصيح في وجهها : « كلا ، ولكني آثرت الصمت ، فقد كان كلامي سيستوجب مني الشرح من جديد . »

والواقع أن أملنا في الوصول إلى الحل الصحيح هو الذي يدفعنا إلى كل هذا الصراع ، وكان حافزا لنا على المعنى بسرعة ، وكان مواطنونا من البيض يحثوننا على الانتظار . ولكن الحقيقة أن أطفالنا كأي أطفال آخرين في العالم ليس أمامهم سوى حياة واحدة ، وطريق واحد للتعليم ، وفرصة واحدة لاستعادة كرامتهم واحترامهم لأنفسهم . لهذا فنحن بحاجة إلى التحرر الآن ،

وليس بعد عشر سنوات . ولو كنا انتظرنا حتى يتم اختلاط كل مدارس الجنوب لما حصل أولادنا على فرصة للتعليم متساوية مع فرص الآخرين . وإذا طلب أحد منا الصبر ، أو من أى آباء زوج آخرين ، فسيكون هذا معناه أن نحرّم أولادنا من حقوقهم الطبيعية التى منحها لهم الله عند مولدهم .

ولقد كان مارتن — رغم تغيّبه الطويل عن البيت — أبا رائعا . وكان أولاده يحبونه إلى درجة العبادة ، وكثيرا ما كان يجلس معهم إذا اضطرتت أنا إلى الخروج لأداء بعض المهام ، وكان يدايعهم ويلعب معهم ، وكثيرا ما كنت أدخل غرفة النوم لأجده على السرير وقد حمل أولاده على كتفيه وظهره وقد أثاروا الفوضى فى الغرفة . وكنت أغضب لهذه الفوضى ، ولكن مارتن كان يلومنى على غضبى هذا . . .

كان مارتن كثيرا ما يدايع يوكى ويضعها على التلاجة ، ويطلب منها أن تقفز بين ذراعيه ، وكانت هى ولوعا جدا بهذه اللعبة ، أما أنا فكنت أخاف عليها منها .

ومن الألعاب الأخرى ، التى ابتكرها بعد ، لعبة اسمها « لعبة التقييل » ؛ فكان بمجرد دخوله إلى المنزل يقول لباتى — وهى أصغر أولادنا — : « أعطنى قليلا من السكر » . وكانت تسرع بتطويقه بذراعيها وتقبيله . ثم يسألها عن مكان السكر الخاص بديكستر مثلا فتسرع بتقبيله ثانية ، ثم يسألها عن مكان السكر الخاص بمارتن فتسرع بتقبيله ، إلى أن تجد أنها قد قبلته فى كل مكان من وجهه ؛ وتنتهى اللعبة .

وفى بعض الأمسيات كان مارتن يجلس إلى الأطفال ويقرأ لهم من الكتب المفضلة عندهم ، وكانوا يسعدون بذلك جدا ، كانوا يسعدون بوجودهم مع أبيهم دائما .

ورغم انشغال مارتن في عمله في كنيسة لايبينزر وفي عمله في الحركة ، فقد كان دائما يجد الوقت للملاعبة أولاده .

كانت الدروس تلقينهاها في ألباني سيبا في نجاحنا في برمنجهام ، ففي مايو ١٩٦٢ اقترح القس فريد شاتلورث أن تنضم جمعيتنا إلى حركة ألاباما المسيحية التي كان يقودها هو ، وهي حركة كانت تنادى بحملة واسعة لضمان حقوق الإنسان وللمعارضة التفرقة في برمنجهام . ووافق مجلس الإدارة على هذا الضم ، واسكن العمل وفقا له لم يبدأ حتى أوائل ١٩٦٣ .

والحقيقة أن هذا القرار كان يتصف بالجرأة الشديدة . فبرمنجهام مركز صناعي هام يعتبر من أغنى مراكز ولاية ألاباما وكان معظم أهلها من البيض من العنصرية المتطرفين ، وعمدتها — ويدعى آرثر هينس — من عمد التفرقة العنصريين . أما رئيس الشرطة فيها فقد كان عنصريا إلى درجة أن أطلق عليه اسم « الثور » لقسوته ووحشيته . وما زاد الطين بلة أنه في نوفمبر ١٩٦٢ انتخب جورج والاس حاكما لولاية ألاباما ، والاس من المعروفين بآرائه المتطرفة ، وقد نظم بمجرد انتخابه حملة شديدة كان شعارها «التفرقة إلى الأبد» ، ورغم أن ٤٠ في المائة من تعداد برمنجهام كان من الزوج ، إلا أن عدد أسماء الناخبين المسجلين في السجلات لم يزد على عشرة آلاف من بين تعداد المدينة البالغ ثمانين ألفا . وخلال السنوات الخمس السابقة ما بين ١٩٥٧ — ١٩٦٢ حدثت في برمنجهام سبع عشرة حادثة انفجار لقنابل داخل كنائس الزوج ومنازلهم ، ولم تمتد الشرطة إلى معرفة الجناة ، وكان العنصريون يبدأون على إهانات الزوج والاعتداء عليهم ، بل وقتلهم دون أي تردد . وقد عبر مارتن عن هذه الحالة بقوله : « إن برمنجهام هي المدينة التي تأخذ فيها العنصرية أقصى شكل ، ومن بين مدن أمريكا ، فإنها تعتبر المدينة التي تمارس فيها كل أنواع الاضطهاد والشرور تجاه الزوج » .

وفي الوقت ذاته كان قائم حركه التحرير فيها — وهو شاتلورث — من
أجراً قواد حركاتنا ، فقد بعث بأبنائه إلى مدرسة مختلطة محاولاً بذلك كسر
شوكة التفريق العنصرية ، وتحمل في سبيل ذلك الضرب والاعتداء المتكرر
على منزله وكنيسته ، كما اهتمت زوجته واعتدى عليها بالضرب ، وكذلك
كانت الحال مع جميع أفراد أسرته . وكان شاتلورث قد أصبح رمزاً للكفاح
ضد الظلم الاجتماعي .

وكانت الجمعية التي يتزعمها من أقوى فروع الجمعية الرئيسية في الجنوب .
وفي يناير عام ١٩٦٢ انضم طلبة كلية مايلز إلى أعضاء الجمعية ونظموا مقاطعة
لكل المحلات التجارية في برمنجهام . ونجحوا في هذه المقاطعة . وكان مارتن
يرى أنه بالرغم من أن حملة برمنجهام ستكون من أفسى المعارك في تاريخ حركه
الحقوق المدنية ، فإنها لن تجت فستقتضي على التفريق بأسرها في الجنوب كله .

وواصلت الجمعية انعقادها لمدة ثلاثة أيام لتنظيم هذه الحملة ، وتوجه مارتن
إلى برمنجهام معه : ويات ووكر ، ووالف أبرمائي واندی يونج ، وكان
ذلك في أوائل مارس ١٩٦٣ ، وأعدوا مقراً للقيادة في أحد الفنادق في الحي
الزنجي . وهناك اجتمعوا بشاتلورث وزملائه ليضعوا تفاصيل خطة المقاطعة
وكان المؤتمر العام لجمعية التحرير قد انعقد قبلاً في برمنجهام في سبتمبر
سنة ١٩٦٢ ، مما أعطى الحركه الجديدة دفعة قوية إلى الامام . وأخذ أعضاء
الجمعية يبدأون العمل في يناير . وكان الجميع قد أيقنوا أن تجربة ألباني أثبتت
أن تفريق المتظاهرين بإطلاق الرصاص عليهم لم يعد السبيل للقضاء على الحركه ،
وأن الرصاص وحده لا يكفي حتى من جانب المحتجين أنفسهم . ولذا فقد
قرروا سياسة التركيز على المقاطعة ، مقاطعة المطاعم ، والمحلات التجارية ودورات
المياه . وكان المقرر أن تبدأ مظاهرات الإصلاح يوم ١٢ مارس ١٩٦٣ ،
فقد كانت هناك حملة انتخابية يوم د مارس لإعادة انتخاب رئيس الشرطة

القاسى الذى سبق ذكره . وكان أمامه اثنان من المرشحين الذين عرفا باعتدالهما
بعض الشيء . ورأى مارتن ألا يفعل ما قد يودى إلى نجاح هذا الرجل .

وسار العمل بدقة وبمنظام ، وكان بعض زملائنا قد بدأوا بالفعل فى نشر
الوعى بين الناس وحثهم على عدم العنف ، كما كان من مهامهم أيضا تجنيد
بعض من سيشترون فى المظاهرة . وتكررت رحلات مارتن ورالف وكرر
إلى برمنجهام . وهناك وزعت بطاقات على كل من يريد الاشتراك فى الحركة
متوقعا الاعتقال والسجن ، وكان مكتوبا على هذه البطاقات :

١ — أتعهد بأن أكرس شخصى وحياتى وجميعى لحركة عدم العنف ، ولذا
فسألتزم بالوصايا العشر التالية :

١ — أفكر كل يوم فى تعاليم المسيح وفى حياته .

٢ — أتذكر دائما أن حركة عدم العنف فى برمنجهام تستهدف العدالة
والوثام لا النصر .

٣ — أتحدث وأنصرف بلغة الحب ، لأن الله هو المثل الأعلى للحب .

٤ — أبتلى يوميا لله أن أكون أداة لتحرير الإنسان .

٥ — أضفى بكل رغباتى الشخصية حتى يتحرر البشر جميعا .

٦ — أتوخى مع العدو قبل الصديق جميع قواعد الادب واللياقة .

٧ — أقوم بأداء الخدمات لغيرى من الناس فى جميع أرجاء العالم .

٨ — أبتعد عن عنف اليد واللسان والقلب .

٩ — أحاول الاحتفاظ بصحتى الجسمية والروحية .

١٠ - أتبع تعاليم الحركة وقوادها في كل ما يتصل بالمظاهرات .

وفي الوقت ذاته دعا هارى بيلافونت ، الفنان المعروف ، إلى عقد اجتماع يحضره ٧٥ شخصا من الرجال المبرزين في نيويورك ويقام في منزله . وذهب الثلاثة : مارتن ، وشاتلورث ، ورالف إلى هذا الاجتماع ، وتحدثوا إلى المجتمعين عن الاخطار التي تحيق بحركة برمنجهام ، وقال لهم فريد شاتلورث الذي تحمل الكثير من جراء هذه الحركة : « علينا أن نعد أنفسنا للوثة قبل أن نفكر حتى في البدء في الحياة ».

وتساءل الناس الطليعون في أرجاء البلاد : « ماذا نستطيع أن نقدمه من مساعدات ؟ ».

وأجاب مارتن إن الحركة بحاجة إلى آلاف الدولارات حتى تكفل دفع الضمانات عند الاعتقال . وألفت لجنة لهذه الغرض . كما قامت جمعية لوس أنجلوس بجمع الكثير من التبرعات ، وكذلك جمعية فيرجينيا ، كما تولت هيئة الدفاع القانوني خوض معاركنا في المحاكم .

وفي يناير ١٩٦٣ اجتمع زوجى ومعه رالف أبرناتى وفريد شاتلورث مع الرئيس كينيدي والنائب العام روبرت كينيدي بالبيت الأبيض ، وكان الهدف هو حث الحكومة الفيدرالية على السير قدما بقانون الحقوق المدنية . وكان آل كينيدي جميعهم يعطفون على قضيتنا ؛ ولكنهم قالوا إنه ليست لديهم أية خطة لهذا . وقال الرئيس كينيدي إنه سيعرض في الدورة القادمة بعض التشريعات المحلية الهامة ، لأنه يخشى أن يؤدي عرض أى شيء يتصل بالحقوق المدنية إلى انقسام الكونجرس ، وهو ما لا يريد حتى لا يعرض هذه القوانين للخطر .

وبطبيعة الحال أصيب مارتن بخيبة أمل كبيرة ، فقد أدرك أنه لا خيار

أمامه إلا مواصلة خطاه هو للوصول إلى مواجهة في برمنجهام حتى يرغم الحكومة الفيدرالية على اتخاذ خطوة ما . وصرح للرئيس بنواياه ، لأنه كان يرى أنه سيكون بحاجة إلى معونة الحكومة الفيدرالية في حالة اندلاع الثورة البيضاء ، كما كان يهدف إلى أن يكون الرئيس على علم بما سيجري مقبلا .

وفي الانتخابات التي جرت في مارس ١٩٦٣ لم يفز واحد من المرشحين الثلاثة بأغلبية الأصوات . ولذا فقد أعيدت الانتخابات بين اثنين منهم ، هما باوتويل وكونر ، واضطر مارتن مرة ثانية إلى تأجيل المظاهرة .

وفي الانتخابات النهائية فاز باوتويل ، ولكن كونر أثار نقطة تشريعية فنية لا يستطيع معها الحاكم الجديد ممارسة سلطاته قبل عام ١٩٦٤ ، وهذا يعني أن كونر ظل حاكما . وأحس مارتن أنه لا جدوى من تأخير المظاهرات وبدأت حركة برمنجهام .

وكنيت في ذلك الوقت أنوقع ميلاد طفلنا الرابع ، وكان زوجي متغيبا معظم الوقت ، ولكن الساعة التي ينبغي أن يوجد فيها في برمنجهام كانت قد قربت . وخشيت أن تأتي هذه الساعة قبل أن أضع طفلي ، ولكن لحسن الحظ أنت برئيس ابنتنا الرابعة في الثامن والعشرين من شهر مارس ، وحننر مارتن ولادتها وأخذني بنفسه إلى المستشفى . وفي اليوم التالي لولادتها غادرنا إلى برمنجهام ، ثم اضطر إلى العودة سريعا ثانية إلى أتلانتا ليأخذني إلى المنزل ، ثم غادرنا في نفس الليلة إلى مقر عمله .

والحقيقة أن مثل هذه الأوقات الصعبة هي التي يحتاج فيها المرء إلى أصدقائه . وكانت صديقتي في هذه الفترة هي راشيل وارد التي لم تتركني لحظة واحدة ، بل ظلت بجانب ترطاني وترعى أبنائي . ورغم أنها كانت تدير دصالونا ، للتجميل إلا أنها لم تتركنا لحظة واحدة ، وظلت معي حتى استعدت قوتي وأصبحت قادرة على إدارة شؤون منزلي .

وكنّت أحس بفراغ شديد لغياب مارتن ، واهل هذا هو شعور كل زوجة عندما تضع وليدها ، فهي تريد أن يكون زوجها بجانبها دائما حتى يتقاسم الاثنان هذه التجربة الرائعة ، ورغم أنى كنّت قد مررت بها ثلاث مرات من قبل إلا أنى كنّت أحس بوحشة شديدة . وأيقنّت رغم ذلك أن همل مارتن لا يمكن تأجيله ، وأن وجوده فى برمنجهام أمر حتمى لا مفر منه . والواقع أنى أسفّت أشد الأسف لهدم وجودى معه فى أثناء هذه التجربة ، فقد كنّت أعلم أنه يتوقع الاعتقال ، وبالطبع هذا ما حدث بالفعل .

وفى برمنجهام لقي مارتن معارضة شديدة لبعض آرائه حتى بين الزوج أنفسهم . والسبب فى ذلك بالطبع يرجع إلى قسوة العنصرية السائدة فى هذه البلدة ، فقد أيقن الزوج أنه لافائدة ترجى من محاولة مقاومة النظام القائم ، وهذا ما حاول البيض لفهامهم إياه على مدى السنين . كما أحس بعض قادة برمنجهام من الزوج أن الوقت المختار غير ملائم ، وأن من الأوفق منح فرصة للحكومة الجديدة فى الولاية ، كما أن شعور الامتعاض بأن الذين يقودون الحركة زعماء من خارج البلدة كان أيضا قائما . وحاول مارتن تخفيف حدة هذا الشعور بما كان يلقيه من خطاب الواحدة تلو الأخرى ، وكما قال فيما بعد : « لقد أيدنى الله ومنحنى القوة للقضاء على هذا الشعور ، وعلى المخاوف والشكوك والالتباسات التى كانت مائدة ، لقد حولت كل هذه المشاعر إلى إيمان وحماسة ، وبدأ عهد جديد لا تستطيع كل قوى الشر ولا يستطيع الحاكم كونه امتصاص عوامله ، »

وبدأت الاحتجاجات فى اليوم الثالث من شهر إبريل ١٩٦٣ ، ودخل الزوج إلى المطاعم وجلسوا فيها وطلبوا الخدمة . واهتقل فى الايام الثلاثة الأولى ٣٥ شخصا ، وفى اليوم السادس من شهر إبريل تقدمت مسيرة مسالة إلى دار البلدية ، واعترضتهم الشرطة ، واعتقلت ٤٣ شخصا من بينهم بتهمة التظاهر دون ترخيص ، ونقلوا فى عربات الشرطة إلى السجن وهم ينشدون

أناشيد الحرية ، وقد وقفت آلاف الجماهير الزنجية على جانبي الطريق تحميمهم
وتنشد معهم .

واستمر تنظيم المظاهرات كل يوم ، مع ازدياد قوتها . وحتى ذلك الوقت
كان تصرف رجال الشرطة لا غبار عليه ، رغم أنهم ألقوا القبض على ما يقرب
من خمسمائة زنجي خرج بعضهم من السجن بكفالة وبقي الآخرون داخله .

في هذه الفترة كان مارتن يعمل جاهدا مع تجار المدينة وكبار موظفيها على
قبول مقترحاتنا المعتدلة التي تناهض في القضاء على العنصرية في المحال العامة ،
وتعديل قوانين استخدام وتشغيل الزوج ، وإسقاط التهم عن المعتقلين ،
 وإقامة لجنة مشتركة من البيض والسود لبحث الإجراءات المتبقية للقضاء
على العنصرية في برمنجهام . ووافق التجار على هذا الاقتراح . أما الموظفون
فرفضوه .

وتمسكن هؤلاء الموظفون من استصدار تشريع ضد المتظاهرين ، أقرته
محكمة في ألاباما ، محكمة ولاية وايسيت محكمة فيديرالية ، وسرعان ما أعلن مارتن
أنه لن يذعن لهذا التشريع ، وقال إن الزوج ليسوا إرهابيين يروجون للفوضى ،
بل الواقع أن محاكم ألاباما هي التي أساءت استخدام القانون ، وقال : « إن
ضماثرنا لا نسمح لنا بإطاعة أوامر هذه المحاكم . وما كان من المحكمة إزاء هذا
إلا أنها أعلنت رفضها لكل طلبات الكفالة ، وأن دفع الكفالة ينبغي أن يتم
نقدا وعلى الفور .. وبالطبع لم يسكن لدينا المال اللازم لهذا الإجراء .

واختار مارتن يوم الجمعة الحزينة . ، الثاني عشر من شهر إبريل لإعلان
العصيان ، وقد تعمد اختيار هذا اليوم بالذات لما يحمل من مغزى ديني له
أكبر المعنى . وفي صباح هذا اليوم عقد اجتماع عاصف في الفندق حضره
دادى كينج ومعظم القادة الآخرين . وكان الكثيرون منهم يرون ضرورة
الانصياع لقرار المحكمة . وأدرك مارتن أنه لا يستطيع معارضة الأغلبية ،

ونذكر أن الانهيار لآمر المحكمة الفيدرالية كان السبب في القضاء على حركة
الباني . وبعد مناقشات حامية قال مارتن : « أرجو أن تتركوا لي من الوقت
ما يسمح لي بالتفكير في هذه المسألة » .

وترك مارتن لفقرة نصف ساعة وحيدا في غرفته ، ولما خرج منها كان
يرتدى ملابس العمل الزرني ، وقال : « لقد رأيت أن أخطو خطوة مليئة
بالإيمان ، فقد قررت أن أدخل السجن . ولا أعلم ماذا سيحدث ، لا أعلم إذا
كان مقدرا لهذه الحركة أن تستمر ، أم أنه قد كتب عليها الإنهيار ؟ . وإذا
كان بعض الناس هنا على استعداد لدخول السجن فإن هذا سيرغم موظفي
المدينة والحكومة الفيدرالية ، على اتخاذ خطوة ما ، وسأذهب إلى السجن اليوم » .

والتفت مارتن إلى رالف ابرناث وقال : « أنا أعلم أنك تريد العودة
إلى منبرك في عيد الفصح ، ولكنني أطلب منك أن تنضم إلي » .

وأجاب رالف : « لقد دخلت السجن معك مرارا وإن أتركك هذه
الليلة » .

وأمسك الجميع بعضهم ببعض وأخذوا ينشدون : « سننتصر » . وعانق
مارتن أباه وركب الجميع السيارات إلى الكنيسة حيث كان مقررا أن يبدأ
المسيرة ، وتوجه مارتن إلى المنبر ليلقي على الجماهير المحشدة بقراره الأخير .

وأخبرني الناس فيما بعد أن خطبته كانت رائعة ومشيرة للإحاسيس ، فقد
قالوا إن أحوال برمنجهام السيئة قد أظهرت له أن التغيير لن يحدث دون ألم ،
ثم تحدث عن كيف أنه يبغى خدمة ربه وخدمة المسيح الذي صلب يوم الجمعة
الحزينة ، ولذا فقد قرر دخول السجن » .

وهتفت الجماهير مؤيدة كلامه ، وصاح واحد منها يقول : « ها هو ذا
يسير » كما سار المسيح . . . وتبعه الجماهير إلى خارج الكنيسة .

وقد كتب مارتن عن تجربته هذه يقول : « لقد رأيت قوة الشرطة بأسرها خارج الكنيسة ، وتوجهنا صوب الشوارع المحرمة علينا ونحن ننشد ونغنى ، وتجمعت الجماهير الزنجية على جانبي الطريق . وعندما اقتربنا إلى وسط المدينة ، أمر الثور الوحشي كونر رجاله بإلقاء القبض علينا . وتقدم مني أنا ورفاق اثنان من رجال الشرطة ذوي العضلات ، وأمسكا بركة كل واحد منا ، وألقيا القبض علينا وعلى الآخرين .

زوج مارتن في زنزانه منزعلة عن رالف لأول مرة ، ولم يسمح حتى لحمايهما أن يرياها . وقال مارتن : « لقد مرت على هذه الساعات ببطء شديد لم أعده من قبل . » وزاد قلقه على أصدقائه ، وعلى الحركة ، وعلى مولودنا الجديد ، وعلى أطفالنا وأطفال الآخرين .

أما أنا فقد بقيت أنتظر في أتلانتا على أحر من الجمر . ولما وصلتني أنباء اعتقال مارتن أيقنت أنه لا بد أن يتصل بي تليفونيا من السجن ، لأن هذه كانت دائما عادته . ولكن المكالمات لم تأت ، وانتظرت لثاني يوم ، وفي يوم عيد الفصح توجهت إلى الكنيسة حيث كان شقيق مارتن يلقي بموعظة العيد . ومن الكنيسة قاد جماعة من أتباعه إلى السجن حيث أقيمت الصلوات من أجل مارتن وزملائه ، وبعد ذلك ألقى القبض على هؤلاء أيضا .

أما أنا فلم يصلني أى نبأ ، واتصلت تليفونيا بويات ووكري برمنجهام فقال لي : « لم أستطع الاتصال بمارتن رغم محاولاتي المتصلة فهم لا يسمحون لأحد بالاتصال به ، فهو مسجون في عزلة تامة . »

وسألته عما إذا كان إدلائى للمصحفين بديان سيفيد في أية ناحية ، وقل لي ويات إنها فكرة جيدة ، بل وطالب مني الاتصال برئيس الولايات المتحدة .

وفكرت في كل هذا وقلت له : د سأحاول ، ولكن أرجوك أن تسأل
مارتن أولاً قبل أن أتخذ مثل هذه الخطوة . .

وكان عيد الفصح هذه المرة ذا مغزى كبير عندي ، وانظرت رد ويات ،
وأخيراً اتصل بي ، وقال لأنه لم يستطع الوصول إلى مارتن ، وأنه لم يعد أمانى
سوى الاتصال بالرئيس . .

واتصلت بالبيت الأبيض عدة مرات لأحصل على رقم تليفون الرئيس في
بالم بيتش حيث كان يقيم ، ولكن حامله التليفون كانت تقول لى لأنه ليس
لديها الرقم في بالم بيتش. وكنت أطلب منها أن توصلني بنائب الرئيس جونسون
ولكنه كان هو الآخر خارج المدينة ، وأخيراً قلت لها بجدّة : د لا بد أن
هناك من أستطيع الاتصال به . .

وكانت سيّدة رفيقة ، فأوصلتني ببير سالفجر ، الذي قال لى لأنه سيحاول
الاتصال بالرئيس ، وسيحاول أن يصلني به . وانظرت ... واتصل بي هارى
بيلافونت وقال: د لقد كنت أفكر فيك وفي الأولاد وأرجوك الاتّفاق بسبب
مارتن . . وأجبتني شديدة القلق ، لأن مارتن لم يتصل بي ، ولأنى أحاول
الاتصال بالرئيس . وذعر هارى لسماعه هذا النبا ، ولكنى شرحت له جميع
الظروف وأهمته ضرورة اتّخاذ أية خطوة حتى أسمع صوت زوجي ، وقات
له لاني لا أحاول إخراج مارتن من السجن ، بل أريد فقط الاطمئنان عليه .
وكنا نحن الاثنين نعلم أن مارتن نفسه لا يريد مغادرة السجن .

وزاد قلقي وانزعاجي ، وكدت أسافر إلى برمنجهام لأكون بالقرب من
زوجي . وأخبرت هارى بكل هذا ، ولكنه — وهو الصديق المخلص الوفى
طمأنني وطلب منى أن أستاجر سكرتيرة للرد على التليفونات العديدة ، واستاجر —
مربية د دادة ، للأطعام ، وأنه على استعداد لتغطية كل النفقات ، وعبر عن
رغبته في أن يصحبني إلى برمنجهام .

وبينما كنا نتكلم دق جرس التليفون الآخر، وعندما رددت سمعت صوتاً مألوفاً لدى يقول : « أنا روبرت كيبيدي يامسر كينج ، النائب العام ، وأنا أريد بالنيابة عن أخى ، الرئيس ، فهو لا يستطيع الاتصال بك لأنه بجانب أبيتنا المريض ، وقد طلب منى أن أتصل أنا بك وأقدم المساعدة » .

وانهمرت الكلمات من فمى : « لقد اتصلت لاني قلقة جداً على زوجى ، ولا بد أنك تعلم أنه فى السجن فى برمنجهام . وقد دخله يوم الجمعة ولم يستطع أحد حتى الآن الاتصال به . وكان من عادته الاتصال بى تليفونيا ولكنى لم أسمع صوته ١١ وقد فهمت أنه معزول تماماً هو والقس أبرنائى ، وقد كنت أرجو أن يتمكن الرئيس من بحث الموقف للاطمئنان على سلامة زوجى » .

وحاولت أن أفهم روبرت كيبيدي أنى قلقة على زوجى ، ولا أسعى لإطلاق سراحه ، وقلت له لأنه ينبغي أن يسمح له بمقابلة محاميه ، كما أنه من الأفضل أن يسمح له بفراش وأغطية بدلاً من النوم على سرير من الحديد البارد دون غطاء أو وسادة .

وقال النائب العام : « لاني آسف أشد الأسف لآنك لا يمكنك الاتصال بزوجه » . ولكن على أن أصارحك أننا نجد صعوبة فى التعامل مع الموظفين المحليين ، والمحافظ نفسه شخص صعب المراس ، وقد نستطيع التصرف عند تولى الحكومة الجديدة لولاية مقاليد الأمور ، ولكنى أعتقد بأن أبحث الأمر وأوفيك بالإنباء » .

وكان يبدو على النائب العام أنه مهتم كل الاهتمام ، فقد اطمأن قلبى بعض الشيء بعد انتهاء المكالمة ، فقد بدا لى بعض الأمل .

ولكنى لم ألتق أية أنباء قبل اليوم التالى ، إذ دق جرس التليفون ، ولما انقطعت الساعات كان المتكلم هو ابنى ديكستر الذى لم يتعد الثانية من عمره ،

وسمعت صوت عاهلة التليفون تطلب منى لإبعاده عن التوضيعة، وسمعتان ما سمعت صوتنا مألوفاً يقول لى : د هالو يامسر كينج ، أنا آسف إذ لم أستطيع الاتصال بك بالأمس ، ولكنى كلّفت أخى بالاتصال بك وأنا أريدك أن تعلمى أنى كنت بجانب أبى المريض ولم أستطع تركه .

وفهمت أنه الرئيس كينيدى بالطبع ، إذ كان قد تدخل ديكستر فى الخط سبباً فى ألا أسمع عاهلة التليفون وهى تعلم لى مكانه الرئيس . وقالت له لى : آسفة لمرض أبيه ، أما هو فسألنى عن حالى ! وقالت له لى : قد رزقت بطفل جديد ، ولى فى حالة صحية طيبة ولكنى قلقة بشأن زوجى .

وقال الرئيس كينيدى : قد يهمك أن تعلمى أننا أرسلنا رجال المكتب الفيدرالى للمباحث إلى برمنجهام بالأمس ، وقد سألنا عن زوجك وهو بخير ، وأنت تعلمين بالطبع مدى صعوبة الموقف فى برمنجهام .

وتكلم الرئيس عن الموقف فى هذا البلد ، وعن موقف المسئولين فيه ، ثم أضاف يقول : د لانا نعمل كل ما فى استطاعتنا ، وقد تحدثت لتوى مع برمنجهام وسيتمصل بك زوجك قريباً وأرجوك ألا ترددى فى الاتصال بى إذا ما جدد جديد ، وإذا لم يتيسر لك الاتصال بى فاطلبى شقيقى أو المستر سالينجر ، وإن كنت أرجو ألا تجدى صعوبة فى الاتصال بى شخصياً .

وعبرت عن شكرى العميق للرئيس ولعظمائه لى . وبعد ١٥ دقيقة دق جرس التليفون ، وكان المستكلم مارتن . وكانت المسألة أشبه بمعجزة جديدة .

وسألته : د هل أنت بخير يا عزيزى ؟ .

وأجاب أنه بخير ، ولكن التعب كان يبدو على صوته فهو عادة يصوم عن الأكل وهو فى السجن . وتحدثنا قليلاً وأبلغته بكلمة الرئيس كينيدى لى . وبدأ على مارتن أنه يهتم وهو يقول : د فهمت الآن السبب فى الأدب الذى

حل على جميع الموجودين . هذا خبر حسن . وعلمت فيما بعد أن مارتن سمح له بالرياضة خارج الزنازة كما سمح له بالاستحمام كما أعطى «مرتبة» ووسادة .

وكان مارتن قد طلب منى في التليفون — دون ذكر أسماء ، لأن موظفى السجن كانوا يقفون بجانبه — أن أبلغ رسالة الرئيس إلى ويات ووكر حتى يستطيع أن يصدر بيانا للصحفيين بها .

وأنا واثقة أن تدخل الرئيس كينيدي كان له الأثر الحقيقى فى سير حركة برمنجهام . وبمجرد الاهتمام من جانبه بأن يرى العدالة تنفذ كان مبعثا لكثير من الاطمئنان فى قلوبنا ، كما كان سببا لأن يدرك المسئولون فى المدينة أنه ليس بإمكانهم ارتكاب الفظائع اللاإنسانية دون أن يتعرضوا للسخط والاحتقار أما أنا فقد كنت أومن أن الرئيس كينيدي مهتم جداً بما يحدث لنا . لقد كان الرئيس كينيدي شخصا عطوفا جدا . وفيما يختص بالحركة السوداء فإن الإجراءات التى اتخذها فى أثناء اضطرابات أتلانتا كانت سببا فى حب الجالية السوداء له ولأسرته بأسرها .

ظل مارتن معتقلا لمدة ثمانية أيام ، وخلال اعتقاله كتب خطاباه المفتوح الشهير : « رسالة من سجن برمنجهام » ، وهى رسالة موجهة إلى ثمانية من القساوسة البيض فى ألاباما كانوا قد أصدروا بيانا أعلنوا فيه أن الاحتجاج أمر لايدل على التعقل وأن وقته غير ملائم ، كما وصفوا فيه مارتن بأنه فوضوى من خارج البلد أفى إلى برمنجهام بغية الشهرة ، وقد كتب مارتن رسالته على هوامش صفحات الجرائد وعلى ورق التنظيف ، وقال فيها : « أنا موجود فى برمنجهام لأن العدالة موجودة بها . » ثم أخذ يعرض بعنق إلى فلسفته للحركة ورأيه فيما يجب أن يكون عليه موقف الكنيسة ، وقال إن الشخص الذى يطيع الأوامر والقوانين العادلة يجب عليه فى الوقت ذاته أن يعصى الأوامر والقوانين الظالمة . واستهدى بكلمات القديس أوجستين التى تقول : « إن القانون الظالم

ليس بقانون على الإطلاق. وانتقد مارتن الممتدلين من البيض الذين يفعلون النظام على العدالة ، كما رد على اتهام القساوسة له بالتطرف بقوله : « ألم يكن المسيح متطرفا فيما يختص بالحب ؟ » ، ثم أبدى أسفه الشديد لأن الكثير من القساوسة البيض رأوا ألا يتبعوا تعاليم المسيح . وأشار إلى أن الرسل جميعا كانوا « ثوارا من الخارج » ، في البلاد التي حملوا إليها الرسالة .

وفي ختام رسالته كتب مارتن يقول : « سيعرف الجنوب يوما ما أن الأشخاص المنبوذين الذين جلسوا في المطاعم كانوا يفعلون ذلك في الحقيقة بهدف إظهار النواحي الجميلة في الحلم الأمريكي ، وبهدف تقديس أسمى القيم التي ينادى بها التراث المسيحي » .

ثم عبر عن أمله في أن تؤدي الظروف قريبا إلى إمكان اجتماعه هؤلاء القساوسة ، لا كشخص ينادى بالاختلاط ، أو كفائد من قواد حركة الحقوق المدنية ، بل كرميل في المهنة وأخ في الدين .

وظهر من رسالته هذه أنه لا يحمل في نفسه أية مرارة تجاه رجال الدين الذين هاجموه ، بل كان يخاطبهم بإخاء ومحبة كمعادته دائما .

سافرت أنا وجوانيتا أبرناثي إلى برمنجهام في يوم الخميس لزيارة زوجينا . وفي يوم السبت ٢٠ من ابريل أطلق سراح الرجلين . وفي نفس الليلة عقد اجتماع للقادة وتقرر فيه تجنيد تلاميذ المدارس الزوج في برمنجهام في حملة تحريرية ، وكان مارتن يعلم أنه سيتمرض لنقد لاذع لاستغلاله الأطفال بهذه الطريقة ولكنه رأى أن الوقت قد أئف لإعطاء الحركة صبغة درامية وبعدها عاطفيا كما أنه أيقن أن الأطفال هم الذين سيجنون ثمار الاختلاط ، وأن كل ما تقدم من معارك يستهدفهم هم ، وأن اشتراكهم في المعركة سيزيد من وعيهم بقيمة أنفسهم وبكرامتها ، كما سيعزز روحهم المعنوية وقيمهم الروحية . وفي الوقت ذاته اتخذت جميع الاحتياطات لحمايتهم من أى أذى جسماني .

وذهب جماعة من القادة لمدارس برمنجهام الثانوية وكليات الجامعة أيضا ، واستجاب التلاميذ لهذا النداء بالآلاف المؤلفة ، وحضروا القديسات التي أقيمت ، كما واطبوا على حضور اجتماعات التجنيد التي درست لهم فيها مبادئ فلسفة عدم استخدام العنف . وقد كتب مارتن عنهم يقول : « لقد وجدناهم متحمسين غاية التحمس للانضمام إلينا ، كانوا توافين إلى الاشتراك في المجهودات الاجتماعية ذات المغزى » .

وكان الكثير من صغار التلاميذ قد طلبوا الاشتراك في المظاهرات أيضا ، ولكن آندى يونج قال لهم : « إن سنكم أصغر من أن تسمح لكم بالاعتقال.. وأفضل أن تذهبوا إلى المكتبة فستجدوا فيها ما يفيدكم » .

واستمع ستة من الأطفال لنصحه ، وذهبوا فعلا إلى المكتبة محاولين القضاء على العنصرية في قاعتها ، وسمح لهم بالدخول إليها ، ولم يجرؤ أحد على منعهم .

وفي اليوم المشهود الثاني من شهر مايو ، تكلم مارتن في جماعة من الشبان ، ثم قادم جميعا وهم ينشدون « منفعة » ، وقد اعتقل الجميع . وتبعتهم موجات وموجات أخرى من التلاميذ ، واعتقلوا جميعا ، حتى وصل عدد المعتقلين في هذا اليوم وحده ٩٥٩ تلميذا .

وأعلن مارتن في اليوم التالي : « لقد كان الامس يوم الغزو في برمنجهام ، واليوم هو اليوم التالي للغزو » :

وتركزت أعين البلاد على كورنر ، المحافظ الذي بدا عليه اليأس ، وأخذ يجمع رجال الشرطة في الشوارع ويطلب إليهم استخدام خراطيم المياه لتفريق المتظاهرين . وأدى ذلك إلى إصابة العديد من التلاميذ تحت ضغط الماء ، ثم أطلق كورنر كلابه البوليسية التي أخذت تهاجم التلاميذ الذين تمسكوا ببدا عدم العنف ، ولكن دون جدوى مما اضطرهم أخيرا إلى استخدام الحجارة للدفاع عن أنفسهم .

وأخذت جماعة أخرى تسمى في الشوارع ، ثم اتجهت صوب دار الحاكم نفسه الذي خرج إليهم وطلب إليهم أن يتفرقوا ، ولكنهم رفضوا وصاحوا فيه : « أطلق خراطيم المياه ، أطلق الكلاب ، فلن نتراجع ، وليسأحك الله » .

وصاح الحاكم في ثورته : « افتحوا خراطيم المياه » .

ولكن حدث أمر يشبه المعجزة ، إذ بمجرد أن قام المصلون من ركوعهم واتجهوا إلى الأمام تراجع رجال كوزر والخراطيم بين أيديهم جافة لا تحمل ماء ، وانفض عقدهم بلا نظام ولا ترتيب ، وسار المصلون بينهم حتى وصلوا إلى متزه قريب أفاموا فيه الصلوات ، وعادوا إلى كنيسهم وهم ينشدون أناشيد النصر ، وكانت هذه أول ثغرة تحدث في صفوف قوات التعصب .

واستمرت حملة التلاميذ طيلة الأسبوع ، وامتلات سجون برمنجهام على سعتها حتى لم يعد هناك مكان لمعتقل آخر . وفي يوم الثلاثاء سارت مظاهرة قوامها خمسمائة شخص ، ولم يتعرض لهم أحد ، ولم يعتقل منهم أحد ، وتبعها مظاهرة أخرى مؤلفة من ثلاثة آلاف تلميذ داوت حول الشوارع ودخلت المحال العامة وهي تنشد : « إني في طريق إلى أرض الحرية » . واضطر الحاكم أن يستدعى الحرس الوطني .

في ذات الوقت أخذت الضغوط الأدبية تزداد حدة في البلاد كلها ، ولشرت الصحف صوراً للتلاميذ وهم يتعرضون لخراطيم المياه والكلاب المتوحشة ، وانهاات البرقيات على البيت الأبيض ، وأصبح الثور كوزر مثلاً في أعين الكثيرين أقوى الشر والعدوان . وتحقيق قول مارتن : « إني آمل أن أناشد ضمير الشعب كله ليجلس على منصة الحكم في معركة الأخلاق هذه » . وكان هذا ما حدث بالفعل .

وفي اليوم الرابع من شهر مايو أرسل الرئيس كينيدي بورك مارشال إلى برمنجهام ليقوم بمحاولة للتفاوض ، ودارت المفاضات طيلة الأسبوع مع

رجال الأعمال من البيض من ناحية ومع مارتن والقادة الزنوج من ناحية أخرى ، واجتمع الفريقان معاً للتفاوض تحت إشراف بورك ، وكان البيض يتخذون مواقف الشدة حتى إن الوسيط كاد يئأس من الوصول إلى حل . وبعد اجتماع يوم الثلاثاء السابع من شهر مايو تجمع ١٢٥ من البيض حول مائدة الغداء للتفاوض ، وعند خروجهم وجدوا الآلاف من الزنوج وقد زحفوا إلى المدينة ، ووصف مارتن هذا المنظر بقوله : « كانت هناك عمارات بأسرها يحتلها الزنوج ، ورغم أنهم كانوا لا يقومون بأعمال عنف إلا أن وجودهم وغنائمهم كان يفاق البيض » .

ولما شهد البيض كل هذه الأعداد الغفيرة من الثوار المسلمين اضطروا إلى إعادة النظر في مواقفهم المتشددة . ودارت المناقشات طوال الليل واستمرت حتى اليوم العاشر من شهر مايو ، حين أعلن الاتفاق . وكان ينص على قبول كل مطالب الحركة بحذافيرها ، فقد قضى على التفرقة في المحال العامة ، وزادت أجور العمال الزنوج ، وأسقطت التهم عن المعتقلين ، واستقر الرأي على أن تجتمع لجنة المواطنين بانتظام مع الزعماء الزنوج لبحث شكاواهم والعمل على القضاء عليها .

وسرعان ما أصدر مارتن وأبرناتش وسانتلورث بيان المصالحة الذي جاء فيه : « إن تقبل المسؤولية من جانب القادة البيض والسوداء يعطى مثلاً لشعب متحرر متحد ينبغي مواجهة مشكلاته والعمل على حلها . وستكون برمنجهام مثلاً يحتذى في أمريكا كلها على أنها رمز للعلاقات التقدمية بين العناصر كما ستكون فجراً جديداً للبشرية يبشر ببزوغ يوم جديد يحمل الكثير للناس ، يوم يحمل الفرصة والأمل للبشر ، والحرية لأمريكا كلها » .

ولم يكن هذا كله يعني أن المعركة قد انتهت ، ولكن مارتن عاد إلى البيت والسرور يمازؤه ، وفي الليلة التالية اندلعت الثورة ثانية في برمنجهام ، كما حدث تماماً في مونتهجرى بعد أن توصلنا إلى اتفاقٍ د الأوتوبيسات » .

والقيت القنابل مرتين على منزل شقيق مارتن ، وكادت واحدة منها تصيبه هو زوجته ، أقيمت قبلة على مكان الاجتماعات في فندق جاستون حيث كان مارتن يقيم ، وخرجت الجماهير الزنجية الشائرة إلى شوارع برمنجهام ودارت المظاهرات العنيفة ، ويبدو أن الهدف من إلقاء هذه القنابل كان إثارة غضب الزوج .

وحاول شقيق مارتن أن ينهي كل هذه الاضطرابات ، وناشد الجماهير من وسط حطام منزله أن يلتزموا بدم العنف ، وتقدمت جماعات الحرس الوطني التي استندعها الحاكم والاس لتحيط بحمي الزوج . وسافر مارتن على عجل إلى برمنجهام يوم الأحد ومرت في شوارعها محاولا تهدئة الناس ، كما توجه هو وزملاؤه إلى جميع المحلات التجارية والمطاعم الخاصة بالزواج ، يدعون إلى عدم العنف . وكان مشهدا رائعا أن نرى المتظاهرين وهم يسلبونهم المدي والبنادق وغيرها من الأسلحة التي كانوا يحملونها معهم . وعاد مارتن وزملاؤه ومعهم حمل كبير من الأسلحة . وأخذت برمنجهام تستعيد هدوءها شيئا فشيئا وتبدأ في إجراءات تنفيذ بنود الاتفاق .

وقد كانت برمنجهام رمزا لنجاح الحركة ؛ فقد أدت إلى جلوس رجال الأعمال والمسؤولين من البيض على مائدة تفاوض مع قادة الحركة السوداء بغية الوصول إلى اتفاق ، وساد السلام أخيرا نتيجة لسياسة عدم العنف ، ورغم ماتكفناه من أرواح وألم فقد كنا حقيقة في طريقنا إلى الامام .

وكان لهذا النصر أبعاد واسعة ، وكانت سياسة مارتن البعيدة المدى تهدف إلى تركيز أنظار البلاد على المظالم التي يتحملها الزوج وإلى حمل الحكومة الفيدرالية على اتخاذ خطوة ما ، ولذا فقد وقع اختياره على مدينة تعاني أشد المعاناة من التفرقة العنصرية ، حتى يقسنى للعالم أجمع أن يشهد ما يجري تحت راية الظلم والاستعباد .

وقد كتب زوجي يقول : إن برمنجهام كانت أكبر معقل للتفرقة

العنصرية ، وإن أى نصر بها سيكون له أثر إشعاعى فى الجنوب كله يؤدى إلى تداعى قلعة العنصرية . وهذا بالفعل ما حدث ، صدقت نبوءته ، ولم يمر على حوادث بومنجهام سوى شهور قليلة حتى خرج ما يقرب من ألف مدينة من مدن الجنوب تطالب بالتغيير وتنادى بالثورة والاحتجاج على الاضطهاد . ولم يسبق إلا فى حالة الحرب الأهلية أن خرج الشعب الزنجى على هذا النطاق الواسع فى مثل هذه الجبهة العريضة مطالباً بتغيير أحوال معيشتهم . وتظاهر ما يقرب من مايون زنجى ومعهم أنصارهم من البيض فى الشوارع فى مئات المدن . وفى النهاية أمكن فتح ثغرات عديدة فى كثير من معاقل التفرقة ، وأمكن فتح صفحة جديدة فى سجل العلاقات العنصرية . وزادت ثقة الزوج وأملهم وعمق رجائهم ، وكانت هذه الثقة هى الأساس الذى أقيم عليه صرح كرامة الزنجى . لقد أدى سقوط بومنجهام إلى تغيير فى مسار الحركة الزنجية ، كان له أعمق المغزى ، رغم أن هذا التغيير لم يكن ملبوساً فى وقت النصر .

أما من الناحية السياسية فقد رأى الرئيس كينيدي أن يعيد تقييم الحكومة ، وقرر أن يتقدم بمشروع الحقوق المدنية فى عام ١٩٦٣ ، وقد وافق عليه الكونغرس عام ١٩٦٤ .

وفى مؤتمر عقد بالبيت الأبيض لبحث هذا المشروع وحضره مارتن Luther King الرئيس كينيدي إلى زوجى وعلى وجهه ابتسامة ساخرة وقال : « لقد كان لكونر نفس الجهود الذى كان لابراهيم لينكوان فى قضية الحقوق المدنية » .

لقد كان عام ١٩٦٣ عام نصر لنا ، وامكنه في الوقت ذاته كان عام مأساة ، أولا حدثت قصة برمنجهام وما حصلنا عليه منها من نصر وأمل ، ولم يمر شهر عليها حتى اغتيل ميدجار ليفانز زعيم الزوج الشاب في مسيسيبي . . . اغتيل برصاصة أطلقت عليه وهو واقف أمام منزله ، وشهد زوجته وأولاده مصرعه ورأوه وهو يحتضر ويقول موجه الكلام إلى ابنه : ساعدني يا بني ، ساعدني ، .

ولم يستطع أحد مساعدة ميدجار ، فقد توفي بعد ساعة ضخية للكرامية والانتقام . . .

وكان ميدجار صديقا حيا لمارتن ، وكانت وفاته مأساة عميقة لنا ، وكنت أنا لا أملك مشاعري من الشك بأن هذا لابد سيكون مصير مارتن .

وفي يونية من نفس العام سافر مارتن في رحلة همل ، والتفت حوله ، الجماهير ، ففي لوس أنجلوس استمع إليه أكثر من ٣٠٠٠ شخص ، وفي ديترويت قاد مظاهرة مع والتر رويتر قوامها ٣٠٠٠ شخص .

وأذكر أني قلت له : د إن الناس في البلاد كلها قد أثارت انتصارات برمنجهام ، حتى إنني أرى أن تنظيم مسيرة إلى واشنطن قد يعزز هذا بما يحمل الحكومة على إصدار التشريعات التي تقضي بالفرقة العنصرية في أمريكا كلها وأنا واثقة أن الناس سيتبعونك في هذه المسيرة ، وإن ينضم إليك فيها أقل من مائة ألف شخص . .

وكان هناك غيري كثيرون يرون أن النصر الذي تم في برمنجهام يجب ألا

يترك لينطقي . . وعقد مؤتمر حضره كل القادة وفيه اقترح المستر راندولف وهو من أحد الزعماء تنظيم مسيرة إلى واشنطنون في مارس يكون شعارها :
« العمل والحرية » .

وتقبلنا جميعا الفكرة بحماسة شديدة ، فقد أيقنا أن جولة مارتن في البلاد ستجمع مالا يقل عن مائة ألف متظاهر ، كما أن مارتن كان قلقا بسبب المظاهرات الفردية التي كانت تحدث بين الفينة والفينة في بعض المدن ، ولذا فقد رأى أن تنظيم مظاهرة سلمية موحدة في واشنطنون سيخدم غرضين ، فسيمنح الشعب الزنجي فرصة الاحتجاج السلمي ، وفي الوقت ذاته سيمثل ضغطا على الكونجرس حتى يوافق على مشروع الرئيس كينيدي الخاص بالحقوق المدنية .

واتفق الرأي على أن تتم المسيرة إلى واشنطنون يوم ٢٨ من أغسطس سنة ١٩٦٣ ، كما اتفق على أن تبدأ من عند تمثال أبراهام لينكولن حيث يتم إلقاء الكلمات . وألفت لجنة تنظيم أطلق عليها اسم «المجلس الموحد للحقوق المدنية» ، وخلال الصيف عقد المجلس عدة جلسات لوضع الخطط ، وكان الرأس المفكر هو بايارد راستين الذي كان يعمل مقرراً للمجلس : . وكان أملنا في نجاح هذه المسيرة كبيرا ، فقد أعدت الخطة لها بدقة وتنظيم . واتحد الرأي فيها ، وسار العمل بتنسيق دقيق بين جميع القادة ، ولقينا تأييدا واسعا من الزوج والبيض على السواء ، كما أيدتنا الحكومة الفيدرالية وحكومة الولاية في واشنطنون .

وبدأ مارتن كتابه الثالث في أثناء إعداد الترتيبات لهذه المسيرة الضخمة ، وهو الكتاب الذي مرد فيه قصة انتصار برمنجهام ، وكان عنوانه «لماذا لا نستطيع الانتظار ؟» ، وكان كتابه الأول بعنوان : «خطوات نحو الحرية» وهو قصة كفاح مونتجمري ، أما كتابه الثاني فكان مجموعة من المواقف تحت عنوان «القوة والحب» . وقد سمح لنا اثنان من أصدقائنا هما : كلارنس

وأن جوتر من ريفرديل باستخدام شقتيها الكبيرة المريحة في نيويورك ، في حين انتقلتا إلى منزل أحد أصدقائهما . وبقيتا في هذه الشقة في نيويورك ثلاثة أسابيع أمضى مارتن معظمها في الكتابة .

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس ذهبنا إلى واشنطن ومعنا زملاؤنا ، وفي الفندق أخذ مارتن يراجع خطابه محاولاً أن يركزه في ثمان دقائق ، وهي المدة التي ضحت له ، وبقي الليل ساهراً يعمل . أما أنا فقد غلبني النعاس في الثالثة صباحاً ، وأنا أشعر بالخجل لاستطاعتي النوم في حين أن مارتن سهران يعمل . وكان مارتن قد تحدث في ديترويت عن حلمه عن بلد موحد ، ولكنه رأى أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقت أطول . وقرر أن يكون موضوع كلمته كيف أن أمريكا تمنح الزنحى فيها شيكا منورا ، وما يعنى هذا إزاء وثيقة الاستقلال ، التي كان يحتفل في عام ١٩٦٣ بمرور مائة سنة عليها ، وقرر مارتن أن يستخدم بعض كلمات أبراهام لينكولن .

وكان في أثناء عمله يطلب منا النصح في استخدام كلمة أو أخرى ، ولكنه في أغلب الحالات كان يعتمد على نفسه . وكان المفروض أنه سيكون آخر المتكلمين ، كما كان المفروض أن تنقل عدسات التلفزيون كلمته إلى ملايين المشاهدين في أمريكا وفي العالم كله ، ولذا فقد كان إزماً عليه أن يعد كلمة ملهمة وعاقلة في نفس الوقت . ولما انتهى مارتن من إعداد كلمته ، كان التعب قد أخذ منه كل مأخذ . ولكنه كانت كلمة رائعة ، وإن كان ما قاله في اليوم التالي يفوقها روعة .

استيقظت مبكرة ذلك اليوم على صوت الآلات الكاتبة في الغرفة المجاورة لغرفتي ووجدت زوجي يرقب الجماهير من نافذة جناحه بالفندق ، وازداد توترنا باقتراب موعد المسيرة ، فقد كانت الأنباء التي أذيعت على شاشات التلفزيون غير مطمئنة مطلقاً ، وقالت إحداها . « لقد تجمع عدد ضئيل من الناس ، ثم تبدل هذا إلى ما يلي : نحو ٢٥٠٠ شخص » . وزاد قلقنا عندما فكرنا في المائة ألف التي توقعنا أن نحصل عليها .

وعندما وصلنا إلى الساحة ارتفعت روحنا المعنوية إذ يبدو أن مراسلي الصحف قللوا كثيرا من عدد المجتمعين ؛ فقد وجدنا ما يقرب من تسعين ألفاً وكانت الساعة لما تبلغ العاشرة ، أتى بعضهم بالطائرة ، والبعض الآخر بالقطار أو « باللاتوبيس » ، أو بالسيارة ، بل وأتى بعضهم على الدراجات وسيرا على الأقدام ، من شتى أنحاء البلاد . وكان ما يقدر بنحو ربع هذا العدد من البيض كان منظرا رائعا حقا .

وعند الساحة افترت عن مارتن ، رغم أنى كنت أتوق إلى السير بجانبه ، لا لرغبتي في أن تسلط على الاضواء ، بل لأنى كنت أريد أن أسعد بمسيرتي بجانبه في هذا اليوم المشهود ، ولكن اللجنة المنظمة قررت أن يقود المسيرة زعماء الحركة ، واضطرت بالطبع إلى الإذعان لرأيهم ، رغم أنى كنت أرى أن اشتغال كثير من زوجات القادة بالحركة يعطين الحق في السير بجوار أزواجهن ومشاركتهم في هذه التجربة كما شاركهم في المصاعب والاضطار الأخرى .

وقد كتب الكثيرون عن هذه المسيرة . والحقيقة أن قادة الحركة لم يسيروا على رأس المظاهرة ؛ لأن الجماهير كلها تجمعت وسارت في المقدمة متجهة إلى تمثال لينكولن ، سار الجميع مع بعضهم البعض دون قيادة أو رياسة .

وسرت مع : ويات ، وآن ووكر ، وجوانيتا أبرنathi والدكتور رالف بالث ، ولينا هورن الفنانة المعروفة ، والكثيرين من الإخوة والاخوات من أنصار القضية . وعندما وصلنا إلى النصب التذكارى للينكولن درنا حوله بهدف الوصول إلى مكان الوقوف ، ولكن كثافة الجماهير حالت دون ذلك . وكان ويات ووكر يصيح فيها : « إنى أحاول أن أشق طريقا « للبسر كنج » . وكان رجال الشرطة عندئذ يفسحون لنا الطريق ، ووصلنا إلى المكان بصعوبة بالغة .

وساعدنى رالف أبرنathi على أن أجد مكانا خاف مارتن مباشرة ، ودرت

بنظري ورأيت أكبر تجمع شاهده في حياتي ، فقد امتدت الجماهير حتى وصلت إلى النصب التذكاري لواشنطن ، وكان منظرهما حقيقة .

وكنا نعلم أن هناك الملايين التي تشاهد الاحداث على شاشات التليفزيون ، ومن بينهم الرئيس كينيدي في البيت الابيض .

وبدا الاحتفال بغناء من كاميللا ويليامز في الساعة الواحدة ، وكان المفروض أن تشترك ماريان أندرسون ، المغنية العالمية ، في هذا الاحتفال . ولكن طائرهما تأخرت في الوصول ، وقد وصلت فيما بعد ، وكانت في منتهى الحزن لتأخيرها . وقدم فيليب راندولف القس شاتلورث الذي قال : « لقد أتينا إلى هنا لاننا نحب بلدنا ، ولأن بلدنا بحاجة إلينا ، ونحن بحاجة إليه » . وتوالت الكلمات من القادة ، وكانوا جميعا خطباء مفوهين . وكان البرنامج طويلا ، وفكرت في مارتن وكيف أن الإرهاق لا بد قد حل به ؛ فقد كان المقرر أن يتكلم في النهاية حتى يكون لخطابه أكبر الأثر في المجتمعين . وكانت الخطب تتخللها أناشيد الحرية . وقدم المستر راندولف روي ويلسكنز - وهو من أكثر الخطباء إقناعا وتأثيرا . وانتهى المستر ويلسكنز في الساعة الثالثة ، وكان الحر شديدا ، وبدأت الجماهير تتمايل ويغادر بعضها المكان من شدة الحرارة ولكنهم سرعان ما عادوا بمجرد أن سمعوا اسم ماهاليا جاكسون ، وبدأت تغني بصوتها الملائكي الذي كان مارتن يحبه حبا جما ، وتقول : « لقد عانيت الكثير من الذل ومن الاحتقار » . وأخيرا وقف راندولف ليقدّم مارتن للجماهير . قدمه قائلا : هذا هو القائد الروحي الأمة . وتعالى هتاف الجماهير وهم يرددون اسمه مارتن لوثر كينج .

وظهر التأثير على مارتن ، وبدأ يتكلم بصوت مرتعش في البداية ، ثم أخذ يقوى شيئا فشيئا حتى وصل إلى الذروة . وبدأ يقرأ من خطابه المكتوب ويلقيه بفصاحة متناهية ، وكان لب الخطاب ما يلي : « إن أمريكا ، بدلا من أن تعهد

بالتزاماتها بشرف ، أعطت الزنجى الأمريكى شيكا بدون رصيد . ونحن هنا اليوم لنستعيد هذا الشيك ، ولن نقبل القول بأن بنك العدالة ليس له رصيد . ثم طالب مارتى بالحرية الآن ، وبالعمل الآن ، وبالتحرر الآن ، ورددت الجماهير كلماته مما أدى إلى زيادة حماسه وإلهامه ، فترك الخطاب المكتوب ونسى الوقت المقرر له ، وتكلم من القلب ، ورنث كلماته وارتفعت إلى أعنة السماء ، ووصلت إلى أرجاء العالم بأسره ، وبدأت كأنها تصل من فوه إلى السماء الأهل ثم تنزل ثانية إلى الناس ، المرحقين ، المتعبين ، الواقفين أمامه ، نعم ، بدأت السماء وكان أبوابها جميعا تفتحت ، وبدأ علينا جميعا أننا نشعر بذلك كله .

قال : إن ما أقوله اليوم أحلم كل ما نواجه من مصاعب ، وما سنواجه منها في الغد ، أقول إنى ما زلت أحلم ، أحلم حلما ينبع من الحلم الأمريكى ذاته ، أحلم بأنه فى يوم من الايام ستهب هذه الامة وتعيش أحلامها ومعتقداتها . إن هذه الحقائق واضحة أمام أعيننا ، حقائق تقول إن البشر ولدوا متساوين .

• أحلم بأنه فى يوم من الايام سيتمكن أبناء العبيد فى تلاك جورجيا الحراء من الجلوس مع إخوانهم على مائدة واحدة ، أحلم أنه فى يوم من الايام سيتمكن ولاية الميسيسيبى ، وهى ولاية العرق والاضطهاد والظلم ، من أن تصبح واحدة للعدالة والحرية .

• أحلم بأن أطفالى الاربعة سيعيشون يوما ما فى بلد لن يحكم عليهم فيه بسبب اللون ، بل سيحكم عليهم بمحتوى نفوسهم وبأخلاقهم .

• أحلم بأن كل واد سيخضر ويشمر ، وستنهار كل الجبال ، ويصبح من السهل تسلقها وعبرها ، وستهد السهول . سأعود إلى الجنوب وأنا مؤمن بكل هذا ، وبهذا الإيمان ، سننك الجبال ، جبال اليأس ، ونبنى بدلا منها صروح الأمل ، بهذا الإيمان سنعمل معاً ، سنكافح معاً ، سنذهب إلى السجن معاً ، سنطالب الحرية معاً ، لأننا نعلم أننا سنحصل عليها يوما ما .

« وصيكون هذا اليوم الذى يستطيع فيه البشر جميعا أن يمشدوا : د دغ
أجراس الحرية تدق ، ، نعم ستدق أجراس الحرية من فوق تلال نيوهامبشاير
ومن فوق تلال نيو يورك ، بل وستدق أيضا من فوق تلال جورجيا ،
ستدق أجراس الحرية من فوق كل التلال ، حتى تصل أصداؤها إلى مسيسي . »

« وإذا مادقت أجراس الحرية من كل قرية وبلد ومن كل مدينة
وعاصمة ، سيضم البشر جميعا أيديهم وينشدون الأناشيد الروحية الزنجية
ويقولون : د تحررنا أخيراً ، تحررنا أخيراً ، يارب السموات والأرض ،
لقد تحررنا أخيراً . »

وعندما ختم مارتن خطابه ساد الصمت ، وكان هذا أكبر مدح يحصل
عليه أى خطيب مفوه ، ثم مالبت هدير الهتافات أن علا ، مرددا كلماته .
وبدا وكان الجميع شخص واحد . واستمر الهتاف الموحد ، وبدا وكأن السماء
نفسها تشد من أزر كل هذه الأصوات .

ولما انتهى مارتن من إلقاء خطبته حاول رجال الشرطة حمايته من الجماهير
التي التفت حوله ، وضربوا حصاراً د كوردونا ، حوله ، وأذكر ما قالت
المسز روى ويلسكنز ، وهى تجفف عرقها محاولة تخليص نفسها من الجماهير ، اذ
قالت : د إذا عثرت على روى ، فلن أدعه يفلت من بين يدي . . وقالت أنا
لنفسى : د وأنا أيضا إذا عثرت على مارتن ، فلن أدعه يفلت من يدي . .
وقرت لتوى وأمسكت بذارعه ، وتركنا المنصة معاً وأنا متعلقة به ، وأحسست
بأحد رجال الشرطة يحاول إبعادى عنه ، ولسكنى سمعت من يقول له : د أبعد
عنها ، فهذه المسز كيننج . »

وتمكننا أخيراً من الوصول إلى مكان السيارات التي كان مفروضا أن نقتل
القيادة إلى البيت الأبيض للاجتماع بالرئيس كينيدي . وركبت مع مارتن ،

ولكن عندما وصلنا إلى البيت الأبيض غادرته واستقلت سيارة أجرة
« تاكسى ، إلى الفندق .

لم أتمكن من رؤية الرئيس المحبوب كينيدي ، رغم أنى طلبت من مارتن
أن أحضر الاجتماع ، ولكنه رفض قائلا : إن هذا يخافى قواعد اللياقة ، لأنه
لم توجه إلى دعوة بالحضور . وأحسست بخيبة أمل ، وكان ألى شديدا بعد
ذلك بثلاثة أشهر عندما وقعت حادثة دالاس المروعة .

بقيت فى الفندق ، ولم أخرج مع أصدقائنا ، انتظارا لمقدم مارتن حتى
أستطيع أن أشاركه فى تجربته فى هذا اليوم المشهود . وكان مارتن على موعد
مع إحدى محطات الإذاعة والتلفزيون بمجرد الانتهاء من الاجتماع ، فلم يحضر
إلى المنزل قبل العاشرة مساء .

وبالطبع تحدثنا ساعات طويلة عن أحداث اليوم ، وعبرت أنا عن غمى
وكبرياتى بزواجى . ثم ناقشنا الأثر الذى ستمحدثه المسيرة فى الشعب الأمريكى ،
وهن كيف سارت المسيرة دون أن يعترضها حادث مؤسف واحد ، رغم
ما توقعه الكثيرون من المعلقين من أحداث شغب وعنف . والواقع أن آلاف
الجمهير التى أنت انفضت بهدوء ونظام ، وعادت إلى منازلها دون ضجيج
أو شغب ، وكنت أنا ومارتن نفهم معنى هذا وأهميته بالنسبة للقضية وبالنسبة
للبلاد كلها .

وكنت أنا قد أحسست بالاستجابة الهائلة لخطابه الذى اعتبره أهم
خطاب ألقاه فى حياته ، فقد أعاد إلى أذهان الناس قيمة سياسة عدم العنف ،
كما ثبت أقدام مارتن على أنه ، كما عبر فيليب راندولف ، القائد الروحى للأمة .

وتركنا واشنطن والسعادة تغمرنا ، وتغمر كل من اشترك معنا ، وكنا
جميعا نشمر أن حجر أساس لإنسانيا قد وضع فى سبيل كفاحنا الروحى فى يوم

٢٨ أغسطس . واهل أهم بادرة يمكن أن نوردتها في شأن مسيرة واشنطن
أن كثيرين من البيض من استمعوا إلى خطاب مارتن ، ومن لا يمكن وصفهم
بأنهم مهتمون بالمسألة الزنجية ، أو حتى يتعاطفون معها ، قد تلقوا الرسالة
المقصودة والتي حاولنا أن نرددها في مونتهجرى وألباني وبرمنجهام ، كما أنهم
أصبحوا يشعرون بالكثير من التقدير والاحترام لمارتن ولقضيته . وعدنا
إلى وطننا لتواجهنا حقيقة جديدة ، فرغم ماحلته مسيرة واشنطن من مخزى
عدنا لنشهد التفرقة التي تسود العالم ، وانرى أن العنصرية ما زالت قائمة ، كما
أن الفقر والاضطهاد والظلم مازالت كلها قائمة .

ولحققتنا المأساة قبل انقضاء ثلاثة أسابيع على هذا النصر ، فقد أقيمت في
اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر قنبلة على الكنيسة المشيخية ببرمنجهام
وانفجرت القنبلة خلال انعقاد مدرسة الأحد وراح ضحيتها أربع من الفتيات
الجيلات البرينات .

وكانت صدمة مارتن مروعة ، وكنا نعجب لمثل هذه الكراهية التي
تحتاج قلوب بعض الناس وتدفعهم إلى قتل الأطفال الأبرياء . وأخذنا بحزن
عميق نعيد تقدير الموقف . لقد حصلنا على فوز في برمنجهام ، وكنا نعلم أن
الطريق أمامنا لا يزال طويلا ، ولكننا لم نعط أهمية كافية لأعماق الكراهية
والعنف في نفوس البيض . أما الآن فقد أصبحنا نواجه حافة الحال الراهنة
الذين لن يتورعوا عن أى عمل من أعمال الجبن والوحشية للإبقاء على هذه
الحال الراهنة . وأدركنا أن أمامنا بجهودنا ضحما قبل أن ننجح في تغيير قلوب
ومفاهيم الكثيرين في أمريكا البيضاء .

وبعد أن انتهى مارتن من إلقاء موعظته في لايبينزر توجه على الفور إلى
برمنجهام ليكون بجانب العائلات التي فقدت أطفالها ، محاولا مساعدتها على
وجود معنى لهذه التضحية من جانبها . وكنت أعلم مع مارتن أن من السهل

على كل من يقف في مكان القيادة أن يعيش مع الوحشية والموت ، فهو يتوقع مثل هذه الأخطار والسكريات ، أما الناس العاديون الذين لا يشتركون بشكل مباشر في السكفاح فهم دائما يميلون إلى الاقتناع بأنهم بعيدون عن المخاطر ، وكنا ، كآباء ، ندرك مدى الألم الذي حاق الأسر بهذه ، ومدى المرارة التي تشعربها لمصابها العنيف ، ولذا فقد حاول مارتن أن يمنح هذه الأسر كل ما يستطيعه من تأييد روحى ومعنوى .

وأقيمت الصلوات المشتركة للفتيات عند تشييع جنازتهن ، ولكن أقاربهن كانوا في حالة من اليأس والحزن لدرجة أن أسرة من الأسر رفضت الاشتراك في هذا القداس . ووقف مارتن يلقى بمرثيته ، ولكن الرواى المعروف جون كيلنز قاطعه قائلاً إن هذه المأساة تضع حدا لسياسة عدم العنف في الصراع من أجل الحرية السوداء ، وقال : «على الزوج أن يستعدوا للدفاع عن أنفسهم بالبنادق » .

ولكن أحد آباء البنات عارضه قائلاً إنه لا يوافق على هذا الرأى .

أما مارتن فقد وصف الفتيات في المزمرة بأنهن بهالات لجملة مقدسة من أجل الحرية والكرامة الإنسانية . وقال : « إن هذه الفجيعة تقول لنا يجب أن نواصل العمل بكل ما لدينا من طاقة حتى نصل إلى تحقيق الحلم الأمريكى . لأنهم لم يمتن بلا سبب ، والله سبحانه وتعالى كثيراً ما يعطينا الخير نتيجة للشر ، وقد أثبت التاريخ المرة تلو المرة أن الألم والعذاب لهما نتائج . إن الدم البرى الذى سفك هنا ستكون له نتائج قوية تجلب النور إلى هذه المدينة المظلمة » .

أما الفاجعة الأخرى التي أصابتنا ، بل وأصابت العالم بأسره ، فقد حدثت في اليوم الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩٦٣ . كان مارتن بالطابق الأعلى من المنزل يهتم ببعض الأمور وكان جهاز التلفزيون مفتوحاً ، دون أن يجلس أمامه أحد ، أما أنا فقد كنت بالطابق السفلى أتحدث في التلفزيون مع إحدى صديقاتى —

وتدعى استقيرتر — ولجأة سمعت مارتن يصيح : « كورى ، لقد أذيع الآن
بأ الاعتداء على الرئيس كينيدي ، ولعله اغتيل . »

وأمرت إليه ، وأخذنا نتابع الاخبار ونحن نصلى لله ونبتهل أن
ينقذ الرئيس ، فقد روعنا لنبا الاعتداء عليه . وبالطبع دارت أفكارنا حول
ما سيصيب موته الحركة من نكسة رهيبة ، فكنا نشعر أنه صديق لقضيتنا ،
وأن وجوده فى منصب الرئاسة سيساعدنا على المضى قدما . وأخذنا نرقب
الاخبار .

وأعلن بعد ذلك نبا وفاة الرئيس . وساد الصمت الرهيب . وأخيرا قال
مارتن : « هذا ما سيحدث لى أنا أيضا ، إنك لاتصدقينى عندما أقول لك
إن مجتمعنا مريض . » ولم أنبس ببنت شفة ، فلم يكن عندى ما أستطيع أن
أقوله لزوجى . . لم يكن باستطاعتى أن أقول له إن هذا ان يحدث لك ، لأنى
كنت أشعر أن مخاوفه على حق . وساد صمت أليم رهيب بيننا ، وكل ما
استطعت أن أفعله هو أنى اقتربت من زوجى وأمسكت بيده بين يدى . .

كان الأثر الذى أحدثته وفاة الرئيس كينيدي فى بالغالى نحو لم أعمده من
قبل ، حتى نبا الاعتداء على مارتن فى هارلم لم يؤثر فى بنفس القوة . لقد كان
جون كينيدي مثالا للعطف والتقدير بالفسبة لنا ، كنا نشعر أنه صديق يمكن
الاعتماد عليه بجانب كونه رئيسا لبلدنا . وكان حزن أطفالنا عليه كبيرا ، حتى
إن يوكى أسرع إلى وهى تبكى عند عودتها من المدرسة ، وسألها دادى كينج
عن سبب بكائها ، ولكنها لم ترد عليه ، بل أسرع إلى وهى تقول : « لقد
قتلوا الرئيس كينيدي يامامى ، وهو لم يؤذ أحدا على الإطلاق ، أما نحن فلم يعد
أماننا أمل واحد للحصول على الحرية ١١ ، . »

واحتضنتها ودخلنا جميعا غرفة الضيوف ، وقلت : « إن ما تشعرون به يا بولندا

نشعر به جميعا ، فهذه مأساة كبيرة ولكننا سنحصل على حريتنا ، فالله موجود ،
وسيتولى رعايتنا ، فلا تقلق ، سنحصل على حريتنا .

وفي الحقيقة أنى كنت دائما أردد هذه الكلمات لنفسى ؛ لأنى كنت أتق
أن ما تقوم به هو أمر له معنى وهدف ، وأنا سنجنى ثمار عملنا ؛ لأنه ليس
سوى تنفيذ خطة الله التى ارتضاها لهذا العالم . وكنت أعلم أن جون كينيدي
ليس إلا وسيلة فى يد العدالة الإلهية ، وفى الوقت ذاته كنت حريئة على أن
الله قدر هذا ليحدث له . وأخيرا قلت لنفسى : « أنا لا أفهم السبب فيما حدث
ولكنى أؤمن بعدالة الله ، وبالقول إن كل ما يحدث إنما يتألف لخير كل من
يحب ربه . ورأيت فى موت الرئيس كينيدي جزءا من عدالة الله ، وأيقنت
أن التضحية بكينيدي ليست سوى خطوة فى سبيل خلاصتنا .

وبعد ذلك بشهور أدركت أنا ومارتن أن الرئيس كينيدي كان يتحمل
الكثير من الضغوط والمعارضة بسبب مشروع الحقوق المدنية ، ولكن الكارثة
التي أدت إلى موته حركت البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، حتى إن كل فرد
فيها كان يشعر أن هذا المشروع يجب أن يسرى تخليدا لذكراه . وكان يجب أن
يسرى هذا المشروع ، لآمن أجلا لحسب ، بل من أجل أمريكا كلها التي أخذت
تردى وتتكس عهودها ووعدوها بالديموقراطية للشعب الزنجي .

وكنت وأنا أرقب جاكلين كينيدي ، وهى تتصرف بشجاعة منقطعة النظير
محاولة تخفيف وقع الكارثة على أطفالها ، لايسعنى إلا أن أفكر فى زوجى ،
وخاصة أن الكثيرين كانوا يرون فيه خطرا أكبر من الخطر الذى كانوا يرونه
فى الرئيس كينيدي ، وكنت وأنا أشهد جنازته كمن يشهد قدره أمام عينيه .
ورغم مظاهر الشجاعة التي حاولت أنا ومارتن أن نظهر بها فإن مصابنا
فى هذا الرجل السياسى العظيم كان لا يعوض . وفى يوم الجنازة انفتحت الصغير
مارتن إلى أبيه — وهو الطفل الذى لم يتعد السادسة من عمره — وقال : ولقد
كان الرئيس كينيدي يادادى من أعز أصدقائك . أليس كذلك ؟ .
والحقيقة أنه كان فعلا كذلك .

كانت جائزة نوبل أبرز مارفع لنا خلال عام ١٩٦٤ ، ولكن برغم هذا فقد حفل هذا العام بأحداث كانت مشاراهاام شديد منا . ولعل أهمها هو قانون الحقوق المدنية الذى تقدم به جون كينيدي إلى الكونجرس عام ١٩٦٣ والذى تولى هيوبرت همفرى متابعا في مجلس الشيوخ وليندون جونسون فى البيت الأبيض . وقد دعا الرئيس جونسون زوجى إلى البيت الأبيض ليشهد للتوقيع على القانون ، وكانت هذه هى أول مرة يتقابل فيها الرجلان ، ثم تعددت لقاءاهاهما بعد ذلك . وقد أحسن مارتن بالطمأنينة البالغة بعد هذه الزيارة ؛ فقد شعر جونسون أنه يقف إلى صف العدالة العنصرية . ورغم أن مارتن لم يشأ أن يؤيد أو يعارض أحداً إلا أنه كان يفتقد جولدووتر علانية ؛ لأنه كان يراه رمزاً للقوى التى تريد قمع الشعب الاسود فى أمريكا ، وأن برنامجه الرجعى فى مجموعه ينادى بذلك . وكان مارتن يخشى إن نجح جولدووتر ألا نحصل على أية بارقة تأييد من الحكومة الفيدرالية ، بل إن نحصل على موقف حيادى منها .

وكانت صدمتنا كبيرة عندما سمعنا أنه قد ألقى القبض فى يوم ٢١ يونية على ثلاثة من المهتمين بالحقوق المدنية فى ميسيسيبى ، وكان اثنان منهم من البيض بتهمة محاولة تنفيذ القانون . وبعد ذلك أذيع أن اللشبان الثلاثة قد اختفوا تماما ، وزعمت السلطات المحلية أنه قد أفرج عنهم بعد ست ساعات من اعتقالهم ، ثم عثر بعد ذلك على سيارة دسميشن واجون ، محترقة قبل إهم كانوا يركبونها ، وإن ظل الرجال الثلاثة مختلفين حتى اليوم الرابع من شهر أغسطس عندما عثر المكتب الفيدرالى للمباحث على جثثهم فى أحد

الحفلات المائية القريبة . وكنا في باريس بعد احتفال جائزة نوبل عندما سمعنا نبأ العثور على جثث القتلى والتعرف على قتلهم . ولم يكن هذا الحادث غريبا على ميسيسيبي وما يحتاجها من مناخ عنصري متشدد . وكما قال مارتن عند رثائه لهؤلاء الثلاثة : إنه يعلم تماما الحال التي يقف فيها الفرد في وادي الظلام . والموت أمام المأمور رينى ومحكمة في ميسيسيبي .

وخلال هذا الصيف كانت نيويورك تحتفل بالمعرض العالمي الذي أقيم بها . وقد ساعدنا أصدقاؤنا على حضور المعرض والتجوال فيه نحن وأطفالنا ، فقد تخلى لنا أصدقاؤنا من أسرة سمادبك عن شقتهم في نيويورك حيث أمضينا ثلاثة أسابيع ، وقد انتقلوا هم إلى منازلهم الصيفي في ولاية كونكتكت . وخلال إقامتنا في نيويورك عقد مؤتمر الحزب الديمقراطي ، وقد اشرك فيه مارتن بجهوده محاولا أن يشرك فيه وفد ولاية ميسيسيبي ، وتمكن فعلا هو وزملاؤه من ذلك .

وخلال نفس الصيف سافر مارتن إلى ألمانيا ليلقي بمواعظه في ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ، ثم توجه إلى روما ليلتقي بالبابا بول السادس .

أما أنا فقد انشغلت بإقامة حفلات موسيقية لأجل القضية ، وأطلقت عليها اسم « حفلات الحرية » . وكانت تشبه الحفلة التي أقيمت في نيويورك عام ١٩٥٦ والتي أطلقت عليها اسم « صورة لمظاهرات احتجاج «اللاتويستات» في مونتجمري » .

وكانت هذه الحفلات مزيجا من الموسيقى والدراما ، وكانت دراسي الموسيقى وتجارب السابقة في إقامة مثل هذه الحفلات وسيلة فعالة في نجاح هذه الحفلات . كما أنني كنت قد تدربت أيضاً على الخطابة ، ولذا فكان من السهل على مخاطبة الجماهير وتوصيل ما أريد قوله لهم . وأقيمت حفلة أطلقت عليها اسم « قصة كفاح عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ » ، واستخدمت فيها الغناء والخطابة . وفيما يلي برنامج هذه الحفلة :

الحلم الأمريكى

ايرل روبنسون

المنزل الذى أقيم فيه

الحلم يتشوه

أغنية شعبية

اقرب منى ياربى

أمل جديد : صورة الحركة الاختلاط السلمية فى مونتهجرى

تقليدية

امشوا معا يا أولادى

فرانسيس توماس

قدمى تؤلمانى

روبرت ويليامز

لا أستطيع النكوص ياربى

هول جونسون

تمسك

هول جونسون

الشرف ، الشرف

الحركة القومية تتطور

تقليدية

منقصر

عالم واحد — إخاء واحد

هاميلتون فوربست

إن العالم بأمره بين يديه

التضحيات الكبرى

هول جونسون

شاهد

مسيرة واشنطنون

هول جونسون

البحث عن مدينة

مونتهجرى — الطريق الطويل إلى العودة

فوانيس توماس

لا سلام زجاجية

تقليدية

منقصر

وقد قدمت أول حفلة رسمية في الرابع عشر من شهر نوفمبر ١٩٦٤ في قاعة مدينة نيويورك التي امتلأت على سعتها ، وبلغت إيراداتها ٦٠٠٠ دولار قسمت بين جمعيات الحركة ، رغم أن مارتن في أول الأمر كان لا يظن أن هذه الحفلات ستدر إيرادا ينفع الحركة . ولكن عندما وصلت إيرادات هذه الحفلات أكثر من خمسين ألف دولار اضطر إلى أن يعترف بأنه لم يقدر حساباتها تماما .

وكنتم أغنى مع كورال كنيسة إيبينزر في أيام الآحاد ، وكان مارتن يطلب مني أن أقدم أناشيد التأمل في مدح المسيح ، فقد كانت محبوبه جدا لديه وكان يطلب مني إرشادها في أوقات الاحتفال بعيد الميلاد أو بعيد الفصح . وكنتم أنا الأخرى أحبها حبا جما ، أما الآن فأرى فيها معنى وتفسيرا جديدين ، فهذه الأغاني تذكرني إلى حد بعيد بتجارب حياة مارتن نفسه :
وتقول :

يا يسوع الجليل ، لقد ولدت في مذود
أيها الظل المقدس الجليل ، لم تعرف من تكون
لقد كانت أعيننا لا تبصر ، فلم نتعرف عليك
لقد أساء العالم معاملتك ، فأرجوك أن تتواءم معاملة أيضا
هذه هي الحال هنا
فلم نكن نعرف من تكون

وكان مارتن ذا صوت من نوع « الباريتون » ، وكان يحب الغناء ، وكثيرا ما كنا نشترك مع أولادنا في الغناء ، وبخاصة في احتفالات أعياد الميلاد ، كما كان مارتن يحب إرشاد أغاني الحرية مع أولاده . وقد أدى حبه للغناء إلى موقف حرج ذات مرة ، فقد كان يخطب في جمع حاشد . ولما انتهى من خطابه طالب من الجمهور أن يشترك معه في غناء نشيده . إن عينه تقع

على العصفور. ولكن يبدو أن الجمهور لم يفهم ما يقصد إليه مارتن ، ولذا فلم يستجب ، ووقف مارتن وحده يغنى ولا يسمع في الصلاة ، سوى صوته ، ولكنه أخبرني أن الجمهور استجاب له عندما وصل إلى المقطع الذي يقول :

إني أغنى لاني سعيد

إني أغنى لاني حمر

وبدا وكأن حملا عاطفيا قد انزاح من على عاتق الجماهير التي انطلقت تغني :

إن عيظه تقع على العصفور

وأنا أعلم أنه يرقبني

وقد أخبرني مارتن فيما بعد أنه أصيب بما يشبه الذعر المسرحي ، ولكن لم يجد أمامه مناصا من الاستمرار في الغناء ، وقال لي عند هودته إلى المنزل وهو يشعر بالفخر والكبرياء : « لقد نجحت ، ورغم أنك تقولين إني لا أستطيع الغناء فإن الجماهير ترى أنني أفعله ، » .

والحقيقة أنني لم أنتقد غنائه أبدا ، ولكن رغم أنه ليس مغنيا محترفا فقد كان يحب الموسيقى حبا شديدا ، وهذه صفة ورثها عن أمه ، وهي سيدة موهوبة موسيقيا . والحقيقة أن كل أفراد أسرته موهوبون موسيقيا ، فأخوه يغني بروعة وله أذن موسيقية لا تخطئ . وأطفالنا أيضا يحبون الموسيقى ، أما يولاندا فتعزف على البيانو ، وكذلك باني ، أما مارتن فيعزف على الترمبون ، وديكستر يعزف على النغير. كما يريد أن يتعلم العزف على الفلوت . والواقع أن الأولاد لا يهتمون كثيرا بالتمرين ، بعكس البنات .

والواقع أن أطفالنا أطفال عاديون ، وإن كنت في بعض الأحيان أنظر إليهم بدهشة لما تحملوه من تجارب مريرة دون أن يبدو عليهم أى تغيير . فمثلا نحن تعلم أن مدارس أتلانتا لم يتم فيها الاختلاط إلا في صيف عام ١٩٦٥ ،

وكنّا بالطبع نريد أن يدخل أطفالنا مدارس مختلطة ، وكنّا كذلك نحاول إقناع البيض بإدخال أبنائهم في المدارس المخصصة للزواج ، بهدف أن يشعر الجميع بإزالة الفوارق ، وإن كنّا ندرك مدى الصعوبات التي تعترض مثل هذا الإجراء ، وخصوصاً في الجنوب .

وقال لي مارتن : « إن عليك يا كوريتا أن تبحثي عن مدرسة جيدة وتسجلي أسماء الأولاد فيها ، وينبغي أن تكون مدرسة مختلطة » . وكنّا قد حاولنا إدخال أبنائنا في مدرسة خاصة في المرحلة الأولى مما واین بذلك إعطاءهم تعليماً مختلطاً ، ولكن إحدى المدارس الدينية رفضت قبول اسم يولاندا ، كما رفضت أخرى اسم مارتن ، رفضتهما المدرستان بسبب واحد ؛ لأنهما زوج ١١

ولم يشأ مارتن ، إزاء مسؤولياته الجسيمة ، أن يكرس وقتاً لهذه المسألة وعهد إلى بها ، رغم أن العفيف كان قد أوشك على الانتهاء . ولما بحث الأمر مع الأطفال أنفسهم رفضوا أن يدخلوا مدرسة لأولاد البيض .

واتصلت بجوانيتا أبرناتي ، وبحثنا الموضوع معاً ، وكان أطفالها يشعرون بنفس شعور أطفالنا ، إنهم لا يريدون أن يكونوا السود الوحيدین في مدرسة بيضاء . واستقر رأينا أخيراً على مدرسة قيل إنها أحسن المدارس الابتدائية في أتلانتا .

وفي الليلة التي تسبق ابتداء الدراسة أبلغنا أن أطفالنا وأطفال أسرة أبرناتي قد قبلوا في المدرسة .

وكان الأطفال يشعرون ببعض القلق ، ولكن لا يمكن أن أصف شعورهم هذا بالخوف ؛ فقد كان وجودهم معاً يعطمتهم بعض الشيء ويجعل من نظرات الانتقاد وملحوظات التهمك أمراً هيناً بالنسبة لهم .

وذهبت مع جوانيتا أبرناتي لتسجيل أسماء أولادنا ، واعترضنا أحد المخبرين

الصحفيين محاولا أخذ حديث منا ، ولكن الناظرة اعترضت طريقه قائلة :
لا تتحدثوا معي ، إننا لا ندلي بأحاديث للصحافة في مدرستنا هذه والتفتت إلى
الصحفي وطلبت منه مغادرة المدرسة .

وحاول الصحفي أن يشرح للناظرة أن اهتمام القراء شديد بمسألة الاختلاط
في المدارس ، وأن إحدى السيدتين زوجة لرجل مرموق ، وليس من السهل
أن نحاول إخفاء المسألة . وأضاف قائلاً : الواقع أن وجود أطفال أسرة كينج
في هذه المدرسة قد أصبح معروفا ، فقد نقلته وكالات الأنباء . .

أما أنا فقد كنت أشفق على الناظرة وأفهم سبب اهتمامها ؛ فقد كانت ترى
أن وجود الصحفيين والمصورين سيتدخل في نظام المدرسة ، وأنها تحاول بالفعل
أن تشعرنا بالراحة والقبول . فقد قالت : : إنني أريد أن يكون أبنائكم تلاميذي
وأنا واثقة أن بقية التلاميذ سيقابلونهم بترحاب . ولكن إذا حدث وألقيت
بعض الملاحظات القاسية فأرجو أن يبلغوني على الفور ، وسأتصرف في الأمر
لأنني لا أوافق على مثل هذه الأمور . .

واقترحت الناظرة أن ينتشر الأولاد في فصول متعددة حتى يستطيعوا
التألف مع بقية زملائهم ، ولسكننا ومعنا الأطفال كنا نخشى مثل هذا الإجراء
ولسكننا لم نعارض تهربته ، وقد نجحت بالفعل وسارت على خير ما يرام .

ولكني كنت لا أتفق مع الناظرة في أن يظل الأمر سرا ، ولذا فبمجرد
عودتي إلى المنزل سألتني أحد الصحفيين عن أدلادي ؛ فأجبتهم إنهم في المدرسة
المختلطة .

ولم يكن الدافع في هذا الدعاية عن القضية ، لأننا كنا دائما نحاول إبعاد
الأولاد عن الأضواء ، ولكني كنت أعتقد أن من الواجب أن تعلم الأمة
بأسرها أن الاختلاط في المدارس يمكن أن يتم دون جلبة أو ضوضاء ، وكنت

آمل أن تكون تجربتنا مثلاً يحتذى من أسر زنجية أخرى ليرسلوا أطفالهم إلى مدارس كانت فيما قبل مخصصة للبيض فقط .

ومن الأسف أن الناظرة شكت في مسلكنا ، واتهمتنا بحب الدعاية . ولكن الحقيقة أننا كنا قد تعلمنا أن نعيش بلا حياة خاصة ، واعتبرنا أن هذا ثمن ندفعه في سبيل العمل الذي كنا نقوم به .

وخلال هذه الفترة بدأت جمعية الحقوق المدنية حملتها في سبيل تسجيل أصوات الناخبين في الجنوب العميق ، وفي ولاية جورجيا ، وهي مسقط رأسنا ، سار التسجيل بشكل يدعو إلى الرضا . ففي عام ١٩٦٣ أضيفت أسماء ٣٠.٠٠٠ من الزنوج إلى قوائم الناخبين ، وأضيفت ٤.٠٠٠ أخرى عام ١٩٦٤ . أما في ولاية ألاباما ، وحافظها جورج والاس ، فإن التقدم كان بطيئاً للغاية ، فلم يسجل اسم زنجي واحد مثلاً في مقاطعتي لاوندز وويلسكوكس ، كما لم يسجل اسم واحد في مقاطعات الحزام الزنجي الأخرى .

واختار زوجي مدينة سيلما وهي قلب الحزام الزنجي ورمز الاضطهاد العنصري ، هدفاً لمظاهرات الاحتجاج حول حقوق الانتخاب . وسيلما مدينة متوسطة تقع بين مونتجمري وبرمنجهام . وقد سررت لهذا الاختيار ، لأن سيلما قرية جداً من بلدتي ماريون ، ولأنني أيقنت أن الحركة بهذا الاختيار ستنتشر من المراكز الكبرى إلى المجتمعات الصغيرة .

وفي أعقاب ليلة رأس السنة عام ١٩٦٥ توجه مارتن إلى سيلما مع بعض مساعديه . ورأى أن الخطوة الأولى الواجبة هي تفقد أساليب الخدمات العامة مثل أماكن الأكل والإقامة . وقد حذر الكثيرون مارتن من خطورة الموقف في سيلما وأنه قد لا يخرج منها حياً . وكان بعض أفراد الجمعية قد درسوا الموقف وخاصة مسلك المجتمع الأبيض فيها ، وتنبأوا بحدوث أعمال عنف .

ولكن اليوم مر بسلام ، ودخل أعضاء الجمعية إلى المطاعم وقدم لهم أصحابها وجبات الأكل .

وزار مارتن سيلبا بعد ذلك بأسبوع ، ولاحظ أن هناك رجلا من البيض يتبعه في كل تنقلاته ، ولم يثر هذا فزع أحد ، لأن الرجل كان يتصرف بشكل طبيعي لاغبار عليه . ولما دخل وراء مارتن إلى فندق أوبرت تقدم منه وهمس بشيء ، والثقت لإيه مارتن ليرد عليه ، فسا كان من الرجل الأبيض إلا أن ضربه بقوة على رأسه ، وكاد مارتن يقع على الأرض مغشيا عليه ، ولكن بعض زملائه ساندوه وأمسك الآخرون بالمعتدى حتى يهمل رجال الشرطة ويعتقلوه . وكانت إصابة مارتن خفيفة ، ولكن تسبب عنها صداد ظل يعاني منه بضعة أيام بعد الحادث ، الذي أظهر لنا أن المسافة بيننا وبين مهاجمينا يمكن أن تكون صغيرة جدا .

ولكن هذا لم يوقف النشاط في تسجيل أسماء النازحين في سيلبا ، وعقدت الاجتماعات طيلة شهرى يناير وفبراير في كل من سيلبا وماريون ، وقد حضر والداى هذه الاجتماعات ، كما تبرعا بالمال من أجل القضية .

وكانت الضحية الأولى لهذه الحملة في مدينة ماريون ذاتها ، فقد ألقى القبض فيها على الكثيرين ، مما أثار الجهور الذى نظم مظاهرة توجه بها إلى سجن ماريون للاحتجاج على الاعتقالات ، ونبأة أطفئت جميع الأنوار في الشارع وأخذت الشرطة يعاونها المتطرفون البيض في مهاجمة المتظاهرين بالعصى ، وحاول أحد الشبان حماية أمه من عصى الشرطة فأطلق رجال الشرطة عليه الرصاص وأردوه قتيلا ، وهذا الشاب يدعى جيمى لى جاكسون .

وجيمى لى من مدينة ماريون ، وخالته زميلة لى في الدراسة وصديقة حميمة ، وكان جيمس قد تخرج حديثا من المدرسة الثانوية ، وكان هو العائل

الوحيد لأسرته ، كما أنه لم يشترك في أى عمل من أعمال العنف ، بل راح ضحية لغضب البيض الأهوج .

وقد سمعنا بخبر مصرعة عندما أبلغنا أحد زملائنا بالتليفون النبا ، وقال إن الشرطة قد أغلقت المنطقة كلها بما لا يسمح حتى لسيارة الإسعاف بحمل الجرحى إلى المستشفيات .

وأقيمت جنازة كبرى لجيمى حضرها العديد من البشر الذين أتوا ليدعوه في وقت وصلت فيه الحركة السوداء إلى ذروتها .

وألقى مارتن المراثية ، وسار تحت المطر وعديد من المودعين حتى المقابر وسار بجانبه والذى يبلغ من العمر الخامسة والستين ، كما سار أخى الذى كان عضوا عاملا في الحركة ، كما كان يعمل قسيسا في كنيسة زيون وشرح نفسه كأمور للضرائب في مقاطعة نيرى عام ١٩٦٦ وكاد يفوز . كما قام في العام الحالى بكل الإجراءات التى تؤدي إلى إزالة النفرة من أحد مكاتب البريد في بلدة صغيرة بجوار منزل أسرتنا ، وذلك بأن عمل ساعيا للبريد في هذا المكتب ، ولمدى علمى لم يكن هناك حتى وقت قريب أى موظف زنجى في مكاتب البريد بالبلاد الصغيرة أو القرى في الجنوب منذ عهد الإصلاح .

ورغم أن مارتن كان قد تلبأ بحدوث الكثير من العنف والكثير من المقاومة الشديدة إذا ما حاولنا القيام بحملة مركزة ضد الاضطهاد العنصرى في منطقة الحزام الزنجى ، إلا أن نبا مقتل الشاب في ماريون كان صدمة كان شديدة لنا ؛ فقد شعرنا أنه نذير لما سيحدث في المستقبل . ولكن عقارب ساعة الحرية كانت قد تحركت ولم يكن باستطاعة أحد أن يوقفها .

وحوالى أوائل فبراير اشترك مارتن ورالف أبرنائى في تنظيم مظاهرة قوامها ٢٥٠ من الزوج ، وحوالى ١٥ من البيض ، سارت نحو دار المحكمة

بسيلما وأبدت اعتراضاً على الصعوبات التي يواجهها الزوج عند محاولة تسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين ، وألقي القبض عليهم جميعاً ، وأفرج عن معظمهم بكفالة ، ما عدا مارتن ورالف رفضا دفع الكفالة . فوضعا ، هما الاثنين ، في زنزانه واحدة ، وكانت هذه خطوة أفضل في سياسة السجن ، بدلا من السجن الانفرادي الذي مر به مارتن كثيرا من قبل وكان يعاني منه .

وظل الاثنان معتقلين لفترة خمسة أيام ، وتوجهت مع زوجة رالف إلى سيلما لزيارتها والاشتراك معها في السكفاح . وهناك قال لي آندى يونج : " يجب أن تأتي إلى الكنيسة لتحمي الجماهير لأن ما السكولم لكس موجود هنا ، وقد تحدث إلى الجماهير ، والآن جاء دورك للحديث . " وأجبت إني لا أشعر بميل للحديث ، ولكنني حثي وقال إني سأغلب على شعوري هذا بمجرد أن أواجه الناس .

ودخلت مع جواناتا إلى الكنيسة واستقبلنا استقبالا حماسيا، وتكلمت جواناتا أولا ، ثم ألقيت أنا خطبة قصيرة أكدت فيها إيماني بالمقاومة السلمية وطلبت الاستمرار فيها . ولما انتهيت عرفني الناس بما السكولم لكس لأول مرة ، وقد وجدته شخصا ذكيا رقيقا ، وقد قال لي : " هل لك أن تخبري الدكتور كينج بأن كنت أنوي زيارته في السجن ، وإن أستطيع ذلك الآن لأنني مضطر للسفر إلى نيويورك حيث أستقل طائرة إلى لندن ، إذ سأتكلم في مؤتمر الطلبة الإفريقيين . وأرجوك أن تبليغي الدكتور كينج أنني لم أحضر إلى سيلما لأزيد من متاعبه ، بل على العكس كنت أحاول تسهيل مهمته . فلو أن البيض أدركوا ما هو البديل أمامنا لكانوا على استعداد للاستماع إلى الدكتور كينج . "

وقد شكرته على مشاعره هذه ، ووعدته بأن أقوم بتبليغ رسالته لمارتن . والحقيقة أن إخلاص ما السكولم كان له أكبر الأثر في نفسي ، ولكنني كنت لأفهم الكثير من المبادئ الإسلامية التي تغاير تفكيرنا إلى حد بعيد .

والحقيقة أن كلا من إلبجاه محمد ومالكولم لكس قد لفتا صنوفا من العذاب على أيدي العنصريين من البيض ، فلا غرابة أن يشعر بالمرارة والكراهية ، وقد كانت أول وثيقة تصدرها الحركة الزنجية المسلمة تحت عنوان هو :
« الكراهية التي تعمل على إيجاد الكراهية » .

أما مارتن فكان يوافق وبشدة على الكثير من نواحي البرنامج الذي كان مالكولم يتقدم به ؛ فكان يشترك معه في الرغبة في أن يستعيد الزنجى الأمريكى كرامته العنصرية وحبه لنفسه ولعنصره ، كان يؤمن من معه بضرورة إيجاد بحث ثقافى وروحانى وجسمانى فى صفوف الزوج ، وكان يشارك مالكولم فى فكرة أن « الاسود جميل » ، وأن خصائص الزنجى وقيمه تفوق فى كثير من الاحيان الثقافات البيضاء التي حاولت استعبادنا . وكان مارتن بالإضافة إلى كل هذا يشعر بأخوة بالغة تجاه إخوته الإفريقيين ، ويعتقد أن تراثنا واحد .

وفى ذات الوقت كان مارتن يرى أن المسيحية البيضاء قد أخفقت فى أن تلتزم بتعاليمها ، وإن كان يرى أن الخطأ لا يقع على الخلق المسيحى بقدر ما يقع على الذين خيبروا آمال المسيحية التي تنادى بالحب والإخاء ، وأن ثمة فرصة كبيرة أمام الشعب الاسود لتصحيح وضع المسيحية فى أمريكا .

وكان مارتن يؤمن بالمقاومة السلمية ، وبأنه ينبغي أن يكون للشعب الاسود دور فى الاقتصاد والتعليم ، وفى العمل ، وفى حرية الاختيار . يجب أن يكون للشعب الاسود نفس الفرصة التي تمنح للعنصريات الأخرى حتى يستطيع هذا الشعب فى مجموعه أن يقف على قدميه فى مجتمع لا ينصر فيه الجميع ، بل يقباينون ويتجادلون وتحاول كل مجموعة منهم أن تغتصب ما فى يد الأخرى من قوة . والسود لم يكن لهم دور بارز فى السياسة كما حدث للأيرلنديين مثلاً ، ولا فى ميادين المال كما هى الحال مع البروتستانت مثلاً ، ولا فى كثير من المناصب التي يحتكرها اليهود . والحقيقة أنه القوة السوداء يجب أن تثبت وجودها أولاً قبل

أن تحاول الحصول على المساواة . وهذا لا يعنى بالطبع أننا نطالب بميزات فوق
العنصريات الأخرى ، بل كل ما نريده أن يكون لنا نفس الدور الذى لهذه
العنصريات .

وكان رأى مارتن أنه ينبغى أن نحصل على الحرية الآن ، وأن الحرية
لا يمكن الوصول إليها إلا بالثورة على كل من يمنعها عنا ، ولكن بالثورة
السلمية لأن هذا هو الطريق الوحيد أمامنا ، السلام أمام كل من نواجهه ،
السلام أمام أرواحنا نحن ، وهى الأرواح التى ستقضى عليها حتما الكراهية
لو دبت فيها .

والحرية الآن، هذا هو الشعار الذى كافح مارتن من أجله ، بروحه ودمه .
من يستطيع الشك فى هذا ؟ أذكره وهو يناشد الجماهير أن تحتفظ بشجاعتها
لمواجهة المعركة ، وأذكر أن الأطفال كانوا فى ذلك اليوم معه والتفت هو
موجها الكلام إلى ابنتا مارتن يسأله : « ماذا تريد يا مارتن ؟ » ، وأذكر أن
مارتن رد على أبيه قائلا : « الحرية » ، ثم يعود الأب ليسأل ابنه « متى تريد
الحرية يا مارتن » ، فيصيح الصبي : « نريد الحرية الآن » .

وبهذه الروح التى تمثل درعا واقية وتمثل برنابجا ناجحا استطاع مارتن
أن يزعزع الجبال .

وأبلغت مارتن بحديثى مع مالكولم لكس ، ولكن الوقت الذى سمح لنا
للزيارة كان قصيرا جدا حتى أننا لم نعط منه الكفاية للحديث عن مالكولم .
وبعد ذلك ببضعة أيام رفضت الحكومة البريطانية السماح لمالكولم بدخول
انجلترا فعاد إلى أمريكا حيث اغتيل بعد ذلك بأسبوعين فى اجتماع هام
فى هارلم .

وقد تأثرت جدا لمصرع مالكولم لكس لأنى كنت قد تعرفت به حديثا

وكنيت قد بدأت أفهم مبادئه إلى حد ما بعد أن أعدنا أنا ومارتن ، تقديرها ، وأدركنا أنه زار مكة المكرمة ثم قطع علاقاته بإيجاه محمد ، وبدأ يتحول عن الكراهية ويدخل نطاق الدولية ويحارب الاستغلال. والحقيقة أن اليد التي اغتالت مالسكولم هي نفس اليد العنصرية التي اغتالت الكثيرين ممن كانوا يدعون إلى التغيير بالطرق السلمية بعيداً عن العنف .

وقلت لمارتن : ديا للخراسة ، فقد كان رجلاً موهوباً ومحدثاً بارعاً ، وإنها لخسارة كبيرة للشعب الأسود أن يفقد مثل هذا الداعية البارع في الفترة التي كان قد وصل فيها إلى شيء ذي قيمة .

أما مارتن فكان يرى أن مالسكولم لكس شاب موهوب ولكنه أساء توجيه خطواته ، وكان الاثنان قد تقابلا وناقشا معتقداتهما ، وكنيت أنا أتفق أن مالسكولم لكس رغم أنه لم يعان عن آرائه هذه كان يكن الكثير من الاحترام لمارتن وكان يرى فيه شخصاً فريداً من نوعه في شجاعته وجرأته . ومالسكولم كان يعجب بالرجولة ويرى مارتن مثلاً واضحاً لها .

وواصل مارتن سفرياته إلى سيليا في أثناء حركتها ، وواصلت الجمعية محاولاتها في تسجيل أسماء الناجحين رغم المشكلات العديدة التي كانت تعترضها ، فقد راحت السلطات تعمل على عرقلة التسجيل ، وذلك بإرغام الزوج على الوقوف ساعات طويلة أمام مكاتب التسجيل ، ثم تغلق هذه المكاتب أبوابها ويطلبون منهم العودة مرة أخرى ، أو كانت المكاتب تلجأ إلى حيلة أخرى فتسمع اعداد قليل من الذين يقفون في أول الصف بالتسجيل ، ثم تعلن فجأة عن إغلاق المكتب ،

وكما كانت الحال في برمنجهام كان المسؤولون في سيليا من المتطرفين المسعورين ، فقد كان عمدة سيليا ويدعى جوسميرمان صديقاً حميماً للحاكم

والأس ، كما كان المأمور صورة أخرى للثور كونور ، وكنا قد أعدنا أنفسنا لمواجهة العنف، وحاولنا نشر الوعي بين الناس لمقاومته في طريقة ثورية غير عيفة .

والحقيقة أن الرجل الأسود يتعرض دائما لتيار خفي من العنف ، وهو العنف السياسي والعاطفي الذي يحرم الشخص من حقوقه ومن حقوق تعليم أولاده وتوفير الرعاية الصحية لأسرته . وقد رأى زوجي أن من الأفضل أن تتحمل العنف الجسدي وتقبله لفترة ما ، هل أن نقع فريسة للعنف العاطفي طيلة قرون ، كان من الممكن تعبئة الشعور العام لإزاء هذا العنف الجسدي بما يكفل التغيير السياسي والاجتماعي الذي سيؤدي حتما إلى القضاء على عناصر العنف النفساني المميت الذي يمارس ضد الشعب الأسود .

وفي يوم الجمعة الخامس من شهر مارس طار مارتن إلى واشنطن وأضى ساعتين ونصف ساعة مع الرئيس ليندون جونسون حاول فيها أن يصف له الأحوال السائدة في الألباما ، ويحثه على التقدم بقانون الحقوق الانتخابية الذي يقضى بإرسال مسجلين فيديراليين لتلقي طلبات التسجيل . ولما عاد من رحلته هذه أعلن أنه قد نظم مسيرة ستقطع أربعة وخمسين ميلا ، وهي المسافة بين سيليا ومنتهجمري . وسرعان ما أصدر الحاكم والاس أمرا بمنع هذه المسيرة . أما مارتن فقد خاطب أهل سيليا قائلا : لا أستطيع أن أضمن لكم سلامتكم من الاعتداءات ، ولا سلامة منازلكم من القنابل ، لا أستطيع أن أضمن لكم هذا ، ولكن علينا أن نتمسك بما نعتقد أنه حقنا ونهب للدفاع عنه ، .

وفي اللحظة الأخيرة تمكن بعض زملائه من إقناعه ألا يقود المسيرة بنفسه ، فقد كانت استراتيجيته الخطة تقضي ألا تسمح باعتقال القادة في المراحل الأولى للحملة ، لأن هذا كان سيترك جيش الشوارع دون قادة . والحقيقة أن مارتن لم يتنبأ بحدوث العنف في هذا اليوم بالذات ، فقد كان

يعتقد أن الحام والاس سيأسر باعتقال المتظاهرين ، ولذا فقد تركوا مكان القيادة لويليامز ولويس ، من الزملاء .

وقد شهد كل من يملك جهازا للتليفزيون ما حدث في سيلبا في هذا اليوم المشمس الدموي ، فقد سار ما يقرب من خمسمائة رجل وامرأة من الزوج ومعهم بعض البيض إلى خارج المدينة حيث واجههم المأمور ومعه ستون من حرس الولاية وبعض الحرس الراكبين عند جسر «كوبري» ، ادموند بيتس الذي أصبح فيما بعد من أشهر الجسور «السكباري» في أمريكا . وطلب المأمور إلى المظاهرة التوقف ، وسمح لها بمهلة دقيقتين للعودة من حيث أتت . ومرت دقيقة من الصمت الرهيب أخذ بعدها الحراس يضعون على رؤوسهم الأقنعة الواقية من الغاز ، وصاح قائدهم : «تقدموا يا جنود . . .» واندفع الستون حارسا وسط المظاهرة وهم يلوحون بالعصى ، وأصيب ما يقرب من عشرين شخصا أما الباقون فقد خروا على ركبهم يصلون ، وهجم الجنود ثانيه وألقوا بالقنابل الغازية المسيلة للدموع ، ثم التفت القائد إلى الجنود الفرسان وقال : «افضوا على هؤلاء الزوج الملاعين ، وافضوا معهم على أصدقائهم البيض الملاعين .» وهجم الفرسان وهم يهتفون بندايات الحرب .

وكان شعور البلاد كلها لهذا المنظر هو التقزز والاشمئزاز لرؤيتها فقابل الغاز والعصى والخيول وراكبيها بطريقة من السياط «السكرابيج» ، وينزلون بها على ظهور المتظاهرين وكأنهم الفرسان القيصريون ، رأت الامة الجنود يطاردون النساء والأطفال وهم يحملون بأيديهم العصى الكهربائية التي تستخدم في جس الماشية ، طاردوهم حتى عادوا إلى نقطة البداية عند الكنيسة ، ونجم عن كل هذا إصابة عشرين لإصابات اقتضت دخولهم المستشفى ، كما أصيب خمسون آخرون بإصابات خفيفة .

وفي نفس الوقت اصطف البيض العنصريون على جانب الشارع يصيحون :

« أقضوا على هؤلاء الزوج ، أقتلوا الملاحين ، وغير هذا من
الشتائم البذيئة .

وقد قصت ممرضة بيضاء فيما بعد كيف أنها رأت أحد الجنود يطرقع سوطه
« كرباجه » ، وينزل به على ظهر صبي وهو يصيح بطريقة هستيرية : « تقدم
يا زنجي لقد أردت للسير ، وهناذا أساعدك » .

وكانت الغازات المسيلة للدموع قوية بحيث أثرت في الكثيرين الذين كانوا
يقعون على الأرض ولا يهربون من عصي « وكراييج » الجنود .

وأحسّت البلاد كلها بالهلع . أما مارتن فقد كاد يصاب بذهول ، وقال :
« لو كنت تصورت أن كل هذا سيحدث لا شرتك بنفسى في المسيرة » . ثم
أعلن أنه سيشارك مع رالف أبرناتى في مسيرة أخرى يوم الثلاثاء . وتمكن
المسؤولون في ألاباما من إصدار حظر فيدير الى على هذه المسيرة .

أما أنا فقد كنت في سان فرانسيسكو أقيم حفلة خامسة من سلسلة حفلات
الحرية التى نظمها فى الشاطئ الغربى ، ووصلتى الانباء المروعة قبل الحفلة
ب دقائق ، وانتظرت مكالمه من مارتن ، ووصلت المكالمه فى الساعة الثالثة
صباحا . وكانت الإشاعات باغتياله قد انتشرت ، واسكنه أبلغنى أنه سيتوجه
الى سليما رغم كل ذلك . وقالت له : « إذا كان معك أعوان فإنك ستملى
شروطك » . وأبلغنى مارتن أن الجماهير تتدفق على سليما الآن .

وتحدثت معه أيضا زوجة مدير العلاقات العامة لحفلاتى ، وقال لها إنه
يشعر بأنه لن يخرج حيا من مظاهرات سليما . ووضعت سماعة التليفون والتفت
الى تقول : « لم أسمع مارتن يتكلم بهذه اللهجة من قبل يا كوريتا ، هل احتمال
اغتياله قائم فى ذهنك ؟ » . وأجبته ببعض التردد : « لقد راودتنى هذه الفكرة
كثيرا ولكن على أن أفاومها ، فنحن واثقون من وقوفنا الى جانب الحق ،

ولا نستطيع التوقف الآن ، فسيظن الناس أن الجبن دب في نفوسنا ، وستضيع
ثقتهم بنا ، .

ولكن القلق كان سيقتلني ، ورغم أني كنت لا أزال مرتبطة بمحفلتين ، فقد
صممت على أن أغيرهما إذا حدث شيء لمارتن وأعود .

وكننت قلقة جدا على الأولاد أيضا ، وعلى رد الفعل لكل هذه الحوادث
وأثره فيهم ، ولذا فقد اتصلت بهم تليفونيا واسكنهم كانوا بحالة طيبة رغم أنهم
كانوا مدركين تماما لمعنى كل هذه الحوادث .

ومرت الايام التالية مليئة بالقلق ، وكننت أرقب التليفون وأنسمع لكل
نبأ يره من سيلبا . ذهب مارتن الى سيلبا يوم الإثنين ، واتصل به النائب العام
عدة مرات يرجوه فيها ألا يمارض أمر الحظر ، وأخيرا اضطر حاكم فلوريدا
ليروی كوليز أن يستقل الطائرة الى سيلبا ليقنع مارتن ويهدى ثائرة
المسؤولين فيها .

ومر مارتن بالحنة حساب عسيرة ، إذ كان لا يريد عصيان حظر فيديرالى
لأن هذا كان لا يتفق ومبادئه . وناشد قساوسة أمريكا الانضمام إليه يوم
الثلاثاء فى المسيرة . وأخذت الأفواج تنهال على سيلبا ، من السود والبيض على
السواء ، وتذكر مارتن ما حدث فى ألبانى ، ورأى أن إلغاء المسيرة سيقضى على
آمال كل هؤلاء ، ولذا فقد أبلغ كوليز أنه مصمم على المسيرة ، وقال : « انى
أفضل أن أموت فى الشارع على أن أشهد مذبة ضيرى » .

وتجمع نحو ١٥٠٠ شخص ، أكثر من نصفهم من البيض ، فى سيلبا ، وكان
من بينهم قرابة ٥٠ قسيسا وراهبة . وقاد مارتن ومعه أبرنائى المسيرة .
وعبرت الجسر « السكوبرى » المشهود ، وواجهت الجنود . وصدر الأمر
بالتوقف . وركع كلهم للصلاة . وشك مارتن فى نية الجنود وتنبأ بحدوث

عنف وقتل ، فأمر الجميع بالعودة وقد تعرض بسبب هذا الأمر لنقد شديد
ولسكنه رأى أن المواجهة كانت ستفضي على التجميع وتشتت القوى .

كان مارتن دائماً يعتقد بخطأ مواصلة العمل بالأعداد الضئيلة ؛ إذ كان
دائماً يؤكد أن وجود الجماهير دليل في حد ذاته على سياسة عدم العنف ، بل
التأييد لها . وكان يعتقد أن أنصاره يزيد عددهم بكثير عن عدد الذين تجمعوا
معه في سيليا في هذا اليوم ، والحقيقة أن أمريكا بأسرها كانت وراءنا ، كما أظهرت
الأحداث فيما بعد .

وكانت هذه الخاتمة فجائية ، ولسكنها لم تقض على حركة سيليا ، لأن العنصريين
البيض بأعمالهم الوحشية أثاروا ضمه البلاد وأظهروا أمامه كل ما يمثلونه من
شر . وفي نفس الليلة تناول أحد القساوسة البيض طعام العشاء في مطعم للزواج
وكان معه اثنان آخران ، وأثناء خروجهم من المطعم تقدم منهم أربعة من جماعة
كلوكلوكس وهاجوم وهم يصيحون . دأبها الزوج البيض ، أين علامات
المطرقة والسندان ١٤ ، وأصيب واحد منهم في رأسه ، ومات بعد ذلك بيومين
دون أن يستعيد وعده .

وألقي رجال الشرطة القبض على ثلاثة من القتلة . ولسكن دون جدوى ،
فقد ثارت نائرة البلاد بأسرها ، وسارت المظاهرات في مدن أمريكا من شرقها
إلى غربها ، واجتمع ٤٠٠٠ من القادة الدينيين في واشنطن وقرروا تأييد
قانون الحقوق الانتخابية ، كما تظاهروا أمام البيت الأبيض .

وأقيمت حفلة تأبين يوم ١٥ مارس لجيمس ريب ، وهو القسيس المختال
حضرها ما يقرب من ألفين ، في دار المحكمة بسيليا . وألقى مارتن المراثية التي
تساءل فيها : لماذا يموت الاخيار من أجل الخير ، لعل موت جيمس ريب
يكون سبباً في أن يراجع الجنوب الأبيض خطئه .

و تكلم الرئيس جونسون هذه الليلة أخيراً أمام الكونغرس بمجلسيه، وأذيع
خطابه بالتليفزيون على البلاد كلها : قال جونسون :

« إن التاريخ والقدر يلتقيان في وقت ما عند نقطة معينة في مكان معين
ليشتركا في تحويل مسار البشرية في سبيل بحثها عن الحرية .

هذا ما حدث في ليكسنجتون وفي كونكورد ، وكما حدث منذ قرن في
أبوماتكس . وكما حدث في الأسبوع الماضي في سيلبا .

هناك تظاهر المظلومون من الرجال والنساء في سبيل الحصول على حقوقهم
المنكرة عليهم كأمريكيين .

إن ما حدث في سيلبا ليس إلا جزءاً من حركة كبرى تصل إلى كل بقعة
من الولايات المتحدة . إنها جهد الزنحى الأمريكى في سبيل حصوله على منافع
الحياة الأمريكية .

إن مهمتنا في هذه الآونة هى أعقد وأهم المهام ، مهمة إصلاح الخطأ ،
وإقامة العدالة ، وخدمة البشر .

إن قضية الزنوج قضيتنا ، ولأنها ليست قضيتهم وحدهم فن واجبنا أن
نحطم تراثنا الأعرج الذى يتسم بالعنصرية والظلم .

وسننتصر ، .

وقد أوضح جونسون بعد ذلك في خطابه أنه سيضع قانون الحقوق
الانتخابية على رأس الموضوعات في سياسة حكومته .

وأذكر أنى قلت لنفسى وأنا جالسة أستمع إلى الحديث الذى أطلق عليه
فيما بعد حديث « سننتصر » ، قالت : « الحمد لله ، لقد وصلت رسالتنا أخيراً
إليهم ، وصلت الرسالة التى طالما كبرها زوجي عبر السنين » .

ورغم كل هذا سارت حركة سيلما بطيئة تجر أقدامها . استمر الناس يتظاهرون ، واستمرت السلطات تاقى القبض عليهم . وحدثت خلالها حادثتان للقتل و ٣٨٠٠ أمر اعتقال . ولم يسجل سوى اسم ١٥ زنجيا في قوائم التصويت .

وجأة تغير كل شيء . فقد رفع أمر الحظر عن المسيرة من سيلما إلى مونتجمري ، وأخذ مارتن ينظم لها ، رغم أن الحاكم والاس كان يأمر بمنعها ، ولكن الرئيس جونسون أصدر أمراً بأن يصبح الحرس الوطني في ولاية ألاباما حرساً فيديرياليا ، كما أرسل ٤٠٠٠ من جنود الجيش إلى ولاية ألاباما . ستسير المظاهرة الآن تحت رعاية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر مايو ، أى بعد أسبوعين من حادثة البكوبرى الوحشية ، سار مارتن على رأس مظاهرة خرجت من سيلما وهبرت الجسر البكوبرى ، واستمرت في سيرها لمسافة ثمانية أميال ، ثم توقفت حسب اتفاق مارتن مع القوات الفديرالية ، وتفرق شملها ولم يبق من الخمسة آلاف متظاهر سوى ثلثمائة واصلوا سيرهم حتى مونتجمري .

ورغم ارتباطى بحفلة موسيقية ، فقد طلبت من مارتن أن اشترك في المسيرة ، ولكنه طلب منى أن أقيم الحفلة لأن هذا فيه معونة أكبر ، وأنى أستطيع الانضمام إلى المسيرة بعد الانتهاء من الحفلة وهذا ما فعلته .

وسارت المظاهرة بنظام دقيق كان نتيجة لجهود هوسا ويليامز الذى انضم إلينا في صيف ١٩٦٤ ليعمل مديرا لخدمة تسجيل الأصوات . وكان شخصا منظمًا من الطراز الأول . فقد وفر الوحدات الطبية التى تتولى علاج كل من يصاب بمرض فى أثناء المسيرة ، كما أقام لجنة للتغذية ولجنة للإسكان تقيم الخيام لينام فيها المتظاهرون ، كما أقام خدمة متنقلة بين المسيرة والمدن المحيطة .

وأذكر ذات ليلة أن أحسن مارتن بالتعب ، وكانت قدماه قد تورمتا من السير وعالجه أحد الأطباء ، وسأل أحد الجنود عن مارتن وهل سيواصل السير ولكننا أبلغناه أننا سنضطر إلى إعادته إلى سيلها ، وعندئذ همس المهندي بأنه قد تم ضبط مؤامرة لاغتياله ، ولكننا صممنا على مواصلة السير .

وتوجه مارتن بالطائرة بعد ذلك إلى كليفلاند ، أما أنا فتوجهت إلى أتلانتا لأطمئن على الأولاد . ثم ذهبنا معاً إلى مونتجمري ، وتوجهنا بالسيارة صوب المسيرة لننضم إليها . و ضربنا خيامنا هذه الليلة بالقرب من دار البرلمان . وكان معنا الكثير من الفنانين من أمثال هاري بيلافونت وليونارد برلستين وسامى ديفيز وغيرهم كثيرون وقد أقاموا الحفلات الغنائية للترفيه عن المتظاهرين . وكان الظلام يسود حولنا ، ولكننا كنا نتحسس طريقنا إلى لافريز برلمان الولاية ، ولما وصلنا إليه طلب منى بيلافونت ان ألقى كلمة وحاولت التلصص ، ولكنه هو ومارتن أصرا على ذلك .

وتحدثت أذكر المجتمعين أن هذه هى البقعة التى نشأت فيها وترعرعت . كما قلت لى عندما عدت إلى مونتجمري منذ عشرة أعوام كان لهذه العودة أكبر الأثر فى نفسى ، ثم وجهت الكلام إلى النساء مبينة لهم كيف أن هذه المسيرة ستشكل مستقبل أبنائنا ، وأخيراً ألقى قصيدة من شعر لانجستون هيوز تقول :

اسمع يا بنى ما سأقصه عليك

لم تكن الحياة بالنسبة لى سلباً من البللور

بل كانت مليئة بالمسامير

والأخشاب

والعوارض المقطعة

والأرض الخالية من الأبسطة

العارية

ولكن طيلة هذا الوقت

كنت أواصل السير

حتى النهاية

وآلف وأدور

واسير أحياناً في الظلام

حيث لا نور

فلا تنظر إلى الوراء. يابني

فلا تنتظر على السلم

لأن ذلك سيكون عسيراً

لا تقع الآن

لأنني مازلت أواصل المسير

أواصل الصعود

رغم أن الحياة لم تكن بمثابة سلم من البللور

وكان اليوم التالي هو ذروة حملة سبيلنا . وأخذت السيارات تفرغ حولنا

طوال الليل ، ووصل عددنا إلى الآلاف ، فقد أتى المؤيدون من كل
الاجناس والعناصر والاديان والطبقات . وكان الجميع يدركون الخطر الكامن
ولكن حبهم العميق للعمل كان يدفعهم إلينا ، ويسوقهم إلى صفوفنا .

وتجمعنا عند مستشفى سانت جود على بعد ميلين من وسط المدينة ، ثم
سرنا عبر حى الزنوج حتى وصلنا إلى كنيسة ديكستر ، سرنا فى شوارع
نعرفها جيداً ، وأخذت الجماهير تحيئنا وتهنئ لنا . وكفلت لنا السلامة على
طول المسيرة ، فقد وقف جنود الحكومة على أسطح المنازل وفى الطرقات
وركبوا طائرات الهليكوبتر التى حلفت فوقنا . أما جنودنا نحن فقد أحاطت
مارتن ، بسبب التهديدات المتكررة التى بلغت .

ومررنا أمام الكنيسة الحبيبة حتى وصلنا إلى دار البرلمان ، ولاحظت
وجود أبى وأمى بين الجماهير رغم أنها لم يريانى ، ولكنى طلبت من أحد
أعواننا أن يأتى بهما . وكان معنا أيضا دادى كينج ، رغم أنه لم يستطع
قطع المسافة كلها ولكنه أصر على أن يسير عند نقطة دخول مونتهجرى ؛
فقد كانت هذه فترة هامة بالنسبة لأميرتنا كلها . وبالطبع كان معنا رالف
أبرناثى وزوجته جوانيتا وأولادهما وكثيرون من الأصدقاء . ووقف والدى
معى على المنصة .

وبدأت الكلمات ، وعبرت بذاكرتى السنين الماضية منذ عام ١٩٥٥ ،
ومرت أحداث حملة « الأوتوبيس » وتذكرت كيف أن من اشترك فيها كان
عدداً ضئيلاً إذا قيس بالعدد الموجود حالياً . أما الآن ، وبعد عشرة أهوام
وبعد أن نجحنا فى القضاء على التفرقة فى الاتوبيسات وفى الأماكن العامة ،
فقد ضمنا بعض كرامتنا وسرنا قدماً فى سبيل القضاء على التفرقة فى المدارس .

والأهم من هذا كله أننا نجحنا فى نشر الوعى بين الناس ، الوعى بقضايانا
بشكل لم يسبق حدوثه من قبل . ونظرت إلى الجماهير المحتشدة ، ورأيت الكثير
من البيض بينهم والكثير من رجال الدين . وقلت لمارتن فيما بعد إن هذا
الجميع يعبر أكبر شاهد على وقوف الكنيسة معنا .

أحسست أن هذه فترة هامة في تاريخ أمريكا كلها ، فترة تظهر فيها الحقيقة رغم أن هناك للكثيرين من أمثال جيم كلارك الذين قالوا لن تتم هذه المسيرة إلا على جثتي ، ولسكنها تمت وها نحن أولاء كنا منذ عشرة أعوام نتكلم عن الكرامة ، أما الآن فإننا نحس بها . وسألت أبي عن شعوره فقال هذا أعظم يوم في تاريخ الزوج ، بل وفي تاريخ أمريكا كلها .

وألقى مارتن كلمة رائعة قال فيها : إنني أفئ أمامكم اليوم وأنا واثق أن التفرة العنصرية في ألاباما تعاني سكرات الموت . لقد تحررنا ولن نوقفنا موجة العنصرية ولا غضب النعصب . سنسير حتى نحقق الحلم الأمريكي . والطريق أمامنا ليس ممهداً ، بل مليء بالألم ، ولكن إلى متى ؟ ليس إلى أمد طويل ؛ فالكذب لا يعيش طويلاً ، والله يسير بجانبنا .

وعند ذهابنا إلى المطار هذه الليلة وجدنا المطار محتشداً بالجماهير التي تنتظر السفر ، واضطر الكثيرون منهم إلى الجلوس أرضاً ، ولكنهم كانوا في حالة معنوية طيبة ، ويضحكون ويمرحون ويأكلون ، كانوا غرباء هند بدء المسيرة ولكنهم أصبحوا الآن أصدقاء ، السود منهم والبيض ، يشاركون بعضهم بعضاً الفرحة والانتصار . وقد سعد مارتن لهذا المنظر وقال إنه يمثل حالاً صغيراً يحفل بالاخوة الحقيقية .

ولما وصلنا أتلانتا سمعنا من ينادي باسم مارتن ليتكلم في التليفون ، وذهب مارتن ليتلقى خبراً مروعاً ، خبر مقتل المسز فيولا ليوزو ، وهي سيدة بيضاء زوجة لأحد الموظفين في ديترويت ، وقد أطلق عليها الرصاص وهي تقود سيارتها وتحمل معها بعض المشركين في المسيرة عند عودتهم إلى سيليا . وطفى الحزن على الفرحة فقد روينا لمقتل هذه السيدة الجميلة الشجاعة . أما أنا فقد شعرت بما سيمانيه أطفالها وزوجها . وبما لا شك فيه أن سبب إطلاق الرصاص عليها هو أنها كانت تحمل معها في سيارتها بعض الزوج ، لقد ألهبت العنصرية حواس قاتلها وأبعدته عن الصواب إلى متى سيظل هذا ياربي ؟ ١٩ .

تم التوقيع على قانون حق الانتخاب يوم ٦ أغسطس ١٩٦٥ ، ورغم أن سريانه كان يحتاج إل الكثير من الخطوات التشريعية من جانب الحكومة الفيدرالية إلا أنه هو وقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ يمثلان تقدماً ملموساً في سبيل حماية الزنحى من للناحية القانونية الجديدة ولكن هذه القوانين الجديدة لم تسهم إلا بالقليل في حل ورطة ملايين السود الذين كانوا يعيشون في أحياء فقيرة في مدن الشمال ، فهؤلاء لم يكن العائق أمامهم هو الاضطهاد العنصرى أو الحرمان السياسى ، بل كانت تقف أمامهم قوة خفية تمثل نوعاً من التفرقة المتفق عليها ، كما كانوا يعانون معاناة شديدة من للتفرقة الاقتصادية . ولهذا الأسباب كان موقفهم يعتبر في حد ذاته أسوأ بكثير من موقف زنوج الجنوب ، فلم يكن أمامهم بارقة واحدة من أمل . وقد أدرك مارتن بفكره الثاقب أن المكاسب السياسية التى حصلنا عليها ، والانتصارات المعنوية التى أعادت إلينا بعض كرامتنا ، رغم كونها أساسية ، إلا أنها لا تكفى للقضاء على البؤس المدقع القاسم . فشكلة الفقر بحاجة دائماً إلى علاج سريع مباشر ، ولذا فقد أدار دفعة الحركة بحيث تشمل قضايا أعم وأعرض .

وبعد حملة سيلها مباشرة اقترح مارتن في أثناء جلسة للمجلس القومى للزنوج عقدت في بالتيمور في الثانى من شهر إبريل أن يعمل المجلس على توسيع نشاطه حتى يشمل الشمال والغرب . وكانت هناك أصوات معارضة كثيرة في المجلس لهذا الاقتراح ، ولكن مارتن قال إنكم تتوقعون أن يقف نشاطنا على بالتيمور أو فيلادلفيا ، أو ديترويت ، أو لوس أنجليس . ولكنى أقول لكم إن حركة المقاومة السلمية ستشمل الولايات المتحدة بأسرها .

وقد عزز وأى مارتن هذا ما انفجر من مظاهرات في المدن الكبرى ، فقد قامت مظاهرة ضخمة في حى هارلم خلال صيف ١٩٦٤ ، كما انفجر حى واتس بولس انجليس بعد أن وقع الرئيس على قانون حقوق الانتخاب

بأسبوعين . وكان مارتن وقتئذ يحضر مؤتمر أتباع المسيح الدولي في سان
جوان بيورتوريكو فطار إلى لوس أنجلوس ليجتمع بالمسؤولين في المدينة
وبالحاكم براون ، حاكم كاليفورنيا ، وبالقادة الزوج في محاولة لتهدئة الجو .
وفوق هذا كله فقد كان هدف مارتن أن يضغط على الحكومة لتبحث في
مشكلات الناس ، وليجعلها تدرك أن قمع الاضطرابات ليس الوسيلة ، ولكن
الحل الناجع هو العمل على إيجاد مساواة اقتصادية وسياسية .

وقد قال بعض المعاقين إن مارتن لوثر كينج لا يناشد إلا متوسطى العمر
من رجال الكنيسة ، وإنه لا صلة له بالشباب أو بزواج الشمال . ولكن ارتباطه
الوثيق باحتياجات الطلبة وبزواج شيكاغو فيما بعد دحض كل هذه الاتهامات
وقد أخبرنا مارتن - بعد رحلته إلى وائس - أنه بينما كان يذرع الشوارع كان
الناس شبابهم وشيوخهم يلتفون حوله وينصتون لما يقوله . وقد أحس في
هذه الليلة أن استجابة الجماهير له كانت من القوة بحيث تؤدي إلى قيام
حركة جديدة .

والمشكلة هنا أنه من الصعب ماديا أن يقابل الشخص كل من يريد مقابلة .
والحقيقة أنه بمجرد قيام الاضطرابات فقد كان العنف يتزايد ولا يستطيع أحد
أن يمنع حدوث المأسى . وثمة مشكلة أخرى ؛ وهى عدم المبالاة التى كان
يبدىها رجال الولايات ، فقد كان من الواضح أن كل منهم يفتحصر في منع وقوع
التف الممتلكات . أما التف الذى يصيب البشر والناج عن سنوات الظلم
والاضطهاد فلم يكن يعنى أصحاب السلطة فى كثير أو قليل .

وفى السنوات الأولى للحركة ، عندما كان مارتن يناشد الناس أن يتبعوا
سياسة عدم العنف ، كان الكثيرون يسألونه : لماذا ستفعل لو هاجم أحدهم
زوجتك ؟ ، وكان مارتن يرد بقوله : لا أعرف ، ولكنى أرجو ألا يضطرني
الظرف إلى استخدام العنف . ولما وضعت مبادئه هذه موضع الاختبار كان
يرد بثقة - وهو متأكد من تجاربه المريعة أنه لا يقابل العنف بالعنف .

وقد يظن البعض أنى كمرأة لا أرضى بمثل هذا الشعور من جانب زوجى .
لكنى فى الحقيقة كنت أومن إيماناً وثيقاً بالمبادئ التى كرسنا لها حياتنا
وعملت جاهدة على أن ألزم بها فى أثناء الأزمات .

ورغم أن كل ما قاله مارتى أو فعله كان يستهدف عدم العنف فى المواجهة
إلا أنه كان كلما حدث اضطراب يرى أنه مسئول شخصياً عنه ، وأن مسئوليته
هذه تحتم عليه السيطرة على الموقف وإعادة الهدوء والانساق إلى المجتمع الذى
حدث فيه الاضطراب . وكان القادة الزوج كثيرأ ما يطلبون منه الاشتراك
معهم فى حل مشكلاتهم ، كما كان رجال السلطة أنفسهم يفعلون ذلك فى كثير من
الأحيان ، وكان يذهب لاحقاً فى إرضاء الحكومة ، بل أملا فى أن ينقذ الشعب
الأسود من آلام لا مبرر لها .

كان مارتى دائماً يحزن لاندلاع العنف ، لا بسبب الموت والدمار فحسب ،
بل لأنه كان يرى أن مثل هذه الحوادث ترجع بالحركة القهقرى . كان يعطف
كثيرأ على الزوج البائسين الذين يدفعهم بأسهم إلى التظاهر ويفهم أسباب
تظاهرم فهما عميقاً ، فقد كان دائماً يقول : إن المظاهرات افعة من لا يجد أحداً
يستمع إليه .

وكان أيضاً يؤمن بأن الإجراءات المهدئة ليست كافية ، وأن جذور المسألة
توجد فى أحوال الفقر المدقع السائدة بين الزوج ، ولا يمكن أن نقول إنها
كانت أحوالاً يستطيع أحد أن يعيش فيها ، فكلمة يعيش فيها ، لا تنطبق على حياة
هؤلاء أبداً . كان مارتى يرى أن حرمة الممتلكات واغتصاب المحال العامة
ينشر الذعر بين الناس : البيض والأسود على السواء ، كما أنه يشير ضغينة
البيض أكثر فأكثر دون أن ينجح ذرة واحدة من التقدم .

وهناك الكثيرون من البيض الذين يشعرون بوخز الضمير لحالة الزوج ،
وكانت هذه الاضطرابات تهدىء من نائرة ضمائرهم بعض الشيء وتعطيهم
ذريعة لأن يقولوا : إذا كان الزوج سيتصرفون بمثل هذه الحالة من عدم

المسؤولية فإنهم لا يستحقون أن يمنحوا أية حقوق من التي يطالبون بها .
الواقع أن الاضطرابات هيأت مخرجاً سهلاً للحكومة .

لقد كان مارتن يحاول دائماً أن يوجه شعور الحرمان والغضب إلى وجهات
بناذة ، إلى احتجاجات سلمية ولكنها ثورية في نفس الوقت . وكان لديه من
قوة الإقناع ما يجعله يؤثر في أشد معارضيه ويهدىء من ثأرتهم الراديكالية .
وقد قال لى شخص أعز بحساسيته وفهمه : إن من حسن حظ العالم أن مارتن
لواثر كينج شخص خير ، فإن موهبته الخطابية وقدرته على إقناع الجماهير لو
كان لها هدف شرير لتسببت في أضرار لا يستطيع أن يقوم بها أكبر
الديماجوجيين .

وقد عانى مارتن من نقد الثوار المتطرفين ؛ فقد كانوا يلقبونه باسم العم
توم ، وأرجعوا عطفه ورقته وإسناديته إلى الضعف والجهن . ولكن تقدم
هذا لم يكن له أى أثر ، فإن تعقل الشعب الأسود أوضح له أن القائد الذى
ينزل مراراً إلى الشارع ويقود أتباعه ويواجه البنادق والعصى هو قائد
شجاع أسطورى .

ومع كل هذا النقد فلم يشعر مارتن بالمرارة ، ولا حاول أن ينسحب من
أى حرار في سبيل ثنى الشعب الأسود عن طريق العنف . وكان يرى أن
الثوار المتطرفين والوطنيين الزنوج يمثلون قطاعين أساسيين ، القطاع الأول
كانوا إرهابيين مقتنعين تمام الاقتناع بطريقهم ، وهذا قطاع استبعده من ذهنه
أما القطاع الثانى ويضم معظم الزنوج فقد كان يتألف من جماعات لا يفهمون
كثيراً فى التكتيكات وعليه هو أن يوضحها لهم ، فقد كان يفهم ما يعانونه
من صراع ، ولم يترك فرصة للوصول إليهم إلا واقتنصها ، وقد نجح في
إقناعهم أن ثمة طرقاً فعالة أخرى بديلة لطرق العنف الاعمى . وقد اجتذب
مارتن إلى صفه فى شيكاغو وكليفاند الكثير من الأشخاص الذين كانوا
يتقبلون العنف كطريق وحيد ، وأصبح العديد منهم حراماً شخصيين له ،

وأقتنع العديدون منهم بمبادئه حتى إنهم انضموا إلى صفوف المجلس الوطني للتحرير

والمعروف أن الكثير من قادة الزنوج المحافظين كانوا يخافون أن يسيروا في أحياء الزنوج خوفاً على حياتهم ، نظراً للعداء الذي كان يشعر به هؤلاء الزنوج تجاههم . أما مارتن فكان يسير وحيداً في هذه الأحياء ، حتى في الوقت الذي يبدى فيه الشعب الأسود الكثير من التحفظات على خطته ، فقد كان يرى أن احترام الناس له ولشجاعته الشخصية تعتبر كلها درهماً وفاقية . ولم يسبق لشخص زنجي واحد من بين الملايين أن حاول أن يعتدى على مارتن إذا استثنينا المرأة المريضة التي طعنته في هارلم بسكين .

والواقع أن نظرة مارتن لحركة التحرر الزنجية لم تكن أبداً حركة ذات بعد واحد ، بل الحقيقة أنه كان ينظر إليها على أنها تعمل معنى الاحترام الذاتي الذي ينبغي تعزيز وجوده ، وكان يعتقد أنها ليست حركة مضادة للبيض بالمعنى المفهوم ، ولكن الذي كان يحدث هو أن الزنجي كان يجد صعوبة في أن يعتز بكرامته وسط المجتمع الظالم الأبيض . وكان مارتن دائماً يذكر أن البيض الذين يوجهون اللوم إلى الثوار ينسون في نفس الوقت أنهم هم السبب في كل ما يحدث من عنف بما يمارسونه من عنصرية بيضاء ولكن مارتن كان يرفض المساومة مع الكراهية أو العنف ، وتمكن من إيجاد توازن دقيق أكسبه احترام البيض والسود على السواء رغم عدم تفهمهم بعضهم لبعض .

وهذا لا يعني بالطبع أن مارتن كان يرفض المعارضة أو النقد ، بل كان دائماً يعيد النظر في تقييمه لنفسه ولموافقه على ضوء الأحداث المتجددة . وكان يسارع بالاعتراف بخطئه إذا ما أحس أنه أخطأ ، وكما أوضحت من قبل كان مارتن أقسى ناقد لنفسه .

وعمل مارتن على دفع الحركة من الجنوب لتشغل البلاد كلها ، وذلك كان يتطلب منه السفريات العديدة ، وكان أحياناً يأخذ الأولاد معه في هذه

الرحلات ، وأذكر مرة أنه صاحب معه مارتن ويوگى إلى رحلة في ألاباما .
وكان مارتن غفورا بما يقوم به والده ، وكان يسمد كأي طفل بالركوب معه
في موكبته من المطار وقد تقدمته الموتوسيكلات والحرص ، ولكننا كنا
نحرص دائماً على ألا نفرس فيه حب الظهور ، أو الرهو أو الشعور ، بأنه
شخص يختلف عن الآخرين ، ويستحق معاملة استثنائية .

والحقيقة أن هذه التجربة جعلت مارتن يقف من رجال الشرطة موقفاً
إيجابياً جداً . وعلى العكس من الكثيرين من أطفال الزوج الذين كانوا لا
يلقون سوى معاملة وحشية من رجال الشرطة وينظرون إليهم على أنهم أعداء
كان مارتن يفرح لرؤية رجل الشرطة . وكنت أنا دائماً أسخر من هذا
الموقف إذا ما عدت بذاكرتي إلى الوراء . وذات مرة وكان مارتن في
السادسة من عمره - صحبتته معى لاستقبال أباه ، وفي المطار ذهب إلى رجل
الشرطة وأخذ يحادثه وسأله عن أحواله ، ورأيت يمد يده ليمسك بمسدس
الشرطة ! ! وكنت أصبح متنبه لآياه ، ولكن رجل الشرطة كان يبدو عليه
الهدوء ، ولذا فقد فكت لنفسى ! لا بد أن الأمر عادى ، وإذا كان مارتن لا
يخاف من المسدس ولا من رجل الشرطة ، فليس ثمة من الأمر ما يقلقنى .

وخلال صيف عام ١٩٦٧ لم تتمكن من الحصول على إجازة ، ولذا فقد
انتقلنا مع الأولاد إلى فندق صغير في ضواحي أتلانتا ، محاولين البعد عن
مشاغل العمل قليلاً في أثناء فكت الأمتعة . عندما وصلنا قال مارتن ينبغي أن
أذهب إلى شيكاغو بعد ظهر اليوم . وأحسست بخيبة أمل ، وقلت لقد ظننت
أن باستطاعتك أن تمضى معنا أسبوعاً ؟ ورد قائلاً سأعود غداً ، وكنت أفكر
فى أن أصحب معى مارتن وديكستر .

ووافقت ، وإن كنت أبديت بعض الملاحظات بشأن ملابسهما ، ولست
أتصلت بمديرة المنزل وطلبت منها أن تبعث ببعض الملابس الضرورية الأولاد ،

و ثم كل شيء ، وسافر الأولاد مع أبيهم ، كما صحب رالف أرناتى أبنة
وبقيت أنا والمرور يملأنى ؛ لانى كنت أفهم معنى مثل هذه التجارب بالنسبة
للأولاد .

بعد أن استقر رأى مارتن على أن تمتد حملتنا إلى الشمال أخذ يدرس مع
زملائه المدن التى سيقوم فيها بنشاطه ، وذكر شيكاغو ، وفيلادلفيا ، وواشنطن ،
ونيو يورك ، وكليفيلاند ، وديترويت . وكانت شيكاغو قد تعرضت قبلا لبعض
الاحتجاجات بشأن المدارس ، ورغم أن شيكاغو لا توجد بها قوانين تفرقة ،
ولكن مدارس الزوج بها كانت فى حالة سيئة للغاية . وكان زوجى فى أثناء
رحلاته إلى هذه المدينة قد بحث الأمر مع كثيرين من القادة هناك ، كما كان
قد تحدث إلى جماهير الزوج بها ، وفهم منهم نواحي شكواهم ، كما شهد بنفسه
الأحوال البائسة التى كانوا يعيشون فى ظلها . وقد أيقن أن المسألة بالنسبة للشماليين
أعقد منها بالنسبة لنا نحن الجنوبيين ؛ فإننا كنا نصب جام غضبنا على أمثال :
دالاس ، وجيم كلارك ، والشور كوزر . أما هم فكان من الصعب عليهم أن
يضعوا يدهم على المسئول عن أحوالهم . وأعتقد مارتن أن الضغوط والمشكلات
التي تحتاج شيكاغو تعتبر خطيرة جداً ، وأن الأزيمة على وشك أن تنفجر ، ولذا
فقد وجد لزما عليه أن يتحدث إلى الناس ليجذب مغبة الفوضى والاضطراب .
واستقر الرأى على أن تكون شيكاغو هى أول هدف للجلس ، ورئى أن
تعتبر مشروعا تجريبيا يهدف إلى تجسيم القضية وتركيز الانتباه على اليأس والفقر
والأسى التى تسود الشماليين من الزوج .

وسافر مارتن إلى شيكاغو خلال صيف ١٩٦٧ عدة مرات وفاد مظاهرات
قوامها عشرون ألف شخص ، واتجه إلى دار البلدية . وكان المجلس قد وضع
حجر الأساس لنشاطه فى هذه المدينة خلال عام ١٩٦٦ . ولكن مارتن قرر
الايقيم فى فندق هذه المرة ، بل رأى أن يستأجر منزلا فى حي زنجى

فغير حتى نعيش فيه مشاركين أهله ما يأتونه من بؤس فرضه عليهم النظام القائم . وانضمت إليه عندما استقر في المنزل وكانت تجربة لم أشهد مثلها في حياتي من قبل . وكانت شقتنا في الطابق الثالث من المبنى الذي لم يكن به كهرباء إلا في بئر السلم ، ولم يكن للباب الخارجى قفل ، بل كان دائماً مفتوحاً على مصراعيه . أما الأرضية فلم تكن من الاسمنت المسلح بل من التراب . وكانت الروائح الحاففة تملأ المكان ، وكان السكرى يدخلون إلى حوش المنزل ويستخذمون به كدورة مياه .

وصعدنا إلى الشقة في الظلام الدامس ، ودخلنا المكان وكان صاحب المنزل عندما سمع أن مارتن سيكون من بين السكان قد قام بتنظيف الشقة ببعض الشيء . وطلأنا بما أثار ضحك الكثيرين . وكان بالشقة غرفة للجلاس ، ثم عدة غرف للنوم ، ومطبخ ومكان يمكن أن نطلق عليه لفظ حمام . ولكى تصل إلى المطبخ كان عليك أن تعبر غرف النوم ، وكان بالمطبخ ثلاجة عتيقة إذا امتلأت بالمال كولات وقفت عن العمل ، كما كان به موقد قديم . كانت الحرارة بالخارج حوالى ١٥ درجة ، ولذا فلم نلاحظ حرارة الشقة ، وكان إيجار هذه الشقة الفخمة تسعين دولاراً في الشهر ، بدون أثاث ، وهذا يدل على مدى الاستغلال الذي يتعرض له الفقراء . وعشت مع مارتن في هذه الشقة حتى حلول الصيف ، عندما أحضرنا الأولاد .

ولكن قبل أن نستقر في الشقة جميعاً مع الأولاد جاءنا نبأ اغتيال جيمس ميريديث ، وميريديث كان الشاب الذى قام بشجاعة بالغاء التفرقة في جامعة ميسيسبي عام ١٩٦٢ ؛ ففي اليوم السادس من شهر يونيو من هذا العام سار ومعه أربعة من زملائه هرب ميسيسبي محاولين تفقد الأحوال فيها وكيف تماس فيها الحقوق المدنية وجاءت الأنباء أولاً تقول إنه قتل . . . ولكن مارتن سرعان ما علم أنه جرح فقط ونقل إلى مستشفى بمدينة ممفيس بولاية تينيسى .

وطار مارتن إليها ومعه جمع من زملائه ، وذهبوا لزيارة ميريديث في المستشفى ، وطلب منه مارتن أن يواصل هو والزملاء عمله الذي بدأه ، ووافق ميريديث .

وأقام مارتن وزملاؤه مقراً لقيادتهم في كنيسة جيم لوسون. وفي اليوم التالي توجهوا إلى المكان الذي أصيب فيه ميريديث وبدأوا السير ، وتبعهم سيارتان من سيارات الشرطة . وقد اتى مارتن بعض النقد غير المتوقع لهذا الإجراء من بعض قادة الزوج المحافظين ، ولكن مارتن كان يرى في الاعتداء على ميريديث أكثر من كونه محاولة لاحتباط مسمى رجل واحد ، بل هدفه تخويف الحركة بأسرها، ولذا فقد أمل عليه ضميره وشعوره بالمسؤولية وتكريسه نفسه للعدالة العنصرية أن يقوم بهذه الحملة .

والواقع أن مارتن تحمل خلال حملة ميسيسيبي أقسى التجارب التي مر بها في حياته كلها ، وفي كفاحه من أجل المقاومة السلبية ، ولأول مرة أخذ بعض أعوانه يتساءلون عن جدوى مثل هذا السبيل، فقد كانت حملة ميسيسيبي اختباراً قاسياً لسياسة عدم العنف ، ولكنها اجتازت الامتحان بمجدارة .

وكان ستوكلي كارمايكل قد اقترح أن تكون المسيرة مؤلفة من السود فقط ، وألا يدهى إليها أو يقبل فيها شخص أبيض واحد، ولكن مارتن عارض هذه الفكرة وهدد بالانسحاب من المسيرة . ثم في جرينادا بميسيسيبي أخذ كارمايكل يصبح بشعاره المشهور «القوة السوداء» ، وفي اجتماع عاصف للقيادة أبدى مارتن احتجاجه ، واقترح تغيير الشعار إلى «المساواة السوداء» ولكن الثوار من الشباب رفضوا هذا الشعار ، غير أن مارتن تمكن من إقناعهم بالتخلي عن شعارهم خلال المظاهرات ، والحقيقة أن مارتن لم يكن يعارض مفهوم القوة السوداء على الإطلاق، ولكنه كان يحتاج على المضمون العنيف الذي يحمله الشعار والطريقة المثيرة التي كان ينشدها أصحابه .

ولما سار الجميع معاً في اليوم التالي قال كار مايكل: «لقد تعمّدت أن أخترع هذا الشعار يا مارتن حتى أجمعلك توافق عليه».

وأجاب مارتن مبتسماً: «لا بأس، لقد استغل اسمي من قبل ولن يسيئني أن يستغل مرة أخرى».

واستمرت المسيرات لمدة ثلاثة أسابيع رغم أن مارتن بسبب مشاغله العديدة كان يتغيب عنها من آن لآخر. وسادت موجات عديدة من العنف من جانب البيض، وألقيت القنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين في أثناء توقفهم بنجياهم عند كانتون بولاية ميسيسيبي كما ووجهوا بموجات من الكراهية الشديدة عند فيلادلفيا. ولكن وجود الحرس الفيدرالي بجانب المسيرة منع اندلاع العنف إلى أقصاه.

وتحمل المجلس القومي للتحرير كل نفقات مسيرة ميسيسيبي كما تمحّل توزيع أفرادها على جبهتين: واحدة في شيكاغو والأخرى في ميسيسيبي. وتحسّنت حالة ميريديث الصحية بما سمح له بالانضمام إلى المسيرة في يومها الأخير حيث وصلت إلى البرلمان المحلي في جاكسون. وهناك ألقى مارتن خطبة في جمع حاشد من الزوج، وفي نهاية الخطاب تنبأ قائلاً: «ستصبح العدالة في يوم من الأيام حقيقة واقعة هنا في ميسيسيبي».

وبعد انتهاء المسيرة ذهبت مع مارتن والأولاد الذين كانوا معنا إلى شقتنا في الحي الزنجي، وكانت الحياة في هذه الشقة مريرة وخاصة بعد مجيء مارتن ويوكي وإخوتهما، إذا فتحنا النوافذ في الصيف ازداد الصخب داخل الشقة من الشارع والصيحات وأصوات الأطفال الذين يلعبون في الشوارع، كل هذا بجانب أصوات الراديو المنبعثة من الشقق المجاورة.

وكان قد قُتل بشراء بعض قطع الأثاث القديمة، وكانت الشقة التي قام صاحب

المزول بطلاتها قد بدأت حوائها تنشفق ، وكنت قد علقت بعض الستائر ، وقت يبعض الديكورات ، حتى يمكننا أن نتحمل المعيشة بداخل هذه القفة . ولكن دون جدوى .

ورغم كل هذا فقد كانت تجربة لها معناها بالنسبة لى ولأولادى الذين لم يهدوا من قبل مثل هذا الفقر المدقع . ورغم أننا لم نعتد أن نعيش فى ترف شديد ، إلا أن أحوال معيشتنا كانت تختلف تماماً عن أحوال معيشة الزوج فى الأحياء الفقيرة . لم يكن أمام الأولاد ما يعملونه سوى أن يخرجوا للعب فى الشوارع القذرة . لم يكن على مدى الرؤية يظهر لنا أى شئ أخضر ، حتى ساحة اللعب كانت سوداء قذرة ، وكان الأطفال يعودون منها وقد تلوثت ملابسهم النظيفة ، وفهمت سبب قذارة الأطفال الزوج الذين يضطرون للمعيشة فى مثل هذه الأحياء . أما أولادى فيعيشون فيها بمحض اختيارهم .

ورغم كل ما قلته فإن مستوى معيشتنا كان أعلى بكثير من مستوى معيشة كثير من جيراننا . وأذكر مرة تجولت فيها مع زوجى فى الحى ، وفى المبنى ، ووجدنا أسرة مكونة من عشرة أشخاص تعيش فى شقة صغيرة ليس بها ماء ! وكان من بين أفرادها طفلان رضيعان يرتعدان من البرد لعدم وجود وسائل التدفئة . وكان الناس يفرحون للقيانا ويشعرون بالحنج فى نفس الوقت من أحوالهم ، ولم يكن فى وسعهم أن يعملوا شيئاً لحل مشكلاتهم وكان يبدو عليهم اليأس من كل محاولة . وكثيراً ما كنت أتساءل : هل ياترى لديهم ما يأكلونه ؟

وأبلغهم مارتن بمدى اهتمامه بمشكلاتهم ، وكيف أنه سيحاول مساعدتهم بإدخال المياه إلى الحى ، وكذلك التدفئة . وأخذنا نعمل لتحسين حال هذا المبنى بالذات ، وبمساعدة من بعض زملائنا قمنا بكنس السلم والساحات

وجمع القمامة التي تراكمت ، وشجعنا السكان على الامتناع عن دفع الإيجار ، بل بإنفاقه في تحسين حال الشقق . وقد رفع صاحب المبنى قضية على المجلس آخر الامر :

وكان رد الفعل لاقامة مارتن بين سكان الاحياء الشعبية قوياً جداً ، فقد كان بمثابة رسول إليهم : وكان العديدون منهم يأتون إلى شفتنا ويتحدثون إلى مارتن ويمردون عليه مشكلاتهم ، وكان الكثيرون منهم يطلب منه العون لدفع إيجار الشقة وبدا في أول الامر أن بعض الشباب يعارضون إقامتنا في وسطهم . وذات يوم تقدمت منى جماعة منهم ، وكان مارتن نائماً ، وتحدثت إليهم وبدءوا هم بالتعبير عن شكواهم من وجود بعض البيض ضمن معاوئنا ، وقد دخل بالفعل بعضهم في أثناء حديثي مع الشباب ، وقلت لهم إن ثمة عدداً كبيراً من البيض يناصر القضية بل مات من أجلها .

وأخذت أحس بالتوتر يزيد ، وانتابني الخوف مما قد يقوم به مثل هؤلاء الشباب من أعمال عنف . وحاول برناردلى ، وهو أحد الاعوان ، أن يشرح لمؤلاء الشباب أننا نعلمهم مشاعرهم تماماً . وخرج بعضهم ولكن لى شجع الآخرين على البقاء بما عرف عنه من قوة إقناع مع الشباب : وذهبت أنا إلى المطبخ ، وتبعنى لى وطلب منى أن أقوم بإعداد بعض الشطائر لهم .

ولما استيقظ مارتن وخرج إلى الشباب قال لهم أحدهم هل هذا أنت بحق يا دكتور كينج ؟ هل أنت فعلاً مارتن لوثر كينج ؟

وقال زوجى : نعم ، أنا هو مارتن لوثر كينج .

وأجاب الشاب أتبنى أنى الآن أحداث الشخص الذى يجتمع بالرؤساء ويتناول معهم الطعام الفاخر ، والآن يجلس معى ويتناول الشطائر البسيطة ؟

وشعرنا أن إقامتنا في هذا الحى قد ساعدت على إيجاد شعور بالتعرف
سيصبح له فيما بعد أكبر المعنى فيما يختص ببرامجنا في شيكاغو .

وواصل مارتن الاجتماع بمثل هذه الجماعات الصغيرة حتى أحس أنهم يوافقون
على مبادئه ، بل ويحاولون هم حمايته قائلين : « إنك لست بحاجة إلى حماية من
الشرطة ، فسنقوم نحن بحراستك » . ولكننا كننا لا نشجعهم على ذلك .

أما فيما يختص بالعمل مع البيض ؛ فقد استقر رأيهم على أن يتقبلوا من
بين البيض من يختارهم مارتن .

واستمر بعضهم يقول عن سياسة عدم العنف : « إننا مازلنا نؤمن بالعنف » ،
ولكننا حاولنا أن نكسب من بينهم بعض الانصار ، وكما قال أحدهم مرة :
« لقد أمضيت حياتى كلها فى البدروم ، وفى ابنة أريدها أن تذهب إلى المدرسة ،
ولكننى مازلت أعيش فى البدروم » .

والحقيقة أنهم كانوا جماعة من الشبان الطرفاء ذوى التطلعات ، ولكن
النظام أجبرهم على أن يسلكوا طريق الكراهية والعنف . وقد كان يجيئهم
إلى شقتنا وحديثهم معنا بكل حرية له أكبر المعنى بالنسبة لهم ولنا ؛
فقد حاولنا أن نبين لهم كيف يستطيعون الاستفادة من نشاطهم بشكل بناء ، وذلك
بمحاولة نشر الوعى بين الناس ، ليسجلوا أسماءهم فى قوائم الناهخين ، ولينتخبوا
الشخص الملائم الذى يمثلهم أحسن تمثيل ، ولكنهم قالوا لأنهم قد فقدوا الثقة
بالجميع ولم يعد أمامهم سوى الدكتور كينج ليمنحوه ثقتهم .

وأقنا الدورات التدريبية مع هذه الجماعات محاولين بث شعور السلام بينهم
حتى كرم الكثيرون منهم حياته لسياستنا . ويمكن القول إن مجهوداتنا
هذه مع جماعات شيكاغو من الشبان تعتبر دليلا عظيما على نجاح سياسة زوجى
السلبية وعلى قيادته الرشيدة .

وأقيمت المظاهرة الكبيرة التي كنا نعد لها منذ أكتوبر ١٩٦٥ في يوم
الاحد العاشر من شهر يوليه ١٩٦٦ ، وحضرها ما يقرب من خمسين ألف شخص
وهو عدد لم يسبق أن التأم مثله في شيكاغو ، وأخذنا معنا أولادنا الأربعة رغم
أن باي لم تكن قد تعدت الثالثة من العمر .

وخلال يوليه كان مارتن قد أعلن برنامجه المفصل الذي يهدف إلى إقامة
العدالة العنصرية في شيكاغو ، وبعد الاجتماع ، وبعد لقاء الكلمات والاعاني
والاناشيد ، قرأ مارتن طلباته . ولما انتهى من ذلك قاد المجتمعين في مسيرة
حتى دار العمدة ليقدّم له هذه المطالب .

وكنا نود أن يسير أطفالنا الثلاثة الكبار مع المتظاهرين ، وكانت باي تريد
هي الأخرى الاشتراك ، وكان ضعف أيها تجاه طلباتها سببا في ألا يقاومها ،
وكان مارتن يحبها حبا جما ويقول : « أريدها أن تتجمد وتبقى على ما هي عليه ،
ظريفة ومليئة بالبراءة والالطف » .

وكنّت أنا أنظر إليه وإليها وهما يلعبان وأدعو الله أن يحفظ مارتن
لأجلها ، فقد كانت أصغر الأولاد ، وكنّت أدرك تماما مدى حاجتها إلى أيها ،
وفعلا وافق مارتن على أن تشترك في المسيرة .

وبدأنا جميعا على رأس المسيرة ، وكان يوما حارا جدا لم نعهد مثله طيلة
العام ، ولذا فلم تستطع باي مواصلة السير ، واضطرتنا إلى حملها بقية الطريق
وسرعان ما راحت في سبات عميق ولم تردار العمدة أبدا .

وبالطبع لم يكن العمدة ديلي موجودا في مقره ، بل وجدنا الدار مغلقة ،
وكان مارتن يتوقع هذا ، فما كان منه إلا أن دق الطلقات بالمصار على باب الدار
كما فعل مارتن لوثر من قبل عندما ألصق طلباته الخمسة والتسعين على باب ويتنبرج
وونف الأولاد الثلاثة بجانب أبيهم وهو يدق المصار لتفتت قائمة الطلبات .

وكانت المسيرة رائمة لم يقع فيها أى عنف أو شغب ، بل ارتفعت فيها الأصوات بالاناشيد والابتهالات ، ولم يعترض طريقها أحد . ولكن كلنا نذكر بالطبع ما قام به رجال الشرطة والعمدة ديلى عام ١٩٦٨ ، وما ارتكبه من عنف أصاب البيض الذين تظاهروا ضد حرب فيتنام ومن أجل السناتور يوجين ماكارثى . أما في مظاهرتنا نحن فقد تصرفوا مع الجماهير بصبر وبراعة وقد شجعنا هذا إلى أكبر الحدود . وقرر مارتن أن يجتمع هو وبعض القادة بالعمدة ديلى لبحثوا مطالبهم ، ولكن العمدة ديلى رفض هذه المطالب على الفور ، وانتشرت الانباء بسرعة في شيكاغو كلها ، وفي نفس الليلة اندلع العنف كالعاصفة الهوجاء الفجائية .

وكان الامر قد استقر على إقامة اجتماع عام يوم الاثنين ، وقد تناولت العشاء مع مارتن في هذه الليلة بدعوة من المطربة المعروفة ما هاليا جاكسون . وفي أثناء مغادرتنا منزلها قالت وهى تودعنا : « أنا غيبك في كل كنائس هذه المنطقة وسأحضر إلى اجتماعكم الليلة ، بل سأخذكم في سيارتي إليه » .

وفي أثناء الطريق شاهدنا جماعة من الناس يمشون في الشارع وقال مارتن « أرجو ألا يكون قد حدث اضطراب » .

وواصلنا سيرنا وشاهدنا جماعات من الشباب واقفة ، ثم بدأنا نسمع طلقات الرصاص ، ورأينا رجال الشرطة يحولون السيارات عن طريقها ، وسألنا هن الحبر ؟ وأبلغنا أن بعض الصبية قد قاموا بفك خراطيم المياه بغية الترتيب على أنفسهم ؛ إذ لم يكن لدى هؤلاء الصبية حمامات للسباحة . ولما حاول رجال الشرطة إبعادهم عن خراطيم المياه بدأت المعارك . وقد سمعنا فيما بعد أن بعض زملائنا حاولوا التدخل لمنع المعارك ، ولكن رجال الشرطة رفضوا تدخلهم زاعمين أنهم سيقولون الامر بأنفسهم .

وبدأ الصغار في إلقاء الحجارة وكسر النوافذ ، ثم انضم إليهم الشباب ،

ولم تكن هناك على ما يبدو خطة موضوعة ، بل كان اندلاعا عفويا للغضب . ولكن مثل هذه الأشياء البسيطة قد تؤدي إلى معارك دموية ، وبخاصة في مثل هذه الظروف المليئة بالتوتر واليأس . والحقيقة أن معظم المظاهرات العنيفة يرجع السبب فيها إلى رجال الشرطة فهم الذين يشيرون شعور الناس ويدفعونهم إلى العنف .

لما وصلنا إلى مكان الاجتماع وجدنا الجميع في توتر واضطراب ، فقد اعتدى رجال الشرطة بالضرب على العديد من الشباب الزنوج ، وألقي القبض على كثير منهم ، واجتمعت فرقان من الشباب وأرسلنا وفدا إلى الكنيسة ليلغنا أنه إذا لم يتم الإفراج عن المعتقلين فستقوم هاتان الجماعتان بتقطيع المدينة إربا . . .

وتوجهنا إلى مركز الشرطة محاولين تهدئة الحال ، ووجدنا المركز يفيض بالجمهير الغاضبة وبآباء الشباب المعتقلين . وقد استقبلتنا الشرطة بتحفظ .

وأقنع مارتن السلطات التسمح بالإفراج عن المعتقلين بكفالة ، وأخذناهم إلى الكنيسة ، وحاولنا أن نتفهم مطالبهم . وكانت تنحصر في إقامة حمام للسباحة وبعض الملاعب . ثم وقف أحد الأعضاء وقال إنه عاش في هذه المنطقة طيلة حياته لا يفهم السبب الذي يدفع بالبهض إلى تحطيم النوافذ وإتارة الشغب .

وبالطبع غضب الشباب لقوله هذا ، وخرجوا وخرج وراءهم الكثيرون من المجتمعين ، وتجمعت الجماهير خارج الكنيسة وأخذت توقف السيارات التي يركبها أناس من البيض . ووصل رجال الشرطة وتنبأنا بحدوث إطلاق الرصاص ، وكان مارتن في منتهى القلق وحاول منع الاضطراب ، وكان أعضاء الجمعية من زملائه يقولون له : نرجوك يا دكتور كينج أن تذهب أنت وصنابق نحن هنا ونحاول تهدئة الحال ، . وعندما اقتربت منا الجماهير أرغمناه على

دخول السيارة التي ابتعدت به . نحن أما فنفرقنا إلى مكاننا المتعددة في شيكاغو محاولين معرفة الأخبار .

وظل معظم أعضاء المجلس في الشارع طيلة الليل يحاولون تنظيم الاحتجاج ، وكانوا يأتون المكاتب لتقديم تقاريرهم ، وكانت ما هاليا قد ضلت عنا ، واخذنا نبحث عنها حتى وجدناها ، وذهبنا جميعا لقضاء الليل في منزلها .

وكان الاولاد قد ذهبوا إلى منزل آل ثورستون من أصدقائنا بعيداً عن مكان الاضطرابات ، مما أتاح لي الفرصة للبقاء بجانب مارتن طوال الليل .

وفي اليوم التالي قرر المجلس الوطني إقامة عدة اجتماعات لبحث فيها الأسباب الحقيقية للاضطرابات ومحاول القضاء على هذه الأسباب . واجتمع أعضاء المجلس بقيادة للشباب ، واسكن شيكاغو ، وهي مدينة كبيرة ، يصعب فيها أن يكون الأثر سريعاً ، وإذا ما اندلع العنف انتقل من مكان إلى مكان وأصبحت السيطرة عليه من الصعوبة بمكان . ولم تقتصر المشكلة التي كنا نواجهها على حى واحد ، بل كانت تمتد إلى جيوب متعددة من المحتجين مبعثرة على مساحة واسعة .

وكنتم قد ارتبطت بإلقاء محاضرة في تجمع نسائي في دار الشابات المسيحيات في اليوم التالي ، وكنتم قد أمضيت الليل بطوله دون أن يغمض لي جفن ، وكنتم أشعر بالإرهاق والتعب واليأس . وكان موضوع الحديث هو الوحدة ، وإن كان اليوم ليس ملائماً لهذا الموضوع ، فقد كان الجميع يشعرون بالحزن والامسى لما حدث في الليلة الماضية ، كما كانت الكثيرات من النساء قد خرجن طوال الليل يحاولن تقديم المساعدات .

واتفق الرأي على أن نقوم بإرسال برقية إلى العمدة ديل موقع عليها من مائة سيدة تؤيد فيها اقتراحات مارتن . وكان الخوف يبدو على بعض النساء

وبخاصة اللاتي كان أزواجهن من بين المعتقلين . وكنت أنا أحس بالحرج ، لأن الاقترحات تقدم بها زوجي ، ولكنني اضطررت في النهاية أن أقول : « ما الذي تخفن منه ، لابد أن يأتي الوقت الذي نعزم فيه على أمر ما ونختار طريقا ما » .

وبعد أن استقر الرأي على إرسال البرقية قررت المجتمعات — بناء على اقتراح مني — أن نقوم بتأليف جمعية لتأييد العمل الذي نقوم به في شيكاغو ، وتقدمت مني مديرة الجمعية ، وهي سيدة بيضاء ، وقالت مالم أستطع أنا أن أقوله . قالت إنها ترى أن نؤلف جمعية سميت فيما بعد « النساء المجندات في سبيل التغيير » ، تتكون من البيض والسود على حد سواء . وقد كبرت هذه الجمعية وانتظمت أكثر من ألف عضوة ، ولا يزال نشاطها واضحا حتى يومنا هذا .

وأضينا الليلة الثانية في منزل ما هاليا ، وحضر الأولاد إلينا . وفي اليوم التالي أخذت الأولاد ثمانية إلى شقتنا . وكان على أن ألقى كلمة في جماعة من النساء في الحى الشمالى . أما زوجي فكان يتحدث في الحى الغربى ، واضطررت — لعدم وجود مرافقة للأولاد — أن آخذهم معي .

وفي أثناء ارتدائي ملابسى سمعت صوت زجاج يتحطم في الشارع ، وقال لى الأولاد الذين كانوا يطلون من النافذة إنهم شاهدوا بعض الاطفال يحطمون واجهة أحد المحلات ويهتفون قائلين : « القوة السوداء .. » ثم فروا هاربين . وعندئذ أيقنت أن الاضطراب قد وصل إلى الحى الذى نقيم فيه .

وذهبنا إلى الاجتماع ، وجلس الأولاد معي على المنصة ، ولما حل دورى للكلام قمت بتقديم أولادى إلى الحاضرين ، وكان موعد نوم باقى قد فات من وقت طويل ولكنها ظلت مسدقة رغم التعب الذى حل بها ، وحملتها بين ذراعى لأقدمها الموجودين ، ولكنها سرعان ما مدت يدها لتأخذ « دورق » ،

ألمياه الموجود أماًى ، واضطرتت الاعتذار عن مسلسلها هذا ، وقتت إن السبب يرجع إلى التعب الذى حل بها ، لأنى كنت أخاف أن يظن البعض أنى استغل وجودها . ولذا فقد طلبت من يولاندا أن تخرج بها قبل أن أبدأ كلامى .

وقبيل الانتهاء من خطبى تقدم منى أحد المنظمين وقال لى : د هناك مكالمه تليفونية مستعجلة لأجلك يا مسز كينج ، .

وأنيبت حديشى بسرعة ، وشرحت المسألة للوجودين ، ثم أمرعت إلى التليفون وسمعت مارتن وقد بدأ صوت يسأل : د ماذا حدث ؟ د لقد اتصلت بالشقة ولم أجد أحدا بها . . والاضطرابات شملت هذه الناحية ، فما الذى حدث ؟ هل أخذت الأولاد بعيداً عن الاضطرابات ؟ ، وأجبتة : إنهم معى .

وقال هو إنه لا يستطيع مغادرة المكان الموجود به نظراً لقسوة الاضطرابات . . وأبلغته أنا أنى سأعود إلى الشقة ومعى الأولاد وآمل أن يواصل الاتصال بى .

وأما ما تبع ذلك فقد كان بمثابة كابوس تماماً ، وفى طريقنا إلى الشقة وجدنا أن الاضطرابات قد بلغت ذورتها ، وكانت الشوارع ملاءى بالزجاج المنشور ، وسمعنا أصوات الرصاص ، ولم أستطع أن أتبين أكانت منطقة من بنادق الشرطة أم من بنادق المتظاهرين ؟ ؟

وصعدت إلى الشقة لأجد صحفياً بريطانيا وصحفيان وكالة الأنباء المتحدة ، وطلبت منهما الجلوس والانتظار حتى أنتهى من إعداد الأولاد للنوم . أما الأبطال فكان أول ما فعلوه أن ركضوا إلى النوافذ يطلون منها على ما يحدث فى الشارع . وصحت أنا فيهم أن يبتعدوا عن النوافذ . وبدأ على الذعر رغم أنى كنت فى منتهى الهدوء ، وكل ما كنت أريده هو أن أبعد الأولاد عن مواطن الخطر .

وتحدثت مع الصحفيين قليلا ، ووجدت أنها فى حالة شديدة من القلق .

وأرجعت أنا هذا إلى كونهما من البيض ، وإلى وجودهما في الحى المضطرب .
وكان الصحفي البريطاني في حالة شديدة من الذعر ، وكان يبدو عليه أنه لا يفهم
ما يدور حوله ، وكان يشعر بالهلع .

وبعد برهة غادر المراسلون الصحفيان الحقبة . وفي اليوم التالي قرأت
الصحف كما يلي : « المسز كينج تخاف على سلامة أطفالها ١١ » .

واستمرت المظاهرات طوال الليل ، وأذكر أنى بعد أن وضعت الأولاد
الصغار في السرير جلست مع يولاندا نرقب ما يحدث في النافذة ، وشاهدنا
ما يجرى أمامنا في محل بقالة صغير مواجه لمنزلنا ، رأينا الشبان يسرقون كل
ما به ، ورأيناهم يحطمون زجاجه ، وكانوا يجمعون « البقالة » في حقائب من
تلك التى تستخدم للشترىات ، وفي عربات الشراء المألوفة ، ويمرعون بها
بعيدا ، وشعرت بالأسى لما يحدث .

وأوت يولاندا إلى الفراش ، واضطجعت أنا في مكافى وصوت الرصاص
يدوى من حولى ، وكان صوتا مروعا ١١

واتصل بى زوجى عدة مرات ، وقال فى آخر مرة : « أنا الآن فى أحد
المطاعم ومعى بعض المسؤولين عن كل هذه الحوادث » .

وقال لانه يقتاول عشاءه معهم ، لانه يرى وجوده ضروريا حتى يمكنه
السيطرة على الموقف . وأخيرا غلبنى النعاس حوالى الساعة الرابعة صباحا ،
ولا بد أن مارتن حضر بعد ذلك ولمسكى لم أشعر بدخوله .

وبعد انتهاء الاضطرابات أخذت الأولاد وذهبت إلى أتلانتا ، أما مارتن
فقد ظل يواصل رحلاته إلى شيكاغو ، إذ استقر رأى المجلس على التركيز على
حركة شيكاغو ، والاهتمام بناحية الإسكان فيها . وأبدى البيض معارضة شديدة
لهذه الحملة ، وقد قال لى مارتن لانه لم ير مش السكراية والحمد التى كانت تبدو

في أعين المتظاهرين البيض في شيكاغو حتى ولا في الجنوب . وذات مرة اعتدى أحدهم على مارتن وضربه على رأسه بحجر ، ولكنه تمالك نفسه وواصل كلامه .

ولم تتوقف حركة شيكاغو إلا بعد أن أدرك المسؤولون فيها أنها ستتطور إلى مواجهة دموية ، فقرروا إقامة مؤتمر حضره مارتن والعمدة ديل ، كما حضره أسقف شيكاغو ويمثلون عن جمعيات الإسكان بالمدينة ، كما حضره بالطبع العديد من القادة الزنوج . وأمكن الاتفاق على إجراءات تقضى بتعديل حال الإسكان وأعلن هذا الاتفاق في اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس .

وشعرنا أننا قد أنجزنا شيئاً ما ، وحصلنا على نصر ضد القوى العنيفة ، لأن المعارضة لا بد أيقنت أن التغيير حتمي لا بد منه ، وإن كان هذا التغيير لا يحدث دون ضغوط ودون تضحيات وتصميم أكيد عليه . ولسوء الحظ لم يكن تنفيذ هذا الاتفاق بشكل مرض ؛ فقد نكصت السلطات بوعودها . واعتقد أنه كان بوسع شيكاغو أن تتجنب الكثير من التوتر والصراع وازاقة الدماء التي حدثت فيما بعد لو أن المسؤولين فيها تمسكوا بوعودهم ونفذوا الاتفاق .

وقد رأى المجلس القومي لتحسين أحوال الزنوج أن ينشئ بعد ذلك جمعية لجمع التبرعات في شيكاغو ، وصادت هذه الجمعية الكثير من المصاعب ، لأن معظم رجال الأعمال في شيكاغو من البيض ، أما الزنوج فهم الذين يضطرون لدفع الإيجار وشراء المؤن ، التي تذهب أرباحها إلى المستغلين البيض . وكان اهتمامنا لا ينحصر في الحصول على تحسين في أحوال العمل بالنسبة للزنوج لحسب ، بل كنا نهدف إلى أن يصل الزنوج إلى مناصب الإدارة وامتلاك بعض المحال التجارية وغيرها من المؤسسات .

وكنا قد لجأنا إلى مثل هذا الإجراء في أتلانتا ، وأحرزنا فيه نجاحاً ، كما كان سائداً في معظم مدن الجنوب ، والبرنامج الذي أطلقنا عليه اسم رحلة الخبز .

كان يقضى بأن تقوم بعمل إحصاء لما ينفقه السود في المؤسسات المختلفة ويسهمون به في تمويلها ، ثم تقوم بإرسال لجنة ، ونفضل أن تكون من المساواة للتفاهم مع مديري أو أصحاب هذه المؤسسات حتى يمنحوا الزوج نسبة معينة في وظائف مؤسساتهم ، وإذا رفضوا كنا نقوم بمقاطعة المؤسسة المعنية . وكان دادى كينج من أبرز العاملين في هذا البرنامج وكان يقوم وحده بعمل اللجنة ، وينجح في كثير من الأحيان .

ومن الصعوبات المبررة التي يواجهها أى مجتمع زنجى فى سبيل الحصول على الاستقلال الاقتصادى ما يحده من مشقة فى توفير رأس المال اللازم ، وكان من أهداف برنامجنا أن نحاول إقناع بعض رجال الأعمال بأن يضعوا أموالهم فى البنوك الخاصة بالزوج ، وهى البنوك التى تمنح القروض للسود ، إذا ما امتنعت بنوك البيض عن ذلك .

وفى شيكاغو تزعم الحركة القس جيمس جاكسون ، وهو الآن عضو فى المجلس القومى ، وتحت قيادته تطور البرنامج ، وأحرز نجاحا أمكن معه إدخال الرجال السود فى الحياة الاقتصادية لشيكاغو .

وبدأنا حملتنا مع شركات الألبان ، ثم توسعنا فيها حتى شملت كل أحياء شيكاغو ، وكان لهذه الحملة — بجانب الأثر الاقتصادى — أثر روحى فى تطوير شعبنا ، فقد أوجد سبيلا جديدا للحياة أمام العديد من الزوج ، نساء ورجالا .

وقد حضرت أحد الاجتماعات التى عقدها القس جاكسون فى شيكاغو فى أكتوبر عام ١٩٦٧ ، وتأثرت جدا بما يفعله ، وأحسست أنه يفرس التطور الروحى فى نفوس أتباعه .

وعدت إلى المنزل لأقول لمارتن : « أظن أن ما يفعله القس جاكسون ، بل ما يفعله برنامج سلة الخبز ، كله ، جدير بأن يعمم فى كل مجتمعات البلاد . »

(١٦)

كان مارتن دائما مهتما بمسألة السلام العالمى ، ولكنه لم يتخذ خطوات ملموسة واضحة لإزاء الحرب فى فيتنام إلا فى أوائل عام ١٩٦٧ . وكان قبل ذلك يصارع نفسه ، لأنه كان يعتقد أن ما يقضيه من وقت فى سبيل ذلك قد يكون مفيدا لقضيتنا . ولكن فى هام ١٩٦٥ كان قد أدلى ببيان معارض للحرب فى فيتنام ، قال فيه : « لن أظل ساكتا وأنا أشهد الحرب تنصعد ، ومن نافلة القول أن نطالب بالاختلاط إذا كان العالم كله منقسما ، ويجب وقف رحى الحرب الدائرة فى فيتنام » .

كما ناشد الأمة أن تطالب بإجراء مفاوضات لإنهاء الحرب ، ووافق على ذلك كل أعضاء المجلس القومى لتحسين حال الزوج .

ولكن الكثير من القادة الزوج الآخرين انتقدوا موقفه هذا بشدة ، لأنهم كانوا يرون تركيز الجهود على تحسين حال الزوج فى أمريكا . لذا فقد كف مارتن عن تصريحاته هذه حتى لا يفتح ثغرة شقاق بين شعبه ومواطنيه .

وبحلول عام ١٩٦٦ أخذ مارتن يرى أن حرب فيتنام خطأ كبير ، بل إنها تبتلع كميات ضخمة من الأموال يمكن استخدامها فى القضاء على الفقر ، ولذا فقد قرر بعد تفكير طويل أن يصرح بآرائه هذه . وفى مؤتمر عقد بولس أنجليس فى يناير عام ١٩٦٧ قال : « إن الوعود التى تحلم بمجتمع كبير قد تحطمت على صخرة ساحات القتال فى فيتنام . إن مواصلة مثل هذه الحرب الموسعة قد قللت من فرض مواصلة البرامج الداخلية ، ووضعت اللعب الأكبر على كاهل الفقراء من السود والبيض . ويقال إن ما ينفق لقاء قتل فرد من

أفراد العدو وصل إلى ٣٧٣.٠٠٠ دولار ، في حين أى مائنتفه في حربنا المزعومة ضد الفقر لايتعدى ٣٥ دولارا للفرد الواحد . الواجب علينا الآن أن نضم جهودنا الحارة من أجل الحقوق المدنية إلى جهود السلام .

وقرر مارتن أن يكرس خطابه الذى كان معدا لأن يلقيه في إحدى كنائس نيويورك في الرابع من شهر أبريل ١٩٦٧ لمشكلة فيتنام ، وهو الخطاب الذى قال فيه : « تعلمون أنى ألقى خطاب عن فيتنام عام ١٩٦٥ قربات بالنقد الشديد ، مما اضطرني إلى التمتحنى . ولكن في هذه المرة إن أساوم . . وكان مارتن فعلا يرى أن توقفه عام ١٩٦٥ كان خطأ ، ولذا فقد عقد العزم هذه المرة على مواصلة الكلام ملقيا بالحذر عرض الحائط ، رغم ما كان يعنى هذا من أخطار . كان مارتن يعتقد أن القائد عليه أن يواجه النقد والكرامية في بعض الأحيان ، ولكن عليه قبل كل شئ أن يتحمل مسؤولية إيضاح الحقائق كما يراها أمام أتباعه في الوقت المناسب .

وكننت أنا سعيدة جدا لهذا الموقف القوي الذى اتخذته مارتن لإزاء مشكلة السلام العالمى ، لأنى كننت أثق بمقدرته على الإسهام فيها ، وأذكر أنى قلت مرات عديدة — وخاصة بعد أن تسلم جائزة نوبل للسلام — قلت له : « أعتقد أن لك دورا تقوم به في سبيل مشكلة السلام العالمى ، وسأكون أسعد الناس عندما يأتى الوقت الذى ترى أن تضطلع فيه بهذا الدور .

وكننت أثق أن هذه المسألة تدور في خلد مارتن ، وبخاصة بعد أن منحه جائزة نوبل للسلام . وعندما ألقى خطابه عن فيتنام قوى عندى الشعور بأن ثمة بداية لعمل سيبتلع معظم وقته بشكل لم نعهده من قبل . والحقيقة أنه خلال سير عملنا كانت المشكلات تطفئ الواحدة على الأخرى ، وكانت كل مرحلة تجر إلى مرحلة جديدة . وكننت أشهد كل هذا ، وكان حياتنا صفحة تبسط شيئا فشيئا وأرى معالم جديدة منها كلما بسطت . والحقيقة أن تطور

البشر له معالم معينة ، ورغم أنى قلت هذا من قبل ، فقلقد شعرت عندما ألقى مارتن خطابه عن فيتنام عام ١٩٦٧ أنه ليس سوى آلة في يد القدر يهدف بها إلى أمر ما .

وأظن أن هذا ما كان يعتقد مارتن أيضا ، وإن كان يزن في ذهنه أثر هذه التصريحات على حركة الحقوق المدنية ؛ فقد كان يرى أن الناس بحاجة إلى وقت لتتفهم العلاقة بين السلام والحرية . ولكنى كنت أرى أن مارتن هو الشخص الوحيد الذى يستطيع القيام بهذا ، نظرا لثقة الجماهير به . ورغم أنهم فى بعض الأحيان لم يكونوا يستوعبون تماما كل ما يقوله ، إلا أنهم كانوا فى النهاية يقررون أنه مادام الدكتور كينج يقول هذا . . فليكن هذا . . .

وكنتم أعتقد أن انضمام روح حركة السلم العالمى وحركة الحقوق المدنية وتجاوبهما سيؤدى إلى جلب العديد إلى بلادنا من سيكون لهم أثر كبير فى الحركتين والعمل معنا . والحقيقة أن حركة السلم العالمى كانت مؤلفة من البيض وخدمهم ، ولكنهم با انضمامهم إلينا سيزيدون من فعالية حركتنا من أجل الخير للجميع ، والسلم والحرية صفوان لايفترقان والعلاقة بينهما لا يمكن فصلهما .

وفى يوم عيد الشكر عام ١٩٦٥ تجتمعت أكبر مظاهرة من أجل السلام حدثت فى أمريكا وذلك فى العاصمة واشنطن . وتحدث فيها العديد من الشخصيات البارزة ومن بينهم الدكتور سبوك ، وكان لى شرف الخطابة فيها أيضا . وقد دارت بينى وبين الدكتور سبوك محادثة تأكد لى من خلالها دور مارتن من أجل السلام . فقد قال لى الدكتور سبوك :ه لقد تعرفت على الدكتور كينج لأول مرة منذ أيام . فقد كنا نركب طائرة واحدة . وقد لفتت المضيئة نظرى إلى وجوده . ولا أعتقد أنه أخبرك بما قلته له . قلت له لى أعتقد أن

بإستطاعته أن يصبح أهم رمز للسلام في هذه البلاد ، بل وفي العالم أجمع . إننا في حركة السلام العالمى بحاجة إلى شخصية تتمثل فيها روح السلام ويستطيع الجمهور أن يلتف حولها . ولم يتسن لنا أن نجد مثل هذه الشخصية منذ أيام وودرو ويلسون . وأعتقد أنه لو قام الدكتور كينج بمجولة من أجل قضية السلام لاهترف به العالم كله رمزا لهذا السلام ، ولاستطاع أن يعود إلى هذه البلاد ويحاول أن يوجد جميع عناصر القوى فيها ، وأعتقد أنه سينجح في مثل هذه المهمة . والواقع أن مثل هذه الشخصية يجب أن تكون من الملونين وليس من البيض . وأنا الآن على وشك التقاعد ولا مانع عندي في أن أفضى بقية أيام حياتي أساعد الدكتور كينج في مجوداته .

ومنذ هذا الحديث والدكتور سبوك يراود ذكرى بقى بكلماته هذه .

وكان دادى كينج يعارض موقف مارتن فى بداية الامر ، أما الآن فإنه يقول : « لا أستطيع أن أعارض مارتن فى سياسته عن السلم العالمى ، وإن كنت أعتقد بخطأ هذه السياسة فى البداية . أما بعد أن انتهى من خطبته فقد أدركت وفهمت ، وفهم معنى الجمهور ، إن هذا الرجل على حق فيما يقول . هذا رجل هبقرى ، ولا أريد أن أمدح كثيرا فى ابني ، ولكنى لا أفكر فيه إلا ك مواطن عالمى . لقد أصبح ملكا للعالم ، وليس ملكا لنا وحدنا . »

وقد ألقى مارتن خطابه فى اليوم الرابع من شهر أبريل عام ١٩٦٧ على جماعة من القساوسة وتكلم معه الكثيرون وألقى مارتن خطبة أطلق عليها اسم « ما وراء فينتنام » ، وكانت هامة ومثيرة وتحمل الكثير من التنبؤات وفيها وصف الولايات المتحدة الأمريكية بأنها المورد الرئيسى للعنف وقال : « إذا كانت روح أمريكا قد تلوثت تماما فيجب علينا أن نكتب فى مرثية هذه الروح « فينتنام » . وأشار إلى أن الزوج يموتون بأعداد هائلة فى فينتنام ، وهذا بالطبع يمثل المركز النجسى فى أمريكا ، ثم ختم قائلا : « إن الدولة التى تواصل

السنة بعد الأخرى لإنفاق الملايين على التسليح بدلا من إنفاقها على الإصلاح الاجتماعي لدى دولة تقرب وشيكاغو من الموت الأدبي .

وبالطبع كنا نتوقع رد فعل الصحافة لمثل هذا الخطاب ، وإن كان ظهر بعض من أيده حق من بين الصحفيين . والواقع أن تصريح مارتن بمثل هذا الكلام كان له أثر السحر فى الكثيرين الذين كانوا يفكرون فى هذه المشكلة ، ولكنهم ما زالوا يترددون فى التصريح بأفكارهم .

أما ما أدهشنا حقا فهو رد الفعل بين زملاء مارتن فى حركة الحقوق المدنية ، فقد انتقده ويلسكنز نقدا مريرا كما أبدى كل من ويتى يونج ورالف بانس أسفهما واعتراضهما على موقفه . إزاء فيتنام . وكانوا يزعمون أن مثل هذا الموقف سيضر ويسوء إلى حركة الحقوق المدنية . وظن الكثيرون فى الشمال والجنوب أنه لم يعد من الممكن التمييز بين القضايتين .

وكان رأى لبعض من انتقدوا زوجى كالآتى : إن كل من يعارض زوجى فى آرائه لا يفهم معنى الحياة ككل ، ولا يستطيع الشخص أن يؤمن بحرية داخل حدود وطنه ولا يؤمن بها فى الحدود الدولية . مثل هذا الشخص لا يمكن أن يكون من أنصار المقاومة السلبية ولا من يعترضون على الحروب . لأنكم تنظرون إلى مارتن كسياسى ، فى حين أنه هو يرى فى نفسه قسا عليه دور هام يحتم عليه أن يجهر بمعارضته لكل شرور المجتمع . وهو يرى فى الحرب شرا ، ولذا فن واجبه أن يدينها .

كما أشرت إلى زيارة البابا لأمريكا التى أدلى فيها برأيه المعارض للحرب ، وأن ما يقوله زوجى لا يختلف كثيرا عن هذا رأى . وعندما تكلم البابا تحمس الجميع وهتفوا لما يقول . أما عندما يتكلم رجل أسود مثل مارتن لوثر كينج فلاسكم تنتقدونه . والحقيقة أن مارتن لوثر كينج رجل دين أيضا ، وإذا نظر إلى العالم كوحدة واحدة ، فسيكون أثره أبعد من أثر البابا .

ورغم الانتقاد الشديد فلقد اشترك مارتن في حركة التجنيد من أجل السلام التي بدأت في نيويورك يوم السبت الخامس عشر من شهر أبريل، وكنت أتوق للاشتراك معه فيها ، ولذا فقد رتبت ارتباطي بما يسمح لي بالمشاركة فيها ، ولكن مارتن قال لي قبل مواعدها بأسبوعين : « لقد ارتبطت لك بعيدا في سان فرانسيسكو ، وهم بحاجة إليك هناك » . وأحسست بخيبة أمل لأنني لن أشارك مارتن في تهربته الجديدة .

وبالطبع ذهبت إلى سان فرانسيسكو ، وحضرت اجتماعا يضم ستين ألف شخص في الملعب الرياضي الكبير ، واسكني كنت رغم ذلك أفضل أن أوجد مع مارتن ومع الربع مليون شخص الذين أتوا من شتى أنحاء العالم ليسيروا بوقار في شوارع مدينة نيويورك .

وبعد هذه المسير ازدادت حدة النقد . وكان رد زوجي المفهم عليه حديثا دار بينه وبين بعض الأعضاء عن انتقده علانية . اتصل بهم مارتن تليفونيا واستمعت أنا إلى حديثه معهم .

وقار مارتن : « أريدكم أن تعلموا أن المسألة بالنسبة لي ارتباط خلقي ، ولقد كنت أشعر بالأسى والأسف ؛ لأنني حتى الآن لم أخخذ موقفا علنيا من هذه المسألة . ولما حل اليوم الذي أستطيع فيه أن أعلن رأيي ، كان هذا من أسعد لحظات حياتي » .

ولقد شجعت زوجتي من وقت طويل على أن تعمل في حركات السلام، ولكني أستطيع أن أستمري الوقوف بعيدا دون كلام . لقد أدليت بمعتقداتي ويرأني بأن هذه الحرب حرب غير عادلة شريرة لم يسبق أن خاضت بلادنا من قبل حربا مثلها .

ثم أخذ مارتن يعرض لتاريخ حرب فيتنام ، وعندما انتهى من كلامه قال له أحدهم : « الآن أدركت أنك تعني ما تقول » . أما قبل ذلك فلم أكن أفهم جيدا .

وبعد هذا الحوار التفت مارتن إلى ، وقال : « أنا أعلم أنى على حق ، هذه حرب شريرة غير عادلة ، وقد قررت أن أقف في وجهها ، مهما يقل الناس ، سأتمسك بمعتقداتي بشأها ، » .

والآن ونحن نستعرض التاريخ يمكننا أن نقول إن نشاط مارتن في سبيل السلم العالمى كان نقطة تحول هامة في تفكير البلاد كلها . وقد بدأ المد يرتفع عندما أيقن الناس مدى خطأ هذه الحرب ، بل ومدى عقم السياسة اللا أخلاقية المتبعة فيها . وسيسجل التاريخ لمارتن شجاعته في أنه كان من أوائل من رفعوا صوتهم احتجاجا عليها ، رغم مالا فاه من تشهير ونقد بسبب موقفه هذا . والواقع أن مارتن عندما كان يزيح الستار عن أغلاط أمريكا ، وعن مواقفها التي لا تدعو إلى الاحترام ، وعندما كان يقدم الحلول البتاء لكل هذه المشكلات ، كان يؤيد خير ما في التراث الأمريكى .

وازدادت حدة الاضطرابات خلال صيف عام ١٩٦٧ ، وكان مارتن يقول دائما : « إن التأخير الذى يجلبه الشتاء يكون سببا في اضطرابات الصيف » . وكان قلقه وحزنه كبيرين ، لأنه كان يعرف أن الناس تتجه إليه بنظرها ليجد لها حلا مقبولا ، وهو لم يكن بمستطيع ذلك ، وقال : « إن الناس يطلبون منى لإجابات عن تساؤلاتهم ، وليس عندي منها شيء » .

وأخذ الكثيرون من السود يأسون ويقولون : « إن سياسة عدم العنف لم تؤت ثمارها . وأذكر أنى قلت لمارتن في تلك الايام : « إن هناك الملايين ممن يؤمنون بك ويرون فيك أروع آمالهم » . واستطردت أقول : « ومنهم أنا ، إذا كان هذا يعنى شيئا بالنسبة لك ، » . وأجابنى هو . « هذا يعنى الكثير » .

ومرت أيام الصيف ، وزاد تفكيره محاولا لإيجاد الحل ، وكان يصارع المشكلات وهو يتنقل في جميع أنحاء البلاد يلقي الخطب . وفى كل مكان يحل به كانت الصحافة تسأله عن الاضطرابات ، وكان مارتن يرد المرة تلو المرة : « أنا

لا أوافق على العنف ، ولكنى أفهم تماما الأحوال التى تؤدى إليه ، وواجبنا أن نعمل على إصلاح هذه الأحوال قبل أن نفكر فى معاقبة المتهمين .

وكان شقاء مارتن يزيد كلما أيقن أن البلاد لا تريد أن تواجه الأسباب الحقيقية للظواهرات ، ويقول : « لى أضع أخلاقيات هذا البلد فى الميزان ، وأضع رغبته فى إنقاذ نفسه فى الميزان أيضا ، . وكان مارتن يعلم تماما أن هذا الإنقاذ لن يأتى إلا عن طريق الناس أنفسهم ، هم وحدهم القادرون على إنقاذ أنفسهم من الدمار والهلاك .

وعند اقتراب الحريق قال لى مارتن : « ينبغي أن نضع برنامجا من أجل الحصول على فرص العمل وتحسين الأحوال الاقتصادية . يجب أن نفكر فى سبل بناء بعيدة عن العنف » . كان لا يزال يبحث عن الطريق .

ومن الأشخاص الذين ساعدوه فى البحث عن هذا الطريق ماريان رايت إيدلمان ، وهى سيدة كانت تعمل فى أوساط الفقراء بولاية ميسيسبي ، وكانت قد قضت بعض الوقت فى واشنطن وتمكنت من دراسة العديد من البرامج التى يمكن بواسطتها تحسين حال الفقراء . ولكن كل هذه البرامج كانت مدفونة بين الأوراق ولا يعلم عنها الفقراء أنفسهم شيئا . ولذا كان من الضروري إيجاد طريقة لبدء تنفيذ هذه البرامج ، وبخاصة فى ولايتى الميسيسبي وألاباما . وكان مارتن قد اجتمع بالكثير من أعضاء الكونجرس وبعض المسؤولين فى الحكومة ، وكانت ماريان ترى أن الوقت يسمح بالنقد هذه البرامج وتنفيذها باستخدام سياسة عدم العنف . وبدأ مارتن يتصل ببعض زملائه المقربين ويطلب إليهم النصيح والمشورة ، فقد كان ذهنه يبلور فكرة ما .

وزاد من تحمسه أنه علم أن الناس فى واشنطن يوافقونه على هذا رأى . وعاد إلى المنزل ذات ليلة وقد عاد إليه تحمسه المؤلف ، وقال : « لقد وجدت

الحل . ثم بدأ يتحدث عن حملة من أجل الفقراء ، حملة يذهب فيها كل دولاء الفقراء إلى واشنطن ليعرضوا قضيتهم بنفسهم أمام كل الوزارات المعنية . مثل وزارة العمل ووزارة الداخلية ووزارة الزراعة ووزارة التجارة ، ولاحظت أنه كلما واصل الكلام تفتق ذهنه عن فكرة جديدة ، وقال : علينا أن نجلب الناس من كل المناطق الفقيرة ، من الجنوب ومن الشمال ، الناس الذين لا يعملون ، الذين ليس لهم مورد رزق . أظن أن وجودهم سيكون له أكبر الأثر ، ويجب ألا يقتصر الأمر على السود وحدهم ، بل الفقراء من البيض أيضا ، بل ومن الهنود الأمريكيين ، ومن أبناء بورتوريكو والمكسيك .

وكان مارتن يرى أن مثل هذا البرنامج سيدخل تغييرا كبيرا على الحركة التي ركزت اهتمامها دائما على حقوق الزوج وحدهم ، وأن مثل هذا التحالف القوي سيهز النظام ويجعله يخضع للتغييرات المطلوبة في بنائه العام بما يهيء حياة أفضل للفقراء . وكان يعتقد أن المشكلة التي ستواجهه هي كيف يقنع الفقراء البيض أن لهم مصالح مشتركة معنا . ولكنه كان واثقا من أن باستطاعته أن يفعل ذلك .

وولدت حملة الفقراء ووافق عليها المجلس القومي لتحسين حال الزوج وبدأ العمل فيها . واستقر العزم على تركيز الجهود على عشر مدن وخمس مناطق ريفية وتجنيد نحو مائتي شخص من كل واحدة منها ، مما يجعل الفصيلة الأولى تتألف من ثلاثة آلاف شخص . ومن البديهي أن هذا العدد زاد بعد ذلك زيادة كبيرة . وأيقن مارتن أن هذه الحملة ستعصف حائلا دون الشعب والمظاهرات ، لأنها ستمنح الناس أملا وتجعلهم يحسون بوجود بعض البرامج التي تستهدف صالحهم . كما كان يرى فيها جوابا على الحاجة الملحة إلى كثير من البرامج المماثلة لها . وكان الهدف منها — كما عبر مارتن عنه — الأمان الاقتصادي ، والإسكان الصحي ، النظيف ، والمساواة في التعليم لكل مواطن أمريكي .

وأخذت الحملة تأخذ شكلها وأخذت الاستعدادات لها تسير على قدم وساق . وكانت مهمة إقامة الخيام لكل المشتركين فيها وتزويدهم بالطعام والشراب والتسهيلات الصحية والعاطية مهمة ضخمة ، كما كان التنسيق بين الرغبات المتعددة يحتاج إلى الكثير من الصبر واللباقة .

وكان مارتن يؤمن بأن يكون لكل مواطن أجر معلوم سنوى ، وبأن القطاع الخاص في الصناعة يجب أن يشارك في حل مسؤولية تدريب العمال المهرة ليحصلوا على أعمال فنية متقدمة . أما الحكومة فكان من واجبها أن تخصص الإعانات لمثل هذه البرامج . وكان دائماً يقول إن أمريكا مهدت الطريق أمام المهاجرين إليها لينأقلا فيهم ، وذلك بأن منحتهم الأرض والتدريب ، وبمساعدة الخطوط الجوية على نقلهم إلى أمريكا ، وذلك بمنحها الإعانات اللازمة . ولذا فإن البرنامج المقترح ليس غريباً على عقول المسئولين . بل إنه يستهدف خدمة الزوج الذين أسهموا في بناء أمريكا ذاتها ، وهم عبيد لا يتقاضون أجراً . كنا نطالب بأن يمنح لنا نصيب عادل من فرص الحياة والحرية والبحث عن السعادة .

وقام مارتن بجولات أطلق عليها اسم « من الشعب وإلى الشعب » حتى يستطيع تجنيد الفقراء للمسيرة الكبرى ، وكانت الاستجابة رائعة ، واستمع إليه الآلاف من الناس ، واهتموا بما يعرضه ، وعرضوا المشاركة فيه . وكثيراً ما كان يصحب الأولاد معه ، وكانوا يعودون من السفر وهم مليئون بالحماسة والاهتمام .

ونفخ التحمس في مشاعر مارتن . وقد واثته فكرة طريفة ، وذلك بأن يسير قافلة من البغال من ميسيسيبي إلى واشنطن حتى يضيق على المسيرة جوا دراميا . والحقيقة أنه شخص نشأ وترعرع في المدينة ، ولم يسبق له أن قام بقيادة قافلة من البغال ، ولكن الفكرة ذاتها وما ترمز إليه أعجبته جداً . ولما

اقرب اليوم الموعد وزاد تحمس مارتن ، كان يقول لى ، إن هذا عمل هائل
ضخم . لقد كنا فيما مضى نحاول تجنيد مدينة واحدة ، أما الآن فنحن بسبيل
تجنيد البلاد بأسرها .

وفى أوائل شهر مارس من عام ١٩٦٨ طرأت لمارتن فكرة تجميع زعماء
الأقليات جميعهم فى أثلاثنا ، الأقليات مثل أهل بورتوريكو والمكسيك
والهنود الذين يعيشون فى مزارعهم المخصصة لهم ، والبيض الفقراء الذين
يعيشون فى أبلاتشيا . وكنت وقتئذ أمر بفترة نقاهة بعد عملية جراحية
أجريت لى فى أواخر يناير ، ولكنى ذهبت إلى هذا الاجتماع لأنى كنت أرى
أنه حدث تاريخى يجب ألا يفوتنى ، وكنت أريد رؤية هؤلاء القوم على
الطبيعة وهم مجتمعون فى غرفة واحدة يبحثون مشكلاتهم المشتركة كما لم يحدث
من قبل فى تاريخ هذا البلد . فعلا كان حدثا فريدا . . .

وتحدث ممثلو الطوائف عن مدى اشتراكهم فى الحملة ، وعما إذا كان
بإستطاعتهم أن يشرحوا مطالبهم الخاصة داخل البرنامج العام ، وهذا طبعا
من حقهم الطبيعى ، لأنهم قالوا : إن مشكلاتنا تختلف فى بعض النواحي
عن مشكلاتكم .

ودار النقاش بطريقة ودية للغاية ، وقد أفدنا جدا من الاستماع لهم ، وفى
الجلسة وافق الجميع على البرامج وانفض المجتمعون ليذهبوا بحثا عن مجتدين
جدد . لقد جمعت بيننا مشكلة واحدة — الفقر .

وبجانب كل هذا النشاط كان على المجلس القومى التزامات أخرى ؛ ففى
خريف عام ١٩٦٧ قامت حملة فى كاليفلاند بولاية أوهايو لتسجيل أسماء انوجز
فى قوائم الناخبين . ورغم هذا فإن نسبة التسجيل كانت ضئيلة جدا . وكان
مرشح العمودية فى ذلك الوقت زنجيا يدعى كارل ستوكس ، وكان مارتن
يعتقد أن نجاحه فى الانتخابات سيكون عاملا ملهما للشعب الزنجى فى كل

أرجاء البلاد ، ونجحنا فعلا في تسجيل ما يقرب من خمسين ألف اسم ، ونجح كارل ستوكس ، وأصبح أول عمدة زنجي لمدينة أريكا .

ورغم أن عام ١٩٦٧ مردون مواجهة ما ، إلا أن مارتن كان منهمك جدا خلاله بوصفه قائد الحركة ، كما كانت أعباء عمله في الكنيسة تزيد من عبء العمل عليه ورغم أنه كان قد اتفق هو ودادى كينج على أن يعينا مساعدا ، فإن مارتن كان لا يزال يلقى موعظتين هلى الأقل في الشهر . أما أنا فكنت أقوم بزيارة المرضى ، وحضور الجنائزات ، وحفلات الزفاف ، واجتماعات الكثير من اللجان وكل مناسبة أستطيع فيها أن أنوب عن مارتن نظرا للكثرة أعبائه .

والحقيقة أن مارتن كان يأسف بشدة لضيق الوقت الذى لايسمح له بالاهتمام بكنيسته كما يرى هو ، فقد كانت الكنيسة التى رعتة منذ مولده ، وكان يحبها حبا خاصا ، وكانت أسرته سندا كبيرا له في عمله ، وفي حبه للكنيسة ، ولولاى لما خرج إلى الأمة ، ولا إلى العالم مثل هذا القائد . وكان حب مارتن خارج أسرته ينحصر في ثلاث نواح : كنيسة إيبينزر ، والمجلس القومى ، وكلية مورهاوس . وكثيرا ما قال : إذا كان هندى ما أتركه خلفي ، فسأوصى به لـكنيسة إيبينزر .

ورغم هذا فإن دادى كينج كان لا يزال الشخصية المرموقة ، في كنيسة إيبينزر ، وكان بمثابة الـآب لكل المترددى على الكنيسة ، وكان كثيرا ما يسدى إليهم النصيحة ويسبغ عليهم من روحانيته ما يشجعهم في حياتهم المادية والروحية . وكان ينصحهم من فوق المنبر بأن يبادروا بتسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين ، وأن يتتجروا الر حل الصالح . وكان يطلب منهم دفع الضرائب في مواعيدها ، وفي نفس الوقت كان يتشاور معهم في شؤون أسرهم ، أو يساعدهم عند شراء منزل ، أو الحصول على عمل . كان دائما يقول لهم : « لا تذهبوا إلا إلى الرأس ، وابتعدوا عن صفار المسؤولين . لأنهم حتى لو كانوا يفهمون تماما مشكلتكم فإن

بعض الأوامر التي تصدر إليهم تمنعهم من مساعدكم ، لأنها أوامر متضاربة في كثير من الأحيان ، وكان بعد ذلك يبحث هو نفسه عن الرئيس أو المدير ويذهب إليه رأسا ، ويصارع من أجل مشكلات مواطنيه . وفي الوقت الذي كان مارتن لوثر كينج الأصغر منهمكا في المشكلات والقضايا الكبرى ، كان مارتن لوثر كينج الأكبر يساعد مواطنيه على الانتفاع من ثمار عمل ابنه ، ويشجعهم على الماضي قدما فيها . ولا غرو بعد ذلك أنه كان موضع حب الجميع .

وكان شخصا صعب المراس لا يمكن التغلب عليه ، وأذكر عندما انتخب ليستر مادوكس — وهو من المتطرفين المتعصبين — حاكما لجورجيا ، وكان مشهورا بالقسوة والوحشية ، وقيل إنه كان يتسلح بعدد من العصي الغليظة يطارد بها الزوج بعيداً عن مطعم كان يملكه ، وكان مارتن يقول : لقد انتخب حاكما لجورجيا في غفلة من أهلها .

أذكر عندما انتخب هذا الرجل طلب دادى كينج وبعض زملائه مقابلته ليبحثوا معه مشكلة التفرقة في الأعمال على نطاق الولاية وطلب القساوسة من دادى كينج — لما عرف عنه من الشجاعة والجرأة — أن يبق صامتا . واستقبل الحاكم الوفد في عاصمة الولاية ، وجلس دادى كينج صامتا بعض الوقت ، في حين تسلم الآخرون قبله . ثم انفجر قائلاً : اسمع أيها الحاكم مادوكس ، أريدك أن تعلم أننا لم نأت هنا لننسول ، إنما نريد نصيبتنا في الأعمال في هذه الولاية ، وإذا رفضت أن تعطيه لنا ، فسنعمل نحن من جانبنا للحصول عليه .

واستطرد يقول : « أكثر من ذلك ، لقد قرأت الكثير عنك في الصحف ، وأعلم أنك تؤمن بالتفرقة ، وتسمى نفسك مسيحياً !! كيف تؤمن بالتفرقة وتكون مسيحياً !! إنك رئيس كنيسة ، وأنا أعجب للقساوسة الذين تستمع إليهم ، وأدعوك أن تحضر إلى كنيسة إبيبنزر وتستمع إلى مواعظي ، فإن باستطاعتي مساعدتك . »

وكان رد الحاكم مثار دهشة الجميع ، إذ قال : « أنا واثق أن باستطاعتك ذلك أيها اللقس كينج » .

ولما تأهب الجميع لمغادرة المكان توجه مادوكس صوب دادى كينج ، وقال له : « هل لك أن تأتى لمقابلتى مرة ثانية ، فإنى أريد الحديث معك » .

ولما أقام الحاكم أول حفل استقبال ، ذهب إليه دادى كينج ومعه بقية القساوسة وساروا فى صف منتظم ليصافحوا الحاكم . والغريب أن حاكم ولاية جورجيا الذى عارض الاختلاط فى المطاعم كان هو نفسه الذى نادى بالاختلاط فى قصره .

ونظراً لمهام مارتن العديدة فلم يتمكن من الحصول على إجازة فى هذه الفترة ، وكانت آخر إجازة حصلنا عليها عام ١٩٦٥ عندما سافرنا إلى جهايك حيث ألقى مارتن خطاباً هاماً فى جزر الهند الغربية وكنا قد دعونا رالف وجوانيتا أرنائى لقضاء أسبوع معنا هناك فى ضيافة حكومة جهايك وقد عاد إليهما مارتن مرة ثانية عام ١٩٦٧ حيث كتب فيها رابع كتاب له واسمه : « إلى أين تذهب من هنا ؟ القوضى أو الانسجام ؟ » وقد تمكنت من قضاء أسبوع معه وقتئذ برغم أنه كان يقضى بين ١٢ ، ١٥ ساعة فى الكتابة يومياً وتمكن من الانتهاء من الكتاب فى ستة أسابيع . كان مارتن يحب جهايك أكثر من أى بلد آخر زاره ، وكان يتحدث عن وحدة الهدف فيها ويستعيد دائماً شعار هذا الشعب « شعب واحد من بين العديد من الشعوب » .

كان ولوعا بالمناظر الطبيعية الخلابة فى الجزيرة ويحبها لها الخضراء وبحرها الأزرق ، وكان لنا كوخ جميل به حمام للسباحة ويطل من هلى صخرة عالية على البحر الكاريبي ، وكان مارتن يسبح يومياً بغية الراحة من التعب .

ورغم أنه كان يريد العزلة للكتابة والاستجمام ، إلا أن الناس عرفوا

بوجوده في الجزيرة وكانوا يأتون لزيارتنا ، وكان سكرتير مارتن يحاول أن يطلب منهم الابتعاد لأن مارتن كان منهمكا جدا في العمل .

وعلى العكس من كل ذلك كان عام ١٩٦٧ ، فقد كنا فيه منمكنين جدا في العمل وفي حملة الفقراء التي بدأت أوائل عام ١٩٦٨ . كنا نحس بالقدر يطبق علينا ، ولسكننا كنا نطاردها الإحساس ، رغم أننا عشنا معه طويلا . وكان مارتن قد قال لي منذ أعوام : « أنا أحسن أن لن أعيش طويلا ، ولكن إذا مت أرجوك ألا تحزن في على موتى ، بل واصل الحياة كأن شيئا لم يحدث » .

وهذا يعنى أنه كان دائم التفكير في الموت ، بل كان يذكره كما يذكر أية تجربة عادية أخرى . ولكن لما احتدم الصراع بصدد الحقوق المدنية بدأ مارتن يرى الخطر بوضوح ، وكانت معرفته بالتاريخ تقول له إن أى شخص يتخذ موقفا أدبيا شديدا لابد له أن يدفع ثمن معتقده ، وكثيرا ما كان يستخدم تعبير « الصلب » من باب الاستعارة ، وكثيرا ما قال في خطبه : « لعل سألص لمعتقداتى هذه ، وإذا حدث هذا ، فما عليكم إلا أن تقولوا ، هذا الرجل مات لينح الحرية للآخرين » .

وفكرة الموت كانت تراود مارتن كثيرا ، وعندما ما كان الآخرون يطلبون منه توخى الحذر كان يقول : « أنا لست قلقا على سلامتى ، لأنى لا أستطيع أن أحييا مع شعور الخوف ، لابد أن أعمل وإذا كان هناك ما تغلبت عليه حقا فهو شعور الخوف من الموت » . وكان كثيرا ما يتكلم عن الموت في مواعظه ، ويستعيد الجملة التي تقول : « إذا لم يعثر الشخص على ما يضحى بحياته من أجله ، فإنه لا يستحق الحياة » .

والحقيقة أنه لم يكن لديه عندئذ ما يدعو لمثل هذا القول ، ولكنه كان كمن يعد نفسه لقدرة . كانت هناك قوة خفية تدفعه لإتمام عمله . وفي الشهور القليلة التي سبقت موته كان يعمل بسرعة هائلة ، كان يعمل وكان العمل الذى

يقوم به هو آخر إنجازات حياته ، وخلال الاجتماعات كان كثيرا ما يردد القول ، إذا حدث لى شىء فأرجوكم أن تعدوا أنفسكم لمواصلة العمل ، .

وفى ذات الوقت كانت نظراته للأمور تنعم بالواقعية ، وكان مارتين يتقبل الأخطار على أنها أمر عادى ولا يجعلها تؤثر فى روحه أو نفسيته . كان كل اهتمامه ينحصر فى الحركة ، وفى مسارها ، وفى ازدياد موجة العنف ، ولكنه فى نفس الوقت كان يحب الحياة ويمتلىء بالأمل .

كانت خطوات الإعداد الاستراتيجي لحملة الفقراء خلال عام ١٩٦٨ تستنفد قوة أى رجل . وبالإضافة إلى كل ذلك كان مارتن مرتبطا بعدة جولات خطابية تتعلق بالمجلس القومى لتحسين أحوال الزوج . أما أنا فـ كما ذكرت كنت قد أجريت عملية جراحية فى أواخر يناير من نفس العام .

وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير ألقى مارتن خطابا هاما فى نيويورك خلال الاحتفال الذى أقيم بمناسبة مرور مائة عام على وفاة الدكتور ديبوا ، وهو رجل عظيم كان مارتن يكن له أعظم الإعجاب والحب . والدكتور ديبوا كان هو الشخص الذى حطم حاجز العصب ، الذى أقامه جورج واشنطن كارفر وبوكر واشنطن ، وكان من رواد القادة الزوج ، وبطلا قوميا من أبطالهم . وبالطبع أشار مارتن فى خطابه إلى أننا نحن الآخرين لم يعد فى وسعنا أن ننتظر أو نصبر لإزاء الظلم . واعتقد أن خطاب فبراير هذا كان هاما ؛ لأنه أظهر للوطنيين الذين كان مارتن يأمل فى مصالحتهم أن ديبوا ينتمى إلينا بقدر ما ينتمى إليهم .

وقال مارتن إن ديبوا قد كرس مواهبه الخلاقة لفضح الخرافة التى تقول بانحطاط الزنجى ، كما استشهد بالكثير من أقواله فى كتبه القيمة ، مثل "التجديد الأسود فى أمريكا" . وقال إن ديبوا قضى كما لم يقض أحد من قبله على الأكاذيب التى أحاطت بالزوج فى أهم فترات تاريخهم ، وأشار إلى لإنجازاته الرائعة الأخرى قائلا : ولقد غادرنا الدكتور ديبوا ولكنه لم يميت ، إن روح الحرية لم تدفن فى قبور الشجعان ، وسيستمر معنا عندما نتوجه إلى واشنطن لنطلب حقنا فى الحياة والحرية والبحث عن السعادة .

وواصل مارتن حملات : « من الشعب وإلى الشعب » ، كجزء من برنامجه لإعداد الناس لدخول حملة الفقراء ، وواصل هو وزملاؤه الكلام وعقد الاجتماعات والجولات يشرحون للناس معنى الحملة وتفاصيل تنفيذها وكيفية الوصول إلى واشتعلون وما إلى ذلك .

وحوالى اليوم الثالث والعشرين من شهر مارس ١٩٠٨ كان مارتن يتجول فى ولاية جورجيا لهذا الهدف ، وكان تغيبه عن أسرته قد طال ، لدرجة أنى رأيت أن يصحب معه مارتن وديكستر ، وكنت أهدف بالطبع إلى إطلاعهم على ما يقوم به أبوم وإشراكهم فى القضية . كما كنت أرى أن مصاحبتهم له ستشرح لهما معنى تغيبه الطويل عنا وتسهل عليهما فهم سبب هذا التغيب .

وفى مساء يوم الجمعة تناقشت مع مارتن عن ذهاب الأولاد معه ، وكان هو ينوى السفر صباح السبت الباكر والأولاد عادة لا يستيقظون إلا متأخرا ، وخاصة أنه كان عليهما أن يحضرا مباراة فى كرة القدم فى نفس اليوم . وأعددنا العدة لكل شئ ، واستقر الرأى على أن يذهبا مع أبيهما . وكان هذا القرار مشار حمد وشكر الله منى فيما بعد .

وسافر الجميع ، وجلست أنا أنتظر ، وبخاصة أن مارتن أبلغنى أنهم سيعودون فى نفس الليلة . ومرت الليلة ببطء يثير الأعصاب ، ولم تظهر أية بادرة منهم ؛ وكان قلقي يزداد كلما فكرت أنهم يسافرون فى طائرة صغيرة استؤجرت لرحلاتهم . وحلت الساعة الحادية عشرة ، ثم منتصف الليل ، وعندئذ انتابنى الرعب والخوف . . . ولما اتصل بى مدير أعمالنا يسألنى عن بعض التفاصيل أفضيت إليه بمخاوفى ، ولكنه طمأننى وقال إن البرنامج قد تأخر بعض الشئ ، ولا شئ سوى ذلك .

ولما عادوا أخيرا فى الساعات المبكرة من الصباح وجدت أن الولدين كانا فى منتهى التعب ، ورغم ذلك أخذوا يسردان على مارسيهما من أحداث .

وفرك ديكستر عينيه اللتين يداعبهما النوم وقال : « أتعرفين يا ماما أنى أدمش من أن دادى يتنقل كل هذه التنقلات ويتكلم مع كل هؤلاء الناس دون أن يتعب على الإطلاق ، .

والحقيقة أن مارتن ، بعد أن أحضر الأولاد إلى المنزل ، ورغم الإرهاق البادى عليه ، خرج ثانية إلى المكتب لينتهى من بعض التقارير التى كانت ينبغي أن تقدم فى اليوم التالى .

والآن أرى أن العناية الالهية هى التى جعلت الولدين يصاحبان أباهما فى هذه الرحلة الأخيرة ، حتى يمكنهما بعد ذلك أن يملا طيلة حياتهما الصورة التى كان يظهر بها مارتن أمام الناس ، وحتى لا تفارق هذه الصورة خواطرهما أبدا .

وخلال العمل المتواصل من أجل حملة الفقراء ظهرت فى الأفق سحابة صغيرة ولكنها تثير القلق نوعا ما . . فى مدينة ممفيس بولاية تينيسى أضرب اتحاد عمال النظافة ، ومعظم أفرادهم من الزوج ، احتجاجا على المعاملة غير العادلة التى كانوا يلقونها من العمدة الجديد — ويدعى هنرى لوب . ويوم ٢٣ من فبراير فى أثناء إلقاء خطاب الدكتور ديبوا فى نيويورك، سارت مظاهرة صغيرة مسالمة نظمها هذا الاتحاد وتصدى لها رجال الشرطة بقسوة ، واستخدموا العصي والهرאות والسيارات والخيول .

وقد أثارت هذه الحادثة أهل ممفيس ، كما أثارت الكثيرين من البيض أيضا وتطورت حركة الاحتجاج المحلية الصغيرة إلى حركة كبرى اشترك فيها أعضاء المجلس القومى ، ومن بينهم جيم لوسون الذى اتصل بمارتن تليفونيا وطلب منه المعونة وتوجه مارتن إلى ممفيس ليتحدث مع الناس ، وفى أثناء وجوده فيها طلب منه لوسون أن يقود مظاهرة فى اليوم الثامن والعشرين من شهر مارس ، ووافق مارتن رغم تحذيرات الكثيرين من زملائه الذين كانوا يرون فى هذا خروجا غير مطلوب عن سير حملة الفقراء . والحقيقة أن مارتن — رغم اهتمامه

الشديد بحملة الفقراء — لم يشأ أن يرفض طلب أهل ممفيس ، وكان يرى أن اشراكه سيساعد حملتهم ، وأن سيره في المظاهرة يعد تعريزا لجهود العمال الزوج .

واقترح عليه طبيبه أن يستريح بضعة أيام قبل البدء في الحملة . وفي العام الثاني هجر من شهر مارس ، ومباشرة قبل الحملة ، اتصل بي تليفونيا وسألني :
هل وصلتكم الورود ؟ .

وأجبته : إنه لم تصلني أية ورود . وعندئذ شرح لي مارتن السبب في هذه الورود . . قال إنه كان يسير في المدينة ، يتجول ويتسوق ، لأنه كان بحاجة إلى ملابس لنفسه ، وإنه ذهب إلى محل الورود واشترى لي بعضها ، وقد وعد صاحب المحل بإرسالها إلى على الفور ، وتأثرت جدا لهذه اللقطة . ولما حضر إلى المنزل ليأخذ حقيبته كانت الورود قد وصلت بالفعل .

كانت ورودا من نوع القرنفل الأحمر ، ولما لمسهما وجدت أنها ورود صناعية ، وأنا لم أعتقد من مارتن أن يرسل لي أبدا ورودا صناعية ، ولكفى مع ذلك قبلته وشكرته عليها وقلت : دإنها جميلة ، ولكنها صناعية ، .

وأجاب مارتن : د نعم ، أعمدت أن أبعث إليك بورود تستطيعين الاحتفاظ بها دائما ، .

وكانت هذه آخر باقة ورد تصلني منه . ويبدو أنه كان يحس بطريقة غريبة أن هذه الباقة ستبقى معي إلى الأبد .

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر مارس كنت في واشنطنون لاشتراك في مؤتمر صحفي مع دوروثي هتشينسون ، وكانت وقتئذ رئيسة العصبة النسائية الدولية للسلام والحرية ، وقد تقدمت في هذا المؤتمر باقتراح لإيجاد صلاح مشرف في فييتنام . أما أنا فقد تحدثت في كلمتي عن العلاقة بين السياسة المحلية ومشكلة فييتنام .

وتوجهت إلى المطار ، وكنت على وشك أن أستقل الطائرة التي ستحملني من واشنطن إلى أتلانتا ، ولكنني قررت أن أتصل بمكتبنا في واشنطن لأعبر له عن أسفي لأنني لم أستطع زيارته . وعندئذ أبلغني رئيس المكتب أنه حدثت اضطرابات في أثناء قيادة مارتن لمظاهرة ممفيس ، وأن هذه الاضطرابات تتسم بالكثير من العنف ، وطلب عني أن أتصل برالفونتروي لأحصل منه على كل التفاصيل . واتباني القلق لهذه الأنباء وتساءلت : هل أصيب زوجي ؟ واتصلت بالتليفون على الفور . وقال لي والتر إنه تحدث منذ قليل مع مارتن ورالف ابرنathi وإنهما بصحة جيدة ، ورغم أن هناك حالات إصابات أخرى . وأضاف قائلاً : إن مارتن في منتهى العناية . وأحسست بالراحة عندما سمعت أنه بخير ، ولكنني بدأت أفكر في أسباب تعاسته .

كان مارتن قد توجه من نيويورك إلى ممفيس ليتولى قيادة المظاهرة فيها ، ونظراً لتأخر قيام الطائرة فقد وصل بعد بدء المظاهرة ، فاضطر إلى أن يستقل سيارة ليصل إلى بداية المسيرة . وفي أثناء سيره شهد الفوضى التي كانت تجتاح المسيرة ، ورأى اللافتات المثيرة التي يحملها أعضاء المنظمة ، القوة السوداء ، كما وجد أن بعض الشبان يهددون بتعطيل المسيرة إذا لم يعترف بوجودهم فيها .

وشهد مارتن تجمعاً كبيراً من الناس ، ولكنه لم يجد مفراً من الاشتراك معهم ويبدأ السير . وسارت المظاهرة ، وتعدت بعض الشوارع ، وسمع مارتن صوت زجاج يتشم ، ورأى بعض الزجاجات تلتقي بين الصفوف . ويبدو أن الشغب كان مصدره بعض الشباب من المراهقين الذين هربوا من المدارس لينضموا للمظاهرة .

وانقلب الموقف كله تماماً ، وزاد الطين بلة أن العمدة لوب كان قد رفض من بداية الأمر أن يناقش المطالب والشكاوى . والآن وقف رجال الشرطة على

أهمية الاستعداد ، وانضموا بين الصفوف مستخدمين القسوة والوحشية في القمع كما استعان لوب بالحرس الوطني . وأصيب العديدون من الناس ، وأصيب أحد الشبان برصاصة في ظهره أدت إلى مقتله . ولما عاد مارتن إلى المنزل قال : إن العنف بدأ ، ثم تلاه بعد ذلك هجوم الشرطة الذي لم يمكن كبحه .

وكان زملاء مارتن قد رجوه أن يتوجه إلى الفندق بمجرد اندلاع الشغب ، إذ كانوا يخافون أن يصبح هدفا له . وتمكنوا أخيراً من إقناعه ، ولكنه كان يشعر بالانعاسة الشديدة ؛ فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يندلع فيها العنف والشغب في مظاهرة يقودها هو . . . وكان يشعر أن المسؤولية متعلقة على عاتقه هو ، رغم إيمانه بعدم اشتراكه فيما حدث .

ولما وصلت إلى منزلنا في أتلانتا اتصل بي مارتن تليفونيا ، وكان مضطرباً للغاية ، وقال لي : « لقد كانت الروح طيبة في الاجتماع الذي عقد منذ عشرة أيام ، حتى إنني تصورت أن الأمور ستسير على ما يرام . وكان من السهل على أن أتوقع ما سيحدث لو أنني كنت في الشمال ، ولكنني لم أتصور اللحظة واحدة أن بمفيس بها هذا العنصر من الوطنيين ، وسيجملني المسؤولون بعبء كل ما حدث . »

وأجبتني : « إنك لست مسؤولاً عما حدث ، فقد نظمت مسيرات ومظاهرات عديدة ، ولم يسبق أن حدث في واحدة منها مثل ما حدث في بمفيس . »

وأجابني : « لقد كنت على رأس المظاهرة ، ولا بد أن توجه إلى المسؤولية وهذا سوء حظ ، لا أكثر ولا أقل . »

وأجبته ثانية : « لا تقل هذا ، إنك لست مسؤولاً عما حدث . »

ولكن دون جدوى ، فقد كان شعوره بالمسؤولية أليماً .

وقال لي زملاؤه فيما بعد إنه عقد مؤتمرا صحفيا في مساء نفس اليوم وإنه كان مضطربا بالدرجة أنه لم يستطع الكلام في المؤتمر . ولكنه أقام مؤتمرا ثانيا في صبيحة اليوم الثاني ، وكان فيه في منتهى الحماسة ، وبين الصحفيين خطته المقبلة وقال : إن هذا أيها السادة ليس مؤتمرا صحفيا عاديا ، بل إنه في الواقع شرح لما سأقوم به . . . وكان بيانه بمثابة الموعظة أو الرسالة التي تفسر سياسة عدم العنف ، إذ كان يحاول أن يجعل رجال الصحافة يدركون أين وقع الخطأ في عفيس . وصرح بإيمانه المطلق في سياسة المقاومة السلمية .

وقد هبر برناردلي ، من زملاء مارتن هن خطته هذه بقوله : « لقد استمعت إلى مارتن مرات عديدة ، كما حضرت العديد من المؤتمرات الصحفية التي عقدها ، ولكن لم يسبق لي أن سمعته يتحدث بهذا الفصاحة والعمق ، والحقيقة أن على كنفه رسالة ، ولا بد أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره للقيام بها . » وقال رالف أبرنathi نفمي الشيء : « لقد لمست في مارتن صفة لم أمسها من قبل ، صفة الأسد . »

وتقدم أحد الصحفيين من مارتن وسأله : « ما الذي حدث لك يا دكتور كينج ؟ لقد كنت لا تستطيع الكلام بالأمس ، هل تحدثت مع أحد ؟ » . وأجاب مارتن : « لم أتحدث إلى أحد ، تحدثت مع الله العلي القدير . » وكان اليوم التالي لكل ذلك يوم جمعة ، وفيه عاد مارتن من عفيس ، وكنا قد دهونا أحد القساوسة للاشتراك معنا في إعادة بناء الكنيسة ، وكنت أنا مدعوة مع ماي ودادي كينج إلى العشاء على مائدة القس المناوب والترويليامز ، وقد وجهت إلى زوجته الدهوة ووعدتها بالحضور ما لم يحدث ما يغير خططى من تطورات .

وفي حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر اتصلت بي دورا ماكدونالد لتقول إن طائرة مارتن ستصل في حوالى السادسة وعشرين دقيقة مساء .

وقلت لنفسى : لو أنى ذهبت إلى دعوة العشاء فلن أستطيع استقبال مارتن . . ورغم أنى كنت أعلم أنه لا ضرورة لذهابى إلى المطار فقد كانت سيارة رالف موجودة بالمطار إلا أنى كنت واثقة أن مارتن يتوقع أن يجدنى فى استقباله ، أو فى المنزل عند هودته من السفر . وكنت واثقة أن المسز ويليامز ستسمر جذا الحضور مارتن معى إلى دعوة العشاء ، ولست أدرى أنه سيأتى متعباً مرهقاً وسيفضل أن يقضى الليلة فى منزله طلباً للراحة .

وأخيراً اتصلت بمنزل آل ويليامز فى الساعة الخامسة والنصف ووجدت أن دادى كينج قد وصل إليه فعلاً ، وكان هو الذى رد على التليفون . وطلبت إليه أن يشرح لآل ويليامز المسألة .

وبعد ذلك وصل مارتن ، وكان أول ما فعله كما هى عادته بمجرد دخوله من الباب ، أن سأل : د أين كوريتا ؟ .

وأسرعت إليه واسمة بيلته وقبلته ثم جاسنا إلى العشاء معاً وتحدث مارتن عما حدث فى ممفيس ، وكان الألم لا يزال يعصر قلبه . وبعد ذلك كنت كلما أتذكر هذه الليلة أحس بالسرور ، لأننا أمضيناها معاً ، وأدعو الله أن أكون قد تمكنت أن أبعث فى قلب مارتن بعض الطمأنينة والهدوء .

وفى اليوم التالى دعا مارتن أعضاء مكتب المجلس القومى إلى اجتماع حضره جيم لوسوم من ممفيس وبعض أعضاء مجلس الإدارة . وكان الغرض من الاجتماع هو مناقشة ما إذا كان الأفضل مواصلة العمل فى ممفيس . والجدير بالذكر هنا أن ممفيس لم تكن داخلة فى نطاق حملة الفقراء ، ولست أوافق تماماً مع أهداف الحملة ؛ فقد كان بها الكثير من الفقراء ، كما أن أجور العمال بها كانت منخفضة للغاية ، ورأى زوجى أن يشارك فى احتجاجهم على هذا الظلم الصارخ وقال : د إن حملتنا ليست حرباً عنصرية ، بل لأنها أصبحت الآن حرباً طبقية . وكان هذا الاجتماع هاماً جداً ، بالنسبة لزوجى ، ولم يعقدنى مقر المجلس ،

بل عقد في مكتب مارتن بكنيسة لايميزر . وكان مارتن يشعر بالقلق للنقد الشديد الذي تعرضت له حملة الفقراء من الصحافة . وكان يشك في إمكان تجنب حدوث عنف وشغب في عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية . وكان مارتن في تلك الأيام يقول دائما إن هذه هي الفرصة الأخيرة لسياسة المقاومة السلبية ومدى فعاليتها في الولايات المتحدة الأمريكية . وكان رغم ذلك يحاول لإنجاح هذه الحملة ويرى أن بالإمكان نجاحها وكان يرى أن ما حدث في ممفيس قديريه من مخاوف الكثيرين مما قد يرجح فرص فشل حملة واشنطن . ولذا فقد رأى مارتن أن يركز جهوده على أهل ممفيس محاولا إقناعهم بالزام السلم والبعد عن العنف في أثناء اشتراكهم في حملة الفقراء ؛ إذ كان يرى أنه لو نجح عدم العنف في ممفيس فإن ذلك سيكون له أكبر الصدى لصالح الخطوة الأعم والأكبر .

ولذا فقد واجه مارتن أهل ممفيس بصراحة قد تبلغ حد القسوة ، وهو ما لم يفعله أبدا من قبل . وقد عبر عن ذلك أحد المشاركين في الحملة بقوله : « إن مارتن عندما يستخدم نقده اللاذع مع فصاحته تبدو كلماته وكأنها من نار » .

وتكلم آخرون ، وتكلموا بشدة ، ووجهوا النقد ، ومارسوا النقد الذاتي ، وعلى ضوء ما يحدث فيما بعد يمكن أن نصف هذا الاجتماع المتفحص بأنه يشبه إلى حد ما العشاء الأخير .

وفي إحدى الملاحظات ارتأى مارتن أن يغادر مكان الاجتماع لينصح الموجودين فرصة التفكير والسكلام دون وجوده ، إذ كان يعتقد أن غيابة قد يفك عقدة الكثير من الأسنة ويجعلها تعبر بصراحة عما يحول في خواطر أصحابها .

وخلال هذه الفترة اتصلت أنا تليفونيا لاستعلم منه عن ميعاد عودته إلى المنزل حتى أعد العشاء ، ورد على رالف أبرنathi قائلا : « لقد غادر مارتن المكان منذ فترة وجيزة ، لأنه أحس بالضيق والضجر من تصرفات بعض

الأعضاء ، ولكنه سرعان ما سجد ، والحقيقة أنه في أثناء تقيبه ، لفت ووح القدس الاجتماع ، وساد الوئام بيننا ، وسنسير إلى واشنطن طريق مميس .

ولما عاد مارتن أخيراً إلى المنزل أكد هذا الكلام ، وقال إننا سنبعث ببعض زملائنا ليعدوا العدة ويقوموا بكل التنظيمات اللازمة ، وسيدأ هذا العمل في اليوم الثالث من أبريل على أن تبدأ المسيرة في اليوم الثامن من أبريل .

وتوجه مارتن إلى واشنطن في الثلاثين من شهر مارس ليلقي بموعظة في كاتدرائية واشنطن ، وقيل إن الجماهير التي تجمعت للاستماع إليه ذلك اليوم كانت من أكبر التجمعات التي شهدتها العاصمة . وقال لهم مارتن إن أهداف الحركة لا يمكن أن يقال إنها أنجزت إلا بعد أن يقضى تماماً على كل واحد من معالم الظلم العنصري ، واستطرد فقال إن وثيقة إعلان الحرية كانت بمثابة حكم قضائي يحرر الإنسان بعد أن أمضى معظم سني حياته في السجن ، ولكن هذه الحرية لم تكن كاملة ، فقد خرج الإنسان من السجن ولكنه لا يملك أجر الأوتوبيس ، الذي ينقله إلى المدينة .

وواصل كلامه عن حملة الفقراء قائلاً إنها ليست حركة درامية ، ولكنها في الحقيقة مطالبة طال أجلها للتعويض ، وأكد أنها ستكون مسيرة مسالمة بعيدة عن العنف والشغب .

وعاد مارتن إلى المنزل مساء الأحد ، واستمعنا معاً لخطبة الرئيس جونسون الشهيرة التي أعلن فيها أنه لن يشترك في انتخابات الرئاسة ، وطالب فيها بيده المفاوضات مع فييتنام الشمالية . وكنا ، كما كان الشعب كله ، في منتهى الدهشة لهذه التصريحات ، واسكننا كنا نأمل أن تقر بنا من أهداف السلام بين الدول . وفي اليوم التالي انهمك مارتن في الإعداد للحملة ، وفي يوم الثلاثاء اجتمع بأعضاء المجلس ، ثم أمضى بعض الوقت مع الأولاد . وكان المقرر أن يذهب إلى مميس صباح الأربعاء في طائرة الساعة السابعة صباحاً .

وحضر رالف أبرنائى ليصحب مارتن إلى المطار ، وكنت قد استيقظت من النوم مبكرة جدا ، كما كانت عادتي دائما عند سفر مارتن . ودعوت رالف إلى الإفطار معنا ، ولكنه قال إنه لا يشعر بجوع ، كما لم يأكل مارتن هو الآخر ولم يذق ولا كوبان من العصير ، وتبعتهما إلى خارج المنزل ، ودعت مارتن وقبلته وتمنيت له حظا سعيدا . أما الأولاد فقد كانوا لا يزالون نائمين ولم يتمكنوا من وداع أبيهم . وكان وداعا عاديا و وعد مارتن بالاتصال بي مساء .

وكان مارتن قد تعرض لنقد شديد بسبب إقامته في فندق هوليداي في أثناء وجوده في ممفيس ؛ لأن الفندق كان يعتبر من فنادق الدرجة الأولى . ولكن تباعه رأوا أنه المكان الأمين الوحيد لمارتن ؛ لأنه يبعد عن المكان المخصص لبدء مظاهرات الاحتجاج ، ولذا فقد قرر مارتن هذه المرة أن يحجز غرفة في فندق يمتلكه الزوج ويقع في شارع ملبرى بالقرب من نقطة بدء المسيرة .

واتصل بي مارتن كما وعد ، وقال إن الأمور تسير على ما يرام ، وإن بيارد راستين يعمل على استجلاب العديد من الناس إلى ممفيس ، ولكن العمدة لوب كان استصدر أمرا من المحكمة بعدم شرعية دخول غير المقيمين إلى ممفيس ، على أن مارتن أبلغني أنه رغم هذا الأمر سيؤدي المظاهرة يوم الإثنين .

وسألني عما إذا كنت استمعت إلى الأخبار ، لأنه كان قلنا على أخبار محادثات السلام التي نادى بها الرئيس ، ويود لو يعرف إذا كانت قد حدثت فيها أية تطورات جديدة ؟ وأجبت أنه لم تسنح لي الفرصة للاستماع إلى الأخبار ، ولذا فقد أخبرني أنه سيستمع بنفسه إلى نشرة الساعة الحادية عشرة بعد أن يتحدث إلى المتظاهرين .

وختم حديثه قائلا : « سأصل بك غدا . . . » .

لقد شهدت الملايين مارتن يتحدث ، وذلك على شريط مسجل ، والغريب

أنه كان على وشك ألا يذهب بعد أن أبلغه رالف أبرناتى أنه يشك فى حضور
الكثيرين إلى الاجتماع ، وطلب أبرناتى من مارتن أن يستريح هو ؛ فقد كان
فى مسيس الحاجة إلى الراحة ، عن أن يقوم بدلا منه بهذه المهمة .

ورغم ذلك ؛ فعندما وصل رالف إلى الفندق وجد حوالى ألفين من الناس
فى انتظاره رغم هطول الأمطار ، واهتفوا له بأدب ، ولكنهم كانوا يشعرون
بخيبة أمل لغياب مارتن . ولذا فقد اتصل رالف بمارتن وحمله على الحضور ،
وارتدى مارتن معطف المطر ونزل فوراً إلى الاجتماع

واستغرق تقديم رالف لمارتن وقتاً طويلاً على غير العادة ، إذ أخذ
رالف يعدد عناصر حياة مارتن وما قام به خلالها من أعمال ، ويشرح
جهاده فى خطاب ملهم حقاً ، ولذا فعندما وقف مارتن ليتكلم قابله المجتمعون
بتصفيق عاصف ، وكما هى العادة ألهمه تحمس الجماهير رغم تعبته وإرهاقه ،
وأدلى بخطبة من أروع خطبه ، قال فيها لأهل ممفيس لأنه معهم قلباً وقالبا ،
ولأنه سيحارب معهم هو وجماعته ، وإن الأمر القضائى الذى استصدره العمدة
لن يثنيه عن السير معهم ، وزادت حماسة الجماهير .

وبدأت سحب النبوءة تسدل على مارتن ، إذ قال للجماهير ان الطائرة التى
أقلته من اتلانتا قد تأخرت لأن الدكتور مارتن لوثر كينج كان على ظهرها ،
وكانت السلطات تبحث عن فنبلة فيها ، ثم سرد كيف أنه عندما وصل إلى
ممفيس سمع بالتهديدات التى تعد بقتله .

ثم أضاف قائلاً : و أما الآن فأنا لا أعلم ماذا سيحدث ، وأمامنا أيام
عصيبة ، ولكن هذا لا يهم الآن ، لقد وصلت إلى قمة الجبل فلم يعد
يهمنى شيء . .

ورغم أنى مثل سائر الناس أريد أن أعيش طويلاً ، إلا أن هذا لا يقلقنى

الآن ، وكل ما أريده هو أن تنفذ إرادة الله الذى حملنى إلى أعلى الجبل فنظرت منه إلى بلد يمتلىء بالأمل . .

ولذا فأنا سعيد الليلة ، لا يشغلنى قلقى ، ولا يخيفنى ، فقد رأت عيناى عظمة القدرة الإلهية . .

وكان رد الفعل لكلامه هذا لا يمكن وصفه ، وفاق تحمس الجماهير كل حد ، وأحس مارتن بالسعادة تملؤه وتحمله إلى الذروة ، وكان يريد أن يقول :
«إن وعد الله الحق قد أتى» . غير أنه لم يتمكن من قول ذلك .

وكانت السعادة لاتزال تملأ مارتن فى اليوم التالى ، وهو اليوم الرابع من شهر أبريل ١٩٦٨ ، وقال لى أخوه إنه كان يبدو وكأنه عاد إلى أيام الصبا ، فقد أمضيا وقتا يمزحان بعضهما مع بعض ، كما كانا يفعلان وهما غلامان صغيران . كما أن مارتن فى لحظة ما رأى أن يتصل بأمه ، وكان هذا أمرا غريبا ؛ فهو لم يعتقد الاتصال بها وهو فى رحلة ، ودارت بينه وبين أمه محادثة طويلة تنسم بالمرح والحيوية ، وحاول مارتن وأخوه خداع الأم بتغيير صوتهما وادعاء أن الواحد منهما هو الآخر ، وكانت هى فى منتهى السعادة ، فلم يحدث لها أن تحدثت إلى ولديها فى نفس الوقت .

وتحدث مارتن مع أخيه عن موعظته التى كان مقررا أن يلقيا فى كنيسة ايمبيزر يوم الاحد ، وكان المفروض أن يكون عنوانها : « لماذا نتجه أمريكا إلى الجحيم ؟ » . وشرحها مارتن بالتفصيل وبين النقاط التى سيركز عليها فيها ، وما يذكر أنه لم يلق هذه الموعظة ، بل ألغاهها أخوه بدلامته .

ومرت فترة ما بعد الظهر وأخذ الجميع يستعدون للعشاء . وارتدى مارتن ملابس وخارج إلى الشرفة الصغيرة المواجهة للشارع والى تطل على مسكن فقير يبعد حوالى مائتى قدم عنها ، وكان يقف تحتها بن برانش ، وهو عازف كان مقررا أن يشترك فى حفل الليلة ، وناداه مارتن قائلا : « أرجوك أن تنشد » .
« دخذ ييدى ياربى » أرجو أن تنشدها لأجل يابن ، وأنشدها بعزم وقوة . .

وضحك بن ووعد بإشادها .

وصاح سولومون جوائز الذى كان سيقود السيارة يقول : « إن الجو أخذ يبرد ، ومن المستحسن أن تأخذ معك معطفا يادكتور كينج ، » .

وأجاب مارتن : سأفعل ذلك .

وحل ميعاد الذهاب ، ودخل رالف أبرنائى حجرته ليضع بعض المعطر للسكرولونيا ، على ذقنه التى انتهى من حلاقتها .

وفى هذه اللحظة دوى صوت الطلقة ، وقيل لى إن صوتها كان يشبه صوت الألعاب النارية .

أما أنا فقد ذهبت هذا اليوم إلى السوق مع يولاندا ، رغم أنى كنت قد قررت منذ بضعة أسابيع ألا أشتري للأولاد ملابس جديدة بمناسبة عيد الفصح فقد كنت أعتقد أن عيد الفصح عيد مقدس وليس عيد احتفالات ، ولكن الأولاد ألحوا على ، ورأيت أنا أنهم يستحقون منى بعض المشتريات ، وبخاصة أنهم سيقضون العيد دون أبيهم ، ورأيت أن أعرضهم عن غيابه بشراء بعض الملابس لهم . ووافق مارتن على هذا رأى ، وكنت قد انتهيت من شراء « بذلات » الأولاد يوم الجمعة ، ولذا فقد أخذت يولاندا يوم الخميس التالى لأشتري لها فستانا جديدا . وعدنا إلى المنزل ، وبعد فترة وجيزة دق التليفون وكان المتحدث جيمس جاكسون وقال : « لقد أصيب الدكتور ياكورييتا ، وأرجوك أن تستقلى أول مواصلة وتأتى ، » .

وأصبت بصدمة ، رغم أنى كنت أتوقع هذا النبا دائما ، وطلبت تفاصيل من جاكسون ، ولكنه حاول طمأنتى وقال : « لقد أصابه الطلقة فى كتفه ، » .

ولكنى شعرت أن الإصابة خطيرة ، وأصررت على معرفتها ، ولكن الخوف منعنى فقلت : « سأستقل أول طائرة ، » .

قال جيس : « لقد نقلناه إلى مستشفى سانت جوزيف ، وأرجوك أن
تحمضى أولاً إلى الفندق ثم تذهب معاً إلى المستشفى » .

واتصلت بدورا ماكدونالد ، وطلبت إليها الحضور . ثم اتصل بي اندى
يونيغ من ممفيس وقال لى إن حالة مارتين خطيرة ، وقال إنه لم يمض .

وكانت الساعة وقتئذ الساعة والدقيقة العشرين ، وقررت أن أركب
طائرة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وقال هو : « سمنتظرك ، لقد
أصيب في رقبتك وأرجوك ألا تأتى وحدك » .

وقلت له : إن دورا فى طريقها إلى » .

وقال هو : أحضريها معك .

وأضفت : « لعل جواليتا تريد الحضور ، وسأصل بها . وأدركت مفتاح
التليفزيون وكان الحديث عن مارتين ، ووصل الاطفال ، وحاولت أن أغلق
التليفزيون ولكنهم كانوا قد سمعوا مافيه الكفاية ، وسألوا : ماذا حدث ؟
وقالت يوكى : « لا تخبرينى لا تخبرينى » ، وجرت خارجة وهى تبكى .

ولكنها سرعان ما عادت ثانية ، وقلت : « سأذهب إلى ممفيس فقد أصيب
دادى ، وأخذت يولاندا تساعدنى على حزم أمتعتى وكانت هذه هى المرة
الأولى التى تفعل فيها ذلك » .

ثم دق جرس التليفون ، وقال صوت : « أنا العمدة ألين يامسز
كينج ، وأنا أعرض خدماتى إذا كان هناك ما يستدعيها » .

وأجبت : « لائى فى طريقى إلى ممفيس على طائرة الثامنة وخمس وعشرين
دقيقة » . وقال العمدة ألين : « سأحضر بنفسى لأراك قبل سفرك » . كما سأبحث
بضابط لمصاحبتك ، وأخذ الأصدقاء ينهالون على المنزل واتصت بى مامى كينج

وقالت إن كريستين في طريقها إلى . ثم حضر العمدة ألين ومعه زوجته ،
أما دورا ماكدونالد فكانت تستعد لمرافقتي إلى ممفيس .

وكانت الساعة الثامنة وأخذت أستعد لمغادرة المنزل . وسألني ديكستر :
« متى ستعودين يا مامي ؟ » ، وقلت له : « سأصل بك من ممفيس وأبلغك بميعاد
عودتي » .

ومنى سيعود دادى يامامى ؟

سأصل بك ياديكستر من ممفيس وأبلغك كل شيء .
وقبلت الأطفال ورحلت .

وصحبتني كريستين ومعها زوجها إلى المطار ، كما صحبني العمدة وزوجته ،
والقسيس بنيت وزوجته . وبدأ لي الطريق إلى الطائرة وكأنه معالم كابوس
مزيج . وقال لي العمدة ألين : « إن هذا عمل جنوني لا فائدة من ورائه ، متى
سيتعلم الناس ؟ » .

وسمعت اسمي يرن في مكبر الصوت ، ودبت في أوصالي رعشة باردة ؛
فقد كنت أعلم أنها رسالة من ممفيس ؛ وكنا قد وصلنا إلى البوابة المؤدية إلى
الطائرة وطلبت من العمدة أن يقرأ كد من الرسالة .

وبعد ذلك بدقائق شاهدت دورا ماكدونالد تقبض صوبي بسرعة ، ولحقت
تعبير وجهها ، ولما وصلتني قالت : « عن بحاجة إلى مكان نجلس فيه » .

وفهمت أن مارتين مات .

ودخلنا إلى حجرة استراحة السيدات . .

وذهب العمدة ليحصل على المعلومات الأكيدة ، ولم تنفيس دورا بحرف
واحد ، بل تشبثنا ببعضنا ببعض .

وعاذ العمدة ألين والحزن على وجهه . . وقال بلهجة رسمية : د لقد طلب
منى يامسر كينج أن أبلغك ب وفاة زوجك الدكتور كينج . .

و كنت بالطبع أعلم النبأ ، وإن لم لم يقله أحد لى وكنت أعد نفسى لسماع
هذه الكلمة واتقبلها ، كنت أحاول أن أصدق أن مارتن مات .

ووقفنا جميعا والدموع تهمر من عيوننا ، وتناول العمدة ألين يدى وقال
وماذا ستفعلين يامسر كينج ؟ هل تريدين التوجه إلى ممفيس ؟ أم العودة إلى
منزلك : . . وأجبت : د أعتقد أن من الأفضل أن أهود إلى المنزل لا كون مع
الأولاد ، ثم أقرر فيما بعد اذا كنت سأذهب إلى ممفيس . . .

وعادت معى جوانيتا أبرنائى وأولادها ، كما عاد العمدة وكريستين
وزوجها . وساد بيننا صمت رهيب ، وشعرت براحة لوجودهم جميعا معى ،
وبخاصة العمدة الذى كان صديقا عزيزا لنا . واستعرضت فى ذاكرتى أن هذه
هى جمعة الصيام ، وقالت لنفسى إن موت مارتن يحل قريئان موت المسيح ،
وتذكرت كيف كان مارتن دائم الاستشهاد بالجمعة الحزينة وبعيد الفصح ،
الجمعة الحزينة . . يوم الأسى والألم ، يوم انتصار الشر على الخير ، ثم عيد
الفصح ، والبعث ، والعمرور ، وانتصار الحياة على الموت .

كثيراً ما تحدث مارتن عن المغزى الذى ينطوى عليه عيد الفصح بالنسبة
للإنس ، إذ كان يقول إن لحظات اليأس والشك كانت هى بمثابة الجمعة الحزينة
ولكنه كان دائماً يضيف إلى ذلك قوله إن شيئاً ما لابد أن يحدث حق فى أحلك
الأوقات ، وتبدأ طبول عيد الفصح فى الدق ، وكلما بدأت سحب اليأس تنقشع
يدرك المرء أن ثمة أملا وحياة ونورا وحقيقة ، إن هناك خيرا فى البسيطة .
هكذا كان مارتن يفهم عيد الفصح .

كان زوجى يتحدث كثيراً عن استعداده للتضحية بحياته فى سبيل القضية
التي يؤمن بها ، وأن هذه التضحية ستكون تعويضا وإلهاما للكثيرين ، إذ سيعنى

هذا أنه سيمتث ثمانية فى حياة هؤلاء الآخرين الذين بكرسون حياتهم هم أيضا لهذه القضية الكبرى ، وكان مارتن يحدد فى حياة المسيح وعواطفه وروحـه ما يمكنه أن يتعرف إليه . وحتى خلال هذه اللحظات الأولى الرهيبة دارت فى خاطرى فكرة أن استشهاده مارتن لوثر كينج لابد أنه مناسب مع موسم عيد الفصح .

ثم أخذت أفكر: كيف سأقل الخبر إلى أولادى ، وكنت أخاف أنهم لابد سمعوه دون وجودى بجانبهم، ولكن عندما وصلت المنزل وجدت أن ديكستر وباتى قد أويا إلى فراشهما ، أما يولاندا فكانت تجلس صامتة ممسكة بالهاتفون بيدها ، ومارتن كان لا يزال مستيقظا، وتبعته يولاندا إلى غرفة النوم لنقول : د لن أبكى يا أبى الآن. أبى لم يمت فى الحقيقة ، قد يكون قد تلاشى جسمانيا ، ولكن روحه لن تموت أبدا ، وسأراه ثانية فى الجنة .

وظلت تغالب الدموع ، ولكن دون جدوى ؛ فقد انهمرت دموعها على خديها الصغـيرين . وكانت تقول لى : د كم أنت قوية يا أبى وشجاعة ! ! ولا أعرف ماذا كنت أنا سأفعل لو كنت مكانك ! ، ثم قالت : د هل ينبغي لى أن أحس بالكرهية الرجل الذى قتل أبى ؟ ! .

وأجبتها : د كلا يا عزيزتى ، فإن أباك لم يكن ليرضى لك ذلك وأمسكت عن البكاء ، وطوقتها أنا بذراعى ، وقلت لها : د لقد كنت رائعة وشجاعة وأنا بخورة بك ، وكان أبرك مـيشعر بنفس شعورى هذا .

ووجدت أن مارتن وديكستر قد استيقظا ينتظراننى لادخل لهما . وكان الاضطراب والخيرة يبدوان على وجه مارتن ، وبدأ عليه أنه لا يستطيع أن يقول شيئا . أما ديكستر — الذى لم يتعد السابعة من عمره — فقد قال : د متى سيعود أبى يا أبى ؟ .

وتمزقت أوصال قلبى ، ولكنى حاولت الاحتفاظ بهدوئى وأنا أجيبه : د أعلم يا ديكستر أن أباك قد أصيب بالرصاص ؟ .

وأجاب « نعم ، أعلم ، .

واستطردت أنا أقول : « لقد أصيب إصابة بالغة ، والآن عد أنت الى النوم وسأقول لك كل شيء في الصباح ، .

وقال « حسنا ، وبدا عليه أنه سيعود للنوم .

ولكن كل هذا لم يكن سوى بداية للكابوس المرعب هذه الليلة .

ورغم أن الناس جميعا كانوا يشاركوني في حزنى بروعة ، إلا أنهم لم يستطيعوا فعلا مساعدتى خلال هذه الساعات الرهيبة . وأتصل بى الرئيس جونسمون ليقول : أريدك أن تعلمى مدى شعورى أنا والمسر جونسمون لك ولاسرتك . وأنا الآن أستعد للظهور فى التليفزيون لأدلى ببيان ، . وفى هذا البيان أعلن الرئيس أنه سيطلب اجتماعا موحدا للبرلمان ليعلن له برنامج الإسلح الذى يستهدف البناء لاالتدمير فى هذه اللحظة التى تحتاج فيها البلاد بأسرها الى ذلك ، .

واتصل بى أيضا السناتور روبرت كينيدي ليعبر عن حزنه وتعزيته ، وقال : « سأحاول أن أساعد بقدر استطاعتى ، .

وقلت له لانى أستعد للسفر الى ميفيس فى الصباح لأصحب جثة مارتى... وقال : « دعينى آخذك الى هناك ، سأحضر بطائرتى ويسعدنى أن أطمع بك فيها ، .

ونظرا للكلمات التليفونية العديدة التى كان متوقعا أن تنال على المنزل خلال هذه الأيام ، فقد أمر السناتور كينيدي بتركيب ثلاثة تليفونات أخرى فى هذه الليلة .

واتصل بى بعد ذلك الفنان هارى بيللا فونت وقال : « هيا لى أن أحضر

غداً لاكون معك ومع الاولاد ، أريد أن أكون بجانبك لأقوم بكل ما أستطيع به لخدمتك ، أريد أن أشاركك الحزن ، وأرجو أن تعلم أن باستطاعتك طلب أى شيء منى للمساعدة .

وفعلاً أتى هارى يوم الجمعة ، ووجدته بانتظارى عند عودتى من مخفى ، وكان وجوده عاملاً مخففاً كبيراً لى ، فهو شخص يتسم بالحسنة والتعقل والحساسية وبعد النظر .

وبالطبع اتصلت بدادى وماى كينج ، وكان دادى كينج فى غاية التأثر وهو يقول : " كنت دائماً أحس أنى سأموت أولاً ، ، وكاد قلبى ينخرط لصماعى كلماته هذه ، ولكنى كنت واثقة أنه سيستعيد قوته فى الوقت المناسب . وكان اثنان من أحر أصدقائه فى الكنيسة قد توفيا فى نفس الأسبوع ، ورأى دادى كينج أن الواجب يقتضيه إعداد جنازتهما ، أما الام كينج فقد بدا وكأنها صخرة راسخة من القوة . وحضرت أمى وأخى من ماريون ليكونا بجانبى ، وتركابى فى ماريون ، ولكنه حضر الجنازة فيما بعد . أما أختى فقد تركت مشاغلها كلها وأنت لتكون بجانبى .

وخلال هذه الايام العصيبة وصل أتلانتا العديد من الشخصيات المعروفة للتعزية وحضور الجنازة ، ومن بينهم : روبرت وايتل ، وجاكلىن كيندى ، وريتشارد نيكسون الذى زارنى زيارة خصوصية . كما أتت لوزي بارنى المسز يوجين مكارنى زوجة السناتور المعروف وعرضت خدماتها . وحضر الكثيرون غيرهم إلى أتلانتا ليزوروا منزلى ويقولوا : " لا زلنا نحتاج المسز كينج ، وكل ما نريده أن تعلم أن ألقوبنا معها ، .

كان الجميع فى منتهى الحنان والعطف ، وكان بودى لو استطعت أن أحمى كل فرد منهم لأشكره شخصياً على شعوره .

و لعل الحادثة التي أثرت في أكبر تأثير خلال هذه الأيام هي حضور بيل كوسي وروبرت كالب الفنانين المعروفين في التلفزيون الأمريكي ، ولم يطلبوا حتى مقابلتي ، بل أمضيا معظم الوقت يحاولان الترفيه على الأولاد ، فقد رأيا أن هذه هي أكبر المعونة التي يستطيعان تقديمها لي . وكان هناك الآلاف من الزوار الذين لم أعرفهم ولم أسمع بهم من قبل ، والذين لم يسبق لهم مقابلة زوجي ولكنهم كانوا يحبونه ويرون أنه ضحى بحياته حتى يمنح لهم حياة أفضل . والواقع أن وجود هؤلاء كان ذا مغزى كبير بالنسبة لي .

وكان تصرف شبكات الإذاعة والتلفزيون التي نقلت أخبار مصرع زوجي وأنباء جنازته تصرفا حميدا ؛ فقد قامت بتغطية هذه الأحداث تغطية واسعة شاملة ، واستمرت في بعض الاحيان ست ساعات . وأغلقت الكثير من المدارس ومصالح الحكومة المحلية والشركات أبوابها لإحياء لذكرى مارتن . وأعلن الرئيس جونسون أن يوم الأحد السابع من شهر أبريل سيكون يوما للحزن ، وألغيت برامج رياضية وترفيهية هامة أو أجلت ، كما حدث نفس الشيء في برامج الإذاعة والتلفزيون .

واهتمت البلاد بأسرها بهذا الحادث المروع ، كما اهتم به العالم بأسره ، ووصلتني آلاف البرقيات للتعزية ، وآلاف الباقات من جميع أنحاء العالم . كما أعلن الكثيرون عن تبرعهم للقضية . وكان أكبر تبرع شخصي هو الذي قدمه بيتر فولر ، وهو من الرجال البارزين في مدينة بوسطن ، إذ تبرع بـ ٦٣ ألف دولار حتى يستطيع مواصلة العمل الذي بدأه مارتن ، وهذا المبلغ كان قيمة الجائزة التي فاز بها أحد خيوله في سباق ماريلاند يوم السبت السادس من شهر أبريل ١٩٦٨ .

وأرسل الحاكم نيلسون ووكفل طائرته الخاصة لتكون تحت تصرفنا .

أما العمدة ألين ، عمدة أتلانتا ؛ فقد كان هو ورئيس الشرطة ورجال

الاعمال والسياسيون المثل الرائع للبلاد كلها في تكريمهم لزوجي . وقد قاموا بكل ما في جهمم لتخفيف وقع المصائب على وعلى أسرة زوجي كلها ، وأحضروا كميات هائلة من الاغذية إلى المنزل . والحقيقة أن هذه المشاركة الرائعة من البيض كانت عنوانا ودليلا على نجاح تعاليم مارتن .

وكنت أدأب على التفكير ، بل وعلى القول جهرًا ، لو أن مارتن شهد كل هذا الاهتمام لأحسست أنا بالرضا ، لأنني كنت أشعر أنه لم يدرك تمامًا خلال حياته مدى حب الجماهير له ، تذكرت الايام التي عانى فيها من الحزن واليأس، وتمنيت لو أنه كان موجودا ليشهد بنفسه مدى اهتمام الناس به وبتعاليمه . وليفهم أن تضحياته لم تذهب سدى .

والجدير بالذكر أن رد الفعل العاطفي لمصرع زوجي كان له نتائج مؤسفة حقا ، فقد قامت المظاهرات في ثلاث وستين مدينة، وكان أسوأها تلك التي قامت في العاصمة واشنطن ، واستمرت ثلاثة أيام ودمرت الكثير من أبنية المدينة ورغم أني كنت أتفهم تماما شعور اليأس والحبوط الذي حدا بالجماهير أن تفعل كل هذا لموت مارتن ، إلا أن الاصوات كانت تمثل بكل أسف حزنا لا يتفق ومبادئه هو الذي كان رمزا لعدم العنف .

وبدا للعيان أن هذه الاضطرابات ليس مرضيا عنها من جانب الحركة ، بل كانت مجرد تعبير عن يأس الجماهير السوداء .

وركبت الطائرة إلى ممفيس صباح يوم الجمعة ومعى : كريستين وزوجها ، دورا ماكدونالد ، وفريد بنيت ، وبيل رثر فورد . ركبتنا جميعا الطائرة التي وضعها السمانور كينيدى تحت تصرفنا . وانتظرت أنا فيها حتى لنقل جثمان مارتن إلى داخلها ، ثم صحبت الجثمان إلى أتلانتا . وعاد معى على نفس الطائرة رالف ابرناتى ، وبرنارد دلى ، وآندى يونج .

ووجدت الأولاد بمطار أثلاثنا ، وصعدوا إلى الطائرة من الباب الامامى
فى حين أنزل جثمان مارتن من الباب الخلفى . وأذكر كيف حملت باقى القى لم
تتعد الخامسة من عمرها إلى الداخل على كتنى آندى يونج ، وأذكر صياحها
وهى تدير هيئتها فى الطائرة وتقول : « أين دادى يامامى ؟ » ولم أستطع أنا
جوابا ، وظلت هى تسأل نفس السؤال . . .

وأخذتها بين ذراعى وقلبي يتحطم وقلت : « إن دادى يرقد فى هذا
الصندوق ، لأنه نائم ، وعندما تريئه لن يستطيع التحدث معك » .

ولم أجد كلمات أخرى أشرح لها بها معنى الموت ، ولكنى كنت أعلم أننا
سنتوجه إلى محل حانوتى هانك ، وأنا سنفتح النعش ، وعندما قد يكون
بمقدورها أن تفهم ولو قليلا معنى كلماتى .

واحتشدت الجماهير فى المطار ، وعند محل الحانوتى ، ليشهدوا النعش
الراقد فيه مارتن . ولما دخلنا المحل طلبت من صاحبه أن يفتح النعش حتى
أستطيع أنا وأولادى أن نلقى نظرة أخيرة على مارتن ، ووقفت بانى جامدة
لا تتحرك تنظر إلى أبيها ، وكان وجهه يبدو عليه الشباب ، ولا ترتسم عليه
معالم القلق ، وبدأ سعيدا وهو يرقد بين اللقائف « الستان ، البيضاء ، ولم
يظهر أى أثر للإصابة على وجهه . وقلت لبانى : « لقد ذهب دادى ليعيش
بين رحاب الله ، وإن يعود إلينا بعد ذلك » . ولم تفهم تماما معنى كلماتى ،
ولكن بمرور الأيام بدا عليها أنها بدأت تدرك معنى الموت ، رغم أنها كانت
أحيانا تعبر عن رغبتها فى رؤية أبيها والتحدث إليه .

وعدنا إلى المنزل وبدأنا فى إعداد إجراءات الجنازة ، وكان من العسير
أن نعد لجنازة سيحضرها كل من يريد حضورها ، وكان من العسير أن نجعلها
جنازة بسيطة كما كان مارتن يريد . والواقع أنه فى خطبته فى كنيسة إيبينز
فى اليوم الرابع من فبراير ١٩٦٨ ، أى قبل شهرين تماما من موته ، تحدث

مارتن عن جنازته ، وقال : « إذا كان أحدكم موجودا عندما يأتي اليوم فإني لا أريد جنازة ضخمة » .

كنت أعلم أنه لا يريد جنازة ضخمة ولا عزاء كبيراً ، كل ما كان ينبغي أن تقوم له جنازة تنفق والحياة التي عاشها والمبادئ التي نادى بها . كنت واقفة أنه لا يهتم كثيراً بوجود الآلاف في جنازته .

ولسكننا كنا نشعر أن جنازته ينبغي أن يشترك فيها كل من أحبه ، وكل من همل معه في حياته ، وكنا نرى أن كل شخص أتى من مكان بعيد ليعبر عن حزنه يجب أن يشهد وجهه للمرة الأخيرة . وكان هذا يعني أنه سيرقد لفترة طويلة حتى يمر الجميع أمامه ، ولكن هدفنا كان أن يراه الملايين الذين اشتركوا معه في حياته ، يرونه في مماته أيضاً .

وقررنا أن يرقد مارتن في كنيسة كلية سيلمان من يوم السبت بعد الظهر حتى يوم الإثنين بعد الظهر عندما نحمله إلى كنيسة إيبينزر ليرقد حتى صباح الثلاثاء عندما تتم لإجراءات الجنازة والدفن .

وذلك الآلاف تلمظ خارج كنيسة سيلمان ليلقوا عليه النظرة الأخيرة ، وعندما ذهبت أنا والأولاد إلى كنيسة إيبينزر مساء يوم الإثنين لتلقى عليه آخر نظرة وجدنا الصفوف واقفة لتودع الرجل الذي كان عماد العدالة والسلام والحق والأخوة ، الرجل الذي افتدى قضية شعبه بحياته .

الحقيقة أني أشعر بالعرفان بالجميل للكثيرين ، وعلى رأسهم أعضاء المجلس القومي والأصدقاء من خارج أتلانتا . كما أشعر بالجميل لصديقتي برينيتا بنيت التي تعتبر المسؤولة الأولى عن إجراءات تنظيم الجنازة وعن كتابة المزمعة ، وقد ساعدتها في ذلك إديث ، وكريستين ، وتوم أو فنبجر ، مدير العلاقات العامة بالمجلس القومي .

ونصحني هارى بيلافونت أن أدلى ببيان يوم السبت ، ولذا فقد ذهونا
رجال الصحافة إلى كنيسة إمينز ، وحدثهم عن رغبة مارتى في أن يواصل
المجلس القومى عمله تحت رئاسة رالف أبرنامى وأندرو يونج وغيرهما، وشكرت
أصدقاءنا فى المجلس ، وفى كنيسة إمينز ، وفى كل أنحاء العالم لما قدموه لنا
فى هذه الساعات الحاسكة .

ثم تحدثت عن مارتى نفسه وقلت : « كان زوجى كثيرا ما يقول للأولاد
إنه إذا كان الشخص لا يملك شيئا يستحق أن يموت لأجله فإنه لا يستحق الحياة
وإن العبرة ليست بطول الحياة ، بل بالطريقة التى يعيشها الفرد . كان يعلم أنه
معرض للموت فى أية لحظة ، وكنا نواجه هذه الحقيقة بشجاعة وإخلاص
ولانخاف منها ، وكان زوجى يواجهها دون مرارة أو كراهية . كان يعلم أن
مجتمعنا مريض ، تفشت فيه جرائم العنصرية والعنف ، التى شوهت معاملته
وأهدافه ، مما سيؤدى حتما إلى دماره ، ولذا فقد كافح زوجى بكل ذرة فى
دمه لإنقاذ هذا المجتمع من شرور ذاته ، »

« لم يعرف زوجى الكراهية أبدا » ولم ييأس ، وكان يشجع الآخرين
على أن يكونوا مثله ، ولذا فقد عمل على إعدادنا تماما لهذه البكارة ، »

« وأنا سعيدة جدا لما أشهده من نجاح تعاليمه عندما أسمع أولادى يقولون :
دادى لم يمت ، قد يكون جسده مات ولكن روحه باقية إن تموت ، »

« إننا نتمسك فى منزلنا بالتعاليم الدينية التى خففت علينا وقع المصائب ،
وكل ما نتم به الآن ألا يموت عمله ، لقد منح حياته للفقراء فى العالم كله ، لعمل
القمامة فى ممفيس وللفلاحين فى فييتنام . كان الذى يجعله يشعر بالجرح أكثر من
من غيره أن الإنسان لا يحاول إيجاد الطريق لحل كل هذه المشكلات إلا بالعنف ،
وقد ضحى بحياته فى سبيل إيجاد طريق آخر ، طريق أحسن وأكثر تأثيرا ،
طريق بناء لا طريق مدمر ، »

« وسواصل البحث عن هذا الطريق ، وآمل أن كل من أحب زوجى وأعجب به أن يشترك معنا في تحقيق هذا الحلم ، .

« واليوم الذى يتحرر فيه الزوج وغيرهم من الأسر ويصبحوا أحراراً ، واليوم الذى يتلاشى فيه العوز ، وتنتهى فيه الحروب ، فى هذا اليوم سيستريح زوجى ويعلم أن كفاحه الطويل قد آتى ثماره ، .

وكانت مسيرة ممفيس لا يزال مقرراً لإقامتها يوم الإثنين كما أراد مارتن . وفى يوم السبت السابق لذلك قال لى هارى بيلافونت : « أريد أن أحدثك بشئ يساورنى منذ فترة ، وقد لاتوافقينى على رأى ، وكل ما أطلبه منك أن تمنحني الوقت الكافى من تفكيرك ، ذلك هو أنى أعتقد أن من الواجب عليك أن تتوجهى إلى ممفيس وتشتركي فى مسيرة يوم الإثنين ، فهذا سيكون له أكبر المعنى هند الشعب بأسره ، .

وأجبتة على الفور : « لى أوافق على هذا الرأى ، لانى أعتقد أن هذه كانت ستكون رغبة مارتن أيضاً . والواقع أن الفكرة لم تكن تدور بخلقى من قبل ، ولكن بما أنك ذكرتها فاعتقد أنى سأذهب ، بل وقد أصحب الأولاد معى أيضاً ، .

وعلى ذلك فقد توجهت بالطائرة يوم الإثنين إلى ممفيس ومعى هارى بيلافونت وجستين والأولاد ، وركبنا الطائرة التى خصصها لنا هارى . وفى ممفيس لم تصادفنا متاعب ، فقد كان وقع خبر مصرع مارتن سيباً فى أن تنسى السلطات الحظر الذى كانت قد أصدرته على المسيرة ، أو لعلمها تفاسسته . ويبدو أنه فى تلك اللحظة لم يكن هناك شخص واحد فى أمريكا يجرؤ على أن ينفذ هذا الحظر ، وأسرعنا من المطار إلى رأس المسيرة ، وسرنا حوالى ميل حتى وصلنا إلى دار البلدية ، وسرت أنا وبجانبى أولادى ورالف أبرنائى وتكونت المسيرة من حوالى ٥ ألف شخص ، جاء بعضهم من خارج ممفيس . ووقفت

الألوف من الجماهير على جانبي الطريق صامته لا تصفق ولا تهتف ، بل ساكنة احتراماً لذكرى مارتن ، ويبدو أنه حق أولادى شعروا بروعة تصرف الناس وعطفهم علينا فى محنتنا .

وجلس الأولاد معى على مدخل بهو صالة ، البلدية ، نستمع إلى عدة خطب كان موضوعها كلها مارتن لوثر كينج الأصغر وما قام به من إنجازات ، وما اتصف به من عظمة وحنان . وكنت واثقة أن الأولاد قد ارتاحوا بعض الشيء لسماهم كل هذا المديح فى أيهم .

ولما جاء دورى للسكلام ، قام هارى بيلافونت بتقديمى للحاضرين ، وتحدث عن صفات مارتن كقائد ، وزوج ، وأب . ثم عن عمله وعن آماله العريضة فى العدالة الاقتصادية والاجتماعية للجميع . وشرحت مفهوم مارتن فى الألام التمويضى ، وقلت إنه كان دائماً على استعداد لأن يضحي بحياته فى سبيل القضية التى يؤمن بها .

وعند الختام طرحت سؤالاً : د كم من الرجال سيموتون قبل أن يقيمى لنا مجتمع حر مسالم ؟ ، ونحن إذا فهمنا روح هذه التجربة ومعناها الحقيقى فأنا واثقة أن هذه البلاد ستتحول إلى مجتمع يسوده الحب والعدالة والسلام والأخوة ، مجتمع يصبح فيه الجميع إخوة حقاً ، (١) .

وعند انتهائى من إلقاء كلمتى قامت ابنتى يولاندا تصفق وهى تقول : د إنك رائعة حقاً يامامى .

كانت تجربتى فى ممفيس معينا لى على أن أعمل ماتبعها من أيام عصية . . لقد كانت روح الجماهير ماهمة لى على الصمود .

كنت أرى أن التأييد الذى منحتة لمارتن فى عمله وهو على قيد الحياة لا بد

(١) النص السكامل لهذا الخطاب موجود فى الختام .

أن يستمر ، بل أكثر من هذا ، كنت أرى أن يشتهد تأييدي لمبادئه الآن بعد أن غاب هو عنا . ولأن عمله لم ينته ، كنت أشعر أنى يجب أن أكرس حياتى وجهودى حتى يصل هذا العمل إلى أهدافه . ليس هذا فحسب . بل يجب أن أعمل على زيادة أنصار مبادئه حتى يتحقق حلم مارتن ، وحتى يكون موته هو الهدف المعروض الذى طالما تحدث عنه فى حياته .

وليس معنى هذا أن باستطاعتى أن أعمل ما كان مارتن يعمل ، بل كنت أجد أن مجهوداتى الضعيفة قد تفيد ، وقد تخدم آمال المظلومين من كل العناصر فى كل أنحاء العالم .

أقيمت جنازة مارتن فى كنيسة لايبينزر المشيخية يوم الثلاثاء التاسع من شهر أبريل عام ١٩٦٨ ، والكنيسة عادة لا تتسع لأكثر من ٧٠٠ شخصا ، ولكنها فى هذا اليوم اتسعت للكثيرين من الـ ١٥٠٠ شخص الذين جاؤوا ليودعوا مارتن . كانت هذه كنيسته وكنيسة أبيه من قبله وجده من قبلهما ، وفيها تم تعميده ، وفيها نقشت التعاليم الديرية التى كانت النور الهادى له طيلة حياته وفيها خطب هو وأجداده على مر القرون . لايبينزر كانت أكبر حب فى حياة مارتن ، وكان من المناسب أن تكون مسرحا لجنازته .

وأدار رالف أبرناتى — صديق مارتن المقرب وزميله فى العمل — مراسم الجنازة ، وكان الحاضرون يمثلون المجتمع بجميع طبقاته ؛ كان هناك الدبلوماسيون وكبار العاملين فى الحكومة ، وأعضاء الكونجرس ، والحكام ، والمشرعون والعمد ، والقضاة ، ورجال الدين ، والتعليم ، والأعمال التجارية ، كان هناك قادة حركة الحقوق المدنية ، وقادة الشعب . كان هناك السود والبيض والحر والصفير ، الفقراء والأغنياء ، الشبان والشيوخ ، المتدينون وغير المتدينين ، المحافظون والمعتدلون والأحرار والشوار . كانت الجنازة مثلاً رائعا للأخوة التى عمل مارتن من أجلها طيلة حياته وأنجزها بمماته .

وكانت المراسم قصيرة ولكنها رائعة ، وقدمت قراءات من الإنجيل ، ثم صلاة ثم مرثية قصيرة ، ثم بعض مقتطفات من المواعظ التي ألقاها مارتن في حياته ، ثم عزفت بعض الموسيقى وكنا قد أخذنا بعض أناشيده المفضلة مثل : « عندما أنظر إلى الصليب الرائع » ، « إن المسيح لا يعرف شرقا ولا غربا » ، ثم أتبعناها بمقطوعة مفضلة عنده عنوائها : « بلطف ورقة » ، ثم بأنشودة تطابق حياته تماما « سأ تبعه حيثما يقودني » . وأنشد أفراد الجوقة « الكورس » بالكنيسة بروحة وعاطفة ، كما غنت المسز ماري جورلي ، وهي المغنية المفضلة لدى مارتن ، أغنية : « ثقي بالله » ، والمسز توماس : « إذا كنت أستطيع تقديم العون لأحد » .

وألقي المرثية (١) الدكتور هارولد دي ولف ، من أكبر أساتذة مارتن في جامعة بوسطن ومن مصادر إلهامه الكبيرة . وقد قال الدكتور دي ولف إن مارتن نفسه كان مصدرا كبيرا لإلهامه هو .

وفي الختام أدركنا شريطا مسجلا عليه بعض كلمات مارتن من الخطاب التي ألقاها في ليننزر في اليوم الرابع من فبراير ١٩٦٨ ، والتي تحدث فيها عن جنازته . وكان هدفنا من إدارة هذا الشريط أن نسمع صوت مارتن لوثر كينج وهو يقول : « أريد أن أسمع من يقول إن مارتن لوثر كينج ضحى بحياته وهو يخدم الآخرين ، ويجب الآخرين » ، وكان كل هذا تجربة مؤثرة جدا بالنسبة لي وللأولاد .

وقد شعرت بعد الجنازة أن مارتن لو حضرها لأحس بالفخر والمرور . ولما خرجنا من الكنيسة وجدنا الآلاف محشدة خارجها يستمعون إلى المراسم خلال مكبر الصوت ، ثم وضع جثمانه على العربة الريفية التي يجرها

(١) توجد مقتطفات من هذه المرثية في الحاشية .

اثنتان من البغال ، وقد أخذنا هذه السبيل لأنها ترمز إلى الفقراء وإلى الأحوال التي أدت إلى الصراع الذي عاناه مارتن طيلة حياته . وقد هزنى أنى وجدت أن كثيرا من تبنى مارتن قضيتهم كانوا موجودين ليروا بأعينهم أن ارتباطه بهم موجود حتى فى مماته .

وبدأنا المسيرة من كنيسة لإبنزر إلى كلية مورهاوس ، ومشى معنا هذه المسافة كلها الكثيرون . والواقع أننا قصدنا بهذه المسيرة أن نقول إن مارتن أمضى معظم حياته فى مسيرات تستهدف العدالة والحرية ، مسيرات تريد الوصول إلى كرامة الإنسان . وقد قدرنا عدد من سيحضرون المسيرة بحوالى ٥٠٠ شخص ، وقد هالنا أن عدد من اشتركوا فيها زاد على ١٥٠ ألف شخص . حتى فى الموت قاد مارتن مسيرة من أكبر المسيرات التى نظمت .

ومن اللافت للنظر أيضا أن مراسم الجنازة الأخيرة تقام فى كلية مورهاوس حيث ترعرع مارتن وخرج من طور الشباب إلى طور الرجولة ، كما كان مناسبا أن يلقى المراثية أستاذه وصديقه الدكتور بنيامين مين ، وكان الدكتور مين قد حضر لزيارتي ليلة لإطلاق الرصاص على مارتن ، وكنت قد قلت له : « لقد عبر مارتن دائما عن رغبته فى أن تلقى أنت بمرثيقه » ، وأجابنى هو : « لقد أردت دائما أن يكون هو الذى يلقى مرثيتى » .

وكانت الرحلة إلى مورهاوس شاقة ، والأعداد غفيرة وأصوات حوافر البغال تسمع طيلة الطريق . وكان الكثيرون واكمين يصلون فى أثناء مرور الجنازة . ووصلنا أخيرا إلى حديقة الكلية ، وتوقفنا أمام قاعة هاركنس بمدخلها الكلاسيكى ، ونقل الجثمان من على العربة ، وألقى رالف أبرناتى مرثية . وقد نظمت مراسم كلية مورهاوس تنظيما دقيقا عما يسبغ عليها صبغة دينية . والحقيقة أن الرجل الذى كنا نودعه قد تخطى كل حدود العنصرية والطبقية ، بل تخطى الحواجز الدينية ذاتها (١) .

١) يوجد فى آخر الكتاب برنامج كلية مورهاوس .

وقبل البدء في المراسم ألقي دكتورس، كلية مورهاوس الذي كان مارتن عضواً فيه نشيد : « ساعدنا يارب كما ساعدتنا في الماضي » . كما أنشد صديق شبابه بوب ويليامر بصوته الرخيم نشيد : « شاهد » ، وهو من أحب الروحانيات إلى مارتن . ثم أنشدت ماهاليا جاكسون نشيد : « خذ بيدى يارب السموات » ، وكان مارتن قد طلبها مرة من برانش ، قبل موته بقليل في الواقع ، وكان غناء ماهاليا رائعا يحد تعدى روعته المعتادة .

ألقي الدكتور ميز المراثية ، ولا أظن أن هناك من كان سيفوقه روعة ؛ فقد تكلم بإعجاب وحب شديدين عن الرجل الذي عاصر خطوات حياته منذ الصبا ، وتكلم عن أعماله وعن حياته الرائعة وقال : « لقد اجتمعنا هنا في كل ركن من أركان هذا البلد الكبير ، بل ومن أرجاء العالم أيضا . لنشكر الله على أنه منح أمريكا في هذه الآونة من التاريخ مارتن لوثر كينج . إن الله يختار من يشاء إلى جواره ، لقد نادى حفيد أحد العبيد وقال له : مارتن لوثر ، تسلم إلى ، وتسلم عن الحرب والسلام ، وتسلم عن العدالة الاجتماعية وعن التفرقة العنصرية ، تكلم عن واجب أمريكا تجاه الفقراء ، وتسلم عن المقاومة السلمية كطريق للتحويل الاجتماعي في عالم تسوده الوحشية وتغشاه الحرب (١) .

وحل ميعاد الدفن ، ورغم أنه لم يستقر رأينا حتى هذه اللحظة على مكان الدفن فقد كنا جميعا نشعر أنه ينبغي أن يرقد بجوار أهله وعشيرته في مدفن ساوث ثيو .

وتوجهنا نحو المقبرة ، وهمس شقيق مارتن — الذي كان يقف بجواري طوال هذه المدة — يقول بصوت مرتعش : « هل تسمحين لي بالانصراف يا كوريتا ؛ فلم يعد باستطاعتي مواصلة السير » .

(١) النسخ الكامل لمراثية دكتور ميز موجود في نهاية الكتاب .

وأجبتة : « بالطبع ، وسأطلب من أبي ومن هاري بيلافونت أن يصحباني إلى المقبرة . »

كنت بحاجة إلى والدي وإلى قوته وتحمله ، كما كنت بحاجة إلى هاري لأنه كان معززا جدا لدى مارتن . وبالطبع كان كل أفراد الأسرة موجودين ، ولكنني جلست بين هذين الاثنين ، وألقي رالف أبرنathi كلمة قصيرة عند القبر ، ثم أنزل الجثمان إلى القبر .

وفي هذه اللحظة الالامية لم يخفف علي وقع المصاب سوى أني كنت واثقة أن كل شيء سار علي ما يرام ، وبما يتفق وحياة هذا الرجل الرائع . . .

ومررت بمحنة اختبرت فيها قوتي مرة ثانية ، فعندما عدت إلى المنزل كان الأولاد الصغار قد آووا إلى فراشهم . أما مارتن فكان يريد التحدث إلى جلست إلى جانبه على السرير ، وأخذ هو يسألني عن أبيه ، ثم قال : « لاني أكاد أجن يا أمي كلما فكرت أنه لن يكون لي هادي بعد الآن ! » .

وأجبتة : « لاني أدرك شعورك تماما يا مارتني ، ولكن الحقيقة أن أباك لم يمض أبدا ، وكل ما نكسر له أفكارنا الآن هو كم أمضى من وقت وجهد للساعد الآخرين ويحاول أن يشجعهم ، وكم من الناس أفسموا على أنهم سيعملون على تحقيق أحلام أبيك . »

ثم أخبرت مارتني أني استمعت إلى مارلون براندو في التليفزيون وهو يقول إنه سيتبرع بما يعادل عشر أرباحه للقضية . كما أنه حث الآخرين على أن يحذوا حذوه .

وأجاب مارتني « نعم يا مامي ، هذا حق ، ويبدو أن المسز دو جلاس الناظرة قد بدأت تفهم الأمور على وجهها الصحيح هي الأخرى . »

وقلت : د لقد بدأ الكثيرون غيرها يفهمون ما كان أبوك يحاول القيام به في حياته ، .

وكرر مارتى : د نعم ، إن المسز دو جلاس يبدو عليها أنها تفهم الأمور . وبالطبع هذا لا يعنى أنها تفهم كل شيء . ولسكنها تفهم أكثر من ذى قبل ، .

وبدا لى أن حزن مارتى أخذ يخف قليلا مع هذا الحديث ، وبدأ عليه أنه يفكر الآن فيما قام به أبوه للبشرية خلال حياته .

واستطاع مارتى بعد هذا الحديث أن ينام .

ونام أبوه أيضا في قبره في مقبرة ساوث فيو ، وقد حفرت على واحتمتها هذه الكلمات من حديثه في أثناء حملة واشنطنون :

أحرار في النهاية ، أحرار في النهاية

حمداً لله العظيم

فأنا الآن من الأحرار

وقد تنارب الكثيرون رثاء زوجى منذ وفاته في اليوم الرابع من شهر أبريل ١٩٦٨ ، ولكن الذى يمكن أن يقال إن الذى يمثل تمثيلا صحيحا معنى حياته ومغزى وفاته ، كان رثاء ان كتيهما اثنان من أعز وأقرب أصدقائه : هارى بيلافوت ، وستانلى ليفزون .

د وفي دولة تيجتاحها العنصرية الهوجاء اجتياح العاصفة ، قام رجل أسود بإيقاظ مشاعر أهلها ، وأيقظ ضمائرهم النائمة ، وفي دولة انتابها مرض العنف ، نادى رجل أسود بسياسة عدم العنف ، وفي دولة يحس الجميع فيها أنهم غرباء ، نادى رجل أسود بالحب ، وفي عالم هزته حروب ثلاث خلال عشرين هاما نادى رجل أسود بالسلام .

و لما ختمت رصاصة القاتل حياة مارتن لوثر كينج أخطأت هذه الرصاصة هدفها ومسيرتها ، فقد استمع إليه الكثيرون خلال الاربعة الايام الاخيرة أكثر مما استمعوا إليه خلال اثني عشر عاما من النشاط والكلام ، لقد أسكتت هذه الرصاصة صوته ، ولكن تعاليمه ترن في أنحاء العالم ،

د لقد تعرض للحجارة والطين والإهانات خلال حياته ، أما في موته فقد شعر الجميع وبقوة أنه كان هناك بينهم رجل خير .

د لقد مات مارتن لوثر كينج كما عاش ، يحارب إلى آخر دقيقة ، وإلى آخر نفس من أجل العدالة . وفي اثني عشر عاما من الحياة العامة أثار احترام الناس للشعب الاسود بشكل لم يسبق أن حدث خلال قرن مضى من الزمان .

د ونحن الذين نعرفه تمام المعرفة لا نذكر أنه تفوه مرة واحدة بالفظ كراهية تجاه أى إنسان ، رغم أن اتهامه للمنصرية والتفرقة والفقر كانت كلها مثل بركان النار الذى فتح حقبة جديدة في السكفاح من أجل الحرية .

د لم يكن مارتن لوثر كينج رجلا يحلم ، رغم أنه كان له حلم ، تترادى له فيه المجتمعات وقد سادها العدل . لقد خرج ملايين الزوج الأمريكين تحت قيادته من الاسر الروحى والخوف والكراهية، ولجأوا إلى الشوارع ليعلموا حريتهم . كانت تسبق هذا الحلم وقع أقدام ملايين الناس . وبدون هذا ، وبدون إلهامه ، وبدون بشه الشجاعة في نفوس الآخرين ، كانت الكلمات ستكون نسجا من الخيال . إن مارتن لوثر كينج المحارب المسالم بين لشعبه قدراته الكامنة ، كما كانت سياسة عدم العنف والاحتجاج الجماعى التى اعتنقها معينا لقومه على أن يواجهوا ظالمهم بشكل مؤثر بعيد عن الدمار والشغب . لقد نظم جيوشه بضربة معلم واحدة ، كما أشاع الفرقة والفوضى بين صفوف معارضيه . لقد لقتهم دوسا على ضوء مصابيح الشوارع فيمن هو المظلوم ومن الظالم .

« وما لاشك فيه أنه كان واحداً من أبرز قواد السود في التاريخ ، ولكنه كان في الوقت ذاته قائداً للملايين من البيض أيضاً ؛ البيض الذين تعلموا منه أن الخط من قيمة الرجل الأسود معناه الخط من قيمة أنفسهم هم ، وأن تأييد فضال السود سيكون معناه إثراء للبيض ذاتهم .

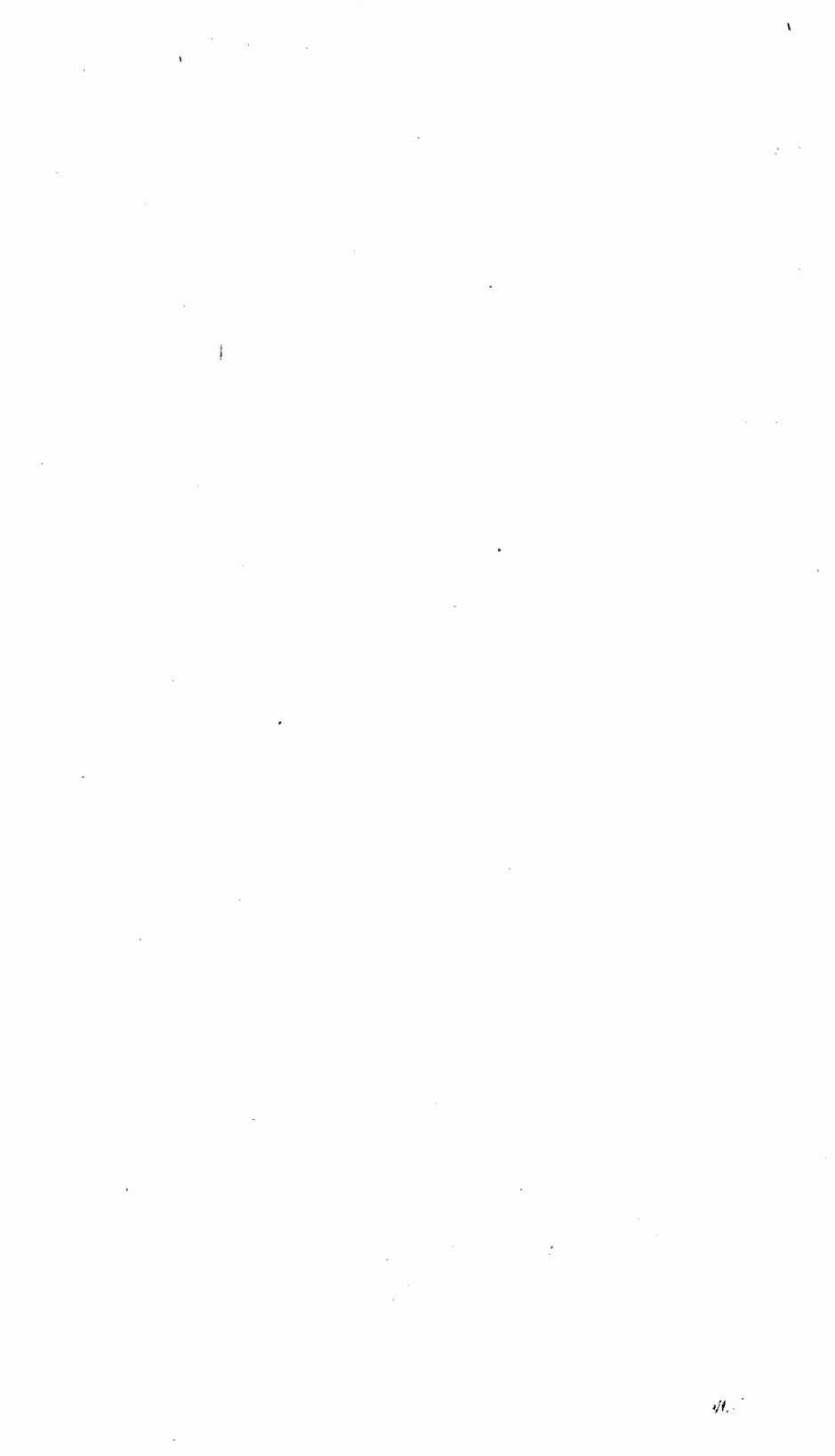
« والقليلون من الناس يعرفون مدى تواضع هذا العملاق ، لقد كان إيمانه بالشعب لحدود له ، وأحبه الشعب لذلك حباً وصل إلى درجة العبادة ، والقليلون منا هم الذين يعرفون القلق الذي كان ينتابه ، بل والعذاب ، لأنه كان يشك في أن قدراته ليست منزهة عن الخطأ ، في كثير من القرارات التي كان يتخذها .

« كان يلجأ بلا كلل إلى نصيح زملائه ، ويبحث دخيلة نفسه بحثاً دقيقاً عن الحلول ، ويبتهل إلى الله في خشوع لهيديه ويقوده ويسدد خطاه . كان كثيراً ما يشك في نزاهة نفسه محاولاً أن يطهرها ، والواقع أنه لا يوجد بين منتقديه من كان أقسى ولا أشد محاسبة له من نفسه .

« واليوم ، عندما نشهد ملايين الصور له معلقة في المنازل العادية ، وفي الأبناء ، الصالات ، الرحمة ، نجد أن من الصعب علينا أن نتذكر أنه هو الذي كان يأمر بمنع تعليقها ، لم يكن راغباً في الزعامة ، كان كل ما يريده هو أن يستمع الناس إليه .

« لقد كتب مريثته بيده ، ووصف نفسه في كلمات بسيطة فهمها قلبه ، إذ قال : « قولوا لهم إنى حاولت أن أطعم الجائع ، قولوا لهم إنى حاولت أن اكسو للعاري ، قولوا لهم إنى حاولت أن أساعد شخصاً ما ،

« وهذا كل ما حاوله . لذلك فإننا نرى أنه رجل لا يجارى بين الرجال ، ولذلك فإننا نرى أن الموت أطبق عليه ولكنه لا يزال يعيش . »



خاتمة

ليس ثمة وسيلة أمامي تكفي لأن أعبّر عن شكرى وعرفانى بالجمل
لآلاف الأشخاص الذين رموا زوجى وأوفوه حقه ، إلا أن أقول لهم لى
سأكرس حياتى لتحقيق كل أحلامه تحقيقا كاملا .

لقد وصلتنا أنا وأولادى عدة هدايا عند موت مارتى ، بعضها لى
وبعضها للأولاد . كما أرسلت لىنا التبرعات التى تسهم فى مواصلة عمل
زوجى ، وقد أرسل بعض الناس صكوكاً وشيكات ، مالية لى والأطفال
خاصة ، وأرسل البعض الآخر تبرعات يريدون أن تستغل فى الطريقة المثل
التي أختارها أنا . وقد استخدمتها فى إقامة هيئة ومكتب لتولى شؤون البريد
الهائل الذى يحمل الملايين من الطالبات والاقتراحات .

لقد كانت هذه الفترة من حياتى فترة أحس فيها بمسئولية الحاجة إلى
الأهل والأصدقاء ، وقد ظلت أختى إديث بجوارى منذ المفاجعة تحاول أن
تحمل عنى عبء المسؤوليات التى أقيمت الآن على كاهلى . . . وكانت أختى
تعمل فيما قبل مدرسة للغة الانجليزية وشئون المسرح فى كلية تشينى للعمليات ،
حيث يعمل أيضا معها زوجها آرثر باجلى مدرسا للفنون الصناعية .

وقد قامت برينتا بنيت بدور خاص فى حياتى كسكرتيرة خاصة لى ،
وكانت هى التى تشرف على شؤون البريد والترتيبات الخاصة بسفرى وتنقلى .

أما فرانسيس لو كاس — وهى من نيويورك — فأنا أعتبرها أعز وأقرب
صديق لى خارج أفراد أسرتى . وقد شاركتنى طوال أكثر من عشرين عاما

مصاعب الكفاح ، وكانت هي وزوجها جيمس من أكثر المحبين والمحبين
بمارتن ، وقد بقيت فراليس معى بضعة أيام بعد موت مارتن ، ثم التحقت
لتعمل معى كسكرتيرة إدارية لشئون المكتب .

وكان ستانلى ليفزون وهارى واشتل من أعز أصدقاء زوجى ، والاثنان
يعملان محامين ، وكثيرا ما كان مارتن يطلب مشورتها ، وقد عرض الاثنان على
خدماتهما عندما وقع المصائب . وكان ستانلى قد عمل معنا عن كشب منذ أيام
مونتجمرى ، وكان يعرف تاريخ الحركة معرفة جيدة ، كما عاصر كفاحنا
الشخصى كما لم يعاصره آخر . ورغم أنه لم يظهر كثيرا فى مقدمة الصورة إلا أن
مساعدااته كانت لاغنى عنها .

أما هارى واشتل فقد نشط فى الحركة فى أثناء أوائل الستينيات ، مثل
ستانلى ، منحه تجاربه للقضية ، كان من أشد مؤيديها . وقد استمر الاثنان
بجانبى حتى يومنا هذا .

وجيى ترايكلر ، وهى مشرقة على منذ أيام الكلية وصديق منذ أيام
أنتيوك ؛ جاءت إلى أثلاثنا وبقيت بجانبى هى وأوليف ويليامز أول
مدرسة للموسيقى لى فى مدرسة لينكولن الثانوية . وحضرت أيضا لإديث
سافيدج وهى صديقة عزيزة نقيم فى ترنتون بولاية نيوجيرسى ، وتولت أمر
الأولاد وجميع شئون المنزل . أما ليندا بيج — وهى صديقة تعمل فى أحد
محال بيع القبعات فى نيويورك — فقد صممت لى القبعة والخمار للجنازة ؛ كما
كانت مساعداها لاتعادل فى القيام بالمشتريات الضرورية اللازمة لى ولأولادى .

وأتى أيضا لمواساتى روبرت ويليامز الذى يقيم فى مونتجمرى ويعمل
الآن مدرسا فى كلية جرامبلنج بولاية لويزيانا .

وأرسل روبرت كينيدى — بالإضافة إلى لمسات العطف العديدة التى

أظهرها عدة أفراد من موظفيه ليساعدونا ، ومن بينهم إيرل جريفز . وقام هو وبيرك مارشال بإعداد وتنفيذ الجنازة ، كما ساعدنى إيرل فى إقامة المكتب الذى سبق ذكره الرد على أكرام الخطابات التى وصلتنا عند وفاة زوجى .

أما دورا ماكدونالد سكرتيرة زوجى ، فقد كان دورها كبيرا ، إذ كانت على دراية تامة بتفاصيل أعمال مارتى ، ما يختص منها بالإدارة ، وما يختص منها بالميزانية ، وقد اعتمدت عليها اعتمادا كبيرا . وقد أظهرت — رغم حزنها العميق — روحا ثابتة كريمة لا يعادلها أى شعور آخر . وقد واطبت على مساعدتى بعد ذلك ، رغم أنها التحقت للعمل كسكرتيرة للقس والفابرنائى .

أما آندى يونج نائب المدير التنفيذى للمجلس القومى وزوجته جين فقد أبديا مساعدات هائلة فى أثناء العاجلة ، ولا يزالان يواصلان مساعدتهما . ورغم حزنهما العميق ورغم المسؤولية الضخمة المفاجئة التى ألقيت على كاهلهما فقد قام والف وجوانيتا أبرنائى بكل ما ينتظر منهما ، وكثيرا ما كانا يطئناننى ويعدان بتقديم العون إذا ما احتجت إليه . والواقع أن كل أعضاء المجلس أظهروا وفاء وولاء لا نظير لهما ، وكان الكل يقوم بأقصى ما فى استطاعته .

وتولت صديقتى اكسيرونا كليتون — وهى امرأة ذات مواهب متعددة إعداد ملابس خلال فترة الحداد ، وقد اخترت من بين هذه الملابس الثوب الذى ارتدته فى الجنازة .

وأنت صديقتى مسز برثا ورهلى من ناتيك بولاية ماساشوسيتس لتكون بجانبى وبقيت معى عدة أسابيع . كما أسهمت استريرز التى تقيم الآن فى نفسلانيا بالكثير من المساعدات فى المكتب والمنزل خلال الأيام العصيبة التى تلت جنازة زوجى .

وأتمنى لو كان بوسعى أن أورد كل التبرعات والمتطوعين الذين عرضوا خدماتهم وقاموا بها فى كثير من الميادين خلال تلك الأيام العصيبة ، قبل أن أتمكن من إقامة مكتب رسمى يتولى عنى الاهمال . ولكن هذا ليس بمكنا ؛ فبعض هؤلاء المتطوعين كانوا غرباء تماما عنى لم يسبق لى أن قابلتهم ، فى حين كان البعض الآخر أعز وأقرب أصدقائى على مر السنين .

ويجدر بى هنا أن أعبر عن تقديرى الخاص للدكتور ألبرت مانلى عيداأساتذة كلية سبلان لأنه وفر لى مكانا لإقامة المكتب المؤقت ، وكل هذا ليس سوى مثال بسيط لروح التعاون التى أبداها الجميع . وقد وصلنى من البرقيات والرسائل ما يبلغ مجموعه نحو ١٠ ألفا ، وقد قام بالرد عليها من بين آخرين مجموعة من الشبان الممتازين الذين يعملون بين معاوانى السناتور روبرت كيندى . أما كنيسة إيبينزر فقد أثبتت بحق أنها أسرة كبيرة يشير إليها دائما داذى كينج ، وكان تأييدها الروحى والمادى من العوامل المساعدة الكبيرة لى . أما هيئة مارتن لوثر كينج التذكارية ، وهى الهيئة التى أنشئت بعد وفاة زوجى تخليدا لذكراه ، فقد أعدت عشاء بمنزلةأدعت إليه كل آل كينج وأقربائهم ، وأصدقائهم واستمرت المأدبة على مدى يومين . وهذه الهيئة منى عظيم الشكر والامتنان .

أما أصدقائى من أتلانتا فكانوا عديدين ، ولا أستطيع هنا أن هتأأحصر أسماءهم أو مساعدتهم الجلية لى خوفا من أن تخوننى ذاكرتى فى ذكر كل الاسماء لاأستطيع مهما أحاول أن أعبر عن عميق شكرى وامتنانى لكل من أعطوا الكثير من أنفسهم هذه الأيام لينخففوا من وقع المصيبة على ، .

وبدون كل هؤلاء ، وغيرهم الكثير ، ماكان باستطاعتى أن أتحمل الأيام العصيبة التى تالت موت مارتن ، وما كنت أناولا أولادى بمستطيعين أن نجتاز عنقنا الرهيبة .

البيانات التي تقدم بها ماران لوثر كينج الاصغر إلى القاضي يوجين
لو في الخامس من شهر سبتمبر ١٩٥٨ بمونتجمري بولاية ألاباما .

سيادة القاضي : لقد أصدرت قرارا لا بد أنك تؤمن بإيماننا عميقا أنه عادل
وحق ، وليسكن لا بد لي أن أقول إنى برىء . كنت أحاول أن أدخل إلى المحاكم
لأشهد محاكمة أحد أحبائى ، ولم أكن فى وقت من الاوقات أتسكع ولا أنشرد
لقد كنت ضخمة مقسوة رجال الشرطة دون ذنب ارتكبته . . . فقد اختطفونى
من فوق د درج ، دار المحكمة وساروا بى فى الشوارع وأنا مقيد الدراعين
لا أكاد أستطيع التنفس وهم يكيلون لى اللسكات ا ورغم كل هذا فأنا لا أحس
بالعداء أو المرارة فى قلبى تجاه هؤلاء الرجال الذين قاموا بالقبض على ، بل
إنى أرئى لهم ، كإخوة وكبشر مثل خلقهم الله فى أحسن تكوين ؛ لأنهم فى
الواقع ليسوا المسؤولين الوحيدين عن كل هذه الاعمال . إن هؤلاء الرجال —
مثلهم مثل الكثيرين من إخواننا البيض — ليسوا إلا ضحايا لمجتمعهم ، هذا
المجتمع الذى لوث خلال ثلاثمائة عام بالإنسانية تجاه البشر المتمثلة فى العبودية
والفرقة العنصرية .

سيادة القاضي : لقد حكمت على بالذنب . وفى الآيلة الماضية ابتلت أنا
وزوجتى طويلا لله أن يهدىنى الطريق الذى سأسلكه فى حالة الحكم على ، وقد
وصلنا فى النهاية إلى أنى لست مستطيعا ، بوحى خالص من ضميرى ، أن أدفع
كفالة الذنب لم ارتكبه ، بل لوحشية عوملت بها ، رغم أنى لأستحقها ، ومع
احترامى الشديد لك ولحكمتك فإنى أجد نفسى مضطرا إلى اتخاذ هذا الموقف .

ودهنىؤكد لك ، ياسيادة القاضي ، أنى لا أبغى بموقفى هذا موقفا تمثيلىا

ولا دعائيا ؛ لأن التعاليم الاخلاقية لا تتبع أبدا من الرغبة الانامية للدعاية . كما أن دافعى فى كل ذلك ليس الرغبة فى أن أكون ضحية ، لانه بدون الحب لا يمكن للتضحية أن تصبح زهوا روحيا . إن الذى يدفعنى إلى هذا الموقف هو صوت ضميرى ورغبتى فى السير وراء الحق ، ووراء إرادة الله حيثما تقودنى . ورغم أنى لا أستطيع أن أدفع الكفالة إلا أنى على استعداد تام لتقبل البديل لها ، وسأخضع لهذا البديل دون شر أو حق .

إن هذا القرار الذى اتخذته يرجع إلى اهتمامى البالغ بالظلم والإهانات التى يتحملها قسمى بلا توقف ، واليوم ، وفى جهات متعددة من الجنوب ، أصبحت الإهانات والوحشية التى يمارسها رجال الشرطة تجاه الزوج عار أمريكا . وفى الشهر الماضى ، وفى ولاية ميسيسبى ، أفرج عن مأمور شهد ضده أربعة من شهود العيان بأنه اعتدى على أحد الزوج بالضرب حتى الموت ١١ أفرج عن هذا الرجل بعد ثلاث وعشرين دقيقة من اعتقاله ١١ وفى هذه اللحظة بالذات يجلس جيمس ويلسون ، المحكوم عليه ، بالإعدام ، وفى زنزانه انتظارا لتنفيذ الحكم فيه ، وهو الحكم الذى صدر ضده لانه سرق أقل من دولارين . . . هل بوسع أحد فى هذه المحكة أن يتصور أن يحكم على رجل أبيض بالموت فى الاباما لانه اتهم بسرقة مثل هذا المبلغ الضئيل ؟ إن الزنجى لم يعد ليحتمل وحشية الشرطة ولا عنف الجماهير ، ليس بوسعنا أن نحتمل ؛ لأن الله الذى خلقنا جميعا أمرنا بأن نقاوم الشر . ولا يفوتنى هنا أن أخبرك ياسيادة القاضى أنى واثق أن الزوج سينهجون أساليب التعاليم المسيحية التى تنادى بالحب وعدم العنف للقضاء على هذه الاحوال وهى الأساليب التى استخدمت طوال مدة الاحتجاج بشأن « الاوتوبيسات » . وأنا واثق أن بالجنوب الآلاف من البيض ذوى النوايا الحسنة الطيبة ، وهم فى قرارة نفوسهم يعارضون العنف والشغب كما يعارضون المعاملة اللا بشرية التى يلقاها الزوج . وأنا أناشد هؤلاء أن يجمعوا شهادتهم و يرفعوا أصواتهم مطالبين بالنظام والقانون .

وقد استقر رأيي على هذا القرار لأنني أحب أمريكا وأحب المبادئ السامية التي تنادي بالحرية والمساواة ، وهي المبادئ التي قامت عليها أمريكا. لقد تبين لعيني الآن أن أمريكا على وشك أن تفقد روحها وتنهار إلى حضيض الفوضى والفاشية المدمرة. لابد أن يحدث ما يوقفها ، ويوقف ضميرها النائم قبل أن يفوت الأوان ولعل الوقت قد أزف لتقوم المسالمة والالم الدفين الذي يلقاه الأبرياء بهذا الإيقاظ للأمة حتى تزيل من على وجهها عار القسوة والوحشية والعنف الذي يلقاه الزنوج . وهم لا يبعثون في الحقيقة إلا أن يسيروا رافعين رؤوسهم أمام الله والناس .

فيما يلي الخطبة التي ألقتها المزم مارتن لوتز كينج الأصغر في
قاعة البلدية بمدينة ممفيس في اليوم الثامن من شهر إبريل ١٩٦٨ .

إلى أصدقائي في ممفيس وفي جميع أرجاء هذه البلاد :

لقد أنيت إليكم اليوم لأنني رأيت أنني يجب أن أفعل ذلك . وخلال حياة
زوجي وقفت دائما إلى جانبه كلما رأيت حاجة إلى ذلك . وخلال الأعوام
الاثني عشر المكفاحنا من أجل حقوق الإنسان وحرية ، كنت أوافق زوجي
على كل آرائه ومعتقداته .

ولقد أتيت إليكم لأن زوجي كان دائما يطلب مني أن أنوب عنه في الأماكن
التي كان يرى وجوده فيها ضروريا ولكنه لا يستطيع الذهاب . وأنا أشعر
أنه اليوم كان سيجد لزاما عليه أن يكون بينكم .

ولا أعتقد أن من الواجب علي أن أقول إن زوجي لم يفكر أبدا في
مصلحته الشخصية ، بل كان كل تفكيره ينحصر في القضية التي كرس لها حياته
والتي شاركناه فيها . وأنا أعتقد أن وجودي معكم الآن هو أقل ما يجب
علي أن أفعله .

ومعنى أيضا ثلاثة من أولادنا ، حضروا بناء على رغبتهم هم في الحضور ،
وهمنى أن أخبركم أن أولادى كانوا يحسون بحب أبيهم رغم كثرة تغيبه عن
المنزل ، وكان الوقت الذي يمضيه معهم من أسعد الأوقات ، وكنت دائما أقول
إن العبرة ليست بطول الفترة التي يقضيها بين أولاده ، وإنما العبرة بما تعفيه
هذه الفترة وما تحويه .

لانى غيرة وسعيدة بما تلقينه من الآلاف من أمثالكم من أتباع زوجي ،
وارتفعت روعي المعنوية لمساعداتكم وولائكم ، بل واتكريسكم جهودكم لكل
ما كان ينأدى به ، ولكل ما آمن به ، ولكل ما أفنى حياته لأجله .

لقد كان زوجي رجلا عظوفا ودودا ، رجلا يقدر السلم وعدم العنف .
ولا أظنني بحاجة إلى أن أؤكد ذلك . وقد نجح في أن يفرس في نفوس أسرته
كل هذه المبادئ ، وإذا فنتحن نريد أن نواصل النهج الذي أرادنا أن نسلكه .

وهذه الساعة في اعتقادي تمثل أكثر من ساعة للكلام والثناء لزوجي
الذي كان رجلا عظيما ، وأبا عظيما . لقد أحبيناه كثيرا ، أحبه أولاده كثيرا ،
ونحن نعلم أن روحه لن تموت أبدا .

وأطلب إلى أولئك الذين يؤمنون بكل تعاليم مارتن لوثر كينج الأصغر
أن يعملوا على بقاء روحه بيننا ، وأن نواصل السير من هذه التجربة التي تبدو
لي وكأنها تشبه مراسم الصاب ، ونسير نحو البعث واستعادة الروح .

كم من مرة سمعته يقول : إن مع كل يوم جمعة حزينة يأتي عيد الفصح ،
وعندما يحل يوم الجمعة الحزينة تنزل على الناس لحظات يحسون فيها وكأن كل
شيء قد ضاع من بين أيديهم وأنه لا أمل هناك . . . ثم يأتي عيد الفصح كأنه
زمن البعث والأمل والإنجاز .

لا بد أن نواصل السير ، لأنه كان يريد منا ذلك . وسنابق الكثير من
المقاعب والمصاعب ، ولكننا سنواصل السير ونكمل مابدأه في أن نحقق الحرية
والشعور بالإنسانية لكل الناس . إن حملته من أجل الفقراء يجب أن تستمر .

ومنذ اثني عشر عاما ، وفي مونتجمري بآلاباما ، بدأنا عملنا بالحلمة على
شركات « الاوتوبيسات » ، محاولين أن نوفر لنا مكانا ومقعدا فيها ، وأن

نحصل على حق الجلوس في أى مكان بها . ثم انتقلنا بعد ذلك إلى حملة إلغاء التفرقة في المرافق العامة ، ثم إلى حملة الحقوق المدنية . والآن وصلنا إلى نقطة البدء في حملة الحقوق الاقتصادية .

لقد كان كل اهتمامه ينحصر أكثر ما ينحصر في أمور البسطاء ، من أمثال عمال القمامة وعمال النظافة هنا في ممفيس . كان يريد لكم دخلا محترما ، ويريد لكم الحماية التي هي من حقكم ، وهذا هو السبب الذي من أجله عاد إلى ممفيس ، عاد ليساعد في هذه الحملة .

ونحن لا نستهدف بمحملتنا هذه الفقراء الزوج وحدهم ، بل هدفنا الفقراء في كل أرجاء أمريكا ، بل وفي كل أرجاء العالم . إن كل إنسان له الحق في عمل وفي دخل حتى يواصل السير من أجل الحرية والحياة والسعادة . إن بلدنا العظيم هذا ، كما كان زوجي دائما يقول ، لديه الموارد ، ولكن السؤال الذي يتردد في الأذهان كان دائما هو : هل لدينا العزيمة ؟ ، وإلى أشعر أن في تجربتنا هذه بعضا لعزيمتنا ، ولقلوبنا ، ولأذهاننا ، ولأرواحنا ، ولأرواح كل من يحاسون في مقاعد السلطة ويمسكون حق إجراء التغييرات المنشودة .

وإذا أمكن الوصول إلى هذه التغييرات فإنني هددتُ سأومن أن موت زوجي كان القوة التي أدت إلى التمويض ، والتي كثيرا ما كان هو يتحدث عنها في معرض للتضحية بالنفس من أجل هدف أسمى ، ومن أجل كل ما يؤمن المرء به .

كان كثيرا ما يقول إن الآلام والظلم قوة تعويضية ، وإن الفرد لو ضحى بحياته في سبيل هدف يؤمن به ، ويعتقد أنه عادل وحق ، فإن الفرد هددتُ يكون قد أمضى حياة مشمرة وهوض بها آلام وتعذيب الكثير . وأنا أعتقد أن هذا هو ما قام به هو زوجي .

ولكن نمة سؤالاً يرأودنى : كم من الرجال يجب أن يضحوا بأرواحهم قبل أن نحصل على المجتمع الحر المسلم بحق ؟ وكم من الوقت سيمر قبل ذلك ؟ إذا استطعنا أن نمسك بالروح والمضمون الحقيقي لهذه التجربة فإننى أعتقد أن هذه البلاد ستتحوّل إلى مجتمع يسوده الحب والعدالة والسلام والأخوة ، مجتمع يستطيع الجميع فيه أن يحصوا أنهم إخوة بكل معنى هذه الكلمة .

مقتطفات من الموعظة التي ألقاها مارتن لوثر كينج الأصغر في كنيسة إيمبائر المشيخية في اليوم الرابع من شهر فبراير عام ١٩٦٨، التي أذيعت خلال جنازته .

إن كل واحد منا ، على ما أعتقد ، يمر عليه وقت ، يفكر فيه بواقعية في اليوم الذي سيقع فيه ضحية لحادثة كل حياة ، ضحية لبوت وكلنا لا يمكننا أن نتجنب التفكير في الموت . وأنا مثلاً أفكر فيه بين الآونة والآخرى ، وأفكر في جنازتي ! ولستى لا أمارس هذا التفكير بروح التشاؤم ، بل أسائل نفسي بين الفينة والفينة : ما الذي أريد أن يقال في هذا المجال ؟ واليوم أترك لكم الرد على هذا السؤال .

وإذا كان أحدهم موجوداً في اليوم الذي ألقى فيه ربي ، فلا أريد منه جنازة كبيرة وإذا جئتم بمن سيلاقى بمرثيى فإني أريد منكم أن تطلبوا منه ألا يذكر أنني نلت جائزة نوبل للسلام ، فهذا لا يهم .. اطلبوا منه ألا يذكر أنني حصلت على ما يقرب من مائتين أو ثلاثمائة جائزة أخرى ، فهذا أيضاً لا يهم . اطلبوا منه ألا يذكر أين تلقيت تعليمي .

كل ما أريده أن يذكر في هذا اليوم هو : أن مارتن لوثر كينج الأصغر حاول أن يضحى بحياته لخدمة الآخرين ، وأنه حاول أن ينشر الحب بين الناس ، وأنه حاول أن يصل إلى رأى صحيح فيما يتصل بالحرب ، أريد منكم أن تذكروا في ذلك اليوم أنني أردت لإطعام الجائع ، وأنى حاولت كساء العارى ، أريد منكم أن تقولوا لاني حاولت أن أزور نزلاء السجون وأنى حاولت أن أحب وأخدم البشرية .

إذا أردتم أن تعددوا مناقبي فأرجوكم أن تقولوا لاني كنت من دعاة العدالة والسلام ، والحق . وعندئذ لن تكون الأمور المضحلة الأخرى أية أهمية . فلن أترك ورائي ثروة ، ولن أترك ورائي شيئاً من متع الحياة . كل ما أريد هو أن أترك ورائي ذكرى حياة كرستها لمبادئى .

هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ . . . إِنِّي إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقْدِمَ الْعَوْنَ لِشَخْصٍ مَا فِي طَرِيقِ حَيَاتِي ، وَأَنْ أُوَامِيَ وَأُخَفِّفَ عَنْ شَخْصٍ فِي طَرِيقِ حَيَاتِي بِكَلِمَةٍ أَوْ لَشِيذٍ ، وَإِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَهْدِيَ السَّائِرَ فِي طَرِيقِ الْخَطَا ، فَإِنْ تَكُونُ حَيَاتِي عِنْدَئِذٍ قَدْ ضَاعَتْ هَبَاءً . إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقُومَ بِوَاجِبَاتِي كَمَا تَقْضِيهَا التَّعَالِيمُ الْمَسِيحِيَّةُ ، وَإِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْلِبَ الْخَلَّاصَ لِدُنْيَا كَادَتْ تَضْيَعُ ، وَإِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَنْشُرَ رِسَالَةَ الْمَسِيحِ الْمَسِيدِ ، فَإِنْ حَيَاتِي عِنْدَئِذٍ لَنْ تَكُونَ قَدْ ضَاعَتْ هَبَاءً .

الجنـازة

مارتن لوثر كينج الأصغر

فناء كلية مورهاوس

الساعة الثانية من بعد الظهر

مقدمة : مرتجلات في الروحانيات الزنجية

مرتجلات من نشيد « سننتصر »

الصف « الطاير » : العربية : دوبر

مقطوعة : « ياربنا ، يامعيفنا في كل العصور ، ايزاك واتس

صلاة : الدكتور جاردنر تيلور (١)) رئيس الجمعية التقدمية

الوطنية المشيخية) .

قراءات من التوراة : الحاخام إبراهيم هيشل

أستاذ الديانة اليهودية في الكلية اليهودية بأمريكا

روحانية : « البلسم » ، تقليدية

(١) حل الدكتور توماس كيلجور محل الدكتور تيلور في الصلاة

يؤديها أعضاء نادى كلية مورهاوس

قراءة من الإنجيل : يقدمها نيافة القس المحترم فرانكاين. سر. فراى رئيس
مجلس الكنائس القومى

روحانية : لا وقت عندى اللوت . تقليدية

يقدمها كورس كنيسة إيبينزر المشيخية

مرثيات : المحترم ايفان الين الاصغر

عمدة مدينة أنلاتا

المستتر روبرت . ج . كوليت

رئيس مجلس الاساقفة ، كنيسة ايبينزر المشيخية

نيافة القس جون رايت

أسقف مدينة بيسبرج بولاية بنسلفانيا

المسز روزا باركي

د أم ، حركة مونتجمرى

القس المحترم ج . ا . لوى

رئيس مجلس إدارة المؤتمر القيادى للجنوب

نيافة القس اندرو يونج نائب الرئيس التنفيذى لمجلس

إدارة المؤتمر القيادى للجنوب

غناء منفرد : خذ بيدى أيها الرب العظيم : لتوماس دورس

تقدمه المسز ماهاليا جاكسون

مرثية

: يقدمها الدكتور بقبامين ميز

أنشيد

: كلية مورهاوس: تأليف ج.أ.ب. موزلي «مختصر»

تعميد

: القس ويلكس

رئيس الكنيسة الابسكوبالية الإفريقية

ختم

: من سيمفونية العالم الجديد لدفورك .

مرثية للدكتور مارتن لوثر كينج الأصغر

أتلانتا — جورجيا

٩ أبريل ١٩٦٨

يلقبها الدكتور بنيامين ميد ، عميد كلية مورهاروس

إنه لشرف عظيم لى أن يطالب منى أن أقدم مرثية فى جنازة الدكتور مارتن لوثر كينج الأصغر . والواقع أنى كمن يقوم برثاء ابنه المتوفى ، فقد كان الفقيد مقربا منى وعزيزا هلى جدا . وترجع صداقتنا إلى أيام دراسته هنا كطالب فى كلية مورهاروس . ولذا فالحمة عسيرة ، ولكن رغم ذلك ، فإنى أقبلها وقلبى مفعم بالآلم وأعرف تماما أنى إن أستطيع أن أوفى الرجل حقه . وكانت رغبى دائما فى أن يقوم مارتن لوثر كينج برثائى أنا عند موتى . . . كما كانت هى نفس رغبته عند موته . وقد شاء القدر أن أقوم أنا برثائه ، وكان بودى أن يحدث عكس ذلك تماما ، فأنا أكبره بنحو الثلاثين عاما ؛ فقد توفى مارتن لوثر كينج وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره .

ورغم أن هناك من سيفرح لموته ؛ فإن هناك الملايين فى طول الأرض وعرضها من سيقتلهم الحزن على صديق البشرية هذا ، الذى مضى فى أوج شبابه . إن الملايين هنا ، وفى بلاد أخرى ، والملوك ، ورؤساء الدول ، ورجال الدين ، فى العالم بأسره ينتهلون الآن إلى الله أن يكلا أسرته برحمته ، بل ويكلا الشعب الأمريكى كله ، ويكلا رئيس الولايات المتحدة برحمته فى ساعة المأساة هذه . وأملى أن يكون فى هذا الاهتمام الدولى بعض العزاء للأسرة ، لأن الحزن حمل ثقيل ، ولذا فإن تقاسمه يخفف كثيرا من وطئته . وقد أتينا هنا اليوم لنحاول تخفيف هذه الوطأة عليكم .

لقد اجتمعنا هنا من كل أطراف هذا البلد العظيم ، ومن أطراف أخرى من العالم لنشكر الله العلي العظيم على أنه قدم منح أمريكا في هذه الفترة من التاريخ رجلا مثل مارتن لوثر كينج . والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الشخص بمحبه ونسبه ، فقد منح حفيدا لأحد العبيد كل هذه المواهب ، وقال له : تسلم يا مارتن لوثر كينج . وخاطب أمريكا عن الحرب والسلام ، عن العدالة الاجتماعية ، وعن التفرقة العنصرية ، حدثنا عن واجباتها تجاه الفقراء ، وعن سياسة عدم العنف كطريق لتنفيذ التغيير الاجتماعي في عالم مليء بالوحشية والحروب .

لأننا اليوم نرثي رجلا كان يؤمن بكل ما لديه من قوة وعقيدة أن مواصلة العنف في أي زمان أو مكان أسريخا للآخلاق والمبادئ ، وأن الله والدنيا بأسرها تعارض العنف ؛ لأنه يهزم نفسه بنفسه ؛ ولأن الحب ، والتسامح وحدهما ، يستطيعان أن يكسرا دائرة الانتقام الشريرة ، كان هذا الرجل يؤمن بأن سياسة عدم العنف ستثبت فاعليتها في القضاء على الظلم في السياسة والاقتصاد والتعليم وفي علاقات الأجناس . كان مقتنعا أن الناس إن استطيعوا إزالة ظلم الإنسان للإنسان ، بالإقناع وحده ، وبالتوصل وحده . بل إن على البشر أن يحسموا هذه الأخطاء من خلال المقاومة السلمية . كان يرى أن أعمال هذه المقاومة المباشرة كانت ضرورية ولازمة لتعزيز النصر السلمي الذي أمكن إحرازه في المحاكم الفيدرالية ، كان يرى أن معالجة المشكلات الاجتماعية بطريقة البعد عن العنف ستثبت في النهاية فعاليتها وستؤتي ثمارها .

ومن خلال كل هذه المعتقدات يسجل له التاريخ أحداثا ثار مثل مسيرات مونتجمري وبرمنجهام وصليبا وشيكاغو وغيرها من المدن . لقد أظهر أمام الناس أن هناك طريقا خفيا يتم بالمبادئ للانخراط في ألوان النشاط التي تستهدف إتمام التحول الاجتماعي ، دون إراقة الدم . ودون اللجوء للعنف . وعندما كان العنف يسود أو يحدث كان العامل الذي يؤدي إليه هو الرغبة في

اقتلاع المظالم من جذورها. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن شخصية مارتن لوتر كينج أسهمت إلى حد بعيد في نجاح احتجاجات الطلبة وإضراباتهم؛ كما أسهمت في القضاء على التفرقة في كثير من المؤسسات وكذلك أسهم نشاطه في السير قدما بقانون الحقوق المدنية، عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥.

كان مارتن لوتر كينج يؤمن بأمريكا موحدة، يؤمن بأن جدار التفرقة الذي أقامته العنصرية على مبادئ خاطئة من اللون والعنصر يمكن إزالته. وكما قال في خطابه الذي ألقاه عند نصب التذكاري للنكولن . د أنا أمتلك حلما . . . وكان يؤمن ببلاده ، لقد مات وهو يكافح من أجل القضاء على العنصرية، في أمريكا بما يصل بهذا البلاد العظيمة ، إلى ولدت بين العنف والدماء ، ثم ترعرعت في جو الحرية ونادت بمساواة البشر ، ويصل بها إلى أن تصبح بحق متارا للحرية ، ومكانا لا يحرم فيه فرد واحد من حقوقه بسبب لونه الأسود ، أو يفضل فرد آخر لأن له عيوننا زرقاء ، ويصل بها لتصبح قوة من الناحية العسكرية ، ولكي تواصل دائما مسيرة السلام ، لتصبح اقتصادياتها متينة ولكن على أسس عادلة ، لتصبح مثقفة ولكن عاقلة ، ويصل بها لأن يكون أفقر فرد فيها — وهو عامل القمامة — عنده من الطعام ما يكفيهِ هو ومن يعول ، وعنده المسكن الجيد ، وعنده فرص التعليم بما تسمح له إمكانياته ، ويصل بها لتكون بلدا يفهم فيه الاثرياء معنى التعاطف . وكان هذا حلمه ، وكان هذا هدفه الذي كافح لأجله . وكما كان هو وأتباعه دائما يفتشدون : د يوما ما ، البيض والسود معا . .

ليكن مفهوما تماما أن أخانا المرحوم لم يعتقد عدم العنف عن خوف أوجبن ؛ فقد كان يتجلى بالشجاعة الخلقية. كما تحدى المهاتما غاندي الامبراطورية البريطانية بلا سيف وانتصر ، فقد تحدى مارتن لوتر كينج المظالم العنصرية في بلاده بدون بندقة . وكان من القوة بحيث يعتقد أنه سينجح في معركة العدالة

الاجتماعية . وهنا لابد لي أن أنجراً وأقول إن مارتن لوثر كينج كان عليه أن يكون شجاعاً وهو يمارس عدم العنف بقدر أكبر بكثير ، مما دفع قاتله إلى إطلاق الرصاصة التي أودت بحياته . هذا القاتل هو الجبان . . . لقد ارتكب فعلته الشنعاء ثم هرب . أما مارتن لوثر كينج فعندما كان يعارض قانوناً لا يتم بالعدالة فقد كان يتقبل نتائج أعماله . لم يهرب أبداً ، ولم يتوصل طالبا الرحمة ، ولقد عاد إلى سجن برمنجهام ليقضى أياماً فيه .

لعله كان أشجع من كثير من الجنود الذين يقاتلون ويموتون في ساحة القتال ، ففي حالتهم هناك عنصر الاضطراب ، واسكن عندما واجه مارتن لوثر كينج الموت المرة تلو المرة حتى صرعه لم يكن هناك عنصر خارجي يضطره إلى ذلك ، بل كان يتصرف بوحى من شعور داخلي كان يدفعه إلى الامام . كان أشجع ممن ينادون بالعنف كطريق للخلاص ، لأنهم عندئذ يحملون الاسلحة المدمرة بهدف الدفاع عن أنفسهم . أما مارتن لوثر كينج فلم يكن يتسلح إلا بعقيدته وهو يواجه الكلاب ، والشرطة ، والسجن ، والنقد اللاذع . ثم أخيراً : الموت . كان سلاحه هو الإيمان بالله والاعتماد عليه . وإن الذى يحارب معركة عادلة يعتبر مسلحاً ثلاثة أضعاف الشخص العادى . كان مارتن لوثر كينج يتسلح بالإيمان الذى كتب عنه براوننج يقول : « شخص لا يلتفت إلى الوراء أبداً ، بل سار معرضاً صدره للخطر دون أن يشك لحظة واحدة أن السحب ستنتفخ ، ودون أن يحلم بأن الشمر سيتغاب يوماً ما على الحق . إننا نقع لنقوم ثانية ونقاتل بشجاعة أقوى ، إننا ننام لكي نستيقظ » .

كان مارتن لوثر كينج يتحلى — إلى جانب شجاعته الخلقية هذه — بالقدرة على حب الناس ، ورغم أنه كرس حياته كلها لحظية تحرير الزوج إلا أن اهتمامه تعدهم ليشمل البشر أجمعين . لم يفرق بين كبير أو صغير ، ولا غنى ولا فقير . كان يؤمن أنه يحمل رسالة تحرير البشر حتى أبسط المستويات . ولو

كان حيا اليوم لقال : « إذا لم يكن من الموت بد فإني لأجد قضية أموت من أجلها أعظم من قضية السكفاح لأحصل على أجر عادل لعامل القمامة » .

كان أكبر من العناصر ، وأكبر من الطبقات ، وأكبر من الثقافات . كان ينتمى إلى العالم كله ، أما الآن فقد أصبح نبراسا ينتمى إلى من يأتي بعده .

ولكن هناك تشعباً آخر في كل ما أقول ، لقد أحب البعض هذا الرجل وكرهه البعض الآخر . لقد عرف كينج معنى الألم على نحو لم يعرفه غيره . لقد أقيمت القنابل على منزله ، وكان يعيش طوال ثلاثة عشر عاما تحت التهديد المتواصل ، كما أنه اتهم بغير وجه حق بالشيوعية ، كما اتهم بالخداع ، وبأنه يبحث عن الشهرة والعظمة ، كما طعنته واحدة من قومه ، وضرب في أحد الفنادق وسجن عدة مرات ، كما أحس بالألم والمرارة عندما تخلى عنه أصدقاؤه وخانوه ، ورغم كل هذا فقد كان قلب هذا الرجل خلوا من المرارة والحقد ، وكان ذهنه لا يفكر أبدا في الانتقام أو القصاص ، بل واصل في طول الدنيا وعرضها نشر دعوة عدم للعنف ودعوة الحب المعوض ، لأنه كان يرى أن الإخاء والسلام لا يمكن أن يسود إلا من خلال الحب وعدم العنف والألم ، لقد انتقده الكثيرون انتقاداً مرأ لمعارضته الحرب في فيتنام ، ولكن من العسير على أى شخص أن يفتظر من الدكتور كينج — وهو رسول عدم العنف والسلام — أن يرضى بالعنف الدائر في فيتنام . إن كينج كان يرى أن مبادئه ينبغي ألا تقتصر على الولايات المتحدة وحدها ، بل يجب أن تتسع لتشمل العالم كله وتعمل على حل مشكلاته .

وبما لاشك فيه أن الله قد اختار هذا الرجل ليقوم بهذه المهمة . وإذا كان عاموس وميخا يعتبران من الرسل في القرن الثامن قبل الميلاد فإن مارتن لوتر كينج يحق لنا أن نشبه بهما في القرن العشرين ، لقد ألهمه الله أن يفعل كل ما فعل ، وطلب منه أن ينادى بما نادى به ، وينشر دعوة عدم العنف والتسامح في الثلث الأخير من القرن العشرين . لقد نشر المسيح تعالیه بين الفقراء ،

ومارتن لوتر كينج كان يطالب بالكرامة للرجل العادى . إن الرسول هو الشخص الذى يشرح للناس بكلمات مفهومة وواضحة لإرادة الله . وأنا أعتقد أن مارتن لوتر كينج ينطبق عليه هذا التعريف . وكان مارتن لوتر لا يبحث عن قضية يتبناها، بل يبحث عن القضية التى يرى أنها بحاجة إلى مجهوداته وتعاليمه .

كلا ، لم يكن مارتن لوتر كينج متقدما عن زمانه ، فلا يوجد رجل متقدم عن زمانه ، بل كل فرد منا يعمل ما كتب له فى الوقت الذى كتب عليه أن يعمل فيه ، ويجب أن يستجيب الفرد منا لدعوة الله خلال حياته هو ، وليس خلال حياة أى فرد آخر . وقد استجاب المسيح لدعوة الله فى القرن الأول ، وليس فى القرن العشرين ، ولم يكن لديه أكثر من حياة واحدة يحياها ، ولم يكن بوسعه الانتظار ، رغم أنه توفى فى مستقبل العمر . كم من الزمن تظنون كان المسيح عليه أن يصبر قبل أن تتقبله السموات العلا ؟ خمسة وعشرين عاما ؟ مائة عام ؟ ألف عام ؟ لقد مات المسيح فى سن الثالثة والثلاثين ، لم يستطع الانتظار . وبولس ، وجاليليو ، وكوبرنيكوس ، ومارتن لوتر المصلح البروتستانتي ، وغاندى ، ونهرو ، كل هؤلاء لم يكن بوسعهم الانتظار ، بل كان عليهم أن يعملوا لإبان فترة حياتهم . ومات المسيح على الصليب ، ومات جاليليو وهو راكع على ركبتيه يصلى ، ومات لينكولن برصاصة مقتل ، ومات مارتن لوتر كينج وهو يقاتل من أجل العدالة لجامعى القمامة . لم يكن ولا واحد من كل هؤلاء الرجال متقدما عن زمانه ، بل كان زمانهم دائما يناديهم ليقوموا بكل ما يروونه حقا ، وليقوموا بما يرون أن من واجهم القيام به .

ومن المؤسف حقا أن يموت مارتن لوتر كينج فى هذه السن المبكرة ، هذا ما أشعر به أنا أيضا ، ولكن كما سبق أن قلت مرارا ، إن العبرة ليست بطول الحياة ، بل بمعنى هذه الحياة . إن المهم هو ما يستطيع المرء أن ينجزه لصالح البشرية خلال حياته . لقد مات المسيح فى سن الثالثة والثلاثين ، ومات جان دارك فى سن التاسعة عشرة ، ومات كل من بايرون وبيرنز فى سن السادسة والثلاثين

ومات كل من كينس ومارلو في سن التاسعة والعشرين، أما شيل فأت في الثلاثين من عمره ، و مات جون فيتز جيرالد كينيدي في السادسة والأربعين ، وويليام ريني هاربر في التاسعة والأربعين. و مات مارتن لوثر كينج في سن التاسعة والثلاثين.

إننا ندعو جميعا أن يلقى القاتل جزاءه بعد أن يقبض عليه ويقدم للعدالة. ولسكن أرجو أن تتأكدوا من حقيقة هامة وهي أن الشعب الأمريكي بأسره يعتبر مسؤولا عن مقتل مارتن لوثر كينج ، وعلى موظفي مدينة ممفيس تقع بعض الاتهامات ؛ فقد كان ينبغي أن يوضع حد للشكاسة منذ عدة أسابيع . ولم يكن من الضروري أن يضرب ذوو الأجور الضئيلة في مجتمع مثل مجتمعنا هذا ليحصلوا على أجر عادل . لم يكن ضروريا — بعد أن انقضى قرن بأكمله على وثيقة التحرر وبعد تنفيذ البنود المعدلة ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من الدستور — أن يضطر مارتن لوثر كينج إلى أن يقود مسيرة في مونتجمري ، وفي سيلما وبرمنجهام ، وأن يعتقل أكثر من عشرين مرة ، لأنه يطالب بحقوق شعبه ، هذه الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الآخرون من ذوي البشرة الفاتحة ، لا لسبب إلا لأنهم ولدوا ولهم بشرة بيضاء اللون ١٩ . إننا نحن أيضا مهتمون بالقتل ، وقد آن للشعب الأمريكي أن يكمر عن سيئاته ، وأن يحاول منع كل الأمريكيين سبيلا للديموقراطية .

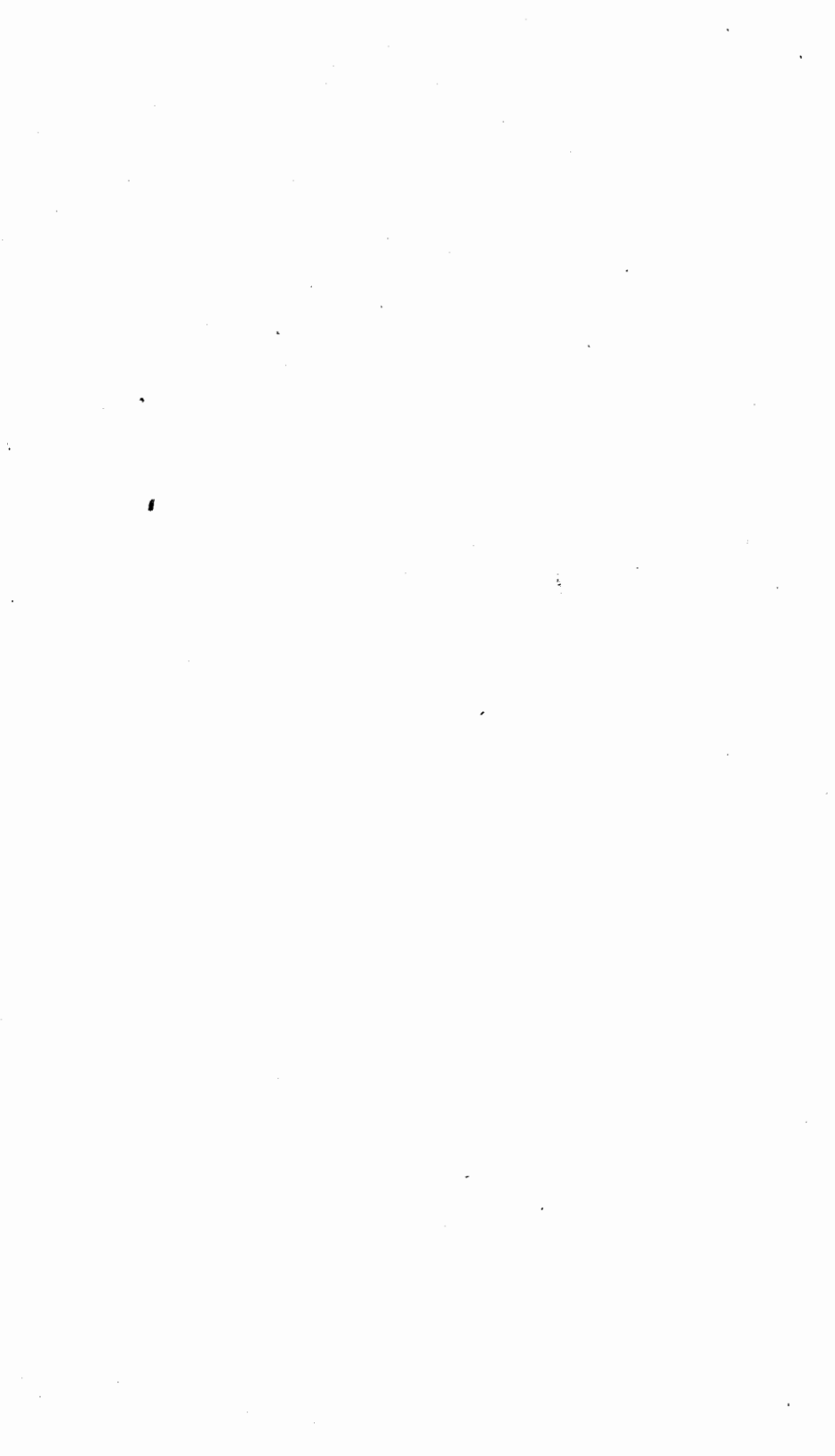
وإذا كنا نحب مارتن لوثر كينج ونحترمه — كما يشهد بذلك هذا الجمع الغفير — فينبغي لنا أن نعمل على أن ننفذ كل مآمات لأجله ، بحب علينا ألا نشوه اسمه بأن نحاول إيجاد الحل عن طريق العنف والدماء في الشوارع. لقد كان العنف غريبا على طبيعته وكثيرا ما حذر أن اندلاعات العنف هذه ستؤدي حتما إلى إقامة دولة فاشية في ربوع أمريكا . وعلينا أيضا أن نعمل للقضاء على الأحوال التي تؤدي إلى هذا العنف ، وهذا ما يحاول القيام به رئيس الولايات المتحدة . فليبحث البيض والسود على السواء في قلوبهم وضمائرهم ، وإذا ما

هتروا على أبسط دليل على التمهصب فليقتض عليه في الترو والاحتظة . ولنصل
جميعا كما كان مارتن لوثر سيصلي لو كان حيا: دياأبتاه اغفر لهم لانهم لايعلمون
ماذا يفعلون.. واذا فعلنا كل ذلك فإن موت مارتن لوثر كينج سيكون هو الموت
التعويضي لكل البشر. إن كاية مورهارس ان تنمى أبدا مارتن لوثر كينج ، ان
تنسى أنه تعلم فيها وسيكون العالم كله مدينا له لقرون عديدة، ومن الطبيعي أن
أن نحاول نحن هنا في مورهارس أن نخلد ذكره لتكون دائما الهاما لكل الطلبة
الذين يدرسون في هذه الكلية .

وإني أختتم كلمتي فأقول ما كان مارتن لوثر كينج يؤمن به . كان يؤمن بأنه
إذا كان موت الجسد هو الثمن الذي يجب عليه أن يدفعه لتخليص أمريكا من
التمهصب والظلم ، فإن هذا الموت هو التعويضي وليس شيئا غيره .

ودعوني استعيد بعض كلمات جون فيتزجيرالد كينيدي الخالد .

دهوني أقل إن عمل مارتن لوثر كينج الأصغر على هذه الأرض يجب أن
يكون عملا نحن أيضا .



رقم الإيداع بدار الكتب $\frac{٤٠٤٧}{١٩٧١}$

دار العلم للطباعة — ٤٠ شارع خيرت بالمالية

ت ٢٠١٤٠